من تفسير وتأملات الآباء الأولين

# أعمال الرسل

الجزء الأول الإصحاحات ١ - ١٢




القمص تادرس يعقوب ملطي

من تفسير وتأملات

الآباء الأولين

# أعمال الرسل

الجزء الأول

الأصحاحات ١ - ١٢

القمص تادرس يعقوب ملطي

الكتاب : أعمال الرسل

المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطى.

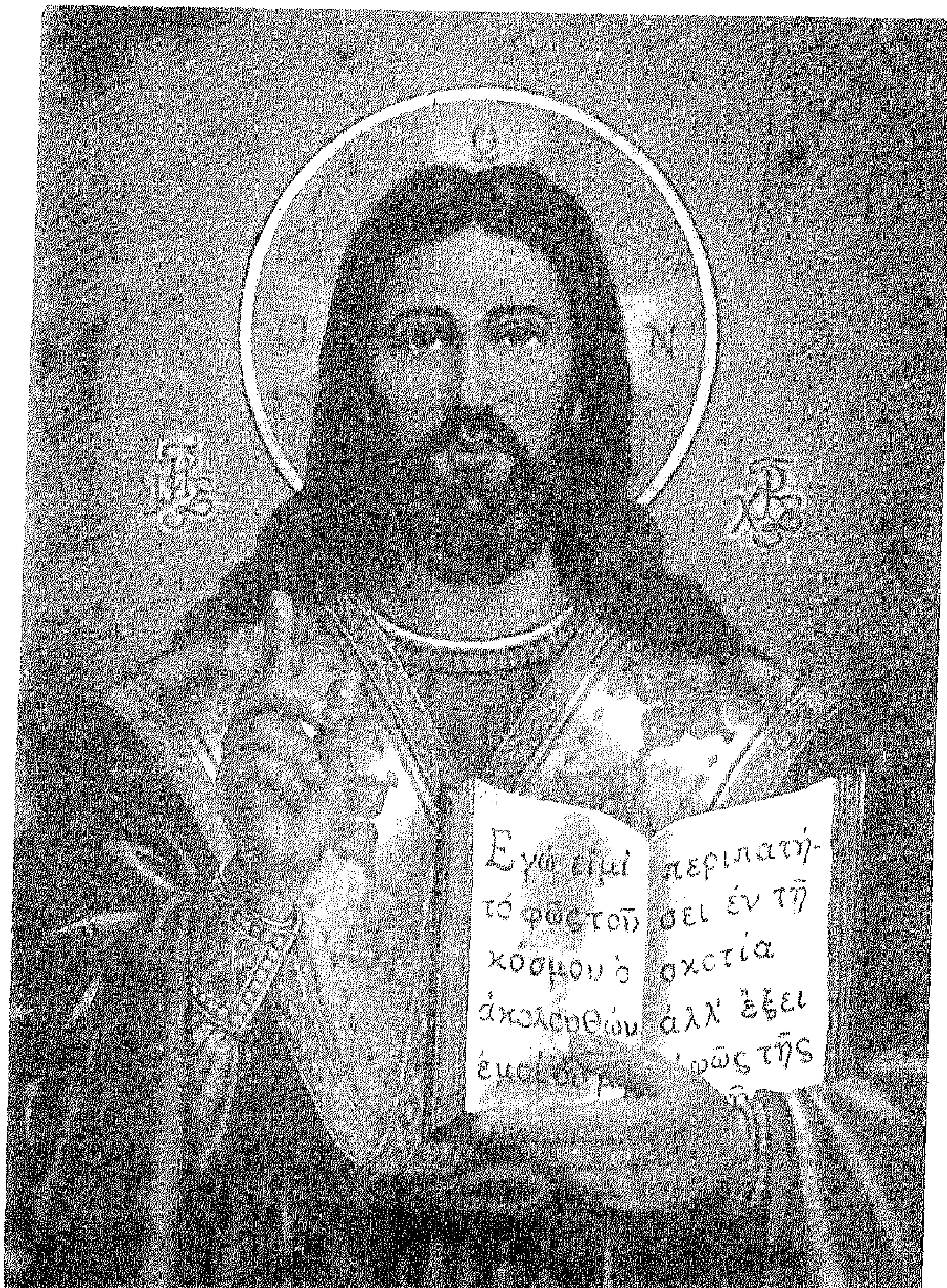
الجمع التصويرى: ماجدة حنا باستيت إن أيلاند،

وصفوت فرج بأورانج كاليفورنيا

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست – بالكاتدرائية – العباسية – القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٣/٢٧٧٣

I.S.B.N. 977- 17- 077- 4


Ο Ω Ν
Εγώ είμί
τό φῶς τοῦ
κόσμου ὁ
ἀκολουθῶν
περιπατή-
σει ἐν τῇ
σκοτία
ἀλλ' ἕξει
φῶς τῆς



# قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

# الكنز المخفي!

قدم **القديس يوحنا الذهبي الفم** رئيس أساقفة القسطنطينية سلسلة من العظات على سفر أعمال الرسل في السنة الثانية أو الثالثة من سيامته، افتتحها بقوله: [جعلت من هذه القصة (قصة أعمال الرسل) موضوعي، حتى أقدم ما لا تعرفوه عنها، **فلا يبقى مثل هذا الكنز مخفيًا عن البصر**. فإنها بالحق تنفعنا ليس بأقل من الأناجيل، إذ هي مشحونة بالحكمة المسيحية والتعليم الصحيح، خاصة فيما يخص الروح القدس. ليتنا لا نعبر عليها سريعًا، بل نفحصها بدقة. نرى ما نطق به المسيح من نبوات في الأناجيل يتحقق على مستوى الواقع. ونلاحظ في الوقائع ذاتها الشهادة البهية للحق المشرق فيها، والتغيير القدير الذي حلّ بالتلاميذ حيث حلّ الروح عليهم[1].]

إن كانت الأناجيل تسحب قلوبنا بالشوق نحو الالتقاء بالسيد المسيح المصلوب، الملك الروحي (إنجيل متى)، وخادم البشرية (إنجيل مرقس)، وصديقها (إنجيل لوقا)، ابن الله الوحيد الجنس القادر وحده أن يخبرنا عن الآب ويكشف لنا الأسرار الإلهية (إنجيل يوحنا)، فقد **جاء سفر الأعمال ليقدم لنا روحه القدوس الذي قاد البشرية في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض**. نراه يلهب القلوب ويجتذبها نحو المخلص، يعمل في الرسل، كما في الشعوب، ليشكّل كنيسة المسيح الحاملة أيقونة عريسها السماوي، ويهيئها للعرس الأبدي.

إلهنا الصالح قادر أن يعمل بروحه الناري حتى يبقى سفر الأعمال مفتوحًا على الدوام، فتصير الأرض وملؤها للرب ومسيحه، ويتمتع الكل بقلوب متسعة لا تكف عن الشهادة لإنجيل الخلاص بروح الحب الباذل، فيكمل السفر بمجيء السيد المسيح على السحاب، ليضم كنيسته إلى مجده الأبدي.

ليفتح روح الله القدوس كنز هذا السفر حتى تغتني كل نفس بالخيرات السماوية، وتفيض على من حولها، فيحمل الكل السمات السماوية الفائقة.

---

[1] *Comm. On the Acts, Homily I.*

# مقدمة في
# سفر أعمال الرسل

يقدم لنا هذا السفر قصة الكنيسة في بدء انطلاقها بعد صعود السيد المسيح وحلول روحه القدوس ولقرابة ثلاثين عامًا. قدمها الإنجيلي لوقا ملهمًا بالروح القدوس، ليكشف لنا عن الكنيسة في العصر الرسولي: سرّ مولدها ونموها وعبادتها وشهادتها للسيد المسيح وقوتها بعمل الروح القدس، ويكشف عن تحقيق ما سبق فوعد به السيد تلاميذه: "ها أنا معكم كل الأيام وإلي انقضاء الدهر". وأيضًا وعده الإلهي: "لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهودًا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أع ١: ٨).

سفر أعمال الرسل هو **سفر كنيسة المسيح في عصر الرسل**، التي قبلت إنجيله، ومارسته عمليًا في حياتها اليومية كما في العبادة والكرازة.

هو **إنجيل الروح القدس** الذي أنعم على الكنيسة بالوجود في يوم العنصرة، واستلم كنيسة المسيح ليقودها ويجتذب إليها النفوس فتتمتع بالمخلص، واهبًا إياها قدسية الحياة المستمرة.

هو سفر **انفتاح الكنيسة بالحب على العالم لتخدمه وتغسل قدميه.**

هو سفر **الكنيسة الفقيرة الغنية**، تفتقر مع عريسها وتغتني به.

هو سفر **القوة الداخلية** التي لا تضعف ولا تشيخ.

هو سفر **الكنيسة المقدسة** التي لا تطيق الشر لكنها تترفق بالخطاة.

## الإنجيل العملي

افتتحه لوقا الإنجيلي بقوله: "الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به" (أع ١:١). وكأن الأناجيل الأربعة هي "**الكلام الأول**" الخاص بأعمال السيد وتعليمه، وهذا السفر هو **تكملة لهذا الكلام**، فما ابتدأ به السيد حين كان حاضرًا بالجسد على أرضنا يكمله الآن بروحه القدوس وحضوره السري في وسط

كنيسته. هكذا يكشف السفر عن حقيقة إنجيلية هامة، وهي أن السيد المسيح الصاعد إلى السماء حي، حاضر، وعامل، ومتكلم في كنيسته، ويبقى هكذا إلى يوم ظهوره الأخير حيث تكمّل كنيسته؛ وتتمتع بشركة مجده. سفر الأعمال هو **إنجيل حي يشهد عن حضور المسيح عاملاً ومتكلمًا في كنيسته ومن خلالها ولحسابها.**

❖ توجد تعاليم واردة هنا ما كنا نستطيع أن نعرفها بالتأكيد كما نحن عليه الآن لو لم يوجد هذا السفر؛ كان يبقي تاج خلاصنا مخفيًا من جهة الحياة العملية كما التعليم[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

## سفر أعمال الروح القدس

يقدم لنا هذا السفر أعمال الروح القدس، المعزي، الذي وعد به السيد تلاميذه. إذ نراه وراء تاريخ الكنيسة، فهو القائد الحقيقي والمرشد والمعلم القادر أن يجتذب النفوس لتختبر عمل السيد المسيح الخلاصي. يُشرق على الكنيسة بنوره، فيملأها وسط الضيقات ببهاءٍ إلهي خفي جذّاب، ويعمل بناره المتقدة، فيلهب القلوب بنار الحب الإلهي. إنه النهر الإلهي الذي ينساب من السماء ليقيم على الأرض مدينة الله، الفردوس الإلهي المثمر، عوض البرية القاحلة بالجفاف الروحي.

❖ الأناجيل هي تاريخ ما فعله المسيح وما قاله، وسفر الأعمال **ما قاله المعزي الآخر وما فعله.** لكن هذا الروح صنع أمورًا كثيرة، وردت في **الأناجيل** أيضًا، والمسيح لا يزال يعمل في سفر الأعمال في البشر كما عمل في الأناجيل. فقط عمل الروح هناك في الهيكل، والآن يعمل خلال الرسل. هناك عمل، إذ جاء إلى رحم البتول وشكّل الهيكل، والآن يعمل في نفوس الرسل. هناك جاء على شكل حمامة، وهنا على شكل نارٍ[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

## سفر كنيسة المسيح المصلوب المتهللة

يكشف لنا هذا السفر عن طبيعة كنيسة المسيح المصلوب منذ نشأتها، فقد

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 1.*
[2] *Hom. On Acts, Homily 1.*

تشكلت بالروح القدس وسط الأنين والضيق، لتحمل شركة الآلام والصلب مع عريسها المتألم. لكن حضوره في وسطها يحول الأنين إلي فرحٍ مجيدٍ، والضيق إلي تعزياتٍ سماويةٍ، فتحيا مسبحة لله وسط أتون الاضطهادات.

❖ **يليق بالمسيحي أن يكون "هلليويا" من رأسه إلى قدمه.**

❖ لنفرح ونشكر، ليس لأننا صرنا مسيحيين، وإنما لأننا صرنا المسيح! أتدرك ذلك؟ أتفهم النعمة العظيمة التي يهبنا الله إياها؟ قف في خشية وفرح. لقد صرنا المسيح!

❖ **"من يخرج باكيًا، حاملاً البذور للغرس، يعود بتراتيل الفرح، حاملاً السنابل معه"** (مز ١٢٦: ٦).

هذا المزمور الذي يتحدث إلى روح الذين هم مصممون على الاستمرار في الرحلة الروحية إلى الله، يناسبنا تمامًا ليعنيننا في أوقات الحزن والكآبة. هذا العالم دون شك هو وادي الدموع الذي فيه يزرع الإنسان وهو باكٍ.

إنه يسندك لتستمر في إيمانك.

على أي الأحوال، إن شرحت ما يعنيه هذا السفر بالبذور التي نغرسها الآن، فهي الأعمال الصالحة التي خلقها الله لكل واحدٍ منا لكي نفعلها (أف ٢: ١٠)، وقد خطط لنا أن نمارسها بقوة روحه في وسط أتعاب هذه الحياة المضطربة.

من يتعلم أن يمارس عمل الله في هذا العالم – وادي الدموع والأتعاب هذا – يصير متهللاً مثل المزارع المجتهد الذي يغرس البذور حتى في موت الشتاء، فهل تقدر الرياح الباردة والجو القاسي أن يمنعها عن العمل؟ حتمًا لا!

هكذا يليق بنا أن نتطلع إلى متاعب هذه الحياة كما هي. تُلقي الملاهي في طريقنا بواسطة الشرير، بقصد أن ننحرف عن الأعمال الصالحة التي خُلقنا لكي نعملها. تطلعوا ماذا يقول المرتل: "من يخرج باكيًا..." بالحق يجد علة للبكاء، يجد كل واحدٍ منا ذلك. ومع هذا يلزمنا أن نسير، ممارسين أعمال الله الصالحة في طريقنا.

يا لبؤسنا إن كنا قد دُعينا للعمل بجدية فقط لكي نبكي دون التطلع إلى أية ثمرة لعملنا. يا لبؤسنا إن كنا لا نجد أحدًا يمسح دموعنا.

**لكننا نعرف أن الروح القدس يعمل لكي نستمر في الغرس وسط دموعنا، لأن الروح يعدنا خلال المرتل أننا نعود مندهشين بالفرح! نحمل ثمر تعبنا كتقدمة له[1].**

القديس أغسطينوس

## وضع السفر بين أسفار العهد الجديد

حتى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني كان يُنظر إلى هذا السفر كتكملة للإنجيل بحسب معلمنا لوقا. وقد جاءت بداية السفر متناسقة مع نهاية الإنجيل. غير أنه بعد تسجيل الإنجيل بحسب القديس يوحنا جمعت الكنيسة الأناجيل الأربعة معًا، وصار هذا السفر هو الرابطة بين الأناجيل كلها ورسائل الرسل، فكما تكشف الرسائل عن كتابات الرسل، جاء السفر يكشف عن أعمالهم بروح الله القدوس، أو أعمال المسيح فيهم وبهم ولحسابهم. سفر الأعمال هو حلقة الوصل بين الأناجيل ورسائل الرسل، فإنه ما كان يمكننا التمتّع بفهم هذه الرسائل كما ينبغي ما لم تُقرأ خلال خلفيّة هذا السفر. هذا والسفر يساهم بطريقة حيويّة في دراسة الربط بين تعليم السيّد المسيح والتعليم الرسولي[2].

جاء هذا السفر في بعض المخطوطات بعد رسائل القديس بولس، بكونه يقدم الأحداث الخاصة بخدمة القديس بولس والتي وردت في رسائله[3].

**فيما يلي مقارنة بين هذا السفر والأناجيل المقدّسة.**

١. تقدم لنا الأناجيل السيّد المسيح بكونه المسيّا المخلّص، وجاء سفر الأعمال ليُظهر أن المسيّا حاضر في كنيسته التي تترقّب مجيئه.

٢. قدّمت لنا الأناجيل ما ابتدأ يسوع يفعله من أجلنا، وجاء سفر أعمال الرسل يعلن أنه لا يزال بروحه القدّوس في كنيسته.

٣. تُحدّثنا الأناجيل المقدّسة عن المخلّص المصلوب القائم من الأموات، ويصوّره لنا

---

[1] *Homilies on Ps. 2.*
[2] *Donald Guthrine: New Testament Introduction, 1975, p. 136.*
[3] *Cf. Adam Clarke: Acts, preface.*

سفر الأعمال أنه الصاعد إلى السماء والممجّد، هو رب الكنيسة وقائدها.

٤. في الأناجيل المقدّسة نسمع تعاليم السيّد المسيح التي تقودنا للخلاص بدمه، وفي الأعمال نتلامس مع عمله الخلاصي في كنيسته المقدّسة لاجتذاب الأمم إلى المجد[1].

## كاتب السفر

لم يذكر كاتب السفر اسمه، لكن يؤكد التقليد الكنسي أن كاتبه هو لوقا الإنجيلي، يدعم ذلك الشواهد الداخلية في السفر والخارجية:

## الشهادات الداخلية

١. يعلن الكاتب انه رفيق الرسول بولس في أسفاره حتى سفره الأخير إلي روما (أع١٦: ١٠-٤٠؛ ٢٠: ٥-٦؛ ٢١: ١-٨؛ ٢٧: ١-٢٨: ١٦).

٢. يتشابه مع انجيل لوقا من جهة الشخص المُوجه له السفر (لو ١: ١-٤؛ أع١: ١)، وهو ثاوفيلس، غالبًا من أشراف الإسكندرية. كما يتشابهان في اللغة والأسلوب.

٣. وحدة الفكر في السفرين، نذكر على سبيل المثال:

- ❖ يشتركان في الدوافع الأساسية: الاهتمام بالجانب التاريخي، وأيضًا الجغرافي، وتأكيد دور الروح القدس في خدمة المسيح (انجيل لوقا) وفي خدمة الرسل (أعمال الرسل).
- ❖ الاهتمام بخلاص العالم كله (لو ٢: ٣٢؛ أع ١٠: ٣٤).
- ❖ الاهتمام بخدمة المرأة (لو ٧: ٣٧-٣٨؛ أع ٩: ٣٦).
- ❖ الاهتمام بالصلاة (لو ١١: ١٣؛ أع ١: ٢٤).
- ❖ ذكرت كلمة النعمة (Χαπιξ) في إنجيل لوقا ٩ مرات، وسفر الأعمال ١٧ مرة، بينما لم ترد في إنجيل متى أو مرقس.
- ❖ الاهتمام بمغفرة الخطايا (لو ٢:٣٨؛ أع ٥: ٣١).

---

[1] *Henrietta Mears: What the Bible is all about, 1997, p. 439-440*

- ❖ لا يحملان روح التعصب تجاه الحكومات الأجنبية (لو ٢٠: ٢٠-٢٦؛ أع ١٦: ٣٦-٣٩).
- ❖ استخدام مصطلحات طبية دقيقة، واهتمام السفرين بالمرضى، والعناية بهم، ومعجزات الشفاء، حيث أن الكاتب هو لوقا الطبيب.

## الشهادات الخارجية

١. وثيقة ترجع إلى حوالي عام ١٦٠ م، عبارة عن مقدمة لإنجيل لوقا، وقد أضافت أن لوقا كاتب سفر الأعمال، كُتبت هذه الوثيقة ضد مرقيون Anti-Marcionite.

٢. **القانون الموراتوري** للأسفار المقدسة (ما بين ١٧٠ و ٢٠٠ م) يضع سفر **"أعمال جميع الرسل"** ضمن الأسفار القانونية (لأن مرقيون كان يحسب القديس ولس وحده رسولاً دون غيره).

٣. يقول **القديس إيرينيؤس** إن لوقا "زميل بولس" هو كاتب الإنجيل والأعمال[1].

٤. جاء في **إكليمنضس السكندري** (حوالي ١٩٠ م): [يشهد لوقا في سفر الأعمال أن بولس قال لرجال أثينا: "أنا أرى أنكم متدينون في كل شيء"[2].]

٥. جاء أيضًا في **القديس إكليمنضس السكندري**: [معروف أن لوقا هو الذي كتب بقلمه أعمال الرسل[3].]

٦. جاء في **العلامة ترتليان** (حوالي سنة ٢٠٠ م)، في حديثه عن حلول الروح القدس على الرسل في العلية وهم يصلون أنها حقيقة واردة في "**تسجيل لوقا**[4]"، أي في سفر الأعمال.

٧. جاء في **يوسابيوس القيصري**: [لوقا من جهة جنسه مواطن من إنطاكية، مهنته طبيب، اشترك أساسًا مع بولس، ومع بقية الرسل، ولكن بصورة أقل. وترك لنا أمثلة لشفاء النفوس التي اكتسبها وذلك في سفرين ملهمين: الإنجيل وأعمال

---

[1] *Adv. Haer. 3:1:14.*
[2] *Stromata 5:12.*
[3] *PG 9:732.*
[4] *De Jejunio 10, PL 2:966.*

الرسل[1].]

٨. اقتباس كثير من الآباء والكتابات منذ القرن الأول من هذا السفر وقد خصّص الخوري بولس الفغالي فصلاً كاملاً عن اقتباسات الآباء الأوّلين من سفر الأعمال[2]، مثل **القديس إكليمنضس الروماني، ورسالة برناباس**[3]، **والديداكية**[4]، والراعي **لهرماس**[5]، ورسالة **الشهيد إغناطيوس** إلى ماغنزيا، **والقديس بوليكربس أسقف سميرنا، واستشهاد بوليكاربوس، والرسالة إلى ديوغنيتس، ومخطوطة وصايا رؤساء الآباء الاثني عشر، والشهيد يوستين**[6]، **وأعمال بولس** (حوالي سنة ١٦٠م)، وخطاب من جنوب الغال سنة ١٧٧ ورد في **يوسابيوس**[7].

## اسم السفر

حمل هذا السفر أسماء كثيرة، منها[8]:

١. أعمال الرسل πραχεί των αποστολων كما جاء في Gestae Res وفي نسخة Codex Bezae.

٢. أعمال الرسل القديسين πραχεί των αγιων αποστολων كما جاء في النسخة الإسكندرانية Codex Alexandrinus، ونسخ أخرى، وفي كثير من كتابات الآباء اليونانيين واللاتين.

٣. دعاه البعض "الإنجيل الخامس"، ودعاه Oecumenius "إنجيل الروح القدس".

٤. دعاه **القديس يوحنا الذهبي الفم** "الكتاب το βιβλιον"، و"الدليل على القيامة αποδειχί αναστασεώ".

---

[1] *Eusebius: H. E. 3:4.*

[2] راجع الخوري بولس الفغالي: أعمال الرسل، مداخل، دراسات، تأمّلات، أبحاث، بيروت ١٩٩٤م، الفصل الثالث "أقدم الشهادات الكنسية عن سفر الأعمال".

[3] *Barnabas 19:8*

[4] *Didache, 4:8.*

[5] *The Shepherd, vision 4:2:4.*

[6] *Apology 1:50; 1:10.*

[7] *Eusebius: H. E. 5:1.*

[8] *Cf. Adam Clarke: Acts, preface.*

## تاريخ كتابة السفر

يظن البعض أن السفر قد كُتب في الإسكندرية، لكن غالبية الدارسين يرون أنه كُتب في روما أثناء سجن الرسول بولس بعد وصول القديس لوقا إليها مع القديس بولس (أع ٢٨: ١٦)[1].

يرى كثير من الدارسين أن سفر الأعمال كُتب حوالي سنة ٦٣م حيث نهاية ما ورد في السفر. في هذه الفترة بدأت حرب شنعاء ضد المسيحيين، وربما استشهد القديس لوقا بعد فترة وجيزة. وإذ أُحرقت روما وتعرض المسيحيون للذبح والحرق تأخر ظهور إنجيل لوقا وسفر الأعمال (ككتاب واحدٍ)، ولم يظهر إلا بعد الحرب السبعينية (حرق الهيكل علي يد تيطس) وهدوء الموقف واستعادة الكنيسة شيئًا من الحرية.

**يبرّر بعض الدارسين كتابة السفر قبل عام ٦٤م بالآتي[2]:**

١. يظهر اهتمام القدّيس لوقا في إنجيله بأورشليم أكثر من الإنجيليّين متى ومرقس، فقد دُعي "راوي الرحلات Travel-narrative (لو٩: ٥١-١٦: ١٥). حيث ركّز على تحرّكات يسوع المسيح نحو أورشليم. ويظهر اهتمامه بالمدينة المقدّسة في عرضه للقصص الخاصة بالقيامة. فقد ركّز على أورشليم. فلو أنّه سجّل السفر بعد أحداث خراب أورشليم عام ٧٠م لما تجاهل هذا الحدث.

٢. إذ يسجّل السفر ما عانته الكنيسة الأولى من متاعب ما كان يمكن تجاهل الاضطهاد الذي أثاره نيرون عام ٦٤م، حيث استشهدت أعداد كبيرة من المسيحيّين من بينهم القدّيس بطرس وبولس. حتمًا سُجّل هذا السفر قبل ثورة نيرون العارمة، خاصة وأن السفر روى استشهاد كل من يعقوب بن زبدي واستفانوس، فلماذا لم يشر إلى استشهاد القدّيسين بطرس وبولس؟

٣. يقدّم لنا السفر طبيعة اللاهوت المسيحي في صورته البدائيّة كما يناسب بدء عصر الرسل. فلغة السفر اللاهوتيّة تكشف إلى حد ما عن تاريخ كتابته، مثل دعوة

---

[1] *Cf. Adam Clarke: Acts, preface.*
[2] *Guthrite, p. 340 etc..*

المسيحيّين "تلاميذ" والإشارة إلى يوم الأحد بأول الأسبوع، كما جاء الوصف لكثير من الأحداث تكشف أن الكاتب شاهد عيان له علاقة قويّة بالرسل ويعيش في جوّ الكنيسة في عصر الرسل.

٤. اتجاه الدولة نحو الكنيسة: يلاحظ في السفر أن الحكّام الرومان والقادة لم يثيروا اضطهادات ضد الكنيسة، وإن وُجدت فهي بوازع من اليهود. وفي بعض المواقف وقف الحكّام في صف بعض الرسل مثل القدّيس بولس حيث أنقذوا حياته من الخطط التي وضعها اليهود لقتله. هذا الاتّجاه كان سائدًا قبل اضطهاد نيرون للكنيسة عام ٦٤م.

٥. لم يشر سفر الأعمال إلى رسائل القدّيس بولس وغيره من الرسل ممّا يظهر أنّه كتب قبل جمع هذه الرسائل.

## غاية السفر

١. سجل لنا الإنجيلي غاية كتابة الإنجيل، وهو تحقيق ما ابتدأ يسوع أن يعمله ويعلم به إلى يوم صعوده (لو ١:١-٤)، وجاء هذا السفر يحمل ذات الهدف منذ لحظة صعوده إلى قرابة ثلاثين عامًا ليحقق **عمل السيد المسيح خلال كنيسته بعد صعوده.** أي تحقيق سفر أعمال المسيح بروحه القدوس في كنيسته الشاهدة له. فهو العامل فيها، وهو الذي أرسل إليها روحه القدوس.

❖ يبدو أعمال الرسل أنه يروي قصة غير مزخرفة تصف ببساطة طفولة الكنيسة الحديثة الولادة، لكن إذ نتحقق أن كاتبها لوقا الطبيب يمتدحه الإنجيل، نرى أن كل كلماته هي دواء للنفس المريضة[1].

**القديس جيروم**

٢. **تحقيق الوعد الإلهي الخاص بانتشار المسيحية في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض** (أع ١: ٨)، أي انفتاح باب الإيمان لجميع الأمم، وهذا يحسبه الرب معجزة المعجزات التي صنعها ربنا يسوع بروحه القدوس خلال تلاميذه

[1] *Letter to Polinus of Nola, 53:9.*

ورسله. العامل الأساسي في نشر الإيمان هو حلول الروح القدس الذي قدم للتلاميذ موهبة التكلم بالألسنة ليجتذب الأمم ويُبكم أفواه المتعصبين من اليهود، كما سندهم بعمل الآيات والمعجزات باسم يسوع المسيح، وقام بتوجيههم وجذب النفوس إلي الكلمة.

إلى فترة طويلة لم يكن من السهل على اليهود أن يتقبلوا دعوة الأمم للإيمان، خاصة إن دخلوا مباشرة دون تهودهم. هذا ما نلمسه من بعض كتابات الآباء وحوارهم مع اليهود، مثل كتابات **العلامة ترتليان**[1]، الذي أبرز نبوات العهد القديم في قبول الأمم مثل ما جاء في المزمور: "أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثك" (مز ٢: ٧؛ ٨)؛ وأيضًا "في كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم" (مز ١٩: ٤)

هذا وقد اشتركت القوات السمائية في العمل، فظهرت خدمة الملائكة بقوة لحساب انتشار ملكوت الله خلال الكنيسة.

لقد أعلن السيد لتلاميذه أنهم يُقدمون لملوك وولاة ويُحاكمون أمام مجامع (مت ١٠: ١٨)، هذا كله لن يقف عائقًا للكرازة في العالم كله (مت ٢٤: ١٤).

٣. **سفر تاريخي لاهوتي**: ينقل لنا الفكر اللاهوتي خلال أحداث تاريخية، معلنًا في بساطة أن السيد المسيح هو محور التاريخ، وأن تاريخ الخلاص جزء لا يتجزأ من التاريخ العام.

سجل لنا هذا السفر **أعمال بعض الرسل** مثل القديسين بطرس ويوحنا وبولس وغيرهم. لكنه ركز على عمل الروح القدس فيهم كقائدٍ ومدبرٍ لحياة الكنيسة الأولى، وعن عمله لكي تمتد الكرازة إلى أقصى المسكونة. لهذا ما أن وصل القديس بولس إلى روما، وشهد للسيد المسيح في عاصمة الدولة الرومانية التي كانت تسود العالم، حتى انتهى السفر دون إشارة إلى استشهاد القديس بولس في أيام نيرون. لأن غاية السفر هي أن البشارة بالخلاص قد بلغت بكل جرأة حتى قصر الإمبراطور.

يكشف هذا السفر عن استمرار قصد الله من التاريخ، فإن كانت أحداث

[1] *Tertullian: An Answer to the Jews.*

الخلاص التي تمّت بالمسيح يسوع مخلّص العالم دخلت التاريخ كأحداث تاريخيّة، لكنّها يبقى هذا العمل الإلهي الفائق حسب "مشورة اللّه المحتومة وعلمه السابق" (٢: ٢٣). هكذا أيضًا أحداث الكرازة المسجّلة في سفر الأعمال، هي أحداث تاريخيّة ووقائع زمنيّة، لكنّها تبقى شاهدة على استمرار تنفيذ خطّة اللّه في العالم حتى تتحقّق كنيسة المسيح بكمالها، فتتأهّل للميراث الأبدي وشركة المجد. أحداثها هي تحقيق لنبوّات وردت في العهد القديم يقوم الروح القدس نفسه بتحقيقها عبر الأزمنة إلى يوم مجيء الرب الأخير.

٤. **إنجيل الروح**: إذ كثيرًا ما يشير هذا السفر إلى الروح القدس، فواضح أن غاية السفر ليس الكشف عن المتاعب التي واجهتها الكنيسة في بدء انطلاقها، وإنّما تأكيد أن اللّه بروحه القدّوس هو الموجّه لكل حركة في تاريخها. فنمو الكنيسة لم يتحقّق خلال مجهودات الرسل الذاتيةومواجهتهم للمصاعب، إذ بحسب الفكر البشري كان يستحيل قبول العالم للإيمان، لكنّه هو ثمرة تحرّك اللّه نفسه محب البشر، العامل في حياة الرسل كما الشعب... يعطي الروح القدس الرعاة قوة للكرازة، ويهبهم مواهب للرعاية. هو عطية الله لأولاده في المعمودية، يهب حكمة روحية، ويقدم كلمة وقت الضيق (٦: ١٠)؛ مواهبه لا تقتني بمال (أي بالسيمونية أعمال ٨). كما يظهر **قوة الروح القدس في مواجهة المقاومين** من اليهود، وفي وقوف التلاميذ والرسل أمام ولاة وملوك والسلطات. إنه حصن الكنيسة المحيط بها، وسرّ قوّتها ومجدها. وكما جاء في سفر زكريّا: "وأنا يقول الرب أكون لها سور نارٍ من حولها، وأكون مجدًا في وسطها" (زك ٢: ٥).

٥. **دفاع عن رسولية القديس بولس رسول الأمم**. فقد تعرضت شخصيته للنقد الشديد، وأُتهم بمقاومة موسى "الناموس"، وأنكرت بعض الجماعات رسوليته. إنه وثيقة دفاعية، توفق بين الفكرين البولسي والبطرسي إن صح التعبير، بين الرغبة في كسب الأمم وبين الالتزام بحفظ الناموس.

تشابه الرسولان[1]: فكلاهما ابرأ معوقين (أع ٣؛ ١٤)، وشفيا المرضى

[1] *Donald Guthrie, p. 339.*

بطرق غريبة (أع٥؛ ١٩)، وحُسبا ساحرين (أع ٨؛ ١٣)، وأعادا إنسانا للحياة (أع٩؛ ٢٠)، وخرجا من السجن بطريقة معجزية (أع ١٢، ١٦)، وقاما بثلاث رحلات تبشيرية. هذا التماثل بين الشخصيّتين قُدّم بطريقة رائعة ومثيرة بهدف تأكيد أن القدّيس بولس كان رسولاً على ذات المستوى مع القدّيس بطرس.

أبرز السفر مواقف لبطرس الرسول في خدمته للأمم، ومواقف للرسول بولس فيها يحرص ألا يكسر الناموس (أع ١٦؛ ١٨).

٦. **وثيقة لاهوتية تعليمية**: يحوى ١٨ مقالاً أو خطابا يمثلون رُبع السفر، أغلبها تقدم صورة حية لتعليم الكنيسة الأولى وفكرها اللاهوتي. يمكننا القول أن سفر أعمال الرسل قدّم بذار قانون الإيمان المسيحي، خاصة الإيمان بعمل اللَّه الخلاصي، والتعرّف على الآب والروح القدس يسوع المسيح والروح القدس، وعملهم في حياة الكنيسة كما في حياة المؤمن كعضو حيّ في الكنيسة. غير أنّه لا يمكننا القول بأن ما ورد في السفر هو المنهج الكامل لكل تعاليم الكنيسة. فمع تناغم ما ورد في السفر مع رسائل الرسل، إلاّ أن الرسائل قدّمت في شيء من التوسّع العقائد الإيمانيّة والتعاليم المسيحيّة والسلوك اللائق بالمؤمن في حياته الخاصة وبيته والكنيسة والمجتمع الذي يعيش فيه.

٧. **مرشد للكنيسة**: يقدم هذا السفر الخطوط الرئيسية لكنيسة السيد المسيح، كمرشدٍ لها عبر الأجيال، حتى تنمو بلا انحراف، وسط الضيق.

٨. لم يكن يشغل ذهن الإنجيلي لوقا تسجيل تاريخ الكنيسة الأولى، أو عرض لتاريخ الرسل وأعمالهم المجيدة، لكن غايته كرازيّة. فالسفر عمل تبشيري ينادي بالخلاص لكل إنسان أين كان موقعه، وأيّا كانت ظروفه. فالسيّد المسيح نفسه يقدّم بروحه القدّوس الخلاص للجميع دون تفرقة عنصريّة. يقدّم إنجيله لليهودي كما لليوناني والروماني... للرجل كما للمرأة، للولاة والحكّام وقوّاد الجيش كما للفقراء وعامة الشعب، للأغنياء كما للفقراء.

## سمات السفر

١. الدقة التاريخية مع العرض في شيء من التفصيل بحيوية.

٢. البلاغة الأدبية العالية في اليونانية.

٣. سفر موضوعي، يقدم عمل الله الفائق خلال حقائق واقعية، مع عدم تجاهل الضعف البشري حتى بالنسبة للقيادات الكنسية (أع ١٥: ٣٩).

٤. قلب هذا السفر وعموده الفقري هو "**تكونون لي شهودًا**" (١: ٨) وقد وردت كلمة "يشهد" أكثر من ٣٠ مرّة. ما تشهد به الكنيسة هو أنه باسمه وحده يتحقّق الخلاص للعالم (٤: ٢١). يلزم أن تصدر هذه الشهادة عن القلب، لأنّه من فضلة القلب يتكلّم اللسان (مت ١٢: ٣٤). هكذا لم يكن ممكنًا تحقيق هذه الشهادة إلاّ بحلول الروح القدس في الكنيسة، فيحمله المؤمن في قلبه ويتمتّع بما يخبره به عن السيّد المسيح خلال حياته الجديدة المقامة. فالشاهد الحقيقي هو الروح القدس الساكن في القلب والعامل فيه وبه. الروح أيضًا هو العامل في قلوب السامعين ليجتذبها لا للمؤمن المتكلّم بل للّه المخلّص الساكن فيه.

٥. هذا السفر هو سفر **القوّة**: "تنالون قوّة" (١: ٨)، تتحدّى قوّات الظلمة وفساد العالم وخطط الشرّ، ليُعلن النور في حياة المؤمنين.

## الكرازة في العالم

رأينا في إنجيل يوحنا (١٤: ١٢) السيد المسيح يعد بأن من يؤمن به يعمل الأعمال التي يعملها السيد نفسه وأعظم منها. وأما سرّ عظمتها فهي أنها تتم باسمه بعد صعوده وتحقق غاية مجيئه، انتشار الكرازة بين الأمم بصورة فائقة لم تتم أثناء خدمة السيد علي الأرض. وقد جاء سفر الأعمال يعلن تحقيق هذا الوعد الإلهي، لا كتاريخ يسجله لنا الإنجيلي لوقا بوحي الروح القدس، وإنما كبدء انطلاقة حيّة لكي ينفتح باب الرجاء أمام الكنيسة لتعمل عبر الأجيال، متكئة علي هذا الوعد، حتى تصير الأرض وملؤها للرب ولمسيحه.

❖ الآن قد تحققت تمامًا كل هذه الأمور بكل دقة، بل ونرى في هذا السفر أنه تحقق ما هو أكثر كما أخبرهم (السيد المسيح) حين كان معهم. بجانب هذا نرى الرسل أنفسهم يسرعون في طريقهم كمن هم محمولين على أجنحة فوق البر والبحر. هؤلاء الذين كانوا قبلاً جبناء وبلا فهم صاروا فجأة أشخاصًا غير ما كانوا عليه؛ صاروا أناسًا يحتقرون الغنى، ويسمون فوق المجد (الباطل) والهوى والشهوات، وباختصار فوق كل النزعات.

علاوة على هذا، صاروا يعملون بروح الإجماع، فلا وجود للحسد كما كان قبلاً، ولا للشوق القديم نحو التعالي، بل تحققت فيهم كل الفضائل في لمساتها الأخيرة؛ تشرق المحبة فيهم جميعًا ببهاءٍ فائقٍ، هذه التي أمرهم بها الرب قائلاً: "بهذا يعرف الجميع إنكم تلاميذي، إن كان لكم حب بعض لبعض" (يو ١٣: ٣٥)[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

## عنصرة كل الدهور

مع كل قداس للموعوظين في كل أحدٍ أو في أيام الأسبوع، تلتزم الكنيسة بقراءة فصلٍ من سفر أعمال الرسل "الأبركسيس"، ليس لأنه يذكرنا بانطلاقة الكنيسة في العنصرة وتكوين الجماعات المسيحية الكنسية الأولى وفكرها وحياتها في الرب، وإنما يمثل مرآة عملية للكنيسة الأصلية، تكشف اليوم عن مفاهيم الكنيسة في أحداث العنصرة، فتمارس العنصرة عبر كل الدهور.

## سفر أعمال الرسل ووديعة البشارة[2]

يكشف سفر الأعمال عن وديعة البشارة المفرحة، التي تسلمها الرسل والتزموا بها هم والأساقفة والقسوس والشمامسة، بل والشعب. يجدون لذة داخلية وفرحًا فائقًا بتسليم هذه الوديعة وسط مضايقات العدو واضطهاده لاسم يسوع وكنيسته. هكذا تشعر الكنيسة أن رسالتها الأولى هي تلمذة الأمم للتمتع ببهجة خلاص الله وأن يكونوا هم بدورهم شهودًا له حتى تبلغ البشارة إلى أقصى الأرض. هذا الالتزام المفرح

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 1.*

[2] راجع دراسات بيبلية (١٠): الخوري بولس الفغالي: أعمال الرسل، عنصرة كل العصور، بيروت ١٩٩٥م.

تحققه الكنيسة على مستوى الجماعات المقدسة كما على مستوى كل عضوٍ فيها شخصيًا.

## يسوع المسيح في سفر الأعمال

### ١. اسم يسوع المسيح

**يقول القديس باسيليوس الكبير إن اسم "يسوع المسيح" هو ملخص الإيمان كله. فهو اعتراف به كابن للآب، وهو من مسح بالروح القدس. فالاسم يضم الآب والروح ويعلن ألوهية الرب، أي يضم أسماء أقانيم الثالوث فيه.**

❖ النقطة التي ركز عليها المسيح جدًا هي أن يُعرف أنه جاء من عند الآب، فقد كان هدف الكاتب الرئيسي أن يعلن أن المسيح قام من بين الأموات، وصعد إلى السماء وأنه عاد إلى الله (الآب) وجاء من عنده[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

### ٢. يسوع المسيح حاضر في كنيسته

يبدأ سفر الأعمال بصعود السيد المسيح إلى السماء، ووقوف التلاميذ في دهشة أمام هذا المنظر، مع أنهم كانوا عاجزين عن العبور معه بأجسادهم إلى حيث هو صاعد. وظهر لهما ملاكان مجيدان ليبشرانهم بأنه كما صعد من المشارق ليحمل قلوبهم إلى سمواته، سيأتي من المشارق ليحملهم مع كافة مؤمني العهد القديم والجديد إلى حضن الآب، يشاركون العريس مجده الأبدي! وانتهى السفر بالرسول بولس الأسير في روما يشهد في العاصمة بيسوع المسيح مخلص العالم. أما بين الأصحاحين فكأن قائد موكب الكنيسة على الأرض هو الروح القدس الذي يعلن حضور المسيح في الكنيسة التي تشاركه آلامه وتختبر عربون مجده. وكأن السيد الذي صعد إلى السماء جسديًا هو حاضر في كنيسته التي تكمل آلامه حتى ينعم العالم كله بالخلاص خلال كرازة الكنيسة بعريسها، وقبولها الاضطهاد بمسرة قلب.

[1] *Hom. On Acts, Homily 1.*

## ٣. يسوع الرب والمسيح

غاية حلول الروح القدس هو التمتع بعمل الثالوث القدوس. فبعد حلوله يتحدث القديس بطرس عن أن الله قد برهن بآيات وقوات أن يسوع الذي قتله اليهود هو المسيح الذي تنبأ عنه داود أنه قائم من الأموات وجالس عن يمين كرسي مجده في السماوات (أع ٢: ٢٢-٣٥). وختم عظته هكذا: "الله جعل يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، **ربًا ومسيحًا**" (٢: ٣٦).

هكذا يؤكد الروح القدس أن قتل المسيح على الخشبة ليس غضبًا إلهيًا عليه بل إعلان لربوبيته، حيث يبيد الموت عنا، ويملك في القلوب كربٍ وملكٍ سماوي. كانت كرازة الرسل في الهيكل والبيوت هي البشارة بيسوع المسيح (٥: ٤٢). وكأن غاية الرسل المُضطهدين هو بث روح الفرح بمجيء المسيح الذي طالما اشتهى الآباء والأنبياء رؤيته والالتقاء معه.

جاء لقب "**المسيح**" ليس لقبًا سياسيًا وطنيًا بل لقب سماوي يمس خلاص العالم كله (٣: ٢١). ففي السامرة كان فيلبس "يكرز لهم **بالمسيح**" (٨: ٥-٨). وفي تسالونيكي كان الرسول بولس يحاجج اليهود "أن هذا هو **المسيح** يسوع الذي أن أنادي لكم به" (١٧: ٣). وفي كورنثوس كان الرسول بولس "يشهد لليهود **بالمسيح** يسوع" (١٨: ٥)، وهكذا في أخائية (١٨: ٢٨) وفي قيصرية (٢٦: ٢٣).

## ٤. يسوع القدوس البار (٣: ١٤- ١٥)

ارتبط اسم يسوع بالقدوس والبار: "لا تدع **قدوسك** يرى فسادًا" (٢: ٢٧). "فأنبأوا بمجيء **البار** الذي أنتم صرتم مسلميه وقاتليه" (٧: ٥٢)

أراد اليهود الخلاص منه بتسليمه للأمم وقتله وهو القدوس البار، من يحمله فيه يحمل قداسته وبرَّه. وكما يقول الرسول بولس: "**صار لنا برًا وقداسة**" هكذا قدم لنا فهمًا جديدًا للقداسة والبرّ لا يقدر الناموس بحرفيته أن يحققه.

## ٥. يسوع العبد والخادم

"إن إله إبراهيم واسحق ويعقوب، إله آبائنا، مجد **فتاه** (أو عبده) يسوع الذي

أسلمتموه أنتم. أنكرتموه... أنكرتم القدوس البار... رئيس الحياة قتلتموه" (٣: ١٣-١٥).

"أقام الله فتاه (عبده) أرسله يبارككم يرد كل واحدٍ منكم من شروره" (٣: ٢٦).

في طلبة الكنيسة بعد إطلاق القديسين بطرس ويوحنا من السجن: "لتُجر آيات وعجائب باسم فتاك (عبدك) القدوس يسوع" (٤: ٣٠).

لقد سبق فقدم لنا إشعياء النبي الكثير من تسابيح العبد المتألم (إش ٥٣). إنه الخادم الحقيقي الذي مسحه الآب ليعلن الحب الإلهي الباذل والعملي، "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦).

## ٦. المسيح والدعوة للتوبة

جاء السفر كله دعوة للتوبة *metanoia* (٢: ٣٧-٤٠)، ففي المسيح وحده أمكن بروحه القدوس تغيير الاتجاه الداخلي وتجديد الطبيعة، لكي ما يعطي المؤمن وجهه لله أبيه، ويقدر أن يعطي القفا للشر مهما كانت اغراءاته.

## ٧. اسم يسوع المسيح والمعمودية

في هذا السفر نلاحظ أن التوبة يرافقها نوال العماد باسم يسوع المسيح الذي فيه ننال الميلاد الجديد، والشركة في جسد المسيح لنحمل صورته، ويمكننا بالروح القدس الساكن فينا أن نجدد العهد الذي تمتع به موسى في سيناء. هذا الذي قتلوه هو إله سيناء الذي طالما يعتزون به. وقد قام، لا لحاجة خاصة به، بل لكي نُدفن في المعمودية ونقوم معه، ونختبر قوة قيامته في حياتنا اليومية. هذه شهادة عملية لقيامته: "ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضًا الذي أعطاه الله للذين يطيعونه" (٥: ٣٢).

في اختصار، الكرازة بالمسيح المصلوب القائم من الأموات ليس موضوع مناقشات جدلية فلسفية، لكنها خبرة القيامة، وتحول إلى أشخاص أحياء، كأعضاء في جسده القائم من الأموات، الجسد الواحد، لنحيا بروحٍ واحدٍ ونفسٍ واحدةٍ. بهذا تتحول

حياتنا إلى حياة فصحية، عيد لا ينقطع، وفرح دائم بالمسيح فصحنا الحقيقي!

## الروح القدس في سفر الأعمال

يُدعى سفر الأعمال "سفر الروح القدس"، فقد بدأ السفر بوعد السيد المسيح لتلاميذه بحلول الروح القدس عليهم ليهبهم قوة الشهادة له في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض. وجاء السفر كله يعلن قيادة الروح القدس للكنيسة بكل وسيلة لتحقيق هذا الوعد الإلهي.

إن تطلعنا إلى الكتاب المقدس ككل نرى الروح القدس دائم العمل منذ الخلقة وإلى مجيء السيد المسيح الأخير ليقدم للإنسان كل الإمكانيات، ويهيئه للدخول في الأمجاد الأبدية. ويمكننا الكشف عن عمله الإلهي في المراحل التاريخية الأربع التالية:

1. **عمل الروح قبل خلقة آدم وحواء.**
2. **عمل الروح بعد السقوط (زمن الإعداد لمجيء المسيح).**
3. **عمل الروح في زمن المسيح.**
4. **عمل الروح في زمن كنيسة العهد الجديد.**

لم يتوقف معلمنا لوقا البشير عن الكشف عن عمل الروح غير المنقطع خلال الثلاث المراحل الأخيرة.

**أ. عمل الروح قبل خلقة آدم وحواء:** يبدأ سفر التكوين بالحديث عن الروح القدس الذي كان يرف على وجه المياه حيث كانت الأرض خالية وخاوية، بلا شكل ولا جمال ولا نفع، ليقيم من هذه الأرض عالمًا جميلاً رائعًا، يمثل قصرًا ملوكيًا يعيش فيه آدم وحواء كملكٍ وملكةٍ في قصرهما، تعمل كل الطبيعة بكل إمكانياتها وجمالها لسعادتهما. هذا الروح عينه يبقى يعمل عبر كل الزمن ليقيم من كل مؤمنٍ عالمًا جميلاً، بل عروسًا مقدسة مهيأة للعرس السماوي الفريد المفرح.

**ب. عمل الروح القدس بعد سقوط الإنسان:** ركز الرسل في أحاديثهم الواردة في هذا السفر على دور الروح القدس في تهيئة شعب الله لقبول عمل السيد المسيح الخلاصي. ففي أول حديث للقديس بطرس بعد الصعود يقول: "ينبغي أن يتم هذا

المكتوب الذي **سبق الروح القدس فقاله** بفم داود" (١٦:١). فالروح القدس كان يقود رجال الله ليتنبأوا عن أحداث الخلاص، لكي يتمتع العالم كله بالحياة الجديدة. كانت الفترة من سقوط الإنسان إلى مجيء السيد المسيح فترة إعداد للبشرية لقبول السيد، خاصة خلال النبوات، فلا نعجب إن قال موسى النبي لتلميذه يشوع: "يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم" (عد ١١:٢٩). لقد غار يشوع على الشيخين ألداد وميداد لأنهما تنبأ في المحلة وليس داخل الخيمة، أما موسى النبي فاشتهى أن يعمل الروح القدس في حياة الشيوخ القادة كما في الشعب دون حدود مكانية.

**ج. عمل الروح القدس في زمن المسيح:** الروح القدس الذي لم يكف عن أن يعمل، خاصة في الأنبياء، لتهيئة الشعب لقبول المخلص، عمل أيضًا في زمن السيد المسيح. فيذكر لوقا البشير كيف هيأ الروح القدس القديس يوحنا ليكون السابق للسيد المسيح: "ومن بطن أمه **يمتلئ من الروح القدس**... لكي يهيئ للرب شعبًا مستعدًا" (لو ١:١٥، ١٧). كما كشف عن دور الروح القدس في تجسد الكلمة المخلص: "**الروح القدس يحل عليكِ**، وقوة العلي تظللكِ، فلذلك أيضًا القدوس المولود منك يُدعى ابن الله" (لو ١:٣٥).

**د. عمل الروح القدس في زمن الكنيسة:** جاء سفر الأعمال يكشف بفيضٍ عظيمٍ عن تحقيق الوعد الإلهي: "**ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي**" (يو ١٥:٢٦)".

منذ العنصرة والروح القدس يقود بنفسه الكنيسة خلال الكهنة كما من خلال الشعب، ليكون لكل عضوٍ دور حيّ للشهادة السيد المسيح. لقد انطلق بالكنيسة يدشن الشهادة للسيد المسيح في أورشليم فاليهودية والسامرة ثم إلى الأمم، حتى بلغ بها إلى القصر الإمبراطوري في روما عاصمة العالم في ذلك الحين.

❖ **الروح القدس العامل في أورشليم:** حلّ الروح القدس على التلاميذ في العلية (أع ٢) هذا الذي وهب الرسل والمعلمين والأنبياء... كل منهم دوره. بل هو الروح العامل في الكنيسة كلها. هذا ما تحقق حسب نبوة يوئيل النبي: "يقول الله ويكون في

الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلامًا، وعلى عبيدي أيضًا وإمائي أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون... ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص" (أع ٢: ١٧ – ٢١). هكذا حلّ الروح القدس على الكنيسة ليحول كل قلبٍ إلى نبي، ليشهد للأمجاد المقبلة خلال خبرة عربونها. يعمل في الرجال والنساء، كما في الشباب والشيوخ، مقدمًا الخلاص لكل من يدعو باسم الرب، سواء كان يهوديًا أو سكيثيا أو بربريًا... كما أقام الروح القدس أنبياء في أورشليم، من بينهم أغابوس الذي تنبأ عن الجوع العظيم العتيد أن يصير على جميع المسكونة (أع ١١: ٢٧–٢٨ ).

- **الروح القدس العامل في السامرة:** لم يُحصر الروح القدس بمدينة أورشليم ولا بهيكل سليمان كما يتوقع اليهود. فإذ قبلت السامرة كلمة الله أرسلت الكنيسة القديسين بطرس ويوحنا، اللذين "وضعا الأيادي عليهم، فقبلوا الروح القدس" (أع ٨: ١٧). لقد قاد الروح القدس القديس فيلبس ليتقدم ويرافق مركبة الرجل الأثيوبي خصي وزير لكنداكة ملكة أثيوبيا (أع ٨: ٢٩)، بل ونراه يخطفه ويأتي به إلى أشدود (أع ٨: ٣٩ –٤).

- **الروح القدس يعمل في كل الأرض:** لم يكن ممكنًا لآخر غير الروح القدس أن يقتحم العالم الأممي، ليحرك القلوب ويجتذبها إلى الإيمان بالمصلوب، ولكي يهبهم الميلاد الجديد في المعمودية، ويجدد على الدوام أفكارهم لينموا بغير انقطاع، فيصيروا أيقونة العريس السماوي. لم يكن ممكنًا لرسولٍ ما أن يتجاسر ويعمد أممي دون أن يتهود أولاً، لذا بادر الروح القدس وحلّ على كرنيليوس وأهل بيته وكل الحاضرين من الأمم قبل أن ينهي القديس بطرس حديثه معهم (أع ١٠: ٤٤)، عندئذ فقط استطاع القديس أن يقول: "أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضا؟" (أع ١٠: ٤٧). وفي كل مدينة إذ وضع القديس بولس يديه على المؤمنين حلّ الروح القدس عليهم (أع ١٩: ٦).

الروح القدس هو الذي يقيم الخدام العاملين في هذا الكرم. "قال الروح القدس: افرزوا **لي** برنابا وشاول للعمل الذي دعوتها إليه" (أع ١٣: ٢). أما قوله "لي" فيكشف

عن حرص الروح القدس أن ينسب هذا العمل له، فهو يختار العاملين، وهو العامل فيهم وبهم حتى يحقق عمله الإلهي خلال الكنيسة التي يقدسها. ويبقى سفر الأعمال يؤكد هذه الحقيقة كما سنرى أثناء دراستنا للسفر.

كان الروح القدس يكشف للرسول بولس حتى ما سيحل به من شدائد أثناء خدمته: "غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً إن وثقًا وشدائد تنتظرني" (أع ٢٠:٢٣).

وفي حديث القديس بولس مع كهنة أفسس يقول: "احترزوا لأنفسكم ولجميع الرعية التي **أقامكم الروح القدس** فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه" (أع ٢٠:٢٨).

أخيرًا إذ بلغ الأسير بولس روما، دخل متهللاً، الروح فقد حقق الروح القدس ما سبق أن أنبأ به على لسان إشعياء النبي، إذ قال: "حسنًا كلم الروح القدس آباءنا بإشعياء النبي، قائلاً: اذهب إلى هذا الشعب وقل... فليكن معلومًا عندكم أن خلاص الله قد أُرسل إلى الأمم، وهم سيسمعون" (أع ٢٨: ٢٥-٢٨).

## سفر الأعمال والبرهان علي القيامة

الكرازة هي دعوة للإيمان بالسيد المسيح المصلوب القائم من بين الأموات، لكي يختبر المؤمن عربون القيامة في حياته اليومية. ولما كان الإيمان بالقيامة من الأموات يكاد يكون مستحيلاً في ذلك الوقت، لذلك أغدق الله على الرسل والتلاميذ بآيات وعجائب غير المعتادة باسم السيد المسيح كما ورد في هذا السفر لتأكيد حقيقة القيامة.

❖ المعجزات الرسولية هي البرهان علي القيامة، وأما عن المعجزات الرسولية فهذا السفر هو مدرستها[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

---

[1] *Hom. cur in pentec. acta legentur, t. 3, p. 89*

## سفر الأعمال والحياة الكنسية

أينما انطلق المؤمن، لعلة أو أخرى، فإن ما يشغله أن يرى تكوين جماعة مقدسة، جسد المسيح المقدس، لها سماتها وإمكانياتها لبنيان ملكوت الله، مهما كان العدد قليلاً أو الإمكانيات المادية بسيطة. فإن الروح القدس يغني الكنيسة، ويقودها بإمكانياته الإلهية.

**أما أهم ملامح الكنيسة الأولى فهي:**

١. **كنيسة فرح:** في كل جوانب حياتها التعبدية والكرازية، ووسط الضيق في الحياة اليومية... حيث يدرك المؤمنون أن النبوات قد تحققت، وأن عمل الفداء تم، منتظرين مجيء المسيا الأخير وقيامة الأموات.

٢. **إسرائيل الجديد الروحي البعيد عن الفكر الصهيوني المادي المتعصب،** إذ تحقق ملكوت المسيح بواسطة عمل روحه القدوس.

٣. **كنيسة متفتحة على الأمم...** لكي يفتح قلوب اليهود على الأمم استخدم الله كل وسيلة لانتزاع روح التعصب منهم: مثل إرسال ملاك لفيلبس كي يكرز للأثيوبي (أع ٨)؛ وظهور السيد المسيح نفسه لشاول الطرسوسى رسول الأمم (أع ٩)؛ وإلزام الروح القدس بطرس أن يتحرك نحو كرنيليوس الأممي (أع ١٠).

٤. **كنيسة صداقات عاملة في الرب:** في هذا السفر نتلامس مع صداقة الرسولين بطرس ويوحنا (أع ٣؛ ٤؛ ٨)؛ وصداقة برنابا وبولس الرسولين (أع ١١؛ ١٣؛ ١٥)؛ صداقة الرسولين برنابا ومرقس (أع ١٦)، وأيضًا الرسول بولس وسيلا ومع لوقا البشير ومع تيموثاوس وأيضًا مع أكيلا وبريسكلا الخ.

## سفر الأعمال والعبادة[1]

في كلمات قليلة عبَّر الإنجيلي لوقا عن الحياة الكنسية بقوله: **"وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات"** (أع ٢: ٤٢). كانت الحياة الكنسيَّة هي فكر إيماني رسولي، مع شركة حب عمليَّة، وعبادة جماعيَّة

---

[1] راجع دراسات بيبلية (١٠): الخوري بولس الفغالي: أعمال الرسل، عنصرة كل العصور، بيروت ١٩٩٥م.

وشخصيّة لا تنقطع. وجاء السفر كلّه يؤكد أن الجماعة المقدّسة كنيسة صلاة دائمة، فحين تحدّث الرسول بولس أمام أغريباس قدّم الآباء الأوّلين أنهم كانوا "**عابدين بالجهد ليلاً ونهارًا**" (أع٢٦: ٧). هكذا جاءت كنيسة العهد الجديد تكمل ذات المسيرة "الصلاة بلا انقطاع". وإن كان السفر هو إعلان عن الشهادة للسيد المسيح حتى تبلغ إلى أقصى الأرض، فإن هذا لن يتحقّق إلا بروح الصلاة كنداء السيد المسيح: "اطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعله لحصاده".

الكنيسة الأولى كما يصوّرها لنا الإنجيلي لوقا مجتمع صلاة دائم، **تجد في الصلاة شركتها مع إلهها، وبممارستها لحياة التسبيح الملائكيّة، وسندها في الكرازة، وعونًا في الضيق!** تصلّي أينما اجتمعت، ويمارس كل عضو صلواته أينما حلّ، وتحت كل الظروف، لا يحدّ الصلاة مكان ما، ولا زمن معيّن.

١. كانت تصلّي **في الهيكل** كل يومٍ بنفسٍ واحدة] (أع ٢: ٤٦)، وحينما كان رسول أو مؤمن من أصل يهودي يأتي إلى أورشليم يصلّي في الهيكل كما فعل الرسول بولس (أع ٢١: ٢٦؛ ٢٢: ١٧). وكان للمسيحيّين صلواتهم **في البيوت** حيث لم تكن بعد قد نشأت مبانٍ كنسيَّة (أع ٢: ٤٦)، يمارسون فيها سرّ الإفخارستيّا والصلوات الليتورجيّة وغيرها. كما كانوا يصلّون **في مخادعهم** كما فعل شاول (أع ٩: ١١)، أو **على السطوح** كما فعل القديس بطرس (أع ١٠: ٩). ولا يكفّ المؤمن عن التسبيح والصلاة حتى **في السجن الداخلي** كما فعل القدّيسان بولس وسيلا (أع ١٦: ٢٥). وفي توديع رسول إذ كانت الكنيسة تجتمع ولو **على الشاطئ** ليركع الكل ويصلّون (أع ٢١: ٥؛ ٢٠: ٢٦).

٢. كانت الكنيسة تجتمع في **اليوم الأول من الأسبوع** (أع ٢٠: ٧-١٠). ففي ترواس نجد التلاميذ مجتمعين من مساء السبت حيث يبدأ الأسبوع، ويطيل الرسول بولس حديثه إلى نصف الليل، انتهى الاجتماع بالاحتفال بسرّ الإفخارستيا أو كسر الخبز.

٣. التزم المؤمنون **بممارسة صلوات السواعي**، فقد اعتاد اليهودي التقي أن يمارس الصلاة ثلاث مرّات يوميًا، كما كان يفعل داود النبي ودانيال النبي. فقد صعد القديس بطرس على السطح نحو الساعة السادسة لكي يصلّي (أع ١٠: ٩).

٤. **الصلاة هي سرّ اختيار خدّام مقدّسين للرب،** فعند اختيار التلميذ الثاني عشر (متياس) صلّت الكنيسة كلّها (أع ١: ١٥-٢٦). وعند تكريس بولس وبرنابا للكرازة بين الأمم (أع ١٣: ٢) صلّوا، وأيضًا عند سيامة قسوس للرعاية (أع ١٤: ٢٣).

٥. **الصلاة هي سند الخدّام في الرعاية،** فصلّى القديس بطرس عند إقامة طابيثا (أع ٩: ٤٠)، وصلّى بولس الرسول عند شفاء بوبليوس (أع ٢٨: ٨).

٦. **الصلاة حتى من أجل المقاومين والمضطهدين،** فركع القديس إستفانوس ليصلّي من أجل راجميه في لحظات رجمه (أع ٧: ٦٠).

٧. أما غاية الصلاة فهي تمتع كل نفسٍ بشريّةٍ بعذوبة الحياة الجديدة، فلا نعجب من قول الرسول بولس أمام المحفل: "**كنت أصلّي إلى اللَّه، أنه بقليلٍ وبكثيرٍ ليس أنت فقط، بل أيضًا جميعَ الذين يسمعونني اليوم، يصيرون هكذا كما أنا، ما خلا هذه القيود**" (أع ٢٦: ١٩).

## سفر الأعمال وروح الحب والوحدة

يكشف لنا سفر الأعمال عن التباين بين أعضاء الكنيسة، حتى بين الرسل، فلكل منهم شخصيته المستقلة ومواهبه وقدراته، لكنه يشعر باحتياجه إلى الآخرين ليفكر الكل معًا، ويتشاورون، ويعملون بروح الحب والوحدة.

١. لعل مجمع أورشليم (أع ١٥) هو أروع مثل لذلك، حيث لم ينشغل أحد قط فيمن يقود المجمع ويرأسه، بل كل يقدم الآخر في الكرامة. هذا وقد اشترك أيضًا العاملون مع الرسل في المجمع بروح الحب والوحدة.

٢. مساندة كنيسة أورشليم العاملين في مناطق أخرى، فأرسلت القديسين بطرس ويوحنا لمساندة القديس فيلبس في السامرة (أع ٨: ١٤). وكأن الكنيسة كلّها تعمل معًا بغية خلاص كل نفسٍ، دون التطلّع إلى طلب مراكز للقيادة على مستوى الأفراد أو حتى الكنائس المحليّة.

٣. بحث برنابا عن شاول لكي يخدم معه سنة كاملة في أنطاكية (أع ١١: ٢٥) لتصير مركز خدمة للأمم في بلاد كثيرة. فلم يحتكر القدّيس برنابا الخدمة هناك، بل يجد

مسرّته أن ينتفع بمواهب القدّيس بولس دون تتطلّع إلى من تُنسب خدمة الأمم.

٤. فرز الروح القدس برنابا وشاول للكرازة (أع ١٣:٢)، فقد قام روح الله نفسه باختيار الخدّام وتوزيع العمل حيث كانت الكنيسة مجتمعة معًا بروح الحب والوحدة.

٥. مع تخصيص القديس بطرس لخدمة الختان اختاره الروح ليكرز لباكورة الأمم، قائد المائة كرنيليوس (أع ١٠)، حتى لا يشعر أنه غريب عن كنيسة الأمم. كما بدأ القديس بولس رسول الأمم بالخدمة بين اليهود. وبهذا تخف الفجوة بين اليهود والأمم الذين قبلوا الإيمان بالسيد المسيح، ويتمتّع الكل بروح الحب والوحدة.

## سفر الأعمال والتحرر من حركة التهود

مجيء المجوس إلى اليهودية يبحثون عن مخلص العالم يكشف عن التزام الأمم أن يبحثوا عنه في أسفار العهد القديم. لكن يلزمهم ألا يُستعبدوا لحرفية النامرس، مع الاحترام المتبادل للمقدسين من الفريقين. كان يلزم التحرر من العوامل السياسية.

## سفر الأعمال وملء الزمان[1]

منذ نال آدم وحواء الوعد بمجيء المخلص الذي يردهما إلى حياة فردوسية منتصرة ومجيدة وهما يترقبان تحقيق هذا الوعد الإلهي كأنه يتم حالاً دون انتظار لملء الزمان. وورث أبناؤهما هذه الرغبة المتقدة، فكان عند ظهور نبي يتساءل الشعب إن كان هو المسيا المنتظر أم يترقبون آخر. وإذ جاء ملء الزمان وجاء يسوع المسيح ظنوا أنه يملك زمنيًا على الأرض، ولم يكونوا قادرين على انتظار ملء زمان مجيئه الأخير، لهذا إذ وعد بروحه القدوس تساءل التلاميذ: "هل في هذا الوقت ترد المُلك إلى إسرائيل؟" (أع ١: ٦)

سجل القديس لوقا الإنجيل بإعلان الروح القدس، فنقل سامعيه إلى أحداث الخلاص من صلب وموت وقيامة ثم صعود إلى السماء، وختم السفر بقوله: "وأخرجهم خارجًا إلى بيت عنيا، ورفع يديه وباركهم؛ وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى

[1] راجع دراسات بيبلية (١٠): الخوري بولس الفغالي: أعمال الرسل، عنصرة كل العصور، بيروت ١٩٩٥م.

السماء، فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرحٍ عظيمٍ، وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله. آمين" (لو ٢٤: ٥٠-٥٣).

هكذا ضم القديس لوقا البُعد السماوي إلى تاريخنا الخلاصي. قدم حركة تصحيح للفكر اليهودي، وهو أن **لكل عملٍ ملء زمان**، فقد مرت آلاف السنوات يترقب آدم وبنوه مجيء المسيا الملك... وقد جاء في ملء الزمان، لكن لا ليملك على الأرض، بل ليصعد إلى السماء ويصعدهم معه، فقدم لمسات أخروية سماوية للحياة البشرية. لقد جاء غير الزمني وخضع للزمن، لكي يحملنا إلى ما وراء الزمن. هذا التصحيح جزئي، إذ ظن حتى التلاميذ والرسل أنه بإنهاء حضور المسيح المنظور على الأرض يأتي فورًا ليحمل مؤمنيه بروحه القدوس إلى العالم غير المنظور!

التزم القديس لوقا أن يسجل سفر الأعمال ليؤكد الحقيقتين التاليتين:

١. مجيء السيد المسيح وصعوده إلى السماء لم ينزع حضوره فينا ونحن نخضع للزمن حتى يضم معنا البشرية إلى أقاصي الأرض، فترتفع معنا إلى الحياة الإنقضائية (الإسخاتوليجية)، فالكنيسة كجسد المسيح تُعلن حضوره غير المنظور حتى يحمل كل الأمم إلى مجده.

٢. مع ترقبنا لمجيئه الأخير الإسخاتولوجي فإننا نخضع في واقعنا للزمن، بينما ترتفع قلوبنا فوق الزمن. فمجيئه له ملء الزمان حتى تحقق الكنيسة رسالتها وسط الاضطهادات من الخارج والضيقات من الداخل، تواجه الكنيسة العالم وتتحداه بالروح القدس. فتضم إليها كل يوم الذين يخلصون، هؤلاء الذين يبدو واقعهم السماوي حاضرًا منذ الآن وهم عابرون التاريخ، طال أم قصر، حتى يبلغوا إلى اللقاء مع السيد المسيح في مجيئه الأخير، لقاء الوجه للوجه.

سفر الأعمال هو دعوة لخبرة الحياة الأخروية في حاضر شعب الله أو في تاريخ كنيسته، مدركين أن مجيئه قادم حتمًا، لكن في ملء الزمان. لهذا سجل القديس لوقا في الاصحاح الأول كلمات السيد المسيح قبيل صعوده: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" (أع ١: ٧).

## الآيات والعجائب والرؤى في سفر الأعمال

اتّسم سفر الأعمال بإبراز صورة حيّة للكنيسة في عصر الرسل، فيقدّم لنا أمثلة ليست بقليلةٍ من الآيات والعجائب والرؤى التي تمتّعت بها الكنيسة، لا لاستعراض إمكانيّاتها، وإنّما لخدمة النفوس، واجتذاب القلوب للتمتّع بعمل اللّه فيها.

**أهم هذه الأعمال هي:**

١. **حلول الروح القدس** في يوم الخمسين (ص ٢) تحقيقًا للوعد الإلهي (يؤ ٢: ٢٨-٣٢)، غايته التمتّع بقوة الشهادة للسيّد المسيح.

٢. **التكلّم بالألسنة** (ص ٢)، غايته ردّ الأمم إلى الحضن الإلهي، حيث يسمع كل إنسان إنجيل الخلاص بلغته التي وُلد فيها.

٣. **موت حنانيا وسفيرة** لأنّهما كذبا على الروح القدس (٥: ١-١١)، لبثّ روح المخافة مع الحب الإلهي الفائق، فلا تمتد يد المؤمن لتفسد مقدّسات اللّه وتستخف بحبّه.

٤. **انفتاح أبواب السجن** أمام الرسل (٥: ١٩-٢٠)، إذ لا يمكن للعالم بكل طاقاته أن يكتم كلمة اللّه.

٥. **رؤيا إستفانوس للسماوات المفتوحة** أثناء رجمه (٧: ٥٥)، تعلن مساندة السيّد المسيح نفسه للشهود الأمناء له.

٦. **ظهور السيّد المسيح لشاول الطرسوسي** وهو في طريقه إلى دمشق (٩: ١-٦)، ليشهد له أمام الأمم، ويُسرّ بشركة الآلام مع مخلّصه للتمتّع بقوّة قيامته.

٧. **إعادة البصر لشاول** (٩: ١٥-٢٢)، ليُدرك تمتّعه بالبصيرة الداخليّة ويعتزّ بها.

٨. **رؤيا كرنيليوس** (١٠: ١-٨)، ليصير شاهدًا على محبّة اللّه لكل الأمم بلا محاباة.

٩. **رؤيا بطرس الرسول** (١٠: ٩-٤٨)، ليحرره من حرفيّة الناموس التي تقف حجابًا حاجزًا للخدمة بين الأمم.

١٠. **نبوّة أغابوس عن المجاعة** (١١: ٢٨)، لكي يشترك المؤمنون بالحب العملي في مساندة إخوتهم المحتاجين.

١١. **انطلاق الرسول للخدمة بعد رجمه مباشرة** (١٤: ١٩-٢٠)؛ لا توجد قوّة ما تعوق الشهادة للقائم من الأموات.

١٢. **رؤيا بولس الرسول عن المكدوني الذي يطلب العبور إليه** (١٦: ٩)، لكي يعبر الإنجيل إلى قارة أوربّا.

١٣. **الزلزلة وفتح أبواب السجن وسقوط القيود في سجن فيلبّي** (١٦: ٢٥-٣١)، غايتها الإعلان عن استجابة السماء للمسبحين، وقبول السجّان وأهل بيته الإيمان.

١٤. **سقوط أبناء سكاوا اليهودي السبعة** في خزي وفضيحة عندما أرادوا إخراج الروح الشرّير باسم يسوع الذي يكرز به بولس (١٩: ١٣-١٦)، لإعلان عدم إساءة استخدام اسم يسوع، فإنّه يعمل خلال المؤمنين به، الصادقين في إيمانهم.

١٥. **نبوّة أغابوس** عمّا سيحلّ بالرسول بولس في أورشليم (٢١: ١٠-١٤)، ليكشف اللّه عن تسليم بولس الرسول حياته، وعن استعداد الرسول أن يموت من أجل المسيح، كما تكشف عن مشاعر الحب المتبادل بين الخدّام والشعب في المسيح يسوع.

١٦. **لم تصب لدغات الحيّة حياة الرسول بولس** (٢٨: ٣-٥)، لكي يؤمن أهل الجزيرة بالسيد المسيح الحافظ خدّامه.

١٧. **يسند الرب رسله وخدّامه بالآيات** لا لهدف سوى الشهادة لعمل المسيح الخلاصي.

خلال **بطرس الرسول** شَفي الأعرج (ص ٣)، وبظلّه شُفي مرضى كثيرون (٥: ١٥-١٦)، كما شفى المفلوج إينياس (٩: ٣٣-٣٤)، وأقام طابيثا من الموت (٩: ٣٦-٤٠).

صنع **القدّيس إستفانوس** عجائب وآيات (٨: ٦-٧، ١٣)، وأيضًا **القدّيسان بولس وبرنابا** (١٤: ٣).

وأورد السفر بعض المعجزات والآيات التي تمّت على يديّ **بولس الرسول**، مثل ضرب عليم الساحر بالعمى لمقاومته للكلمة (١٣: ١١)، وشفاء المُقعد من بطن أمّه في لسترة (١٤: ١٠)، وإخراج روح شرّير من عرّافة في فيلبّي (١٦: ١٨). وفي أفسس "كان اللّه يصنع على يديّ بولس قوّات غير المعتادة (١٩: ١١-١٢). وفي ترواس أقام الشاب أفتيخوس من الموت (٢٠: ١٠-١٢)، وفي جزيرة مليطة شفى أبا بوبليوس مقدّم الجزيرة (٢٨: ٨-٩).

## أقسام السفر

١. الإعداد لقيام الكنيسة ص ١-٢.

٢. الشهادة في أورشليم ص ٣-٧.

٣. الشهادة في اليهودية والسامرة ص ٨-٩.

٤. الكرازة إلى أقصى الأرض ص ١٠-٢٨.

أولاً: رحلات القدّيس بولس الكرازيّة:

ا. رحلة القدّيس بولس التبشيريّة الأولى (١٤٠٠ ميلاً) ١٣-١٥.

ب. رحلة القدّيس بولس التبشيريّة الثانية (٢٨٠٠ ميلاً) ١٦-١٨.

ج. رحلة القدّيس بولس التبشيريّة الثالثة (٢٨٠٠ ميلاً) ١٨: ٢٤-٢١: ١٦.

ثانيًا: أسر القدّيس بولس:

ه. أسره في أورشليم ٢١: ١٧-٢٣: ٣٥.

و. أسره في قيصريّة ٢٤-٢٦.

ز. أسره في روما ٢٧-٢٨.

## العظات والكلمات الواردة في السفر

الرسول بطرس (أع ١؛ ٢؛ ٣؛ ٤) ؛ الرسولان بطرس ويعقوب (أع ١٥)؛ غمالائيل (أع ٥) استفانوس الشماس (أع ٧)؛ الرسول بولس (أع ١٣؛ ١٤؛ ١٧؛ ٢٠؛ ٢٢؛ ٢٤؛ ٢٦؛ ٢٨)؛ كاتب مدينة أفسس (أع ١٩)، ترتلوس (أع ٢٤).

**أما الخطوط العريضة لأهم هذه الكلمات فهي:**

١- السيد المسيح مركز النبوات، يقيم خيمة (مملكة) داود الساقطة

٢- صلب المسيح وقيامته وصعوده كسر خلاص للعالم.

٣- دعوة للتوبة والرجوع إلى المسيح الذي صلبوه.

# العظات الرئيسيّة في السفر

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | بطرس في العنصرة | ٢: ١٤-٤٠ | تفسيره لمفهوم "العنصرة" |
| ٢ | بطرس في الهيكل | ٣: ١٢-٢٦ | دعوة اليهود طالبي يسوع للتوبة |
| ٣ | بطرس في السنهدرين[١] | ٤: ٥-١٢ | شهادة ليسوع شافي الأعرج |
| ٤ | اسطفانوس في السنهدرين | ٧: ٢-٥٣ | اتّهام اليهود برفضهم للمسيّا |
| ٥ | بطرس للأمم | ١٠: ٢٨-٤٧ | الدعوة مقدّمة للأمم كما لليهود |
| ٦ | بطرس في كنيسة أورشليم | ١١: ٤-١٨ | خبرته في يافا وخدمته بين الأمم |
| ٧ | بولس في مجمع انطاكية | ١٣: ١٦-٤١ | يسوع هو المسيّا حسب النبوّات |
| ٨ | بطرس في مجمع أورشليم | ١٥: ٧-١١ | الخلاص مقدّم للجميع بالنعمة |
| ٩ | بطرس في مجمع أورشليم | ١٥: ١٣-٢١ | لا حاجة للختان بالنسبة للأمم |
| ١٠ | بولس لشيوخ أفسس | ٢٠: ١٧-٣٥ | بقاء الإيمان بالرغم من ظهور معلّمين كذبة وضيق |
| ١١ | بولس للجمهور بأورشليم | ٢٢: ١-٢١ | تحوّله للإيمان ودعوته للعمل بين الأمم |
| ١٢ | بولس في السنهدرين | ٢٣: ١-٦ | دفاعه معلنًا أنه فرّيسي روماني الجنسيّة |
| ١٣ | بولس للملك أغريباس | ٢٦: ٢-٢٣ | تحوّله وغيرته على الإنجيل |
| ١٤ | بولس لقادة اليهود بروما | ٢٨: ١٧-٢٠ | عرض لميراثه اليهودي |

[١] فضلت استخدام تعبير "السنهدرين" وليس "السنهدريم"، لأنه يطابق الاسم باليونانية.

**من وحي أعمال الرسل**

**حولت لنا الأرض سماء!**

❖ هب لي أن أنضم إلى رسلك وتلاميذك،
فأتمتع معهم بلقائك بهم، يا أيها القائم من الأموات.
أستمع إلى صوتك العذب يحدثهم عن أمور الملكوت،
فتلتهب أعماقي شوقًا نحو السماوات!
أراك في داخلي، تقيم ملكوتك المتهلل.

❖ أتلمس عمل روحك القدوس في العالم كله!
لتحول أرضنا إلى سماء،
والبشرية إلى ملائكة!

❖ صعدت إلى السماء، فحملت قلوبنا معك.
أرسلت لنا روحك الناري، يقيم منا خدامًا ملتهبين نارًا.
يعطينا لسانًا وكلمة، لتسحب القلوب إلى معرفتك.
نعم ليبقى روحك الناري يرف على وجه الأرض كلها،
يقيم من البشرية عروسًا مقدسة، أيقونة حية لك، يا عريس الكل!

❖ ليحملني روحك إلى أورشليم، فأشهد لك هناك.
المدينة التي قتلتك، صار منها مؤمنون وشهود لك!
المدينة التي طردتك خارج المحلة لتُصلب على الجلجثة،
تفتح لها أحضان أبيك، لينعم سكانها بالحب الإلهي.

❖ ليحملني روحك القدوس إلى السامرة مع فيلبس،
أتهلل بعمله في الغرباء، ليصيروا أهل بيت الله.
ولأرى رسول الختان يكرز لأول أممي في قيصرية،
فيحل روحك على كرنيليوس وأهل بيته،
حقًا ليس لعملك حدود!

❖ أبغضك اليهود بنو جنسك، واضطهدوا كنيستك.
ظن شاول الطرسوسي أنه حتمًا يمحو اسمك من وجه الأرض.
ظهرت له مشرقًا يا شمس البرّ،
بهاؤك العجيب أفقده البصر الزمني،
وانفتحت بصيرته، ليرى بهاء المجد الأبدي!
صار إناءً مختارًا، لا عمل له سوى الشهادة لك في كل موضع.

❖ أقمت منه ما هو أشبه بملاك.
أحاطت به الآلام من كل جانب،
فتهللت نفسه كأن ما حلّ به إنما حلّ بجسد آخر ليس بجسده!
صار كطيرٍ ينطلق من بلدٍ إلى بلدٍ،
ليس له أن يسند رأسه،
حتى تسند يا مخلصي رأسك في كل قلبٍ!

❖ تحولت حياته إلى رحلات تبشيرية عجيبة!
ما كان يمكن لكثير من الرسل أن يحققوا ما حققته به!
كرز في البر والبحر، وبين الفلاسفة وأمام ملوك وولاة.
أينما حلّ صار لك شعب، تكسبه بكلماتك على فمه!

❖ احتار الكل في وصف رسولك بولس.
هل صار ملاكًا لا يقتني شيئًا، لكنه يقتني كل شيء؟
هل تقدس بكليته، حتى صارت الخرق التي على جسمه مقدسة،
تشفي المرضى وتخرج الشياطين،
بينما بقي هو يعاني من المرض؟
روحك العجيب قدس كل كيانه،
قدس قلبه وفكره، روحه وجسده،
كلماته وعظاته وقلمه وكتاباته،
قدس وقته ومواهبه!

صار أشبه بروح، كأن لا جسد له!

❖ ألا ترسل في كل جيلٍ كارزين لتعمل بهم في الكثيرين؟
لتقم دومًا من شاول المضطهد والمفتري والمجدف،
رسولاً كارزًا وشاهدًا لك!

"كان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون"
أع ٢:٤٧

"ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم،
وتكونون لي شهودًا،
في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض"
أع ١:٨

# الباب الأول

## الإعداد لقيام الكنيسة

## ص ١ – ص ٢

## الأصحاح الأول

# الإعداد لميلاد الكنيسة

الآن وقد قُدم الثمن بالكامل قام السيد المسيح من بين الأموات، مؤكدًا قبول الآب لذبيحة الصليب، فصار من حق البشرية أن تتمتع بالدخول إلى السماويات خلال برّ المسيح القائم من الأموات. وقد جاء هذا الأصحاح يوضح التهيئة العملية لميلاد كنيسة المسيح في يوم الخمسين ككنيسة يقودها الروح القدس بنفسه.

**١. جذب التلاميذ نحو الملكوت ١-٣.**

**٢. الوعد بالقائد الإلهي ٤-٨.**

**٣. ارتفاع الرأس إلى السماء ٩-١٤.**

**٤. تكملة عدد التلاميذ ١٥-٢٦.**

### ١. جذب التلاميذ نحو الملكوت

بعد أن وجّه الإنجيلي لوقا السفر إلى ثاوفيلس أوضح عمل السيد المسيح مع تلاميذه خلال فترة الأربعين يومًا من يوم قيامته حتى صعوده، حيث سحب قلوبهم إلى ملكوت الله، وألهبها للبلوغ إليه. قيامته غيَّرت نظرتهم إليه، فلم يعد يعيش في وسطهم نهارًا وليلاً، يمارس الحياة البشرية اليومية، لكنه صار يلتقي بهم في ظهورات، حيث صار موضعه الطبيعي بعد القيامة هو السماء. مع كل ظهورٍ كانوا يشتاقون إلى الحياة الجديدة المُقامة ليمارسوا عربون السماويات حتى يحل يوم لقائهم معه على السحاب وينالوا شركة المجد الأبدي.

**"الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس،**

**عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به" [١].**

تخدم مقدمة إنجيل لوقا (لو ١: ١-٤) السفرين معًا بكونهما أشبه بكتابٍ واحدٍ في مجلدين، أما مقدمة أعمال الرسل (١: ١-٢) فتربط السفرين معًا.

لقد قدم في الكلام (المقال) **الأول** عرضًا لأقوال السيد المسيح وأعماله. إنه لم يكن ممكنًا لسفرٍ ما أن يسجل تفاصيل كل أحاديث السيد ومعجزاته وأعماله الخلاصية (يو ٢١: ٢٥)، لكنه سجل جوهر الأحاديث والأعمال.

❖ لم يقل: "**جميع**" فقط، وإنما "**عن جميع**"، وكأنه يقول "ملخصًا عن" أو "في الإجمال" عن كل ما هو رئيسي وهام جدًا[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم** على قول الإنجيلي: "**ابتدأ يسوع أن يفعله ويعلم به**" [١] مقدمًا العمل عن الكلام، بهذا قدم نفسه مثالاً للمعلم الحقيقي.

❖ **تأملوا كيف ثبَّت المسيح كلماته بأعماله.**

هكذا يقول: "تعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩).

علَّم البشر أن يكونوا فقراء، وقد أوضح ذلك بأعماله، فإن "ابن الإنسان ليس له أين يسند رأسه" (مت ٨: ٢٠).

مرة أخرى أوصى البشر أن يحبوا أعداءهم، وقد علَّم ذات الدرس على الصليب حين طلب من أجل صالبيه.

لقد قال: "من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فأترك له الرداء أيضًا" (مت ٥: ٤٠). الآن لم يعطِ فقط الثياب بل قدم دمه. بهذه الطريقة أمر الآخرين أن يعلِّموا.

لذلك يقول بولس أيضًا: "كونوا متمثلين بي" (في ٣: ١٧).

**فليس شيء أكثر تفاهة من أن يظهر معلم ما فلسفته بالكلمات؛ فإن هذا ليس من عمل المعلم بل المرائي.**

لذلك علَّم الرسل بسلوكهم أولاً وبعد ذلك بكلماتهم، بل بالأحرى لم يكونوا في حاجة إلى كلمات عندما نطقت كلماتهم بصوتٍ عالٍ. فليس من الخطأ أن نتحدث عن آلام المسيح كعملٍ، فإنه بآلامه، تمم عملاً عظيمًا وعجيبًا، بل دمَّر

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 1.*

الموت، وقدَّم لنا أمورًا كثيرة فعلها من أجلنا[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ يصير التعليم مخجلاً عندما يبكت الضمير الإنسان (الذي يُعلِم ولا يعمل بما يُعلِمه). باطلاً يكرز لسانه عن الفقر ويعلم عن العطاء إن كان منشغلاً بالغنى وعوض ارتدائه ثوبه البالي يرتدى الثياب الحريرية في بيته كي يدفع عنها العث[2].

**القديس جيروم**

❖ يلزمنا المثابرة بجهاد في القراءة، الأمر الذي أراكم تصنعونه، مع السعي بكل اشتياق لنوال **المعرفة العملية الاختبارية أولاً**، أي المعرفة الأخلاقية. لأنه بغيرها لا يمكن اقتناء النقاوة النظرية التي نتكلم عنها، وبهذا لا ينطقون بكلمات غيرهم معلمين بها، إنما بالسمو في العمل والتنفيذ. فبعدما يبذلون جهودًا وأتعابًا كثيرة يستطيعون أن ينالوا المعرفة الروحية كمكافأة لهم من أجلها. وإذ يقتنون المعرفة، لا من مجرد التأمل في الشريعة، بل كثمرة لتعبهم، يتغنون مع المرتل قائلين: "من وصاياك تفهمت" (مز ١١٩: ١٠٤). وإذ يقهرون كل شهواتهم يقولون بكل ثقة: "لك يا ربّ أرنم. أتعقل في طريقٍ كاملٍ" (مز ١٠١: ١، ٢). فمن يجاهد في طريقٍ كاملٍ بقلبٍ نقيٍ يترنم بالمزمور ويتعقل (يتفهم) الكلمات التي يسبح بها[3].

**الأب نسطور**

**"إلى اليوم الذي ارتفع فيه،**

**بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم" [٢].**

في حديثه الوداعي وعدهم بكل وضوح بعطية روحه القدوس المعزي، الذي يقدم لهم كل الحق، ويفتح أذهانهم لمعرفة الكتب المقدسة، ويجتذب العالم إلى معرفته، حيث يبكت على خطية وعلى برّ وعلى دينونة، كما نفخ في وجوه تلاميذه وأعطاهم نفخة الروح لكي كل ما يحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء، وما يربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء. أما بعد قيامته فقد **"أوصاهم بالروح القدس"**.

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 1.*
[2] *Letter 127 to Principia, 4.*
[3] *John Cassian: Conferences, 14:9.*

ربما ركز أغلب أحاديثه عن الروح القدس، لذلك كانت قلوبهم تلتهب حبًا نحو السماويات. ولعلهم كانوا يتساءلون علانية أو خفية: من يستطيع أن يسلك في شركة مع القائم من الأموات؟ جاءت إجابة السيد المسيح لهم: بالروح القدس!

لم يسجل لنا لوقا البشير أحاديث السيد معهم عن الروح القدس، بل ترك الأحداث الواردة في السفر تكشف عما وعد به السيد، وما تمتعوا به بحلول الروح القدس عليهم، وسكناه في داخل الكنيسة الحديثة الولادة.

❖ **"بعدما أوصى بالروح القدس"**: ربما يقصد أنه تحدث معهم بكلماتٍ روحيةٍ، وليس بأمرٍ بشريٍ، أو لعل المعنى هنا أنه قدم لهم الوصايا بالروح. ألا ترون كيف يتحدث بأسلوبٍ متواضعٍ عن المسيح، إذ ينقل ما قاله المسيح عن نفسه؟ "إن كنت بروح الله أخرج الشياطين" (مت ١٢: ٢٨)، لأنه بالحق عمل الروح القدس في ذلك الهيكل.

حسنًا بماذا أوصاهم؛ يقول: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به " (مت ٢٠: ١٩-٢٠).

يا له من مديح عظيم للرسل أن توكل إليهم هذه المهمة، أقصد خلاص العالم! كلمات مملوءة بالروح!...

واضح أنه علَّم التلاميذ بعد القيامة، ولكن لم يروِ لنا أحد عما علمه في هذه الفترة بالتفصيل... علي أي الأحوال لقد عرفنا هذه الأمور خلال الرسل، فإنهم أخبرونا بما سمعوه[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"الذين أراهم أيضًا نفسه حيًا ببراهين كثيرة،**
**بعدما تألم وهو يظهر لهم أربعين يومًا،**
**ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله" [٣].**

يقدم لنا لوقا البشير خدمة السيد المسيح لتلاميذه بظهوره لهم دفعات كثيرة

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 1.*

خلال الأربعين يومًا، مؤكدًا لهم أنه حي ببراهين كثيرة، ومحدثًا إياهم عن ملكوت الله. خدمته في هذه الفترة مختلفة تمامًا عن خدمته خلال الثلاث سنوات السابقة. لم يعد يقدم أشفية وإقامة موتى، ولا عظات للجماهير، ولا حوار معه، إنما أعلن بكل وسيلة عن حقيقة شخصه أنه غالب العالم الشرير والموت والشيطان، من يقتنيه يقتني الغلبة والنصرة، ويتمتع بالحياة الجديدة المُقامة، بكونها عبورًا إلى عربون السماء، وتمتعًا بالمجد السماوي الداخلي.

التعبير اليوناني للكلمتين "**ببراهين كثيرة** τεκμηριον" يعنى "علامات مُلزمة"، أو "علامات لا تُقاوم" أو "معصومة من الخطأ *infallible proofs*". فإن كانت القيامة هو عصب الإيمان والخلاص، بدونها يُفقد الصليب دوره، لهذا قدم السيد المسيح براهين كثيرة لتأكيدها، أما هذه البراهين أو العلامات التي لا تُقاوم فهي:

١. **كانت ظهوراته لأشخاصٍ مختلفين وفي أوقات متباينة** (١ كو ١٥) خلال فترة دامت أربعين يومًا، هي إعلانات لا يمكن أن تحمل أي نوعٍ من الخداع، بل كانت تجتذب من يلتقون به. ربط السيد ظهوراته بآلامه وصلبه، إذ كشفت عن مجد الصليب بتأكيد قيامته، فصار التلاميذ يعتزون بالقول: "**بعدما تألم**"، فما كان يمكنهم التمتع بمجد هذه الظهورات الإلهية وإدراك حقيقة شخص السيد المسيح ورسالته لو لم يجتز الألم. هي طريق مجده، أي طريق تحقيق رسالته كمخلصٍ لنا، به ومعه نجتاز الألم لنعبر إلى الأمجاد. "إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه" (رو ٨: ١٧). "باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم (الأنبياء)، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها" (١ بط ١: ١١). هكذا صار الألم طريق المجد الحقيقي، إذ يقول الرسول: "كما اشتركتم في آلام المسيح، افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضا مبتهجين" (١ بط ٤: ١٣)[1]. هنا ندرك سرّ اعتزاز الكنيسة بالتعبير "**آلامك المحيية**"، وتكراره يوميًا في صلوات السواعي وفي الليتورجيات الكنسية كسرّ خلاصنا ومجدنا الأبدي.

٢. **عدم توقعهم لقيامته** (يو ٢٠: ٢٥؛ لو ٢٤: ١٩-٢٤) أكد أن ظهوراته لم تكن عن

---

[1] للتعرف على ظهوراته راجع كتابنا عن الإنجيل بحسب يوحنا، ٢٠٠٢، ص ١٢٧٠.

أوهامٍ أو خيالاتٍ أو تصوراتٍ كانت مسبقة في أذهانهم.

- قضى أربعين يومًا بعد القيامة يدخل ويخرج، يأكل ويشرب، دون أن يجوع أو يعطش، وإنما كشهادة لتأكيد حقيقة جسده الذي لم يعد في عوز، إنما يأكل ويشرب وهو حامل سلطان... **لم يعد معهم في شركة الضعف البشري**[1].

**القديس أغسطينوس**

٣. **ظهر لهم كصديقٍ ورفيقٍ لهم**، ولكن على مستوى جديدٍ وفائقٍ. لقد أكل وشرب معهم، ولكن ليس كحياةٍ يوميةٍ عاديةٍ، كما كان قبل قيامته.

٤. **لقاؤه مع تلاميذه في الجليل كما عيَّن لهم.** لقد رأوا ذاك الذي عاشوا معه قرابة ثلاث سنوات عن قربٍ شديدٍ، يعرفونه حق المعرفة.

٥. **خضوع جسده للمس**، ليصرخ كلٍ منهم في أعماقه مع توما الرسول قائلاً: "ربي وإلهي".

٦. لم تكن ظهورات مجردة، بل **قدم لهم أحاديثه عن ملكوت الله** الذي بدأوا يدركونه بمفهومٍ جديدٍ بعد تمتعهم بالقائم من الأموات والحوار معهم.

**ملكوت الله:** ما قدمه السيد المسيح لتلاميذه خلال هذه الفترة كرصيدٍ حيٍ لكرازتهم هو الكشف عن سرّ صليبه والتمتع بقوة قيامته. يقدم ذاته لهم بكونه المصلوب القائم من الأموات. بهذا **صار ملكوت الله منظورًا ومسموعًا وملموسًا بالمسيح القائم من الأموات**. وبهذا يترنم التلاميذ: "الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (١ يو ١:١). فالشهادة العملية لقيامته من الأموات هي الجانب العملي لخبرة ملكوت الله فينا. أو بمعنى آخر ملكوت الله في جوهره هو اتحاد مع المسيح المصلوب القائم من الأموات والصاعد إلى السماوات.

قبل قيامته لم يكن التلاميذ قادرين على إدراك أسرار السيد المسيح، لذا قال لهم: "إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن" (يو ١٦: ١٢). أما وقد صارت القيامة واقعًا يمكنهم أن يتلمسوه، لم يعد يقول لهم: "أحتى

---

[1] *In Ioan., tr., 64:1.*

الآن لا تفهمون... كيف لا تفهمون؟" (مت ١٦: ٩، ١١)، إنما "فتح ذهنهم ليفهموا الكتب" (لو ٢٤: ٤٥).

❖ لم يكن دائمًا معهم في هذه الفترة كما كان قبل القيامة. إذ لم يقل الكاتب: "أربعون يومًا" وإنما "خلال الأربعين يومًا". كان يأتي ويختفي ليقودهم إلى مفاهيم علوية، ولم يسمح لهم أن يتطلعوا إليه بنفس الطريقة السابقة، بل يقدم لهم مقاييس تؤكد أمرين: الإيمان بحقيقة قيامته، وإدراكه بأنه أعظم من أن يكون إنسانًا. في نفس الوقت، هذان الأمران متعارضان، فلكي نؤمن بقيامته إنما يتحقق ذلك بكون شخصيته بشرية، والأمر الثاني على خلاف ذلك. ومع هذا فإن النتيجتين لهما فاعليتهما، كل منهمًا في الوقت المناسب لها[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

يرى **القديس أغسطينوس** أن حياتنا على الأرض يمثلها الرقم ٤٠، حيث نلتزم بتنفيذ الوصايا العشرة فنبلغ كمال التطويبات، وأن نمارسها في كل أركان المسكونة أو جهاتها الأربع (الشرق والغرب والشمال والجنوب) أي أينما وجدنا (١٠ × ٤ = ٤٠)

❖ يشير هذا الرقم (٤٠) إلى الحياة التي تعملون فيها في هذا العالم[2].

**القديس أغسطينوس**

ربما يتساءل البعض: **لماذا لم يظهر السيد علانية لكل البشرية كما صُلب علانية، وإنما ظهر للتلاميذ والرسل ولمجموعات معينة؟**

١. كان لابد من إعلان حبه للبشرية كلها بصلبه علانية، فهو حمل الله الذي يرفع خطية العالم. أما القيامة فهي هبة تُعطي للمشتاقين إليها، وإلى المخلصين في التعرف على شخص المسيح القائم من الأموات.

٢. يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنه لو ظهر علانية للجميع لظن الكل أنه مجرد ظهور لشخصه، وليس قيامة من الأموات. فالتلاميذ أنفسهم مع سماعهم عدة

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 1.*
[2] *Sermons, 1:32.*

مرات عن قيامته قبل صلبه، وظهوره لهم، ولمسه، بل واشتراكه مع بعضهم في الأكل... مع كل هذا كانوا في حالة اضطرابٍ شديدٍ وارتباكٍ، إذ لم يكن من السهل قبول قيامة ميت! لهذا أراد السيد بكل الطرق تأكيد قيامته لهم بكل وسيلة حتى يكونوا شهودًا لها في كرازتهم في العالم أجمع[1].

حتى بعد قيامته وظهوراته المستمرة لهم كانوا في ارتباكٍ شديدٍ، مع الشعور بثقل المسئولية، بل واستحالة تحقيق رسالتهم الموكلة إليهم. لهذا حدثهم عن **"الأمور المختصة بملكوت الله"**، ليس كالأحاديث السابقة قبل قيامته، إنما أحاديث عملية بالكشف عن شخصه لهم، ليدركوا أن ملكوت الله هو التعرف عليه والتمتع بحبه والشركة معه. فالملكوت هو لقاء حي عملي معه. كما كشف لهم عن إرسالية الروح القدس الذي يسكن فيهم ويهبهم القوة للشهادة له، فيتحقق ملكوت الله في قلوب الكثيرين في العالم كله!

❖ إذ صار التلاميذ في كربٍ واضطرابٍ بسبب الأحداث الجارية، وكانوا في طريقهم لمواجهة مصاعب عظيمة، لهذا ردهم إلى السلام بأحاديثه عن المستقبل[2].

❖ لم يتحدث معهم أحاديث طويلة بعد القيامة[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

## ٢. الوعد بالقائد الإلهي

**"وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم،**

**بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني" [٤].**

يرى البعض أنه عوض كلمة συναλιζομενο **"مُجتمع"** جاءت في كثير من المخطوطات الكلمة اليونانية συναυλιζομενο، لذلك كثيرًا ما تُترجم: **"يأكل ملحًا معهم"** كما جاءت في الترجمة السريانية الهرقلية، أو **"يأكل خبزًا معهم"** كما في السريانية البشيتا؛ وجاءت في **القديس يوحنا الذهبي الفم: "وبينما هو على المائدة**

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 1.*
[2] *Hom. On Acts, Homily 1.*
[3] *Hom. On Acts, Homily 2.*

**معهم**". ولهذا يعتز التلاميذ بأنهم أكلوا وشربوا معه بعد قيامته كتأكيدٍ لحقيقة القيامة (أع ١٠: ٤٠-٤١؛ لو ٢٤: ٤٢).

كما نال إبراهيم الوعد الإلهي من الله أثناء الوليمة معه وحوله الملاكان (تك ١٨: ١-٨)، هكذا نال أبناء إبراهيم هنا الوعد بالروح القدس الذي يقيم من الحجارة أبناء لإبراهيم من كل الأمم وهو يأكل معهم.

"**موعد الآب**": سبق فوعد به الآب بالأنبياء في العهد القديم (إش ٣٢: ١٥؛ ٤٤: ٣؛ يوئيل ٢: ٢٨-٣٢). كما وعد به السيد المسيح أن الآب سيرسله أو سيرسله هو من عند الآب خمس مرات في يوحنا ١٤-١٦.

**لماذا لم يحل الروح القدس علي التلاميذ أثناء وجود السيد المسيح على الأرض، أو بعد صعوده مباشرة؟**

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن التلاميذ التزموا بالبقاء في أورشليم إلى أن يحل الروح القدس عليهم للأسباب التالية:

**أولاً**: إنهم أشبه بجيش الله الذي لن يقدر أن يدخل المعركة الروحية ما لم يحملوا السلاح، فيتهيأوا للمعركة. أو هم أشبه بالفُرس التي لا يمكنها أن تخرج للحرب ما لم يمتطيها الفرسان أو سائقو المركبات.

**ثانيًا**: كان يلزم أن يقبل الكثيرون في أورشليم الإيمان، فلا يخرج التلاميذ إلى الغرباء للشهادة للمصلوب القائم من الأموات كمن هم في استعراض، وإنما إذ يؤمن بعض ممن صلبوا السيد يصير إيمانهم شهادة قوية لقيامة السيد في ذات المدينة التي تم فيها صلبه ودفنه. بهذا يبكم التلاميذ أفواه المعترضين من الغرباء. فبإيمان بعض من الذين صلبوه يؤكد الرسل حقيقة صلبه وقيامته أيضًا.

❖ ربما يقول الرسل: كيف يمكننا أن نعيش وسط الأشرار سافكي الدماء، هؤلاء الذين هم كثيري العدد بينما نحن قلة قليلة مُزدرى بنا؟ لاحظوا كيف يزيل هذا الخوف والكرب بالكلمات: "**بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني**" [٤]. ربما تقولون: متى سمعوا هذا؟ عندما قال: "خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا

يأتيكم المعزي" (يو ١٦: ٧)، مرة أخرى يقول: "وأنا أطلب من الآب، فيعطيكم معزيًا آخر، ليمكث معكم" (يو ١٤: ١٦)[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**ثالثًا**: يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن التلاميذ كانوا محتاجين إلي فترة إعداد لقبوله. فإن كان دانيال خرّ وسقط على وجهه عندما رأى ملاكًا (دا ٨: ١٧) كم يكون بالأكثر حال التلاميذ حين يتقبلون نعمة عظيمة كهذه؟

**رابعًا**: في وجود السيد المسيح لم يشعر التلاميذ بالحاجة إلى معزٍ آخر، ولم يلتهب قلبهم شوقًا لقبول الروح القدس، أما بمفارقته لهم جسديًا شعروا بالحاجة إلى معزٍ آخر، وترقبوا حلول الروح القدس بشوقٍ عظيم.

❖ كان لائقًا أنه يلزمهم أولاً أن يكون لهم شوق عظيم لهذا الحدث، وعندئذ ينالون النعمة. لهذا السبب رحل المسيح نفسه، وبعد ذلك حلّ الروح. **فلو أن المسيح كان حاضرًا لما تقبلوا الروح بغيرةٍ هكذا**. حتى بالنسبة لنا، فإن الرغبة نحو الله تزداد حين نكون في عوزٍ[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**خامسًا**: لما كان عمل الروح القدس هو تهيئة العروس لتحمل أيقونة عريسها، لذا حلّ الروح على التلاميذ بعد صعوده إلى السماوات لكي يحملوا سماته السماوية، ويشتاقوا للاتحاد معه لا ليلبثوا معه هنا على الأرض بل في السماء.

❖ يليق بطبيعتنا أن تُرى في السماء، وأن تصير المصالحة كاملة؛ عندئذ يأتي الروح ويصير الفرح غير مشوبٍ. فلو أن الروح قد جاء فعلاً وبعد ذلك رحل المسيح وبقي الروح، لكانت التعزية ليست عظيمة هكذا[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"لأن يوحنا عمد بالماء،**

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 1.*
[2] *Hom. On Acts, Homily 1.*
[3] *Hom. On Acts, Homily 1.*

**وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس،**

**ليس بعد هذه الأيام بكثير" [٥].**

لقد سبق فأعلن ذلك القديس يوحنا المعمدان (مت ٣: ١١)، وقد تحقق في يوم الخمسين وأثناء كرازة الرسل (أع ١١: ١٥-١٧؛١٩: ١-٦). كانت معمودية القديس يوحنا المعمدان للتوبة، كإعدادٍ لاقتراب ملكوت السماوات (مت ٤: ١٧).

❖ الآن يقول بوضوح: "**إن يوحنا عمد بالماء، وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس**". الآن لا يستخدم الشهادة (شهادة يوحنا المعمدان له)، إنما يرجع إلى شخص يوحنا، مذكرًا تلاميذه بما قاله، ومظهرًا لهم أنهم الآن قد صاروا أعظم من يوحنا، إذ هم يعمدون أيضا بالروح. مرة أخرى لم يقل: "أنا أعمدكم بالروح القدس" بل قال: "**ستتعمدون**"، معلمًا إيانا التواضع. هذا واضح بما فيه الكفاية من شَهادة يوحنا أن المسيح نفسه هو الذي يعمدِ: "هو سيعمدكم بالروح القدس ونار" (لو ٣: ١٦)[١].

❖ لماذا يقول المسيح: "**ستتعمدون**" مع أنه بالحقيقة لم يكن يوجد ماء في العلية؟ لأن الجزء الأساسي في العماد هو الروح، الذي خلاله يقوم الماء بعمله. بنفس الطريقة يُقال عن ربنا أنه مُسح مع أنه لم يُمسح قط بزيت، وإنما لأنه قبل الروح. هذا بجانب أنهم بالحقيقة قبلوا عمادًا بالماء (وعمادًا بالروح) وذلك في لحظات مختلفه. ففي البداية عمدهم يوحنا...[٢]

❖ يعيننا جرن المعمودية فلا يُسمح بمثقال ذرة لأدنى عقوبة أن تحل بنا. تأملوا فإن أي إنسان تحل به خطايا خطيرة بارتكاب القتل أو الزنا أو أية جريمة أخرى، هذه مسحتها المعمودية. إذ لا توجد خطية أو شر يقف أمام هذه النعمة، لأن النعمة إلهية. "لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة" (رو ١١: ٢٩). أما تلك التي تُرتكب بعد العماد فينال الإنسان عنها عقوبةً عظيمةً، كما لو كانت الخطايا السابقة قد قامت من جديد، بل وأشر منها. فإن الجريمة لا تكون مجرد معادلة لما كانت قبلاً بل

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 1.*
[2] *Hom. On Acts, Homily 1.*

مضاعفة وثلاثة أضعاف. أنظروا لتأكيد أن العقوبة عن هذه الخطايا هي أعظم، اسمعوا ما يقوله القديس بولس: "من خالف ناموس موسى، فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود، يموت بدون رأفة، فكم عقابًا أشر تظنون أنه يحسب مستحقًا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنسًا وازدرى بروح النعمة؟!" (عب ١٠: ٢٨-٢٩)[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ صعد يسوع إلى السماوات وتمم الوعد، إذ قال لهم: "وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًا آخر" (يو ١٤: ١٦). لهذا كانوا جالسين متطلعين إلى مجيء الروح القدس، وإذ حل يوم البنطقسي أيضًا في مدينة أورشليم هذه... نزل الروح القدس من السماء، الذي هو حارس الكنيسة ومقدسها، ومدبر الأرواح، **ضابط العواصف الثائرة، الذي يرد الضالين إلى الحق ويحكم المقاتلين ويكلل المنتصرين.**

نزل لكي يلبس الرسل القوة ويعمدهم، إذ يقول "**ستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بقليل**" [٥].

لم تكن هذه النعمة جزئية، بل هي قوته في كمالها، لأنه كما أن الذي يغطس في المياه ويعتمد تغمره المياه من كل جانب، هكذا هم اعتمدوا بالروح القدس بالكمال...

ولماذا تتعجب؟! خذ مثالاً واقعيًا وإن كان فقيرًا وعامًا، لكنه نافع للبسطاء. إن كانت النار تعبر من خلال قطعة حديد فتجعلها كلها نارًا، هكذا من كان باردًا صار محترقًا، ومن كان أسودًا صار لامعًا، فإن كانت النار التي هي جسم هكذا تخترق الحديد وتعمل فيه بغير عائق وهو جسم أيضًا، فلماذا تتعجب من الروح القدس أن يخترق أعماق النفس الداخلية؟[2]

**القديس كيرلس الأورشليمي**

**"أما هم المجتمعون فسألوه قائلين:**

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 1.*

[2] مقالات لطالبي العماد ١٧: ١٣-١٤.

**يا رب هل في هذا الوقت تَرُد الملك إلى إسرائيل؟" [٦]**

تعتبر هذه الآية امتدادًا للآية ٣، فقد كان من الصعب جدًا على التلاميذ أن يتخلصوا مما ثبت في أذهانهم عن ملكوت الله خلال الفكر اليهودي الحرفي، حيث كان الشعب يطلب المسيا كملكٍ أرضي (يو ٦: ١٥)، وكانوا يتطلعون إلى شعب الله كمملكة سياسية لها سلطانها الزمني. خلال الأربعين يومًا من قيامة السيد إلى صعوده كان يسحب قلوب التلاميذ من المفاهيم الأرضية البشرية إلى الفكر الإلهي السماوي.

**لقد تحطم كل أملٍ لليهود في إقامة يسوع ملكًا، فهل أعادت قيامته الرجاء فيهم ليحتل ذات المركز بذات الفكر؟**

سؤال التلاميذ للسيد يكشف عن مدى خطورة الأفكار الخاطئة التي تبعث بجذورها في أعماق الفكر، فمع كل هذا الزمن الذي عاش فيه التلاميذ أثناء خدمة السيد، ومع قيامته وأحاديثه معهم عن الملكوت السماوي خلال الأربعين يومًا، لازالت أفكارهم القديمة المتجذرة تقود أعماقهم. إنهم في حاجة إلى الروح القدس، روح المسيح، أن يحتل أعماقهم ويجدد أفكارهم ويخلصهم من الأفكار القديمة الخاطئة.

سؤالهم يكشف عن حيرتهم، فقد التصق العصر المسياني في ذهنهم بظهور مملكة إسرائيل المجيدة، والنصرة على الأمم والشعوب. وإذ لم يكن بعد قد حلّ عليهم الروح القدس لم يكن ممكنًا لهم التعرف على "مملكة المسيح" كما هي.

هل سيحتل يسوع كرسي موسى عوض رؤساء الكهنة والفريسيين؟

هل يجلس يسوع القائم من الأموات على العرش ليهب إسرائيل النصرة على الأمم؟

هل حان الوقت لطرد الرومان واستقلال إسرائيل؟

هذا وقد جاء التعبير "ترد αποκαθιστανειν" ليعني "يعيد الأمر إلى وضعه" أو "تجديد[١]".

**"فقال لهم:**

**ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" [٧].**

---

[1] *Cf. Adam Clarke: Acts, preface.*

هنا الحديث الأخير للتلاميذ مع السيد المسيح قبل صعوده. لم تكن قلوبهم قد ارتفعت بعد مع المسيح إلى السماء ليطلبوا مملكة سماوية. بينما كان السيد المسيح يقدم لهم الوعد بالروح القدس ليصعد بهم كما بجناحي حمامة إلي السماء، كانت قلوبهم لاتزال ملتصقة بالزمن والمجد الأرضي. كانوا يحملون في صدورهم حنينًا قويًا نحو ملكوت إسرائيل.

إذ كان السيد في طريقه للصعود، كانت آخر وصية لهم ألا ينشغلوا بالأزمنة والأوقات، حتى تتفتح قلوبهم على الأبدية، وتسمو أفكارهم فوق حدود الزمن.

أراد السيد المسيح ألا يعرف أحد الأزمنة والأوقات حتى لا يسقطوا في الكبرياء بسبب هذه المعرفة، بل يريد لهم التواضع. وكما يقول **القديس أغسطينوس:** [أنتم تريدون أن أعلن لكم عن الملكوت الآن... إنكم تحبون العلو، ستنالونه ولكن اتبعوني خلال التواضع[1].]

**ماذا يعني بالأزمنة والأوقات؟** يقصد **بالأزمنة** البحث في تحديد أزمنة إقامة المملكة المسيانية. فعوض طلب الملكوت والتمتع بإمكانياته، ينشغل الإنسان بالحسابات الزمنية، وهذا أمر يشغل كثير من المؤمنين عبر القرون.

وأما **الأوقات** فتعني البحث في الأحداث القادمة، ماذا سيحدث حتى مجيء السيد المسيح الأخير.

في عصرنا الحالي مع الشعور بقرب النهاية ينشغل كثير من الدارسين بالأزمنة والأوقات، على سبيل المثال يتساءل الكثيرون:

- ❖ متي ينتهي العالم؟
- ❖ ما هو موقف إسرائيل الحالي؟ هل يقبلون الإيمان بالمسيح؟ هل ينالون ملكًا على مستوى العالم كله؟
- ❖ بماذا تُفسر أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على ضوء سفر الرؤيا والأسفار النبوية في العهد القديم؟

[1] *In Ioan., tr., 25:3*

- ❖ هل نتوقع حربًا عالمية مدمرة؟
- ❖ من يشترك في الحرب؟
- ❖ وما هي التحالفات؟

تحول كثيرون في دراستهم للكتاب المقدس بعهديه إلي أبحاث في الأزمنة والأوقات، التي حذرنا منها السيد المسيح في آخر كلمات مع تلاميذه قبل صعوده.

خلال الأربعين يومًا من قيامته إلى صعوده أدركوا أمورًا سامية لم يكونوا بعد قد أدركوها، مثل الآتي:

- ❖ إنه ابن الله المساوي للآب في الكرامة (يو ٥: ١٧-٢٠).
- ❖ ستكون قيامة من الأموات (مت ١٧: ٩).
- ❖ أنّ الذي يصعد يجلس عن يمين الآب (لو ٢٢: ٦٩).
- ❖ أنه مسجود له بواسطة الملائكة، وأنه سيأتي ثانية (مر ١٦: ١٩).
- ❖ ما سيحدث في يوم الدينونة (مت ١٦: ٢٧)، وأنهم يجلسون يدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر (لو ٢١: ٢٧).
- ❖ يُطرد اليهود ليدخل الأمم (مت ١٩: ٢٨).

بدأت تتجلى أمامهم كل هذه الأقوال التي أعلنها السيد قبل صلبه، وتتضح خلال ظهوراته العجيبة، لكن لم يكونوا بعد قد تخلصوا من الأفكار اليهودية المادية تمامًا، لأنهم لم يكونوا قد نالوا بعد الروح القدس الذي يحملهم إلى السماويات، ويختبروا الحياة الجديدة المقامة.

يميز القديس جيروم بين ما يلزمنا أن نعرفه وما لا نطلب أن نعرفه، كمثال يصلي المرتل قائلاً: "يا رب عرفني نهايتي" (مز ٣٩: ٤) كأمرٍ ضروريٍ للغاية، حيث نعرف ما أعده الله لنا. أما ما هو أصل النفس البشرية وبدايتها فليس لنا أن ننشغل به، هل هي تولد من الوالدين كالجسد أم غير مولودة منهما؟ هذا لا يشغل ذهننا. والمثل الرائع في هذا التمييز الرسول بولس، فإنه عرف ما رآه وسمعه وتمتع به عندما ارتفع إلى السماء الثالثة، أما كونه قد ذهب بجسده أم خارج جسده، فهو ليس موضوع بحثه

ولا سؤاله من الرب[1].

❖ كانوا شغوفين هكذا نحو معرفة هذا اليوم. لكن يبدو لي بالحقيقة أنه لم يكن لديهم فهم واضح نحو طبيعة ذلك الملكوت، لأن الروح لم يكن بعد قد علمهم... لقد كانوا لا يزالوا متأثرين بالأمور المحسوسة، لم يصيروا بعد أفضل من الذين كانوا قبلهم. لقد صار لهم بعد ذلك مفاهيم سامية عن المسيح، فقد ارتفعت أذهانهم، وها هو يحدثهم بأسلوب علوي. إذ لم يعد يقول لهم: "وأما ذلك اليوم ولا ابن الإنسان يعرفه" (راجع مر ١٣: ٣٢)، إنما يقول لهم: **"ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه"** [٧]. إنكم تطلبون ما هو فوق قدرتكم. يود أن يقول لهم: وإن كنتم قد تعلمتم الآن أمورًا أعظم من هذه، وها أنتم ترون أن هذا هو الحال بكل دقة، أنظروا كم من الأمور قد أعلنتها[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ **"وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب"**. (مر ١٣ : ٣٢). لا يجهل الابن شيئًا يعرفه الآب... الآب والابن يقطنان في وحدة الطبيعة، أما جهل الابن (للساعة) فينتمي للخطة الإلهية للصمت، إذ فيه تختبئ كل كنوز الحكمة والمعرفة. هذا ما شهد به الرب نفسه عندما أجاب سؤالهم بخصوص الأزمنة. "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" (أع ١: ٧). **المعرفة مرفوضة بالنسبة لهم، ليس هذا فحسب، بل والرغبة في معرفة (الأزمنة) ممنوعة، فإنه ليس لهم أن يعرفوا الأزمنة**[3].

القديس هيلاري أسقف بواتييه

❖ يقول الرسول: "إن يوم الرب كلصٍ في الليل هكذا يجيء" (١ تس ٥: ٢). **لهذا اسهروا بالليل حتى لا تُفاجئوا باللص. لأن نوم الموت – أردتم أو لم تريدوا –**

---

[1] *Cf. Letter 144 to Alypius and Augustine, 8.*
[2] *Hom. On Acts, Homily 1.*
[3] *On the Trinity, 9:75.*

قادم[1].

**القديس أغسطينوس**

❖ ستزول الأشياء المنظورة وتأتي الأمور المقبلة التي هي أفضل. أما عن الزمن فليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" (أع ١:٧).

لا تتجاسروا في إعلان زمان حدوث هذه الأمور، وفي نفس الوقت لا تخافوا وتتهاونوا، إذ قيل: "اسهروا إذًا، لأنكم في ساعة لا تتوقعونها يأتي ابن الإنسان" (راجع مت ٢٤:٤٢، ٤٤). ولكن إن كان لزامًا أن نعرف علامات المنتهى، إذ ننتظر المسيح فلا نموت مخدوعين ونضل بواسطة الضد للمسيح الكذاب، فإن التلاميذ مدفوعين بإرادة إلهية وحسب ترتيب العناية الربانية قالوا للمعلم الحقيقي: "قل لنا متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر"؟ (مت ٢٤:٣). إننا نتطلع إليك وأنت آتٍ ثانية، لكن "الشيطان يغيّر نفسه إلى ملاك نور" فإعطنا حرصًا حتى لا نعبد آخر غيرك.

فتح السيد فمه الإلهي المبارك قائلاً: "انظروا لا يضلكم أحد". هذه العبارة تنذركم جميعًا أن تحذروا وتهتموا لما يُقال، لأنه لم يتحقق بعد بل يتنبأ عن أمور مقبلة حادثة بالتأكيد.

إنه ليس لنا أن نتنبأ لأننا غير مستحقين لهذا، إنما نضع أمامكم الأمور المكتوبة، ونوضح لكم العلامات، لاحظوا أنتم ما قد تحقق منها فعلاً، وما لم يتحقق بعد وكونوا في أمان[2].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

**"لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم،**
**وتكونون لي شهودًا**
**في أورشليم، وفي كل اليهودية، والسامرة، وإلى أقصى الأرض" [٨].**

بقوله: "لكنكم" يصحح السيد المسيح وضع التلاميذ، فعوض الرغبة المتقدة

---

[1] *Sermons on N.T. Lessons, 43:8.*

[2] مقالات لطالبي العماد ١٥: ٤.

لمعرفة الأزمنة والأوقات التي هي من سلطان الآب، يوجههم إلى تحقيق رسالتهم. فقد دُعوا لنوال قوة الشهادة على مستوى العالم كله، بفاعلية الروح القدس الذي يحل عليهم.

بينما كانوا لا يزالوا يتطلعون إلى مملكة المسيح بفكرٍ مادي، فكانوا يتعجلون اليوم الذي فيه يُتوج ملكًا على إسرائيل ليسودوا العالم، إذا به يتحدث عن تتويجه ملكًا علي قلوب البشرية في العالم كله. هذا لن يتحقق إلا بتدبير الآب، الذي في سلطانه أن يجتذب القلوب إلى ابنه المصلوب بعمل روحه القدوس. هم سألوا عن اليوم، أما هو فحوّل فكرهم إلى السلطان الذي ينالونه من الآب للكرازة. هم سألوا عن إسرائيل، أما هو فحدثهم عن إسرائيل الجديد الذي يضم أورشليم وكل اليهودية والسامرة وأقصى الأرض. هذا ما قد سبق فتنبأ عنه داود النبي (مز ٢: ٨) وأيضًا حزقيال النبي (حز ٢١: ٢٧).

ما سأله التلاميذ بخصوص معرفة اليوم لا ينفعهم شيئًا، لذلك حول أنظارهم إلى ما هو لبنيانهم. يشبه **القديس يوحنا الذهبي الفم** هذا الموقف بطفلٍ يصرخ طالبًا منا شيئًا غير نافعٍ له، فنخفي الشيء عنه، ونظهر له أيادينا فارغة كأنه ليس معنا، ثم نقدم له ما هو لنفعه. هكذا إذ سأل التلاميذ عن ذلك اليوم قال لهم إنه **"في سلطان الآب"** معرفة الأزمنة والأوقات، وكأنه بدا كمن كان فارغ اليدين، وكأن ليس في سلطانه تقديم هذه المعرفة لهم، ثم عاد فقدم لهم ما هو أهم بالنسبة لهم وهو نوال القوة والسلطة للعمل الجاد لإقامة هذا الملكوت.

يقول **القديس الذهبي الفم** إنه المعلم الذي يقدم لتلاميذه لا ما يختارونه بل ما هو مناسب لهم، وما يجب أن يتعلموه ويتعرفوا عليه.

Διδασκαλου τουτο εστι μη α βουλεται ο μαθητή ‹αλλα συμφερει μαθειν διδασκειν.

**"قوة"**: ينالون قوة إلهية لا تقف عند صنع الآيات والمعجزات باسم يسوع المصلوب، وإنما قوة سحب النفس بكل طاقاتها للإيمان بالسيد المسيح والتمتع بخبرة الحياة الجديدة المقامة من الأموات. الروح القدس وحده يقدر أن يخترق القلب والفكر

ويعمل داخل النفس معلنًا الحرب على الخطية (أع ٢: ٣٧)، ومشرقًا ببهاء الثالوث القدوس فيها لتقبل عمل الله بفرح.

❖ لكي لا يتجمدوا بالخوف التهبوا بنيران الحب (الروح القدس)[1].

**القديس أغسطينوس**

**"وتكونون لي شهودًا في أورشليم، وفي كل اليهودية والسامرة، وإلى أقصى الأرض"** [٨]. جاء سفر الأعمال يعلن تحقيق هذا الوعد الإلهي، ففي الإصحاحات السبعة الأولى كانت الشهادة محصورة في أورشليم. ومع بدء الأصحاح الثامن بدأت الشهادة في اليهودية والسامرة. ومع الأصحاح الحادي عشر (١١: ١٩) انطلقت الخدمة خارج هذه الحدود حتى بلغت عاصمة الدولة الرومانية التي كانت تسود العالم في ذلك الحين. هنا يشير السيد المسيح إلى كل فئات البشر في ذلك الحين:

١. اليهود الذين يتمسكون بالناموس الموسوي والعبادة في الهيكل بكل طقوسها في حرفية جامدة.

٢. الدخلاء الذين تهودوا، لكنهم في أعماقهم لا يعتزون بالختان حسب الجسد ولا حرفية الناموس، ولا يشغلهم الهيكل في ضخامة مبناه.

٣. السامريون الذين كانا يخلطون بين عبادة الله الحيّ والعبادة الوثنية.

٤. الأمم بعبادتهم للأوثان وممارسة طقوس متنوعة حسب عادات كل أمة.

بدأت الشهادة بأورشليم، لأنه كما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن العالم يقبل الإيمان حين يرى بعضًا ممن صلبوا السيد قد آمنوا بقيامته، فيكون ذلك برهانًا أكيدًا على قيامة السيد، صادرًا عن أعدائه المقاومين وقد صاروا مؤمنين به. هذا وقد جاء في إشعياء النبي: "من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب" (إش ٢: ٣). وقد آمن في أورشليم نحو ثلاثة آلاف نفس في عظة واحدة (أع ٢).

❖ لقد أحب هذه المدينة (أورشليم) وشفق عليها، فقد أمر أن تبدأ الكرازة بأورشليم... لا عجب فإنه يزيل الكراهية من جذورها... عسى أن يحبوها، إذ يقطنها قاتلو

---

[1] *City of God, 18:50.*

المسيح[1].

**القديس أغسطينوس**

إذ كان على وشك أن يتركهم جسديًا قدم لهم ما يفرح قلوبهم ويسندهم في تحقيق رسالتهم ويعزيهم وسط آلامهم.

- ❖ كانوا بالحقيقة لا يزالوا ضعفاء، لكنه رفع نفوسهم وأخفى ما هو خطر عليهم حتى يبث فيهم الثقة. وإذ اقترب وقت رحيله جدًا لم يقل لهم شيئًا مؤلمًا في هذا الحديث[2].

- ❖ أرسل المسيح رسله كما تبعث الشمس أشعتها، وكما تصدر الزهرة رائحتها العذبة، وكما تُخرج النار شرارًا. هكذا تُعرف قوة المسيح خلال فضائلهم، كما أن الشمس تتلألأ في أشعتها، وتعلن الزهرة رائحتها، وتظهر النار بشرارها. من لا يمدح المعلم عندما يشاهد التلاميذ متعلمين حسنًا؟[3]

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

- ❖ جاء إليكم الإنجيل كما جاء إلي كل العالم، وأثمر. قال ابن الله بفمه: "تكونون لي شهودًا في أورشليم، وفي كل اليهودية، والسامرة، وإلي أقصي الأرض"[4].

**القديس أغسطينوس**

عند ميلاد كلمة الله المتجسد قدم جبرائيل الملاك هذا الوعد الإلهي: "الروح القدس يحل عليكِ، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضا القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥). أنجبت القديسة مريم ابن الله المتجسد، وتمتعت بالأمومة الفريدة له، مع دوام بتوليتها. الآن يقدم الكلمة الإلهي المتجسد، يسوع المسيح، وعدًا بميلاد عروسه الأم البتول بقوة الروح القدس الذي يحل على البشر: "ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهودا" [٨]

---

[1] *In Ioan., tr., 2:3.*
[2] *Hom. On Acts, Homily 2.*
[3] *In Sanctum Matt. Ch. 10: 1.*
[4] *Letters 185: 1-5.*

المولود الأول هو ابن الله المتجسد القدوس، مولود بالروح القدس بقوة من الأعالي، والمولود الثاني عروسه الكنيسة المقدسة تولد من الروح القدس بقوة من الأعالي.

تحقق الميلاد الأول من العذراء مريم بعد تقديسها، والثاني من الرسل والتلاميذ بعد تقديسهم.

في الميلاد الأول صار السماوي ابن البشر ليحل في وسطنا، وفي الثاني يصير الأرضيون حاملين سمة السماوي، وفي أحضانه الإلهية يتمتعون بالسماويات.

صار المولود الأول من أجلنا جنينًا فطفلاً، وكان ينمو ويتقوى بالروح (لو ٢: ٤)، والمولود الثاني عروسه التي لها سلام تُبنى وتسير في خوف الرب بتعزية الروح القدس تتكاثر على الدوام (أع ٩: ٣١).

المولود الأول جعل من كثيرين مسبحين لله، مثل القديسة مريم واليصابات وسمعان الشيخ؛ والمولود الثاني حول البشرية إلى جماعة مسبحين (أع ٢: ٤٧).

## ٣. ارتفاع الرأس إلى السماء

**"ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون،**

**وأخذته سحابة عن أعينهم" [٩].**

يؤكد لوقا الإنجيلي: **"ولما قال هذا... وهم ينظرون"**، ففي قيامته لم يره أحد، لكن الطبيعة شهدت له، والقبر الفارغ، مع شهادة الجند أنه سُرق وهم نيام الأمر الذي لا يقبله عقل بل أكد قيامته، وظهورات السيد لكثيرين وفي أوقات متباينة وهو يتحدث معهم ويحاورهم، حتى لا يظنوا أن ما رأوه كان حلمًا جميلاً، أو وهمًا. ما كان يمكنهم أن يصدقوا حقيقة صعوده ويؤمنوا بها لو لم يروها بأعينهم.

كان لابد أن يروا صعوده ويتحدثوا مع الملاكين ليدركوا أن ملكوت المسيح ليس ملكوتًا أرضيًا زائلاً، بل ملكوت سماوي أبدي. ولكي يدركوا أن رسالته على الأرض قد كملت (يو ١٧: ٤؛ ١٩: ٣٠)، وكان لائقًا به أن يعود إلى مجده الذي له مع الآب (يو ١٧: ٤-٥؛ في ٢: ٦، ٩-١٠).

أتم السيد رسالته على الأرض، فصعد لكي يرسل الروح القدس ليقود كنيسته في العالم كله.

صعد إلى الآب لكي يهيئ لنا مجدنا خلال شفاعته الكفارية لدى الآب لغفران خطايانا وتبريرنا فيه، كرئيس الكهنة الأعظم (عب ٩: ٧-٨، ١١-١٢، ٢٥). ولكي يعلن انفتاح أبواب السماء لأول مرة لحامل الطبيعة البشرية، فصار لنا حق الصعود معه.

قدم لنا الإنجيلي لوقا هذا المشهد الحقيقي المثير والبديع لصعود السيد المسيح إلى السماء، وقد أخذته سحابة عن أعين تلاميذه. يقول المرتل: "الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة الريح" (مز ١٠٤: ٣). ويقول دانيال النبي: "كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان، أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه..." (دا ٧: ١٣). يشير السحاب إلى السمو الفائق والجلال الإلهي (تث ٤: ١١؛ ٢صم ٢٢: ١٢؛ مز ٩٧: ٢)، كما يشير إلى الشكيناه Shekinah كمجدٍ يمثل الحضرة الإلهية (خر ٣٣: ٧-١١؛ ٤٠: ٣٤؛ مر ٩: ٧).

"**ارتفع**" إذ صار جسد الرب ممجدًا بقيامته من الأموات، لا سلطان للجاذبية الأرضية على الجسد القائم من الأموات، وأصبح طبيعيًا أن يرتفع، بل ويرفع معه كل من يلتصق به، أو يصير عضوًا فيه. "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلي الجميع". (يو ١٢: ٣٢)

بعد قيامته تسربل جسده بالمجد والتحف بالنور، ومن أجلنا أخفي ذلك عن الأعين حتى يتلامس معه تلاميذه ومن معهم ويتأكدون من قيامته. لقد قدم نعمة خاصة لتلاميذه لكي يروه صاعدًا، هذا الذي لما ظهر لشاول الطرسوسي وهو في طريقه إلى دمشق ارتعد وتحير، "بغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض". (أع ٩: ٣-٤)

لقد أخفى مجده عن أعين الذين التقوا معه حتى إذ أخذته سحابة عن أعينهم، رفع الحجاب عن مجده، ولم يعُد بعد يمكن للأعين البشرية أن تراه. إنما نراه بعد أن

يهبنا قيامة أجسادنا لتصير على مثال جسده الممجد. "حينئذ ينظرون ابن الإنسان آتيًا في سحابٍ بقوةٍ كثيرةٍ ومجدٍ" (مر ١٣: ٢٦).

❖ لقد نلنا هذا بسبب "الجسد" الذي قدمه الرب، لقد قدم للآب بكر طبيعتنا. وبسبب كرامة المُقدم وكمال قابل التقدمة، وجد الآب "العطية" مقبولة، فاستلمها بيده وضمها لنفسه وقال (للرب المتجسد): "اجلس عن يميني" (مز ٦٨:١٠).

ألم يرتفع (الناسوت المتحد باللاهوت) إلى فوق السماوات؟!

أليست هذه كرامة بلا قياس؟!

لقد ارتفعت (طبيعتنا في شخص الإله المتجسد) فوق السماوات، وسمت فوق الملائكة. لقد عبرت فوق رؤساء الملائكة والشاروبيم، وحلقت فوق السيرافيم، عالية أكثر من كل القوات السمائية، واستراحت في العرش الإلهي الحقيقي وحده...

إن سلوك جنسنا كان هكذا شريرًا في الماضي، حتى كان الأمر في خطر من أن يُباد كل الجنس البشرى عن وجه الأرض. والآن نحن الذين قبلاً حُسبنا غير متأهلين للبقاء في الأرض رُفعنا إلى السماوات.

نحن الذين كان قبلاً غير مستحقين للمجد الأرضي، نصعد الآن إلى ملكوت السماوات، وندخل السماوات، ونأخذ مكاننا أمام العرش الإلهي.

هذه الطبيعة التي لنا، التي كان الشاروبيم يحرس أبواب الفردوس منها، هوذا اليوم ترتفع فوق الشاروبيم!

كيف يمكننا أن نعبر على حدث عظيم (عيد الصعود) هكذا عبورًا سريعًا؟!

لأنه نحن الذين أسأنا إلى مثل هذه المراحم العظيمة، حتى صرنا غير مستحقين للأرض ذاتها، وسقطنا من كل سلطان وكرامة، بأي استحقاق نرتفع إلى كرامة علوية كهذه؟!

كيف انتهى الصراع؟!

لماذا زال غضب الله؟...

فإن هذا هو بحق عجيب: إن السلام قد حلّ، لا بعمل قام به الذين أثاروا غضب الله... بل الذي غضب علينا بحق هو نفسه يدعونا إلى السلام. إذ يقول

الرسول: "إذًا نسعى كسفراء عن المسيح كأن اللّه يعظ بنا" (٢ كو ٥:٢٠). وماذا يعني هذا؟ بالرغم من أننا أسأنا إليه، فإنه هو الذي يسعى إلينا ويدعونا إلى السلام. إنه حقا هكذا، فإذ هو اللّه، وهو الإله المحب الذي يدعونا إليه[1].

❖ هذه أيضا علامة أنه صعد إلى السماء، إذ لم تحمله نار كما في حالة إيليا، ولا مركبات نارية، بل "أخذته سحابة"، بكونها رمزًا للسماء، كما يقول النبي: "جعل السحاب مركبته" (مز ١٠٤: ٣)، فقد قيل هذا عن الآب نفسه. لذلك يقول: "على السحاب" بطريقة رمزية حيث يود أن يتحدث عن القوة الإلهية، فإنه لا توجد قوة أخرى تُرى على السحاب. اسمع أيضًا ما يقوله نبي آخر: "يجلس الرب على سحابة خفيفة " (إش ١٩: ١)... أيضًا على الجبل حلّ السحاب بسبب الله، حيث دخل موسى في الظلمة، ولم يكن السحاب بسبب موسى[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ "الجاعل السحاب طريقه، الماشي على أجنحة الرياح" (مز ١٠٤: ٣). بهذا يشير إلى عنايته الإلهية التي تبلغ كل موضع. فإنه يجعل وضعه على الرياح والسحاب.

يقول إنه يقوم بشخصه بضبط كل الأمور ويقودها، وفي الوقت اللائق يهب النفع الصادر عنها. إنه في نفس الوقت يعلم أن الطبيعة الإلهية حاضرة في كل موضع، ويفحص كل الأشياء، حيث أن الرياح هي أسرع كل الأمور المادية، تعبر في ومضة من الغرب إلى الشرق، ومن الشرق إلى الغرب. لا يجد صورة دقيقة للسرعة بين الأمور المادية أكثر من الرياح، لذلك قال إن الله تحمله أجنحة الرياح، مشيرًا بهذا إلى حضوره في كل موضع.

أيضًا نجد إله الجميع يظهر لبنيْ إسرائيل في سحاب، ويجعل ظهوره الشخصي في خيمة الاجتماع عن طريق سحابة (خر ١٣: ٢١؛ ٤٠: ٣٤). عندما دشن سليمان البيت بالطبع غطت سحابة البيت (٢ أي ٥: ١٣: ١٤).

والمسيح الرب على الجبل مع الثلاثة رسل أعطى ومضة منْ سحابة مشرقة

---

[1] *In Ascensione, PG 50.*

[2] *Hom. On Acts, Homily 2.*

حوله (مت ١٧: ٥)، وفي صعوده حملته سحابة منيرة عن أنظارهم[١].

**الأب ثيؤدورت أسقف قورش**

❖ صعد إلى السماوات ولم يعد بعد هنا (بالجسد). حقًا إنه جالس هناك عن يمين الآب، وهو أيضًا هنا دون أن ينسحب قط عن حضرة مجده[٢].

**القديس أغسطينوس**

❖ عندما أراد إظهار أنه توجد قيامة للجسد حقيقية، وأنه ليس مستحيلاً أن يصعد الجسد إلى السماء، "ارتفع إلى السماء وهم يشخصون"، إذ كان هو في الجسد[٣].

**القديس يوستين**

**"وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق،**
**إذا رجلان قد وقفا بهم بلباسٍ أبيض" [١٠].**

إذ كانت الملائكة تشتهي خدمته والشهادة له، ظهر ملاكان للحاضرين يشهدان لصعوده، ربما كانا ذات الملاكين اللذين كانا في القبر يشهدان لقيامته[٤].

رأوا ملاكين في شبه بشر بلباسٍ أبيض، كأنهما ملتحفان بالنور علامة الطهارة والفرح والمجد. غالبًا ما تظهر الملائكة بلباسٍ أبيضٍ (يو ٢٠: ١٢؛ مت ٢٨: ٣؛ مر ١٦: ٥)، ويظهر المفديون في السماء سائرين مع المخلص بثيابٍ بيضٍ؛ كما قيل: "من يغلب فذلك سيلبس ثيابًا بيضًا" (رؤ ٣: ٥، ٧: ٩، ١٣-١٤).

❖ على أي الأحوال، ما رأته أعينهم لم يكن مُشبعًا تمامًا. فبالنسبة للقيامة رأوا نهايتها ولم يروا بدايتها (إذ لم يروه أثناء قيامته). أما في الصعود فرأوا البداية ولم يروا النهاية.

فبالنسبة للأولى لم يكن من الضروري أن يروا البداية، لأن الرب نفسه الذي يتحدث بهذه الأمور حاضر، والقبر يعلن بكل وضوح أنه ليس فيه السيد. وأما في الأخيرة فكانوا محتاجين أن يتعرفوا على التكملة بكلمة الغير (بواسطة الملاكين).

---

[1] *Comment. on Ps. 104.*
[2] *In Ioan., tr., 50:13.*
[3] *On the Resurrection, 9.*
[4] *Barnes' Notes on Acts 1: 10.*

فلم تكن أعينهم قادرة أن تريهم إياه، أي في العلا، ولا أن تخبرهم بأنه بالحقيقة صعد إلى السماء... لذلك جاءت ملائكة تخبرهم به. لاحظوا كيف حدث كل شيء بتدبيرٍ، وأن ما حدث لم يكن بالروح وحده، وإنما كان لأعينهم دورها في ذلك[١].

❖ كان المنظر الخارجي مبهجًا (بلباسٍ أبيض)، كانا ملاكين في شكل رجلين[٢].

❖ الفارق بين الملائكة والبشر عظيم، مع هذا فإنه يجلبهم ليقتربوا إلينا أسفل... إنهم يعملون من أجلنا، ومن أجلنا يجرون هنا وهناك، ويترقبون مجيئنا (إليهم). هذه هي خدمتهم، إنهم يُرسلون في كل طريق لحسابنا[٣].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ عندما تقدم المنتصر بجسده القائم من الموت، قالت قوات معنية: "من ذا الآتي بثيابٍ حمر من بُصرة؟" أما الذين كانوا في صحبته، فقد صاحوا بالقائمين على أبواب السماء: "انفتحي يا أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد[٤]".

**العلامة أوريجينوس**

❖ اليوم (عيد الصعود) استعاد الملائكة من فقدوهم منذ زمن طويل!

اليوم رأى رؤساء الملائكة أولئك الذين يشتاقون إلى رؤيتهم منذ زمنٍ بعيدٍ!

اليوم رأوا طبيعتنا (إذ اتحد بها الابن الكلمة) في العرش الإلهي، تتلألأ في جمالٍ أبديٍ ومجدٍ سرمديٍ!

هذا ما اشتهاه الملائكة زمانًا!

هذا ما كان ينتظره رؤساء الملائكة!

**ومع أن الطبيعة البشرية قد سمت فوقهم في الكرامة، لكنهم فرحوا من أجل الخير الذي حلّ بنا، لأنه عندما حلّ بنا العقاب حزنوا.**

وبالرغم من أن الشاروبيم وقفوا حارسين الفردوس (عند طردنا)، إلا أنهم اغتموا من أجل شقائنا، وذلك مثلهم كمثل عبد يقبض بيد رفيقه في حضرة سيده،

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 2.*

[2] *Hom. On Acts, Homily 2.*

[3] *Homilies on Hebr., hom. 3:4.*

[4] *Comm. in Jo., 6,56.v*

ويلقي به في السجن ويبقى حارسًا إياه، لكنه مملوء حزنًا من أجل الضيقة التي حلت بزميله... هكذا فعل الشاروبيم إذ قاموا باستبعاد البشر عن الفردوس، لكنهم كانوا حزانى من أجل هذا...

ولكي تعرفوا أنهم حزنوا على ذلك، أوضح لكم هذا بما يحدث بين البشر. لأنه إن كنتم ترون أناسًا لهم حنو على العبيد رفقائهم، فإنكم لا تشكون أن هذا كان بالنسبة للشاروبيم. لأن هذه القوات السمائية أكثر حنانًا من البشر.

منْ منَ البشر لا يتألم إذ يرى الغير يُعاقبون، حتى ولو كان العقاب بعدلٍ ومن أجل خطايا كثيرة؟!

هذا الحنو هو أمر مستحق للمديح، فإنه بالرغم من معرفة الشاروبيم عن جرائم الناس، وإدراكهم أنهم عصوا عصيانًا خطيرًا، لكنهم يحزنون من أجلهم حزنًا قلبيًا. وذلك مثل موسى أيضًا عندما أعلن هذا بعدما ارتكب شعبه عبادة الأوثان، إذ قال: "والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فإمحني من كتابك الذي كتبت" (خر ٣٢:٣٢).

ماذا تقصد يا موسى؟! أنت ترى كفرهم، ومع ذلك هل تحزن بسبب معاقبتهم؟! يقول: نعم لأجل هذا أحزن إذ هم يُعاقبون، ولو أنهم ارتكبوا ما يستحق العقاب...

وهكذا فإن موسى، وحزقيال (٨:٩)، وإرميا (٢٤:١٠)، هؤلاء حزنوا من أجل الخطاة، أفلا تشفق القوات السمائية من أجل ضيقاتنا؟!...

فإنهم يرون شؤوننا كأنها شئونهم، لهذا كم تكون فرحتهم، إذ يروننا قد تصالحنا مع الله! فما كانوا يفرحون هكذا لو لم يكونوا قد حزنوا من أجلنا. أما فرحهم فواضح من كلمات المسيح نفسه: "أقول لكم هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب" (لو ٧:١٥). فإن كانت الملائكة تفرح متى رأت إنسانًا خاطئًا يرجع إلى الله تائبًا، فكيف لا يمتلئون فرحًا عظيمًا عندما يرون الطبيعة البشرية كلها، في بكرها، تصعد اليوم إلى السماء؟!

اسمعوا أيضًا في موضع آخر عن فرح الطغمات السمائية بسبب رجوعنا إلى الصداقة مع الله. فإنه عندما وُلد ربنا حسب الجسد، ناظرين إلى أنه منذ تلك اللحظة قد حلت الصداقة مع الجنس البشري عوض العداوة، وإلا ما كان قد نزل

بينهم، فإذ رأوا ذلك ترنمت جوقة سمائية قائلة: "المجد للّه في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة" (لو ٢:١٤)...

أتريدون أن تعرفوا عظم غبطتهم وفرحهم عندما رأوا المسيح صاعدًا إلى السماء؟! أنصتوا إلى كلماته التي يخبرنا بها عنهم كيف كانوا يصعدون وينزلون على الدوام، وهذا أسلوب من ينتظر أن يرى أمرًا جديدًا عجيبًا.

وأين يظهر أنهم كانوا يصعدون وينزلون؟

أنصتوا إلى كلمات الرب: "من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة اللّه يصعدون وينزلون على ابن الإنسان" (يو ١:٥١).

هذه هي علامة القلوب المتحننة المملوءة حبًا، إذ لم ينتظروا الوقت المعين، إنما سبقوا الساعة المحددة بالبهجة.

وهكذا بقوا صاعدين ونازلين برغبة مملوءة شوقًا وحبًا، منتظرين تلك الرؤية الجديدة العجيبة من جهة (الإله المتأنس) الذي يظهر في السماوات.

بسبب هذه كانت الملائكة تظهر في كل حين: عندما وُلد، وعندما قام، وعندما صعد إلى السماوات. إذ يقول الكتاب المقدس: "إذا رجلان قد وقفا بهما بلباس أبيض". لبسهما هذا يعلن عن فرحتهما.

وقد قالا للتلاميذ: "أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؛ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء" (أع ١:١٠، ١١).

ركز انتباهك معي! لماذا قالا هكذا للتلاميذ؟! ألم يرَ التلاميذ ما هو حادث أمامهم؟ ألم يقل الإنجيلي: "هذا ارتفع وهم ينظرون". لماذا وقف الملاكان بهما وأخبراهما عن صعوده إلى السماء؟! كان ذلك لسببين:

السبب الأول: لأن التلاميذ بدأوا يحزنون، لأن المسيح سيتركهم... "ليس أحد منكم يسألني أين تمضي، لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم" (يو ١٦:٥- ٦)...

لأجل هذا وقف الملاك بمن حزنوا عند الصعود، مذكرًا إياهم بأنه سيأتي أيضًا مرة أخرى "إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء". كأنه يقول لهم: "أنتم تحزنون لأنه صعد. لكن لا تحزنوا بعد،

فإنه سيعود". وقد قال لهم ذلك حتى لا يفعلوا ما فعله أليشع، ممزقًا ثيابه عندما رأى سيده يصعد إلى السماء (٢مل١٢:٢)، لأنه لم يقف به أحد يقول له بأن إيليا سيعود مرة أخرى. فلكي لا يفعلوا هذا، وقف بهما الملاكان وعزياهم، ونزعا عنهم الحزن الذي ملأ قلوبهم. هذا هو سبب ظهور الملاكين.

وأما **السبب الثاني** فهو ليس بأقل من الأول، إذ أضافا قائلين: **"يسوع هذا الذي ارتفع عنكم"** لماذا؟ لقد ارتفع إلى السماء. والمسافة بينهم وبين السماء شاسعة، تعجز قدرة أبصارهم عن أن ترى جسدًا يرتفع إليها... لهذا فإن الملاكين وقفا بهم وأوضحا لهم حقيقة الصعود إلى السماء، حتى لا يظنوا أنه أُخذ إلى فوق حيث يوجد إيليا، بل بالحق صعد إلى السماوات. ولهذا السبب قيل لهم: **"هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء"**. لم يضف هذا القول بغير سبب. لكن إيليا أُخذ إلى فوق كما إلى السماء، لأنه خادم. أما يسوع فقد صعد إلى السماء (حيث العرش الإلهي) إذ هو الرب.

**واحد صعد في مركبة، والآخر في سحابة.**

عندما دُعى العبد أُرسلت إليه مركبة، أما الابن فإذ له العرش الإلهي، وليس أي عرش بل عرش أبيه، وقد جاء في إشعياء... "هوذا الرب راكب على سحابة" (إش١:١٩)...

إذ صعد إيليا سقط عنه رداءه لأليشع (٢ مل ١٣:٢)، وإذ صعد يسوع أرسل النعم لتلاميذه، لهم جميعًا، وليس لنبيٍ واحد، بل إلى أمثال أليشع كثيرين بل ومن هم أكثر من أليشع مجدًا.

لنقم أيها الإخوة المحبوبون، ولنرفع أعين نفوسنا تجاه ذاك الذي سيعود، إذ يقول لنا بولس: "لأن الرب نفسه بهتافٍ، بصوت رئيس ملائكة، وبوق اللّه ينزل من السماء... ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعًا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء" (١ تس ١٦:٤). ولكن ليس الكل (يتمتع بهذا) بل بعضنا يصعد إلى السماوات وآخرون يبقون...

اسمعوا ماذا يقول المسيح؟ "اثنتان تطحنان على الرحى. تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى" (مت ٤١:٢٤)...

فهل نحن أيضًا نصعد؟!...

وعندما أقول "نحن" أحسب نفسي لست (مستحقًا) أن أكون بين الذين يصعدون. لأنني لست هكذا بلا إحساس أو فهم حتى أتجاهل خطاياي. وإذ أخشى أن أتلف فرح هذا العيد المقدس، لهذا فإنني أبكي بدموع مرة عندما استرجع في ذهني هذه الكلمات وأتذكر خطاياي.

وإذ لا أريد أن أنزع فرح هذا العيد، فإنني أنهي عظتي تاركًا فرح هذا العيد يشع في أذهانكم دون أن يُحتجب، فلا يبتهج الغني كثيرًا بغناه، ولا يتضايق الفقير بسبب فقره، بل يصنع كل إنسان عمله أيا كان حسبما يمليه عليه ضميره.

لأن الإنسان السعيد ليس هو الغني، ولا الفقير إنسان بائس، بل بالأحرى مطوّب، ومثلث التطويبات، ذاك الذي يكون مستحقًا أن يصعد على السحاب ولو كان أفقر الجميع.

وهو بالحق بائس ومثلث البؤس، ذاك الذي يحسب مع المفقودين ولو كان أغنى من جميع الناس...[1]

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"وقالا أيها الرجال الجليليون،**

**ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟**

**إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء،**

**سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء" [١١].**

كان موطن التلاميذ هو الجليل، فلا نعجب إن دعاهم الملاكان جليليين.

ليس من منظر لحدثٍ في تاريخ البشرية يمكن أن يبهر الإنسان مثل صعود السيد المسيح على السحاب، يقابله تمامًا مجيئه على السحاب لكي يحمل معه كنيسته في موكب سماوي فائق، ويدخل بها إلى الأمجاد الأبدية.

**لماذا كانوا واقفين ينظرون إلى السماء؟**

١. كانت أعين الجميع شاخصة تتطلع إلى سيدهم الصاعد إلى السماء، ربما

---

[1] *In Ascensione PG 50.*

يترقبون في أعماقهم ماذا يحدث بعد ذلك. وقفوا في حيرة: ما هو دوره؟ وما هو دورهم هم بعد صعوده؟

٢. يرى البعض أنهم إذ كانوا يتحدثون مع السيد المسيح عن رد المُلك لإسرائيل ظنوا أنه قد حان الوقت لكي يملك ويخلص الشعب من الاستعمار، الآن إذ صعد أمامهم أصيبوا بحالة إحباط، بأنه لن يُرد الملك لإسرائيل.

٣. إذ سبق فأعلن لهم أنه يصعد إلى السماء ويعود، ربما ظنوا أنه بصعوده يعود فورًا، فكانوا يشخصون إليه مترقبين سرعة رجوعه.

٤. كان منظر صعوده بديعًا للغاية، وبدأت مظاهر المجد تنكشف، لهذا كان الحاضرون يشخصون إلى السماء وهو منطلق، وكأنهم يودون ألا يفارق هذا المنظر أعينهم. وذلك كما حدث في التجلي حيث طلب القديس بطرس: "جيد يا رب أن نكون هنا".

ظهرا بثياب بيضٍ ليحولا أنظار الحاضرين إلى الاستعداد لمجيء المسيح الأخير. تحدثا معهم كأن مجيئه يتم في خلال يومٍ أو أيامٍ، فإنه لا يشغل الملائكة الزمن بل اللقاء مع ربهم. لقد أرادوا أن يلتهب قلب الكنيسة شوقًا نحو مجيء عريسها، كأنه قادم في لحظاتٍ- وكما يقول الرسول: "إنها الساعة الأخيرة". ها قد عبر حوالي ألفين من السنين، ونحن بكل شوقٍ نترقب مجيئه كمن في اللحظات الأخيرة!

❖ "صعد الله بصراخٍ، الرب بصوت بوقٍ" (مز ٤٧: ٥). لأن الرب الذي تمم كل هذا يقول أنه صار أولاً إنسانًا، وطرح الطاغية إبليس المنتقم، عندئذ صعد إلى السماء مع الطغمات السماوية وطقوس الملائكة التي تتقدمه. الذين على الأرض يُقال لهم: "**إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء**" [١١]. أما الذين في العلا فيقولون: "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، ولترتفع الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد" (مز ٢٤: ٧)[1].

**الأب ثيؤدورت أسقف قورش**

---

[1] *Comment. on Ps. 47.*

❖ صعوده إلى السماء من الأرض، ومرة أخرى نزوله من السماء إلى الأرض، يعلنان عن طاقات دائرة جسمه[1].

❖ عندما صعد إلى السماء ثانية كان محمولاً نحو الشرق، وهكذا سجد له رسله. وهكذا سيأتي بنفس الطريق الذي رأوه فيه صاعدًا إلى السماء، كما قال الرب نفسه: "لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب، هكذا يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان" (مت ٢٤: ٢٧). هكذا إذ نتوقع مجيئه نعبده متجهين نحو الشرق. هذا التقليد الذي للرسل غير مكتوب، فإن أمورًا كثيرة تسلمناها بالتقليد غير المكتوب[2].

**الأب يوحنا الدمشقي**

بينما كان الحاضرون يتطلعون في دهشة إذا بملاكين يسحبان قلوبهم إلي مثل هذا المنظر حين يأتي السيد المسيح على السحاب كما علي المركبة الإلهية ليحمل فيها عروسه المقدسة، تنطلق معه إلي البيت السماوي، بيت الزوجية، لتعيش في الأحضان الإلهية.

❖ بعد ذلك اندهشوا أمام الحقيقة إذا رأوه صاعدًا، وفرحوا أنه صعد إلى السماء، لأن تقدم الرأس هو رجاء الأعضاء. علاوة علي هذا، فقد سمعوا الرسالة الملائكية: **"أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلي السماء؟ إن يسوع... سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء"**. ما معنى "سيأتي هكذا (بنفس الكيفية)؟ سيأتي في ذات الشكل، فيتم الكتاب: "وينظر إليه الذين طعنوه" (يو ١٩: ٣٧، زك ١٢: ١٠). سيأتى إلى البشر، سيأتي في شكلٍ بشريٍ، بل كإله متأنس. سيأتي بكونه الله الحقيقي والإنسان الحقيقي ليجعل من البشر أشبه بالله. لقد صعد كديانٍ إلى السماء. ليتنا نتبرر فلا نخشى الدينونة القادمة[3].

❖ بأية كيفية رأوه ذاهبا؟ رأوه صاعدًا بالجسد الذي لمسوه، وبالجراحات التي تأكدوا

---

[1] *Exposition of the Orthodox Faith, 4:1.*
[2] *Exposition of the Orthodox Faith, 12.*
[3] *Sermons, 265:1.*

منها بلمسها. صعد بهذا الجسد الذي به دخل إليهم وخرج لمدة أربعين يومًا، معلنًا لهم أنه جسد حقيقي وليس مزيفًا: ليس جسدًا خيالاً أو ظلاً أو روحًا، بل قال لهم بنفسه دون أن يخدعهم: "جسوني وانظروا، فإن الروح ليس له جسد ولا عظام كما ترونني" (لو ٢٤: ٣٩). الآن صار هذا الجسد مستحقًا السكنى في السماء، لا يخضع للموت ولا يشيخ خلال مرور الزمن. ليس كما نما إلى هذا السن من الطفولة يميل من الرجولة إلى الشيخوخة. إنما يبقى كما هو، صعد ليأتي إلى الذين يريد منهم أن يكرزوا بكلمته قبل مجيئه. هكذا سيأتي في شكلٍ بشريٍ. هذه الصورة سيراها الأشرار كما قيل: "سيبصرونه الذين طعنوه" (زك ١٢: ١٣). سوف لا يرون الله المخفي في الجسد، لكن بعد الدينونة يراه الذين هم على يمينه[1].

❖ يرونه في شكل إنسان الذي فيه حوكم وسيحاكم، ليتحقق القول النبوي: "ينظرون إلى الذين طعنوه" (زك ١٢: ١٠؛ يو ١٩: ٣٧). ولكن حين يذهب الأبرار إلى الحياة الأبدية نراه كما هو، لا نرى إدانة الأحياء والأموات، وإنما مكافأة الأحياء فقط[2].

**القديس أغسطينوس**

❖ إذ اقترب وقت نزوله، فكيف نصعد نحن؟ نصعد في كرامة. فعندما يسير ملك (بمركبته) في مدينة، يخرج الذين في كرامة ليستقبلوه، وأما الذين تحت الدينونة فينتظرون القاضي في الداخل. وعند مجيء أب حنون يصعد في مركبة أولاده الذين هم حقيقيون وأيضًا الذين يتأهلون لأن يكونوا أولاده لكي يروه ويقبلوه؛ أما الذين يقاومونه فيبقون في الداخل. إننا نُحمل بمركبة أبينا، فقد استقبله (الآب) وهو صاعد في السحاب، ونحن أيضًا نُؤخذ في السحاب. ألا ترون عظمة الكرامة؟ فكما نزل هو، ننطلق نحن لنلتقي به، وما هو أكثر تطويبًا من كل شيء، أننا سنكون معه[3].

**القديس يوحنا ذهبي الفم**

---

[1] *In Ioan., tr., 21:13.*
[2] *In Ioan., tr.,36:12.*
[3] *Hom. on Thess., hom. 8.*

يرى **البابا أثناسيوس الرسولي**[1] أن في هذا لتأكيد بأننا نعبد الرب المتجسد الصاعد هكذا، والذي سيأتي هكذا، إذ تعثر البعض في المسيح بسبب جسده.

**"حينئذ رجعوا إلى أورشليم من الجبل الذي يدعى جبل الزيتون،**
**الذي هو بالقرب من أورشليم على سفر سبت" [١٢].**

ألهب المنظر قلوبهم، فعادوا إلى أورشليم بفرحٍ عظيمٍ (لو ٢٤: ٥٢)، وكانت المسافة بين الجبل وأورشليم هي "**سفر سبت**"، أي حوالي كيلومتر واحد، تُدعى بالعبرية "تخوم السبت". يرى البعض أن سفر سبت وإن كان لم يحدده الناموس، لكن حسب التقليد اليهودي كانت هذه المسافة تعادل ٢٠٠٠ خطوة، لأنه لم يكن يُسمح لأحد أن يقيم حول الخيمة بأكثر من ٢٠٠٠ خطوة حتى يمكنه الذهاب إلى الخيمة للعبادة في يوم السبت. صار هذا تقليدًا خاصًا بمحلة إسرائيل. كما لم يكن يُسمح للاويين أن يسكنوا في مدن أبعد من ٢٠٠٠ خطوة من الهيكل لذات الغرض.

صعود السيد وهبهم فرحًا داخليًا، إذ بدأوا يدركون أن مملكة المسيح هي السماء، وحيث يملك هو يملكون معه. هذا الفرح الداخلي وهبهم قوة تتحدى كل الظروف، وكما قيل: "لأن فرح الرب هو قوتكم" (نح ٨: ١٠). صار كل ما يشغلهم أن يشهدوا له أمام العالم لكي يصير الكل "منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب" (٢ بط ٣: ١٢).

لم يسأل التلاميذ الملاكين عن موعد مجيئه ثانية، فقد اُمتصت أفكارهم في ذاك الصاعد إلى السماء، وأدركوا ما سبق فقاله المرتل عنه: "السحاب والظلام تحت قدميه" (مز ١٨: ٩؛ ٩٢: ٢). أدركوا أنه رب السماء. كما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [كملكٍ أظهر لهم المركبة الملوكية، هذه قد أُرسلت إليه[2].]

**"ولما دخلوا صعدوا إلى العلية التي كانوا يقيمون فيها،**
**بطرس ويعقوب ويوحنا**
**وأندراوس وفيلبس وتوما**

[1] *Epistles, 60 to Adelphium, 5.*
[2] *Hom. On Acts, Homily 2.*

**وبرثولماوس ومتى ويعقوب بن حلفى**

**وسمعان الغيور ويهوذا أخو يعقوب" [١٣].**

وردت قائمة التلاميذ الإثني عشر في متى ١٠: ٢ الخ؛ مر ٣: ١٦ الخ؛ لو ٦: ١٤ الخ).

**سمعان القانوي أو الغيور:** يقصد بالقانوي أنه كان من قانا، أما الغيور فلأنه يتبع جماعة الغيورين، وهي فئة كانت تنادي بالتحرر من الاستعمار الروماني للتمتع بالحرية باستخدام القوة. استمدوا فكرهم من فينحاس الغيور علي بيت الرب (عد ٢٥: ١٠-١٣). ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي أنهم ذوو صلة بثوداس الثائر (أع ٥: ٣٧) الذي رتب ثورة ضد الرومان سنة ٦ ميلادية. ومع فشل الثورة بقي إتباعه يحملون روحه الثائرة، وقد أثاروا فيما بعد ثورة عام ٦٦ انتهت بدخول تيطس أورشليم عام ٧٠م وحرق الهيكل وتدميره تمامًا.

كانوا يجتمعون معًا في العلية التي في بيت مريم أم القديس مرقس الرسول. ويبدو أن البيت كان متسعًا جدًا وأيضًا العلية، إذ قيل: **"كانوا يقيمون فيها"**. ربما كانت النسوة يُقِمْنَ في الدور الأسفل، بينما كان التلاميذ يقيمون في العلية. وعندما حلّ الروح القدس كريح عصفت بالبيت كله وملأته.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن التلاميذ لم يظهروا أية علامة للحزن عند صعود السيد المسيح كما حدث مع أليشع حين أُخذ سيده إلى السماء، إذ مزق ثوبه (٢ مل ٢: ١٢). بل يقول الإنجيلي لوقا: "فسجدوا له، ورجعوا إلى أورشليم بفرحٍ عظيمٍ، وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله" (لو ٢٤: ٥٢-٥٣). ولعل سرّ فرحهم قول الملاك: "**سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء**" [١١]. صعوده ورجاؤهم في المجيء الأخير له حول حياتهم إلى تسبيحٍ دائمٍ في هيكل الله.

**"هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفسٍ واحدة على الصلاة والطلبة،**

**مع النساء ومريم أم يسوع ومع اخوته" [١٤].**

جاءت كلمة **"يواظبون"** في اليونانية لا تعنى مجرد الانتظام، وإنما تعنى الغيرة المتقدة والإصرار على الانتظام بأمانة وإخلاص.

**"الصلاة والطلبة"**: غالبًا ما عنى بالصلاة هنا الصلوات الطقسية الخاصة بالسواعي، وما تضمنته من طلباتها الثماني عشرة، أو البركات "براكوت".

يكشف سفر الأعمال عن طبيعة الكنيسة أنها جماعة مقدسة دائمة الصلاة والطلبة بنفسٍ واحدة.

❖ هذا هو السلاح القوي في التجارب، وقد تدربوا (التلاميذ) عليه: الصلاة بنفس واحدة! حسنًا![1]

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

كانت الكنيسة تضم "النساء" دون تخصيص، اللواتي تبعنه من الجليل (لو ٨: ١-٣)، واللواتي كن معه عند الصليب وعند القبر (مت ٢٧: ٥٥-٥٦). يقول الإنجيلي: "وأخر كثيرات صعدن معه إلى أورشليم". (مر ١٥: ٤١)

"اخوته" كما يقول القديس جيروم إنهم أبناء خالته (مر ١٥: ٤٠).

## ٤. تكملة عدد التلاميذ

**"وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ،**
**وكان عدَّة أسماء معًا، نحو مائة وعشرين فقال:" [١٥].**

جاء تعبير "قام" في الكتاب المقدس ليشير ليس بالضرورة أنه وقف، وإنما اهتم بالقيام بعملٍ معينٍ.

**لماذا قام القديس بطرس بهذا الدور مع أنه لم يكن أسقفًا على أورشليم؟**

يرى البعض أنه قام بهذا الدور لأنه كان أكبرهم سنًا. ويرى آخرون لأنه كان بطبعه غيورًا، هذا ولم يكن يشغل أذهان التلاميذ من يكون متقدمًا فيهم.

تم اختيار التلميذ الثاني عشر عوض يهوذا في حضور وشركة الصعب كله (**نحو مائة وعشرين**).

❖ يجب أن يُختار الكاهن في حضرة وأمام أعين الكل، وأن يبرهن على أنه مستحق

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 2.*

ومؤهل بحكم عام وبشهادة جماعية، كما جاء في سفر العدد حيث قال الرب نفسه لموسى: "خذ هرون والعازار ابنه واصعد بهما إلى الجبل... أمام أعين كل الجماعة" (راجع عد ٢٠: ٢٥-٢٦). يأمر الله باختيار الكاهن في حضرة الجماعة كلها، بمعنى أنه يعلم ويظهر أن سيامة الكهنة يجب ألا تتم إلا بمعرفة الشعب القريب[١].

**الشهيد كبريانوس**

، أما ذكر العدد **"نحو مائة وعشرين"** فذلك لأنه بحسب التقليد اليهودي هو أصغر رقم لابد أن يتوفر لأية جماعة يهودية لتأخذ صفتها كجماعة لها حق تدبير ذاتها بذاتها. هذا لا يعني أنه لم يكن غيرهم مؤمنين بالسيد المسيح، وإنما هؤلاء فقط كانوا مجتمعين في العلية.

وقد دُعوا **"تلاميذ"** لأنهم كانوا يحسبون أنفسهم تلاميذ في مدرسة السيد المسيح.

وقف القديس بطرس الرسول يتحدث مع الجموع عن اختيار الله لتلميذٍ يحل محل يهوذا.

تساءل **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [لماذا لم يسألوا المسيح (قبل صعوده) ليقدم لهم شخصًا يحل محل يهوذا؟ ما قد حدث كان حسنًا، لأنهم كانوا مشغولين في أمورٍ أخرى. ثانيًا فإن حضور المسيح معهم هو أعظم برهان أنهم يستطيعون أن ينالوا هذا، كما اختار التلاميذ حين كان في وسطهم (أثناء خدمته على الأرض)، فإنه لا يزال يعمل أيضًا وهو غائب عنهم (بالجسد). هذا ليس بالأمر الهين في تقديم تعزية لهم[٢].]

❖ تطلعوا إلى وداعة يعقوب، فمع استلامه أسقفية أورشليم لم ينطق هنا بشيء. أيضًا لاحظوا وداعة الرسل الآخرين العظيمة، كيف أنهم خولوا له الكرسي، ولم يحاور الواحد الآخر، فقد **كانت الكنيسة كما في السماء**، لا تمارس شيئًا من أعمال العالم هذه، ولم تكن متألقة بالأسوار، ولا بالأعداد، بل بغيرتهم التي شكلت اجتماعهم، قيل

---

1 *Epistles, 67:4.*
2 *Hom. On Acts, Homily 2.*

أنهم كانوا نحو مائة وعشرين. السبعون شخصًا الذين اختارهم المسيح نفسه وآخرون من التلاميذ المتقدي الذهن جدًا مثل يوسف ومتياس [١٤]. وبينهم نساء كثيرات كما قيل عن اللواتي تبعنه (مر ١٥: ٤١)[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

في تعليق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على هذا الحدث يقارن بين ما حدث في ذلك الزمان وما يحدث في أيامه، ففي عصر الرسل لم تكن هناك مناقشة بين المختارين للعمل الرسولي أو الأسقفي، لأن الأسقفية هي قبول أحمال الآخرين وليست تمتعًا بكرامة وراحة.

❖ دعوني أقول: لماذا هذا الأمر صار موضوع منافسة؟

لأننا أتينا إلى الأسقفية ليس كعملٍ تدبيري واهتمام بالإخوة، وإنما كمركز للكرامة والراحة.

ألا تعلمون أن الأسقف يلزم أن ينتمي إلى الكل، لكي يحمل أثقال الجميع، فإن كان الآخرون غضبى يُغفر لهم، أما إن **غضب هو فلن يُغفر له**. فإن أخطأ الآخرون لهم أعذارهم، أما هو فليس له عذر.

ليتكم لا تشتاقوا إلى الكرامة، ولا تجروا وراءها. فإن الأمر هكذا: وهو أن الأسقف معرض لألسنة الجميع، ونقد الكل له، سواء كانوا حكماء أو أغبياء. كثيرون يسيئون إليه كل يوم، بل وكل ليلةٍ.

كثيرون يكرهونه وكثيرون يحسدونه. لا تتحدثوا معي عن (الأساقفة) الذين يطلبون نفعًا من الكل، الذين يرغبون في النوم، والذين يطلبون هذه الوظيفة للراحة. ليس لنا ما نتكلم به عن هؤلاء، إنما نتحدث عمن يسهرون على نفوسكم، ويحسبون سلام ونفع من هم تحت قيادتهم قبل سلامهم ونفعهم[2].

❖ **لست أظن أن كثيرين من بين الأساقفة يخلصون**، بل كثير جدًا منهم يهلكون، والسبب في هذا أن هذا العمل يتطلب ذهنًا عظيمًا... **إن هلاك نفس واحدة (من**

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 3.*
[2] *Hom. On Acts, Homily 3.*

رعاياه) تحمل عنها عقوبة لا يمكن للغةٍ أن تعبر عنها. فإن كان خلاص تلك النفس ذات قيمة عظيمة بهذا المقدار أن صار ابن الله إنسانًا واحتمل الكثير، تأملوا أية مرارة تكون عقوبة من يفقد هذه النفس. لا تقل إنها خطأ الكاهن أو الشماس. فإن الجريمة تقع لزامًا على رأس من سامهما[1].

❖ إن أخطأت كشخصٍ فإن عقوبتك ليست عظيمة هكذا كما إن أخطأت كأسقف، فإنك تهلك[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**~~"أيها الرجال الإخوة كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب~~**
**الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا،**
**الذي صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع" [١٦].**

قوله "**أيها الرجال الإخوة**" تعبير يُستخدم في الحديث إلى أشخاصٍ يحملون نوعًا من الجدية والوقار والاحترام، سواء كانوا رجالاً أو نساءً.

❖ يقول بطرس: "**أيها الرجال الإخوة**". فإن كان الرب قد دعاهم إخوة كم بالأكثر بطرس. إذ كان الكل حاضرين يقول: "**أيها الرجال**". انظروا كرامة الكنيسة، حالها الملائكي. لا يوجد تمييز بين "ذكر وأنثى". أود أن تكون الكنائس حاليًا هكذا. ليس من يشغل ذهنه أمر أرضي، ليس من بينهم من يفكر بقلقٍ من جهة الأمور العادية[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

الإشارة إلى النبوات الخاصة بخيانة يهوذا الإسخريوطي وقطعه وموته (مز ٤١: ٩) تشير إلى أن هذه الأحداث تمت بسماحٍ إلهي، وأنها أحداث لها خطورتها. كما تكشف عن انشغال الكنيسة منذ بدء انطلاقها بجميع نبوات العهد القديم.

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

---

[1] *Hom. On Acts, Homily 3.*
[2] *Hom. on Acts, Homily 3.*
[3] *Homilies on Acts, hom. 3.*

هنا يقدم لنا القديس بطرس طريق التعزيات الإلهية، أن ما حدث لم يكن جزافًا، بل سبق فأعلنت عنه النبوات. هكذا فإن التمتع بنبوات العهد القديم تعطي تعزية للنفس أن الإيمان الذي نعيشه حقيقة لا جدال فيها، لأن كل ما حدث إنما سبق فأعلن عنه الله بالأنبياء قبل مجيء السيد المسيح بمئات وأحيانا آلاف السنوات. يمكن للدارس أنه يتعرف بالروح على كل أحداث الخلاص من العهد القديم الذي كان ولا يزال في أيدي اليهود قبل مجيء المسيح. هذا بالنسبة لخطة الله الخلاصية للعالم كله، والتي من خلالها ندرك اهتمام الله بكل إنسانٍ فينا شخصيًا، ففي ذهن الله خطته نحوه لخلاصه ومجده!

❖ **"كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقاله".** إنه يعزيهم دائمًا بالنبوات، هكذا يفعل المسيح في كل المناسبات. هكذا يُظهر لهم بنفس الطريقة أن ما حدث ليس بالأمر الغريب، بل ما سبق فأخبر عنه[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

هذا هو سرّ تعزيتنا على مستوى العالم والكنيسة والشخص نفسه! هذا وما يعزينا أن الروح القدس نفسه هو قائد الكنيسة منذ بدء انطلاقها. لهذا لم يقل القديس بطرس: "قاله داود" بل **"الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود"**، فهو القائد الحقيقي عبر الأجيال حتى يحمل كنيسة الله سواء في العهد القديم أو الجديد إلى المجد الأبدي. يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على هذه العبارة بقوله: [ألا ترون أنه ليس بلا هدف قلت من البداية أن هذا العمل (السفر) هو سفر "قيادة الروح القدس"[2].]

كثيرًا ما يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على ما سجلته الأناجيل وسفر الأعمال عن يهوذا، فإن الإنجيليين وهنا أيضًا الرسول بطرس يتحدثون عنه مشيرين إلى الأحداث التي تمت والنبوات عنه دون تعليق باستخفاف من جانبهم. يقدم القديس بطرس الحقيقة مجردة، فلم يصفه كخائنٍ لسيده ولا كبائسٍ.

حديث الرسول هنا يؤكد أن ما كتبه داود النبي في المزامير كان بوحي

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 3.*
[2] *Homilies on Acts, hom. 3.*

الروح القدس.

❖ حيث يكون الكلمة يوجد أيضًا الروح... الروح غير منفصل عن الابن... عندما صار الكلمة إلى النبي، كان النبي يتكلم في الروح بالأمور التي أعطيت له من الكلمة، وهكذا كتب في سفر الأعمال عندما قال بطرس: "**أيها الإخوة، كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب، الذي سبق الروح القدس فقاله**" [١٦]. وفي زكريا عندما صار الكلمة إليه قيل: "لكن اقبل كلامي وفرائضي التي أوصي بها الأنبياء بروحي" (زك ١: ٦). وعندما كان يوبخ الشعب قال: "جعلوا قلبهم عنيدًا لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله الرب ضابط الكل بروحه على يد الأنبياء الأولين" (زك ٧: ١٢). وعندما تكلم المسيح في بولس- كما قال عن نفسه: " أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فيّ" (٢كو ١٣: ٣). فلم يكن أحد يمنحه القوى لكي يتكلم سوي الروح الذي عنده، لأنه هكذا يكتب: " حسب مؤازرة روح يسوع المسيح لي" (في ١: ١٩).

وأيضًا عندما تكلم فيه المسيح، قال: "غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة أن وثقًا وشدائد تنتظرني" (أع ٢٠: ٢٣). لأن الروح ليس خارج الكلمة، بل إذ هو الكلمة فهو في الله بالكلمة، وهكذا توهب المواهب الروحية في الثالوث[1].

❖ فعل الثالوث هو واحد، فالرسول لا يعني أن ما يُعطي (٢كو ١٣: ١٣) يعطي من كل واحد متنوعًا ومجزئًا، ولكن ما يُعطي إنما يُعطي في الثالوث والكل من إله واحد... لذلك حينما يكون الكلمة في الأنبياء فإنهم يتنبأون بالروح القدس. وحينما يقول الكتاب: "صارت كلمة الرب" (إر ١: ٢؛ مي ١: ١)، فهذا يوضح أنه يتنبأ بالروح القدس[2].

**البابا أثناسيوس الرسولي**

**"إذ كان معدودًا بيننا،**
**وصار له نصيب في هذه الخدمة" [١٧].**

---

[1] *On the Holy Spirit, 3:5.* ترجمة مركز دراسات الآباء بالقاهرة

[2] *On the Holy Spirit, 1: 33.* ترجمة مركز دراسات الآباء بالقاهرة

إختار ربنا يسوع المسيح يهوذا كرسولٍ (لو ٦: ١٣-١٦)، وحُسب واحدًا من الرسل، لكنه لم يكنْ مؤمنًا صادقًا في إيمانه. فقبل ممارسته لخيانة سيده دعاه الرب "شيطانًا" (يو ٦: ٧٠).

**كان السيد المسيح يعرفه تمام المعرفة، فلماذا اختاره رسولاً وسلمه أمانة الصندوق وهو يعلم أنه سارق ولص؟**

يرى البعض أن السيد المسيح اختار يهوذا مع علمه بما سيفعله، لأنه كان في ذلك الحين مستعدًا للإيمان بالسيد والتبعية له، أي فيه شيء من الصلاح. لم يحاسبه الرب على ما سيكون عليه، بل ما هو عليه في لحظات اختياره. هذا ويرى **القديس أغسطينوس** أن السيد المسيح اختاره ولم يدنه حتى لحظات الخيانة العملية ليعطي للكنيسة درسًا **ألا تنشغل كثيرًا بالمحاكمات، بل بالعمل الإيجابي للكرازة والخدمة وإعلان الحب**، لتعطي الفرصة حتى للخونة أن يرجعوا إلى الله بالتوبة إن أرادوا.

لقد سمح الله بوجود يهوذا بين التلاميذ، ولم يكشف عن شخصه كخائنٍ ولصٍ علانية حتى النهاية لكي ندرك أنه ليس فقط وسط المخدومين بل والخدام أنفسهم من هم ليسوا قمحًا بل زوان، وليس لنا أن نقتلع الزوان مادام مختفيًا وسط الحنطة حتى يحين الوقت اللائق باقتلاعه.

يسمح الله حتى للأشرار أن يعملوا، وهو إذ يقدس حرية الإنسان لن يلزمهم بالتوبة، فإن تابوا كان ذلك لبنيانهم ومجدهم، وإن أصروا على الشر يحول حتى شرهم لبنيان الكثيرين.

سمح أيضًا بوجود يهوذا بين التلاميذ لكي يعطي درسًا للأجيال كلها عن خطورة الطمع ومحبة المال حتى بين خدام الكلمة، فإنه ليس من خطية ارتكبها إنسان في التاريخ مثل يهوذا محب المال. وهي خطية قديمة سيطرت ولا تزال تسيطر على الكثيرين. حذرنا منها الله عندما دخل بشعبه إلى كنعان حيث أخفى عاخان الفضة والرداء ولسان الذهب، كاسرًا وصية الرب من أجل محبته للمال فهلك (يش ٧: ٢١)، وها هو يهوذا يخون سيده، وسيمون في سفر الأعمال يطلب أن يقتني مواهب الروح بالمال.

الكلمة اليونانية التي تُرجمت "**معدودًا**" معناها حصاة أو حجر صغير، إذ كان الحصى يُستخدم في العَدْ.

يدعو اختيار الشخص للخدمة "**تصيبًا**"، لأنه لا فضل للإنسان في اختياره خادمًا، بل هي نعمة الله التي تختار وتعمل فيمن تختارهم إن سلكوا بالأمانة في دعوتهم.

❖ يدعو (العمل الكرازي) في كل موضع "**تصيبًا**"، مظهرًا أن كل شيء هو من نعمة الله واختياره، مذكرًا إياهم بالعصور القديمة حيث اختار اللاويين في القديم نصيبًا له[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم،**
**وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط،**
**فانسكبت أحشاؤه كلها" [١٨].**

روى لنا الإنجيلي متى (٢٧: ٣-١٠) كيف رد يهوذا الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، شاعرًا بندامة أنه سلم دمًا بريئًا، لكن في غير رجاءٍ في الرب غافر الخطايا. أما هم فرفضوا استلامها، لأنهم حسبوا المال ملكًا له، ولعلهم رفضوا المال لأنه ثمن دمٍ بريء. وإذ طرحها في الهيكل اشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء. واعتبر القديس بطرس كأن يهوذا نفسه قام بشراء هذا الحقل. جاء في النسخة اليونانية لوستكوت وهورت عبارة: "**واقتنى حقلاً من أجرة الظلم**" بين قوسين، بكونها ليست حديثًا للقديس بطرس، بل هي تعليق للقديس لوقا كاتب سفر الأعمال.

ستر عليه السيد المسيح كل هذه السنوات، أما هو إذ لم يستر على نفسه بالرجوع إلى الله انفضح في العالم كما ينفضح في يوم الرب العظيم. انسكبت أحشاؤه الجسدية، وانفضحت أحشاء نفسه التي فسدت بالخيانة للرب نفسه.

**اختلفت آراء الكثير من الدارسين في موت يهوذا:**

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 3.*

١. الرأي السائد هو أن يهوذا قام بالانتحار شنقًا، لكن الحبل لم يحتمله بعد، فمن ثقل الجسد انقطع وسقط يهوذا على وجهه، وغالبًا على صخرة، فانشقت بطنه وانسكبت أحشاؤه!

٢. شنق نفسه في مزبلة، وبقي جثمانه حتى تعفن وانتفخت بطنه ثم انشقت أو جاءت الكلاب ونهشت بطنه المنتفخة لتأكل جثمانه.

٣. إذ ملأه اليأس والرعب ألقي بنفسه من سطح بيته فسقط أرضًا وانشقت بطنه.

٤. يرى لايتفوت Lightfoot أنه إذ دخله الشيطان طار به في الهواء وطوّح به، فسقط على الأرض وتمزقت بطنه.

٥. يرى Wakefield أنه من شدة الحزن مات مغلوبًا على أمره.

يفسر البعض موت يهوذا شنقًا وانسكاب أحشائه رمزيًا، بأن ذلك يشير إلى سقوطه من رتبته العلوية كرسول للسيد المسيح إلى أعماق الهاوية كخائنٍ للرب، ففقد مركزه وكرامته وصار في عارٍ وخزيٍ أمام الجميع كمن انسكبت أحشاؤه ليصير موضع ازدراء الكل.

"وصار ذلك معلومًا عند جميع سكان أورشليم،
حتى دُعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما،
أي حقل دم" [١٩].

يرى البعض أن يهوذا أراد أن يحمل صورة التقوى والحب حتى في أثناء مداولته للخيانة، فادعى أمام القيادات اليهودية أنه سيأخذ الفضة لا لنفسه بل لخدمة الغرباء، بشراء حقلٍ لدفن الغرباء. وإذ سلم الفضة للهيكل قاموا بتحقيق رغبته، وحسبوا كأنه هو الذي اشترى الحقل، لأنه من ماله.

لعل قادة اليهود نشروا خبر تسليم يهوذا للمال وشراء الحقل بين الشعب ليعلنوا أن يهوذا لم يطلب المال في تسليم سيده لأجل الطمع، وإنما لأجل الخدمة، وأنهم حققوا رغبته حتى بعد انتحاره.

دُعي الحقل "**حقل دم**" باللغة الكلدانية–السريانية Syro-Chaladic، وقد دُعي هكذا لأنه أُشتري بثمن حياة الرب أو سفك دمه بالصليب. وقد بقي هذا الاسم معروفًا يشهد عن جريمة الخيانة التي ارتكبها يهوذا إلى أجيالٍ كثيرةٍ.

**"لأنه مكتوب في سفر المزامير:**
**لتصر داره خرابًا،**
**ولا يكن فيها ساكن،**
**وليأخذ وظيفته آخر" [٢٠].**

ما ورد هنا جاء في المزمور ٦٩: ٢٥، ٢٨؛ ١٠٩: ٨. لم يذكره القديس بطرس كإدانة ليهوذا، ولا تشهيرًا به، وإنما يتحدث من باب الشعور بالمسئولية كقول السيد المسيح له: "وأنت متى رجعت ثبت إخوتك" (لو ٢٢: ٣٢)، فشعر بالتزام تكملة عدد التلاميذ الإثني عشر مقابل عدد أسباط العهد القديم (لو ٢٢: ٢٩-٣٠) "وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتًا، لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي، وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر".

جاءت النبوة عن يهوذا في مز ٦٩: ٢٥، ٢٨ بصيغة الجمع، لأنها لا تشير إلى يهوذا وحده، وإنما إلى كل الذين سلكوا معه ذات الطريق، وهم رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. وكأن ذلك ينطبق عليهم حيث حققت هذه الجماعة الخيانة ونُزِع عنهم العمل الكهنوتي والخدمة، وتوقف عملهم كمسئولين عن تدبير الهيكل أو بيت الرب الجديد.

صار هذا الحقل هو داره الذي أُشتري بماله الذي اقتناه بالخيانة لسيده، هذا الدار صار مقبرة تضم الغرباء من اليهود الذين يموتون في أورشليم. باسمه اشتروا هذا الدار المملوء خرابًا، والذي في ذهن **القديس يوحنا الذهبي الفم** مقدمة لما سيحل بأورشليم كلها، إذ صارت حقل دم، حيث دُمرت وصارت مقبرة لكثيرين من اليهود حين دخلها تيطس الروماني سنة ٧٠م.

جاءت كلمة "**وظيفته**" في اليونانية την επισκοπην "أسقفيته *episkopeen*"، وهي تعني "الإشراف".

**"فينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا معنا**
**كل الزمان الذي فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج" [٢١].**

**"منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنا،**
**يصير واحد منهم شاهدًا معنا بقيامته" [٢٢].**

**ما هي مؤهلات المختار للخدمة؟**

١.. أن يكون قد عاصر السيد المسيح وشاهد معموديته، ولازمه واستمع إليه واستنار بتعليمه.

٢. تعبير "**دخل وخرج**" يشير إلى المرافقة للشخص في كل أعمال الحياة. أن يكون قد رافق السيد المسيح حتى لحظات صلبه، واجتمع مع التلاميذ ورافقهم، فلا يكون اختياره مجرد تحقيق لعدد ١٢، بل قد تأهل عمليًا لهذا العمل الرسولي.

٣. بقوله: "**شاهدًا معنا بقيامته**" يركز القديس بطرس على تمتعه بخبرة القيامة مع المسيح التي بالحق غيرت مفاهيم المؤمنين وإمكانياتهم. وكما يقول القديس بطرس: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاءٍ حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات". (١ بط ١: ٣)

❖ لم يقل أن يكون شاهدًا للأعمال الأخرى بل للقيامة وحدها... لأن الأمور الأخرى كانت واضحة ومعروفة، أما القيامة فتمت في سرية، وأعلنت لهؤلاء فقط. إنهم لم يقولوا: قد أخبرتنا الملائكة، بل نحن نرى (نشهد). فقد كانوا في ذلك الوقت في حاجة ماسة أن يكونوا رجالاً يمكن تصديقهم لأنهم شاهدوا[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فأقاموا اثنين:**
**يوسف الذي يدعى برسابا الملقب يوستس، ومتياس" [٢٣].**

غالبًا ما اتسم الاثنان بالتعقل والحكمة والتقوى، وربما كانا أكبر من غيرهما سنًا، وكان يصعب التمييز بينهما، لهذا التجأوا إلى الله ليختار من بينهما، وذلك

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 3.*

**بالالتجاء إلى القرعة بعد الصلاة.**

هنا نلاحظ كيف أعطي الرب لكنيسته حرية اختيار الخدام على أساس الالتزام بالسمات اللائقة بهم.

"**يوسف الذي يُدعى بارسابا**"، أو باشابا، أي المولود يوم السبت أو ابن السبت أو ابن الشايب. يرى البعض أن بارسابا مشتقة من كلمتين سريانيتين: "بار" معناها ابن، وساباس Sabas ومعناها قسَم أو راحة أو هدوء أو سبي.

يظن البعض أنه ذات الشخص الوارد في أع ٤: ١٦ باسم برناباس، لكنه ليس من دليلٍ على ذلك. أما لايتفوت Lightfoot فيظن أنه ابن اليفوسَ Alpheus وأخ يعقوب الصغير، وأنه أُختير بحكم قرابته للسيد المسيح.

دُعي "يوستس"، وهو اسم لاتيني معناه "بار"، وربما دُعي هكذا بسبب استقامته.

يخبرنا **يوسابيوس القيصري** عن فيلبس الذي من صيدا أن بابياس يروي عن بنات فيلبس العذارى النبيات (أع ٢١: ٩) أن يوستس شرب سم ثعبان باسم ربنا يسوع ولم يُصب بسوء، متحديًا بعض جاحدي الإيمان، معتمدًا على قول السيد: "وإن شربوا سمًا مميتًا لا يضرهم" (مر ١٦: ١٨).

"**متياس**" تعني "عطية الله". لا يُعرف شيء عن عائلته أو شخصيته سوى أنه شارك الرسل أتعابهم واحتمال الاضطهادات، ونال بركة الكرازة بالإنجيل. بحسب **يوسابيوس القيصري** هو أحد السبعين الذين اختارهم السيد المسيح. قام بالتبشير في أثيوبيا[١].

يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على ذكر متياس بعد يوسف الذي يُدعى بارسابا، قائلاً: [ليس بدون سبب ذُكر متياس في الآخر، فقد أراد أن يظهر أنه غالبًا من هو مكرم من الناس يكون الأقل عند الله[٢].]

---

[1] *H.E. 3:39.*

[2] ***Homilies on Acts, hom. 3.***

**"صلوا قائلين:**

**أيها الرب العارف قلوب الجميع،**

**عيِّن أنت من هذين الاثنين، أيا اخترته" [٢٤].**

ألقوا القرعة ليس بلا تمييز، إنما بعد اختيار حتى لم يعد ممكنًا تمييز أحدهما عن الآخر، فالتجأوا بروح الصلاة إلى الله الفاحص القلوب ليختار من يراه صالحًا للعمل. فحص القلوب خاص بالله وحده. "أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى" (إر ١٧: ١٠؛ راجع مز ١٣٩: ١، ٢٣؛ أي ٢٨: ٩)، وقد وُصف ربنا يسوع المسيح بذات هذه السمة الإلهية الخاصة به وحده: "فستعرف جميع الكنائس إني أنا هو الفاحص الكلى والقلوب" (رؤ ٢: ٢٣).

يرى البعض أن هذا التصرف، وقد كان مستخدمًا في العهد القديم، توقف بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين، حيث يتدخل في حياة الكنيسة لمعرفة مشورة الله، كما جاء في فرز برنابا وشاول للخدمة بين الأمم (أع ١٣: ٢-٣).

**"أيها الرب":** بعد الصلب اعتاد التلاميذ أن يوجهوا الحديث إلى السيد المسيح بكونه: "الرب" أو "الإله" دون تمييز بين اللقبين (أع ١: ٦؛ ٧: ٥٩؛ يو ٢٠: ٢٨).

**"ليأخذ قرعة هذه الخدمة،**

**والرسالة التي تعداها يهوذا ليذهب إلى مكانه" [٢٥].**

تخلى يهوذا عن خدمته منحدرًا إلى الهلاك، واحتل متياس موضعه ليتمتع بخدمة المجد.

جاءت كلمة "قرعة" Κληρον Τον في النسخ القبطية والفولجاتا و Bezae "موضع"، أو يحتل مركزه الرسولي.

**"ليذهب إلى مكانه":** إذ اشترى يهوذا "حقل دم"، أو اشتراه رؤساء الكهنة والفريسيون باسمه، ترك يهوذا مركزه الرسولي لكي يذهب إلى الموضع الذي اشتراه بمال الخيانة والغدر. ويرى البعض أن كلمة "مكانه" هنا تشير إلى مركزه السابق؛ فحين أُختير رسولاً ترك مكانه بين أسرته ليكون عضوًا في الأسرة الإلهية، أما وقد

مارس الخيانة بإرادته عاد إلى أسرته ومعارفه وأصدقائه القدامى. ويرى فريق ثالث أن تعبير **"ليذهب إلى مكانه"** تعبير شائع يشير إلى الموت حيث يذهب الشخص إلى موضعه الأخير، سواء في الفردوس مع المسيح أو في الجحيم مع إبليس إلى يوم الرب العظيم.

لذلك جاء في التفسير اليهودي القديم[1] للعبارة "وانطلق (بلعام) ورجع إلى مكانه" (عد ٢٤: ٢٥) أنه رجع إلى جهنم مصيره.

وجاء في الترجوم Targum أو إعادة الصياغة الكلدانية للعبارة الواردة في جا ٦: ٦: "وإن صارت أيام إنسان ٢٠٠٠ عامًا دون أن يدرس الناموس ويمارس العدل، ففي يوم موته تنزل نفسه إلى الهاوية، **الموضع الذي يذهب إليه كل الخطاة"**.
وجاء في رسالة **القديس أغناطيوس** أسقف أنطاكية إلى أهل ماغنسيا Magnesians: [لما كان لكل شيء نهاية فإن الأمرين: الموت والحياة يستلقيان معًا، ويذهب كل واحدٍ إلي موضعه.]

هكذا ذهب يهوذا إلى الموضع اللائق به كطمَّاع وخائن، إذ ليس له موضع في كنيسة المسيح هنا وفي الفردوس حيث السيد المسيح.

بالقول **"مكانه"** يكشف الكتاب المقدس عن عجز الأشرار عن الشكوى فإنهم يذهبون إلى الموضع الذي اختاروه واللائق بشخصياتهم، إذ لا يستطيعون أن يعبروا إلى السماء، حيث ليس لهم موضع فيها.

❖ **"ذهب إلى مكانه"** [٢٥]... إذ اختار هذا الشرّير أن يكون خاطئًا، فعل ما أراد، ونال ما لم يرد. في هذا فعل ما أراده، كُشفت خطيته، فاحتمل بهذا ما لم يرده، تدبير اللَّه الممدوح! [٢]

**القديس أغسطينوس**

**"ثم ألقوا قرعتهم،**

---

[1] *Jewish Tract, Baal Turim*
[2] *Sermons on N.T. Lessons, 75:5.*

**فوقعت القرعة على متياس،**

**فحُسب مع الأحد عشر رسولاً" [٢٦].**

لم يكن موت يهوذا هو علة الشعور بالحاجة لملء وظيفته الرسولية، فقد استشهد يعقوب الرسول بسيف هيرودس، ولم يجتمع التلاميذ لانتخاب رسول عوضًا عنه، لكن سقوط يهوذا عن الرسولية وخيانته أنشأ الحاجة إلى ذلك.

لا نعرف بالتدقيق كيف تمت القرعة ψηφό، لكن عادة ما كانوا يأتوا بقطعتين من الخشب أو المعدن أو الرق ويُكتب اسم كل شخص على احداهما ثم يضعونها في جرة، وتُقدم صلوات وتقدمات، ثم يضع شخص ما يده ليسحب إحدى القطعتين ليكون ذلك من قبل الله.

هذا وإن تكملة رقم ١٢ للرسل لم يكن من باب تكملة عدد، وإنما لأن رقم ١٢ في العهدين القديم والجديد يشير إلى ملكوت الله على الأرض، حيث يملك الثالوث القدوس (٣) على جهات المسكونة الأربع (٤)، فالمحصلة هي رقم ١٢.

- بقي العدد مقدسًا، يحوي العدد ١٢، لأنه كان ينبغي أن يعلنوا عن الثالوث في كل العالم، أي خلال أربعة أركان العالم. هذا هو السبب: ثلاثة في أربع مرات. قطع يهوذا نفسه، لكن لم يفقد الرقم قدسيته. لقد ترك معلمه، وعين الرب من يحل محله[1].

**القديس أغسطينوس**

ويرى **القديس أغسطينوس** أن السيد المسيح كنورٍ للعالم يُرمز إليه بالنهار، والتلاميذ كأبناء النهار يُرمز إليهم بالاثني عشر ساعة للنهار. فالمسيح، اليوم أو النور، حال وسط الاثني عشر ساعة. لقد صار يهوذا ظلامًا فأُستبعد من الاثنى عشر ساعة ليحل محله متياس[2].

**يقول القديس يوحنا الذهبي الفم** انه إذ عين الله متياس لم ينزعج يوسف برسابا، ولا تضايق. فإن لكل عضو موهبته وعمله، **فعدم اختياره لم يفقده دوره في**

[1] *In Ioan., tr., 27:10.*
[2] *In Ioan., tr.,49:8.*

**العمل**. يكشف القديس يوحنا الذهبي الفم عن مرارة نفسه لمفهوم الأسقفية في عهده حيث توجد منافسة، إذ يراها البعض سلطة وكرامة فيجرون إليها، عوض إدراكه أن الأسقفية هي قبوله أثقال الآخرين واحتمال نقد الكل، الحكماء والأغنياء، وأن يهتم بكل أحدٍ نهارًا وليلاً وأنه موضع كراهية الكثيرين وحسدهم.

**يتساءل البعض: كيف سقط يهوذا في خيانة سيده وقد أدرك قوته الإلهية وسلطانه، وكان بين يديه الصندوق يسرق منه دون رقيب يحاسبه؟**

يقدم الدارسون تعليلات كثيرة منها:

١. كان يهوذا كسائر التلاميذ والرسل حتى بعد قيامة السيد بل وحتى لحظات صعوده يتوقعون قيام مملكة زمنية، وإذ تحقق يهوذا بأن يسوع يرفض تمامًا أن يصير ملكًا حتى إن أجمع رأي الجماهير على ذلك، لذلك ضاعت كل أمنيات يهوذا هباءً.

٢. كإنسانٍ محبٍ للمال لم يكن من الصعب على رؤساء الكهنة والفريسيين أن يستميلوه بالفضة لخيانة سيده.

٣. لعله إذ كان يدرك سلطان سيده ظن أنه يأخذ الرشوة وينتفع بها بينما لن يستطيع أحد أن يقبض عليه أو يؤذيه، ولن يغلبه الموت. حقًا إنه يرشد عليه، لكن حتمًا سيتخلص السيد من أيديهم.

## الإعداد الدائم لقيام الكنيسة ونموّها

بعد استعراضنا لما ورد في هذا الاصحاح يمكننا أن نوجز أن السيّد المسيح قد أعدّ تلاميذ ورسله ومن هم حوله لميلاد الكنيسة، ليصيروا هم كنيسته المقدّسة. هذا الإعداد ليس حدثًا تاريخيًا عبر مع الزمن، لكنّه إعداد وخبرة يوميّة يليق بالكنيسة أن تعيشها لكي تبقى أمًا ولودًا، تنمو على الدوام حتى تصير أيقونة مسيحها، وتضم كل يوم الذين يخلصون حتى مجيء الرب الأخير. هذا الإعداد كما رأينا هو الآتي:

١. نحمل مسيحنا الذي **يعمل ويعلّم** [١]، فنشاركه هذه السمة، مترجمين إيماننا إلى عمل محبّة وشهادة عمليّة صادقة عن عذوبة الخلاص.

٢. نراه مع تلاميذه ونتلامس معه كل يوم خلال حياتنا الزمنيّة (الأربعين يومًا)، فنعلن

عن يقين أنّه حيٌ فينا، ببراهين عمليّة صادقة [٣].

٣. **نتجاوب مع روحه القدّوس، عطيّته العظمى، بل واهب العطايا، ننناه في مياه المعموديّة ومسحة الميرون [٥]، لكي يقودنا كل أيام غربتنا في حياتنا اليوميّة وشهادتنا لمسيحنا أمام الكثيرين.**

٤. **ألا ننشغل بالمعرفة الباطلة**، كالبحث عن الأزمنة والأوقات، بل نطلب القوة والسلطان الموهوب لنا لنحيا بروح القوّة لا الفشل والضعف [٧-٨].

٥. **لا يفارقنا منظر صعود مسيحنا الفريد**، الذي يبهج قلوبنا ويرفعها إلى حضن الاب السماوي، مترقّبين بشوقٍ عظيم مجيئه الأخير على السحاب، ليحملنا بكل كياننا إلى المجد الأبدي [٩-١١].

٦. **ممارسة الحياة الكنسية** كما في العليّة مع التلاميذ وكل الشعب، لا نكف عن الصلاة بنفسٍ واحدةٍ [١٣-١٤].

٧. الطلب المستمر من اللّه **أن يرسل خدّامًا شهودًا لقيامته**، كما اختار متياس لينضم إلى الأحد عشر رسولاً [٢٤-٢٦].

## من وحي أعمال الرسل ١

### هل من بداية جديدة؟

❖ قدم لنا رسولك لوقا قصة بداية انطلاق كنيستك.
ومع كل صباح نرى في هذا السفر بدء انطلاق كنيستك.
مع أنها قديمة لكنها تبقى دومًا جديدة.
تصرخ كل يوم: لنبدأ بدأ حسنًا!

❖ حديثك عن أمور الملكوت ممتع ولذيذ،
لأنه هو إعلان عن شخصك، يا كلي الحب.
أنت هو الملكوت بعينه، وبدونك ليس من ملكوت.

❖ تعدني ألاَّ أبرح أورشليم حتى ألبس قوة من الأعالي.
حققت وعدك، ووهبتني روحك النور والناري.
روحك يجعلني مصباحًا لا ينطفئ، ونارًا آكلة!
لن تستريح نفسي حتى أرى كل بشرٍ في أحضانك.

❖ لأخرج معك إلى جبل الزيتون.
يا له من منظر عجيب أن أراك ترتفع إلى السماء!
ليس للجاذبية الأرضية أثر على جسدك القائم من الأموات.
هوذا السماء بكل قواتها تترقب بفرح صعودك.
لتحمل قلبي معك،
فبه أرى عرشك،
وأدرك أسرار مجدك.
قلبي مستعد يا الله، قلبي مستعد.
أرفعه معك، فيرتفع كل كياني أيضًا ليكون معك!

❖ ها أنت في السماء مشغول بخلاص العالم كله،
ورسلك على الأرض مهتمون بالشهادة لك!

أنت مشغول بنا، ونحن مشغولون بك يا مخلص الجميع.

❖ طوبى لرسولك بطرس، وطوبى لكل الرسل الذين هو بينهم.
بقلبه الملتهب غيرة يطلب من يحمل نصيب يهوذا.
سأل لا بروح الرئاسة ولا السلطة،
بل بروح الحب وشهوة الخدمة والكرازة.
طوبى لإخوته، لأنه لم يتسلل إليهم فكر حسد،
ولكن بروح التواضع سلك الكل معًا!
ليس من يشتهي كرامة، ولا من يطلب مجدًا زمنيًا!
فالكل أعضاء في جسدٍ واحدٍ لك، يا أيها الرأس السماوي!

❖ إني في حيرة: هل أطوِّب متياس الذي اخترته رسولاً،
أم أطوِّب يوسف برسابا الذي تهلل باختيار زميله؟
طوباهما معًا، لأنهما شاهدان بالحق لقيامة الرب!
طوباك يا متياس من أجل جهادك كرسول.
وطوباك يا يوسف من أجل جهادك في الوزنات التي أعطاها لك الله.

❖ والآن استمع يا رب إلى طلبتي.
لنبدأ بدأ حسنًا مع كل صباحٍ جديد:
نصغي دومًا إلى أحاديثك السرية في القلب،
نثق في وعدك بعمل روحك الناري فينا،
تثبت نظراتنا دومًا على صعودك المفرح،
نبحث مع رسلك عن خدام ملتهبين بالروح،
وأخيرًا لن نستريح حتى نرى العالم قد صار سماءً!

## الأصحاح الثاني

# ميلاد الكنيسة في يوم البنطقستي

في الأصحاح الأول قدم لنا الإنجيلي لوقا صورة حية عن الإعداد لميلاد كنيسة العهد الجديد خلال أحاديث السيد المسيح القائم من الأموات عن ملكوت الله، ووعده لهم بنوالهم قوة من الأعالي، ثم صعوده لتدرك الكنيسة طبيعتها الجديدة باتحادها مع السماوي، وإلهاب قلوب المؤمنين نحو مجيء السيد المسيح الأخير، وأخيرًا اختيار التلميذ الثاني عشر عوض يهوذا الخائن. الآن يقدم لنا مشهدًا رائعًا حقيقيًا لميلاد الكنيسة في يوم البنطقستي أو الخمسين، إذ نال التلاميذ العماد بالروح القدس، وصار للكنيسة القائد السماوي، الروح القدس المعزي الذي يهب البشر تجديدًا في طبيعتهم، لكي يحملوا أيقونة العريس السماوي، ويتمتعوا بعلاقات جديدة فائقة مع الثالوث القدوس.

**١. لقاء جماعي** ١.

**٢. حلول الروح القدس** ٢-٤.

**٣. موقف الحاضرين** ٥-١٣.

**٤. خطاب بطرس للشعب** ١٤-٣٦.

**٥. جاذبية الروح القدس** ٣٧-٤١.

**٦. كنيسة روحية متهللة** ٤٢-٤٦.

**٧. كنيسة ولود** ٤٧.

### ١. لقاء جماعي

**"ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معًا بنفس واحدة". [١]**

جاء النص اليوناني يعني: **"لما اكتمل يوم الخمسين"**، أي لما بلغ الزمن إلى يوم الخمسين، أي بعد سبعة أسابيع حيث يأتي يوم الخمسين، ويسمى "عيد الأسابيع" (سبوعات) أو "عيد الباكورات" حيث يُقدم بكور القمح، يُحتفل به في اليوم الخمسين من

أول يوم بعد عيد الفصح[1].

يُدعى البنطقستي πεντηκοστη مشتقة من πεντηκοντα ومعناها خمسون، ورد في لا ٢٣: ١٥-٢٢؛ خر ٣٤: ٢٢؛ تث ١٦: ١٠. وباسم عيد الباكورات في عد ٢٨: ٢٦؛ خر ٢٣: ١٦، وهو عيد شكر لله على بركة الحصاد. مؤخرًا حسبه اليهود يوم نزول الشريعة في سيناء في اليوم الخمسين من خروجهم من مصر. لهذا يدعونه *shimchath torah*، أي فرح التوراة. كما يعتبرونه تذكارًا للعجائب التي صنعها الله معهم ليحررهم من عبودية فرعون. يرى لايتفوت Lightfoot أن الروح القدس حلّ على التلاميذ في مناسبة نزول الشريعة على جبل سيناء منذ ١٤٤٧ عامًا.

كان اليهود يعتزون بهذا العيد، بكونه يومًا فريدًا، احتفلت به الطبيعة نفسها حيث هبوب الريح وظهور النار والزلازل والبرق والرعود تكشف عن جبروت الله وحضوره المهيب في وسط شعبه.

حلّ الروح القدس في يوم عيدٍ له قدسيته عند اليهود والدخلاء، حيث يحتفل به جمهور عظيم من كل الدول، حتى إذ يُسمع عنه في أورشليم يسرع الكل ويصير من بينهم شهود يقبلون الإيمان ويعودون إلى الدول التي يعيشون فيها يكرزون بالحق الإنجيلي.

وقد حلّ الروح القدس في اليوم الأول من الأسبوع "الأحد" ليكون هذا اليوم هو السبت الجديد، الذي فيه قام السيد المسيح، وفيه تم ميلاد الكنيسة. فمع كل عبادة أسبوعية نتذكر في سرّ الإفخارستيا الحياة الجديدة المقامة التي صارت لنا بقيامة السيد المسيح بعمل روحه القدوس.

إذ حلّ الروح القدس على كنيسة العهد الجديد في اليوم الخمسين من قيامة السيد المسيح، صار هذا العيد إعلانًا عن حضور الروح القدس الدائم في وسط كنيسة المسيح، يهبها طاقاته الإلهية للشهادة للسيد المسيح، وليتمتع العالم بخبرة الحياة المقامة.

---

[1] راجع تفسير اللاويين ص ٢٣.

في عيد البنطقستي اليهودي كان الشعب يعتز بنزول الشريعة على موسى حيث اهتزت الطبيعة أمام هذا التنازل الإلهي، أما في عيد البنطقستي المسيحي فيقف العالم في دهشة حيث ينزل روح الله القدوس نفسه على الكنيسة، فتهتز طبيعة الإنسان الداخلي، ويتقبل كلمة الله منقوشة، لا على لوحين حجريين، بل على القلب وفي أعماق النفس. يسجلها الروح القدس، فيحول القلب الحجري إلى ملكوت إلهي سماوي، لا لتقف الطبيعة الجامدة في دهشة، بل يقف السمائيون في تهليل وبهجة أمام العمل الإلهي الفائق.

إذ تحقق ميلاد الكنيسة في يوم عيد الخمسين تقدست كل الأيام لكي يتمتع المؤمن بالعماد أو الميلاد الجديد أو الإتحاد بالكنيسة في أي يومٍ دون تمييز بين الأيام، إذ صارت أيامنا كلها عيدًا لا ينقطع. وقد منعت الكنيسة نذر عماد طفلٍ ما في كنيسةٍ معينة أو بواسطة كاهنٍ معين.

❖ عندما يقول ارميا: أجمعهم معًا من أقاصي الأرض إلى يوم عيد (إر ٣٨: ٨) يعني عيد الفصح والبنطقستي، الذي هو بحق يوم عيد. **على أي الأحوال كل يوم هو للرب، كل ساعة، وكل وقت مناسب للعماد.** إن وجد اختلاف في التكريم لليوم لكن لا يوجد تمييز في النعمة[1].

**العلامة ترتليان**

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن كلمة "**الجميع**" تشير إلى المائة والعشرين. إذ يقول [هل حلّ على الإثنى عشر؟ ليس كذلك، بل على المائة وعشرين، فإنه ما كان لبطرس أن يقتبس شهادة النبي بلا هدف، قائلاً: "يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة إني أسكب من روحي **على كل بشر**، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلامًا" (أع ٢: ١٧، يوئيل ٢: ٢٨). "وامتلأ الجميع من الروح القدس" (أع ٢: ٤)[2].]

ويرى البعض أن كلمة "**الجميع**" جاءت بعد اختيار التلميذ الثاني عشر، مما

---

[1] *On Baptism, 19.*
[2] *Homilies on Acts, hom. 4.*

يوضح أنها لا تعني هنا المائة والعشرين بل الإثني عشر. وقد تم اختيار التلميذ الثاني عشر قبل حلول الروح القدس، لأن الكنيسة ممثلة في الإثني عشر تستقبل الروح القدس وتتمتع بالمعمودية الأولى، كقول السيد المسيح لتلاميذه: "فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير" (أع ١: ٥). أما ما ورد في سفر يوئيل عن حلول الروح القدس على العبيد والإماء والشيوخ والشباب، فهذا حق، تم خلال الرسل، وليس من السماء مباشرة كما حدث مع الإثني عشر. فإنه حتى مع ظهور السيد المسيح لشاول الطرسوسي والدخول في حوار معه لم ينل حلول الروح القدس مباشرة من السماء، بل من خلال الكنيسة، حيث وجهه السيد المسيح إلى حنانيا.

الحالة الوحيدة الشاذة هي حالة حلول الروح القدس على كرنيليوس وأهل بيته أثناء صلاة القديس بطرس، وذلك لكي يعلن الله انفتاح أبواب السماء على الأمم لقبول الإيمان بالسيد المسيح.

**"كان الجميع معًا بنفسٍ واحدةٍ"**، فقد حملوا غيرة متقدة نحو هدفٍ واحدٍ ورغبةٍ واحدةٍ، فكان الكل ملتهبين في الداخل نحو تحقيق وعد السيد المسيح بنوال قوة من الأعالي (أع ١: ٨).

## ٢. حلول الروح القدس

**"وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة،**

**وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين". [٢]**

كان التلاميذ يترقبون تحقيق الوعد الإلهي بحلول الروح القدس عليهم ليهبهم قوة من الأعالي، لكن يبدو أنهم لم يكونوا يتوقعون حلوله خلال هذه المظاهر، لذلك كان الأمر مفاجئًا لهم: **"وصار بغتة"**. تم الحلول هكذا لكي لا يفارق هذا الحدث أذهان التلاميذ، ولا يغرب عن عيني الكنيسة عبر كل الأجيال، لأنه حدث يمس كيانها كله ووجودها أو عدمه.

**لم تكن ريحًا طبيعية**، لكن صوتًا من السماء ملأ كل البيت، سمعه كل من في البيت، وأدركوا أنه من السماء. لعله كان صوت رعدٍ يبشر بالحضرة الإلهية.

يرى القديس مار أفرآم السرياني أنه قد صاحب الصوت السماوي رائحة عطرة، وأن الصوت لم يعبر من حجرة إلى حجرة، بل أدرك الكل أنه صوت صادر من السماء يملأ الكل دفعة واحدة. ملأ الروح القدس المكان ليدشنه، مقدسًا الحاضرين كنيسة مقدسة للمسيح. لم يملأ الصوت فقط الحجرة التي كان التلاميذ مجتمعين فيها للصلاة، إنما البيت كله. وكان للحدث صداه على مستوى المدينة كلها، ففي فترة قصيرة تجمعت جماهير كثيرة، كانوا قادمين إلى أورشليم للعيد.

وكما هيأت الزلزلة والنار قلب إيليا للتمتع بالحضرة الإلهية والدخول في حوارٍ مع الله أثناء الريح الهادئ (١ مل ٩: ١١ الخ.)، هكذا أعلنت هذه الظواهر عن حلول الروح القدس وميلاد كنيسة المسيح واستقراره فيها.

هكذا بنفس الكيفية عند مجيء السيد المسيح الأخير على السحاب ليدين المسكونة يصاحب مجيئه صوت بوق عظيم يهز كيان الأشرار ويُفرّح قلوب المؤمنين.

كأن ذاك الذي يجلب الرياح من مخازنه (مز ١٣٥: ٧)، ويجمعها في يده (أم ٣٠: ٤) يصرخ بصوتٍ عالٍ: اقبلوا روحي القدوس! لقد سبق فأعلن ناحوم النبي: "الرب في الزوبعة، وفي العاصف طريقه، السحاب غبار رجليه" (نا ١: ٣)، وتحدث الرب مع أيوب من العاصفة (أي ٣٨: ١). هذا هو الرب نفسه، حاضر ليسكن في قلوب البشر!

هنا ينقلنا القديس غريغوريوس النيسي إلى سفر النشيد حيث يرى في ريح الجنوب الدافئة، وليس ريح الشمال الباردة، رمزًا لعطية الروح القدس الذي يلهب النفس بدفء الروح.

في منطقة الشرق الأوسط يخشى الناس، خاصة أصحاب الحقول، الريح الشمالية لأنها باردة، إن اشتدت تقضي على الزراعة تمامًا، بينما يطلبون الريح الجنوبية القادمة من خط الاستواء فهي دافئة تساعد على نضوج المحاصيل. في سفر النشيد تطلب العروس من ريح الجنوب أن تهب على جنتها (نش ٤: ١٦)، وإذ تهب الريح التي هي الروح القدس في الحال تدعو جنتها جنة عريسها (نش ٥: ١٦)، فعمل

الروح القدس هو أن يحول قلوبنا إلى ملكية العريس السماوي، فتصير جنته. يرى العريس آلام عروسه آلامه، وثمار الروح فيها ثمره، وبفرح يقبل دعوتها لكي يدخل إلى جنته يأكل ويشرب، بل ويدعو أصدقاءه، الطغمات السمائية، ليفرحوا معه بجنته التي غرستها يمينه ويسقيها بروحه القدوس (نش ٥: ١).

❖ "تعالي يا ريح الجنوب، هبي على جنتي فتقطر أطيابها" (نش ٤: ١٦ LXX)...

أصابت الملكة (الكنيسة العروس) حين أمرت بسلطانها دفع ريح الشمال بعيدًا، ونادت على ريح منتصف النهار الدافئ الذي تسميه ريح الجنوب، وبواسطته يفيض تيار جارف من السرور: "تعالي يا ريح الجنوب، هبي على جنتي فتقطر أطيابها". إنها تشبه الريح القوية التي سُمعت في العلية عندما كان التلاميذ فيها (أع ٢:٢) "**وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم.**" وكأنهم نباتات حية، تساعد هذه الريح حديقة اللّه على إنتاج الأعشاب العطرة، وإصدار نبوات تفوح منها روائح زكية ووصايا الخلاص للإيمان بفم الرسل، ويخرج منها عطر تعاليمهم بكل اللغات. لقد جعلت ريح الجنوب هذه تعاليم المائة والعشرين تلميذاً الذين كانوا مغروسين في بيت الرب تفيض على كل أمم الأرض (أع ١٥:١).

الآن تقول العروس لريح الجنوب: "هبي على جنتي"، لأن عريسها جعلها أمًا للحدائق. ويشمل النص حدائق وينبوع. من أجل هذا يرغب العريس لحديقته، الكنيسة، التي تمتلئ بالأشجار الحيّة، أن تهب عليها هذه الريح، لكي تحمل منها روائح عطورها. ويقول النبي: "الريح العاصفة الصانعة كلمته" (مز ١٤٨:٨).

تزينت العروس بزينة الملكة البهية، وغيّرت النهيرات التي تفيض عطرًا إلى ما هو أكثر جمالاً، فجعلتها تفيض من أشجار الحدائق بواسطة قوة الروح القدس. ويمكننا بهذه الصورة أن نتعلم الفرق بين العهدين القديم والجديد. **يمتلئ نهر النبوة بالمياه، بينما تمتلئ أنهار الإنجيل بالعطر.** كان نهر القديس بولس يحمل رائحة المسيح العطرة، ويفيض من حديقة الكنيسة بواسطة الروح القدس. والأمثلة الأخرى كيوحنا، ولوقا ومتى ومرقس وجميع الرسل الآخرين كلهم يرمزون إلى نباتات ثمينة في حديقة العروس، عندما تهب عليها ريح الجنوب في منتصف

الظهيرة تصيِّرهم جميعًا ينابيع عطور لرائحة الأناجيل الزكية[1].

**القديس غريغوريوس النيسي**

**"وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار،**

**واستقرت على كل واحد منهم". [٣]**

إذ لا يمكن إدراك طبيعة الروح القدس كما الآب والابن لذلك قدم لنا العهدان القديم والجديد رموزًا كثيرة تكشف عن طبيعة عمل الروح القدس فينا، أهمها:

١- **الحمامة:** ففي سفر النشيد يمتدح العريس السماوي عروسه، قائلا: عيناكِ حمامتان". يُعجب بعروسه التي تتطلع دومًا إلى روحه القدوس القادر وحده أن يوحدها معه، ويجملها لتحمل أيقونته. يتطلع إلى عينيها، فيرى من تتطلع إليه، لأن العينين تحملان صورة من تنظران إليه. هذا وعمل الروح القدس هو الاستنارة، فإذ يسكن في قلب المؤمن ينير عينيه الداخليتين لكي تستطيعا رؤية عريسها وأمجاده، وتتحقق من وعوده الصادقة.

والسيد المسيح نفسه يطلب من عروسه: "كونوا بسطاء كالحمامة" حيث تحمل العروس سمة بساطة عريسها فلا تقبل تعقيدًا، بل تسلك في طريقا الواحد بلا انقسام في القلب.

❖ "ها أنتِ جميلة يا حبيبتى (صاحبتي)، ها أنت جميلة؛ عيناكِ حمامتان" (نش ١: ١٥)...

الآن، وقد ظهر جمالها الكلي امتدح جمال عينيها. يقول العريس إن عينيها حمامتان، وهذا يحمل المعنى الآتي: عندما تكون العينان صافيتين حينئذ تعكس صورة من ينظر إليها بوضوح.

يقول خبراء الظواهر الطبيعية إن العين ترى من خلال استقبال انعكاس الصور المنبثقة من الأشياء المرئية.

لذلك يُمتدَح جمال العروس، لأن صورة الحمامة منطبعة في عينيها.

عندما يتطلع إنسان ما إلى أي شيءٍ، يستقبل في ذاته صورة هذا الشيء.

---

[1] *Homilies on Song of Songs, 10.* ترجمة الدكتور جورج نوّار

الإنسان الذي قد تخلى عن الحياة الملموسة، أي اللحم والدم يتطلع إلى الحياة الروحية، فيسلك في الروح، وبالروح يميت أعمال الجسد. هذا الإنسان قد صار بالكلية في الروح، فلا يعود الإنسان إلى الطبيعة الجسدانية. لهذا تُوصف النفس التي تخلصت من أهواء الجسد أن **صورة الحمامة تظهر في عينيها**، وهذا يعني أن خاتم الحياة الروحية يشع نورًا من داخلها؛ تصبح العين نقية. النفس التي حصلت على صورة الحمامة قادرة على رؤية الجاذبية الروحية للعريس. تنظر العروس إلى عريسها، عندما تكون صورة الحمامة في عينيها، فترى جماله الروحي[1].

**القديس غريغوريوس أسقف نيصص**

٢- **المياه**، خاصة الأمطار، فالمطر المبكر يشير إلى عمل الروح القدس في العهد القديم حيث قدم كثير من النعم الإلهية، خاصة نعمة النبوة عن شخص السيد المسيح وعمله الخلاصي، والمطر المتأخر يشير إلى عمله في العهد الجديد حيث يقطن ويستقر في النفس، فلا يُحسب ضيفًا كما في العهد القديم، بل يقيم من الإنسان الداخلي هيكلاً مقدسًا له، يسكن فيه. يحول المطر البرية إلى فردوس يفيض بثمارٍ إلهية لا حصر لها.

ربط السيد المسيح بين الإيمان به والتمتع بالروح القدس الذي يشبه ينبوعًا إلهيًا يفيض في أحشاء المؤمن الروحية، فتجري منه **أنهار مياه حية** (يو ٧: ٣٨).

❖ الروح القدس هو النهر الذي يفيض – حسب العبرانيين – من المسيح إلى الأراضي. وقد قبلنا هذا كما تنبأ فم إشعياء (إش ٦٦: ١٢). هذا النهر العظيم الذي يفيض على الدوام ولن يتوقف، ليس فقط نهرًا، بل هو أيضًا أحد المجاري الغزيرة التي تفيض عظمة، كما قال داود: "مجرى النهر يفرح مدينة اللّه" (مز ٤٦: ٤). فلا ترتوي تلك المدينة، أورشليم السماوية، بقناة، أي بنهرٍ أرضيٍ، بل بالروح القدس المنبثق من مصدر الحياة. المجرى الذي يصدر عن ذاك الذي يشبعنا، يبدو أنه يفيض بوفرة بين العروش السماوية والسيادات والقوات والملائكة ورؤساء الملائكة،

[1] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوّار، عظة ٤.

جاريًا في أكمل نصيب لفضائل الروح السبع[1].

**القديس أمبروسيوس**

٣- **الريح:** وكما نسمع هنا عن الريح العاصف الذي هزّ البيت عند حلول الروح القدس على التلاميذ.

٤- **النار:** حل الروح القدس على التلاميذ في شكل ألسنة من نار. فقد تحقق قول القديس يوحنا المعمدان عن حمل الله أنه يعمد بالروح القدس ونار. هذه هي النار التي جاء السيد المسيح لكي يرسلها إلى البشر (لو ١٢: ٤٩).

ظهر الروح القدس على شكل ألسنة نارية منقسمة على كل واحدٍ منهم، إشارة إلى ما يقدمه لهم من تنوع للألسنة واللغات حتى يتمكنوا من الكرازة بين الأمم، ولكي يدرك اليهود أن الله ليس إله العبرانيين وحدهم، إنما هو إله كل البشر، يتحدث مع كل أمةٍ بلغتها التي تتفاهم بها.

شعروا بالروح القدس أنه أشبه بريحٍ خفي، "الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من وُلد من الروح" (يو ٣: ٨). ظهر كألسنة منقسمة كأنها من نار وهي ليست نارًا مادية، إنما نار تحرق الخطية، وتبدد كل ما هو مقاوم لله وبرّه، حتى يتحقق فينا برّ المسيح وقداسته وحقه وعدله الإلهي.

يرى البعض أن الروح القدس ظهر أولاً على شكل ومضات نارٍ متلألئة، صادرة من الأعالي، سرعان ما انقسمت إلى ألسنة واستقرت على رؤوس الرسل. وقد جاء في النسخ السريانية وأيضًا في الأثيوبية القديمة "**جلست عليهم**". وكأن الروح القدس جلس واستقر متربعًا على رؤوس الرسل بكونها عرش الله وهيكله الإلهي، بعد أن فارق الروح الإنسان زمانًا طويلاً. لم يعد الروح زائرًا مؤقتًا بل جلس ليملك ويجدد ويقود كنيسته عاملاً فيها عبر الأجيال حتى يدخل بها إلى السماء كعروسٍ مزينة لعريسها السماوي. استقرار الألسنة النارية يؤكد أن ما يروه ليس وهمًا وتخيلات.

---

[1] *Of the Holy Spirit 1:16:177-178.*

لقد ظهر الله لموسى النبي في شكل نارٍ متقدة في العليقة دون أن تحترق (خر ٣: ٢-٣)، وظهر له على الجبل وسط رعود وبرق ونارٍ ودخان علامة حضرته وقوته (خر ١٩: ١٦-٢٠).

"**استقرت على كل واحد منهم**"، أي من الإثني عشر، إذ ارتاح في كيانهم الرسولي ليقيم منهم هيكلاً مقدسًا يسكن فيه (١ كو ٣: ١٦)، يعمل فيهم وبهم، إذ صاروا منتسبين لله، مكرسين له وحده.

ما شغل التلاميذ ليس الريح ولا الصوت ولا النار، وإنما سكنى الروح فيهم ليعمل بهم لحساب ملكوت الله وبنيانه.

❖ إن كان اللَّه نارًا، فهو نار لكي ينتزع برد الشيطان[1].

**القديس جيروم**

❖ يليق بخادم الرب أن يكون مجتهدًا وحذرًا. نعم وأكثر من هذا يكون ملتهبًا كاللَّهيب، حتى أنه بروح غيورة يدمر كل خطية جسدانية، فيستطيع الاقتراب من اللَّه، الذي بحسب تعبير القديسين يُدعى "نارًا آكله"[2].

**البابا أثناسيوس الرسولي**

**[بخصوص الروح القدس الذي حلّ على شكل ألسنة نارية]**

❖ كانت (الألسنة) من النار، وذلك ربما لقوته المطهرة (لأن كتابنا المقدس يعرف النار المطهرة، يجدها كل شخصٍ يطلبها)، أو ربما لأجل جوهره. لأن اللَّه نار آكلة، نار تحرق ما هو شرير[3].

**القديس غريغوريوس النزينزي**

❖ إن كانت تلك النار تمسك بنا، ليتها تجدنا صلدين لا تقدر على إبادتنا. بالأحرى

---

*1 On Ps. hom. 57.*

*2 Pschal Epistles, 4:3.*

*3 St. Grègory of Nazianzen: On Pentecost, 12.*

ليتنا نصلي أن تحرق هذه النار فينا أشواك خطايانا المدمرة والمبيدة[1].

**الأب قيصريوس أسقف آرل**

❖ لا تعجب عندما تقرأ أن اللَّه الآب يقول: "أنا هو نار آكلة". مرة أخرى يقول: "تركوني أنا ينبوع المياه الحيّة" (إر ٢:١٣). وأيضًا الرب يسوع مثل نارٍ يلهب قلوب سامعيه، ومثل ينبوع مياه... فقد قال بنفسه في إنجيله إنه جاء ليُلقي نارًا على الأرض (لو ١٢:٤٩)؛ ويهبَ ينبوع مياه حية للعطشى (يو ٧:٣٧-٣٨)[2].

❖ يُظهر إشعياء النبي أن الروح القدس ليس فقط نورًا بل أيضًا هو نار، قائلاً: "وتصير نور إسرائيل نارًا" (إش ١٠:١٧). هكذا يدعوه الأنبياء نارًا حارقة... لأننا نرى عظمة اللاهوت؛ والتقديس الذي له، والإنارة كسمة للنور والنار، لهذا عادة يُشار إلى اللاهوت ويُرى في شكل نارٍ، وكما يقول موسى: "اللَّه نار آكلة".

فإن موسى نفسه رأى النار في العليقة، وسمع اللَّه عندما جاء الصوت من لهيب النار يقول له: "أنا إله إبراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب" (خر ٣:٦). خرج الصوت من النار، وكان الصوت في العليقة، والنار لم تؤذها. فالعليقة كانت ملتهبة لكنها لم تُستهلك، إذ كان سرّ الرب مُعلنًا، أنه يأتي ليُنير جسدنا، وليس أن يهلك من كانوا في بؤسٍ، بل يزيل بؤسهم. إنه ذاك الذي يعمّد بالروح القدس ونارٍ، فيُعطي نعمة ويحطم الخطية (مت ٣:١١). هكذا في رمز النار يحفظ اللَّه قصده[3].

❖ بحق تُستهلك الذبيحة (بالنار) لأنها عن الخطية، بحق كانت النار رمزًا للروح القدس... الذي يغفر خطايا الجميع، والذي مثل نار يُلهب ذهن المؤمن وقلبه كذلك. لهذا فإن إرميا بعد قبوله الروح يقول: "صار في قلبي كنارٍ ملتهبة في عظامي، وأنا لم أحتملها"[4].

**القديس أمبروسيوس**

---

*1 Sermon 96:1.*

*2 St. Ambrose: The Duties of the Clergy, Book 3, 18(105).*

*3 St. Ambrose: The Duty of the Clergy, Book 1:14:164,165.*

*4 Duties of the Clergy, 3:18 (102).*

❖ أنت أيها الرب نار آكلة، تحرق اهتماماتهم التي بلا حياة، وتجددهم أبديًا[1].

❖ عندما يرسل الرب جمره (الملتهب نارًا) نطلب الوحدة، ويتحطم ما قد بُني فينا للشر. وعندما يتطهر هذا الموقع (القلب) يقوم بناء الهيكل، المسكن، حيث يفيض فيه نوع من السعادة تنبع عن الأبدية.

لكنني لست أريد أن تفقدوا ما يعنيه المرتل بالحديث عن "**الجمر**" (مز ١٢٠: ٤). فالرجوع إلى الرب هو عبور من الموت إلى الحياة. قبل أن يشتعل يلزمنا القول أنه ميت. وإذ يلتهب بالنار ندعوه حيًا. هذه صورة رائعة للتغير الذي يحدث حين يعود رجل أو امرأة إلى الرب بعد أن كان ميتًا.

نسمع الناس يقولون أحيانًا بتعجبٍ: "يلزمك أن تراه كما كان عليه قبلاً. لقد كان سكيرًا، حياته كانت مخجلة". أو "لقد أحب الحياة الصالحة". أو "كان أكبر مخادعٍ التقيت به". ثم يضيف بعد ذلك: "لست أصدق ما هو عليه الآن. إنه يخدم الله بكل غيرة، إنه يعيش في جوٍ من البراءة. كأن كل ما قد حدث قبلاً لم يكن له وجود". ما هو وجه العجب؟ **فقد كان الخاطئ ميتًا، والآن هو جمر حي.**

يبكي الروحيون الذين يعرفون تلك الحقائق الروحية الخاصة بمثل هذا كمن على ميتٍ، والآن إذ يرونه حيًا يُبتلعون بالفرح!

في هذا المثال يوجد أمر أود أن تطبقوه على أنفسكم. لقد صرنا مبتهجين نسبح الله، إذ نرى أحدًا قد صار جمرًا أمسكت به النار. لكننا إن كنا حكماء يلزمنا أن نبحث في غيرة عما في داخلنا وقد انطفأ.

كن مستعدًا ومتسلحًا بكلمة الله.

لكي تتحولوا إلى الله يلزمكم أن تحاربوا طريقكم القديم، تتحولوا عن الصوت المخادع في داخلكم[2].

❖ قال الرب نفسه: **جئت لألقي نارًا على الأرض**" (لو ١٢: ٤٩). ومن ثمة يقول الرسل أيضًا: "**حارين في الروح**" (رو ١٠: ١١)، لأن منه تأتي غيرة الحب، "لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطي لنا " (رو ٥: ٥). وعلى

---

*1 St. Augustine: Confessions 5:30:4.*
*2 Hom. on Ps. 5.*

نقيض هذه الغيرة ما قاله الرب: "تبرد محبة الكثيرين" (مت ٢٤: ١٢). فإن الحب الكامل هو العطية الكاملة للروح القدس[1].

**القديس أغسطينوس**

❖ لئلا يجهل الناس عظمة العطية القديرة النازلة عليهم لذلك كان الصوت مثل أبواق سمائية، إذ "**صار بغتة من السماء كما من هبوب ريح عاصفة**"، مشيرًا إلى حلول ذاك الذي يهب قوة للبشر ليتمتعوا بملكوت الله بقوة، فترى أعينهم الألسنة النارية، وتسمع آذانهم الصوت.

"**وملأ كل البيت، حيث كانوا جالسين**"، إذ صار البيت إناءً للماء الروحي وجلس التلاميذ فيه، امتلأ البيت كله. وبهذا اعتمدوا تمامًا حسب الوعد ولبست النفس والجسد ثوب الخلاص الإلهي.

"**وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس**". لقد اشتركوا في النار لا للاحتراق بل النار المخلِّصة، النار التي تحرق أشواك الخطية كلها تهب بهاءً للنفس. هذه تحل عليكم الآن، وتنزع خطاياكم، وتحرقها كالشوك، فتضيء نفوسكم الثمينة، وتنالون نعمة...

لقد استقرت على الرسل مثل ألسنة نارية حتى تتوجهم بأكاليلٍ روحيةٍ جديدةٍ على رؤوسهم.

في القديم كان هناك سيف ناري على أبواب الفردوس، والآن لسان ناري يجلب الخلاص ويرد إلى الفردوس[2].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

❖ عندما هرب يونان النبي من وجه الله، بحث عن سفينة مبحرةٍ إلى ترشيش (يونان ١:٣). وقال داود العظيم أن سفن ترشيش تحطمت بواسطة الرياح القوية (مز ٧:٤٨). **هبت مثل هذه الريح على التلاميذ وهم مجتمعون في العلية**. وتعرفوا

---

[1] *In Ioan., tr.,21:19.*

[2] مقالات لطالبي العماد ١٧: ١٥.

عليها أولاً بريح قوية عاصفة، بعد ذلك ظهرت لهم على هيئة ألسنة نار مُضيئة (أع ٢:٣). تحطم الرياح المتعددة الأشكال الشرور التي تحارب الطبيعة البشرية، وتعرف الرياح بسفن ترشيش، وترمز هذه السفن إلى الشر[١].

**القديس غريغوريوس النيسي**

في عماد السيد المسيح ظهر الروح القدس في شكل حمامة، ولم نسمع عن صوت كما من هبوب عاصف ولا عن ألسنة نارية منقسمة، لأنه لا يوجد في السيد المسيح خطية ليتطهر بنارٍ إلهية، وإنما هو كلمة الله القدوس الذي لا يصيح ولا يسمع أحد صوته. ما سُمع هو صوت الآب في رقةٍ يعلن سروره بالابن المتجسد. أما في ميلاد الكنيسة، فالحاجة لازمة إلى الروح الناري الذي يطهر ويقدس من الخطايا، وإلى الصوت العاصف لكي نستيقظ ونترقب عمل الله، والألسنة النارية لكي ندعو العالم كله للاتحاد معًا في المسيح يسوع بالإيمان به.

**"وامتلأ الجميع من الروح القدس،**
**وابتدأوا يتكلّمون بألسنة أخرى،**
**كما أعطاهم الروح أن ينطقوا". [٤]**

**"وامتلأ الجميع من الروح القدس"،** في المعمودية نتمتع بالملء من الروح القدس الذي يؤهلنا أن نكون أعضاء في جسد المسيح، وننعم بالبنوة للآب بالنعمة الإلهية. بهذا الملء يصير لنا حق الشركة مع المسيح، والتمتع بحياته المقامة. هذا الملء الذي تمتع به الإثنا عشر تلميذًا بالروح القدس الواحد، يهب الكنيسة الوحدة، ليست وحدة مُصطنعة، ولا تتحقق بمجرد تجمع الأشخاص أو الكنائس معًا، ولا خلال الحوار المجرد، لكنها عمل إلهي، سرّ الشركة في المسيح الواحد. إنها خليقة جديدة، حيث يتمتع الكل بأبٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ، وينعمون بملكوت الله الواحد في قلوب الكل، يختبرون الإنجيل الواحد. **الوحدة هنا هي عمل الروح القدس الذي يثبتنا في المسيح الواحد،** فنترنم: "لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه" (أف ٥: ٣٠).

يرى **القديس أغسطينوس** أنه في يوم الخمسين أعطي للشخص الواحد أن

---

[1] *Homilies on Song of Songs, 13.* ترجمة الدكتور جورج نوّار

يتحدّث بكل لغات الأمم لكي يكرزوا، الآن الكنيسة هي الجسد الواحد وقد امتدّت إلى العالم كله، صارت أيضًا تنطق بكل لغات العالم[1].

- ❖ نقرأ في الإنجيل: "رجع يسوع **ممتلئًا من الروح**" (لو ٤: ١). وفي أعمال الرسل يقول الكتاب المقدس عن الرسل أنهم "**امتلأوا من الروح القدس**". لتحذر من التفكير بأن الرسل هم على وجه المساواة مع المخلص. فنتحقق من أن يسوع والرسل وآخرين هم مملوءون بالروح القدس حسب إمكانية الإناء... بعد أن قبل العماد كان المخلص مملوءً من الروح القدس الذي حل عليه من السماء في شكل حمامة (لو ٣: ٣٢)، وقاده الروح (لو ٤: ١). فإذ كثيرون اقتيدوا بروح الله هم أبناء الله (رو ٨: ١٤)، أما هو فابن الله بالمعنى اللائق، مميزًا عن كل الآخرين، لذلك كان لائق به أن يقتاده الروح القدس[2].

**العلامة أوريجينوس**

جاء تعبير "**امتلأ**" خاصة في سفر الأعمال يعني يملأ النفس وينتشر فيها ويحركها، فيحرك كيان الإنسان كله بكل مشاعره وطاقاته. فعندما دخلت القديسة مريم بيت زكريا وهي تحمل في أحشائها كلمة الله المتجسد "**امتلأت** اليصابات من الروح القدس" (لو ١: ٤١). وعند ولادة يوحنا المعمدان "**امتلأ** زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ" (لو ١: ٦٧). وهنا إذ نالت الكنيسة عطية الروح القدس "**امتلأ الجميع من الروح القدس**" (أع ١: ٤). وحين شُفي الأعرج عند باب الجميل باسم يسوع المسيح الناصري **امتلأ** عارفوه دهشة وحيرة (أع ٣: ١٠)، وحين سيطر الحسد على مقاومي الحق "**امتلأوا** غيرة، فألقوا القبض على الرسل" (أع ٥: ١٧)، وتكرر الأمر في خدمة القديس بولس في أنطاكية بسيدية حيث امتلأ اليهود غيرة وجعلوا يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين (أع ١٣: ٤٥). وعلى العكس "أما التلاميذ فكانوا **يمتلئون** من الفرح والروح القدس" (أع ١٣: ٥٢).

هكذا يليق بنا أن نفتح الباب لعمل روح الله القدوس لكي يتسلم قيادة القلب

---

[1] *Sermons on N.T. Lessons, 37:9.*

*2 Homilies on Luke 29:1.*

والفكر وكل المشاعر، فيملك في الداخل، ولا يكون لغير الله، الثالوث القدوس، موضع فيه.

**"ابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا".** [٤] وهم جليليون غالبيتهم لا يعرفون اليونانية إلا القليل، بدأوا يتكلمون بلغات أخرى كما وهبهم الروح القدس، "يتكلمون بألسنة جديدة". (مر ١٦: ١٧) سبق فوعدوا في القديم: "إنه بشفة لكناء وبلسانٍ آخر يكلم هذا الشعب" (إش ٢٨: ١١).

إذ ظن البشر أنهم قادرون على مقاومة الله ببناء برج في بابل يحميهم من الغضب الإلهي حين يحل طوفان كما في أيام نوح بلبل الله ألسنتهم، وتفرقوا إلى أمم، وفقدت البشرية وحدتها. الآن عند تأسيس كنيسة السيد المسيح لم يردهم لاستخدام لغة واحدة في العالم علامة الوحدة، وإنما وهب التلاميذ التكلم بألسنة لتتحد الأمم جميعها معًا بقيادة الروح القدس الواحد، بالإيمان الواحد، والمعمودية الواحدة، حيث يصير الكل أعضاء في جسد المسيح الواحد.

بالألسنة المنقسمة بعد الطوفان انكشف إلحاد الشعب العملي ومقاومته لله، وبعد أكثر من ٢٠٠٠ عامًا صارت الألسنة المنقسمة هي الدواء الإلهي لرد الأمم الوثنية إلى معرفة الله.

**ماذا يعني التكلم بألسنة أخرى، أو بألسنة جديدة لم يكونوا بعد يعرفونها؟**

**أولاً:** واضح أنهم تحدثوا بألسنة لم يتعلموها، لكن السامعين القادمين من أماكن متفرقة كانوا يسمعون كل واحدٍ لغته التي وُلد فيها [٨]. فهي لغات بشرية حقيقية مفهومة، وليست كلمات انفعالية غير مفهومة.

**ثانيًا:** أدرك الحاضرون إنها عطية الله للتلاميذ لا للاستعراض، وليست بلا هدف، وإنما لتأكيد أن باب الإيمان لم يعد قاصرًا على شعبٍ معينٍ أو على لسانٍ معينٍ، بل على جميع الشعوب والأمم والألسنة، فالخلاص مقدم للعالم كله.

**ثالثًا:** لم يكن اللسان خلال تعليم معين، وإنما هبة من الروح القدس، حتى يدرك المتكلم أنه إنما يتحدث بما يهبه الله له، وليس حسب خبرته البشرية ومعرفته

القديمة. أُعطي مع اللسان مادة الحديث، فلا يُستخدم اللسان إلاَّ في إعلان كلمة الله المقدمة من الروح القدس نفسه. يشعر المتكلم أنه أداة في يد الله، يعمل به لحساب ملكوته.

**رابعًا:** لم تُقدم هذه الموهبة لكي يستعرضها المؤمنون عبر الأجيال، إنما هي حدث للكشف عن بدء عصرٍ جديدٍ، هو بسط يدي المخلص للبشرية كلها لكي تقبل كلمة الكرازة.

**خامسًا:** لم ينشغل الرسل بهذه الموهبة كثيرًا بعد يوم الخمسين، كمثال لذلك القديس بولس وهو ~~يتمتع بالتكلم بالألسنة (١ كو ١٤: ١٨) لم يكن محتاجًا إليها~~ إذ كان يكفيه الحديث بالعبرية (أو الآرامية) أو اليونانية لنشر الإنجيل بين الأمم. وإذ أساء البعض فهمها كشف الرسول بولس عن سمو المحبة البناءة عن التشويش الذي ساد الذين ادعوا أنهم أصحاب موهبة التكلم بألسنة (١ كو ١٣: ١؛ ١٤: ٣٣)، بل وفضّل كلمة الوعظ عن التكلم بألسنة (١ كو ١٤: ٣٩).

**سادسًا:** بعد أن أدت هذه الموهبة رسالتها أن الإيمان المسيحي يمس حياة البشرية كلها لم تعد هي العنصر الأساسي في الكرازة، بالرغم من وجودها بروح اللياقة والترتيب تحت ظروف خاصة (١ كو ١٢: ٧-١١). لذلك لم تدم هذه الموهبة بعد العصر الرسولي، وإن كان الله سمح بها خلال نماذج قليلة لتأكيد صدق حدوثها. لكن تحول البعض عبر العصور إلى استخدام ألسنة غير مفهومة ودخول في اللاوعي وخدع الشيطان كثيرين، فصار الأمر معثرًا للمؤمنين ولغير المؤمنين. خرج هؤلاء عن روح السيد المسيح الذي لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته.

❖ **"وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا"**

تكلم بطرس الجليلي أو أندراوس بالفارسية أو المديانية. وتكلم يوحنا وبقية الرسل بكل ألسنة هؤلاء الأمميين الأصل. لأنه ليس فقط في أيامنا نحن بدأت هذه الجماعات الغريبة أن تجتمع بل منذ ذلك الحين كانوا يجتمعون هنا من كل الكون. أي معلم يمكن أن يكون هكذا عظيمًا حتى يعلم البشر جميعًا في وقت واحد أمورًا لم يكونوا قد تعلموها؟!

يحتاج الإنسان إلى سنوات كثيرة ليتعلم أصول النحو وفنون اللغة حتى يتحدث اليونانية وحدها حسنًا، لكنهم تعلموا جميعًا اللغات حسنًا.

قد ينجح الخطيب في التحدث حسنًا، لكن رجل النحو أحيانًا لا يقدر أن يتحدث حسنًا، وصاحب النحو الماهر قد يتحدث أحيانًا، لكنه يجهل مواضيع الفلسفة. أما الروح القدس فعلمهم عدة لغات في وقتٍ واحدٍ لم يعرفوها قط طيلة حياتهم.

إنها حكمة واسعة! إنها قوة إلهية!

يا للتناقض بين جهلهم الشديد في الماضي إلى ما حدث لهم فجأة، إذ مارسوا هذه اللغات بصورة كاملة ومتنوعة لم يعتادوا عليها.

إن جماهير المستمعين قد ارتكبت. وهذه هي المرة الثانية للارتباك. الأول حدث كأمرٍ شريرٍ في بابل، إذ كان ارتباك اللغة بقصد الانقسام بسبب أفكارهم المعادية للّه، أما هنا فقد صلحت الأذهان واتحدت بقصدٍ صالحٍ. صارت وسيلة السقوط هي وسيلة الشفاء!

لماذا تتعجبون قائلين: "**كيف نسمعهم يتكلمون بألسنتنا**"؟

لا تتعجب إن كنت جاهلاً ذلك، فإنه حتى نيقوديموس كان يجهل حلول الروح وقد قيل له: "الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب" (يو ٣: ٨). فإنك وإن سمعت صوته لا تعرف من أين يأتي، فكيف نوضح جوهره؟![1]

**القديس كيرلس الأورشليمي**

- كان (التكلم بالألسنة) علامة تناسب الزمن... ليظهر أن إنجيل الله لا بد أن يجري خلال كل الألسنة في الأرض كلها. هذا الأمر حدث بكونه يحدث ويعبر[2].
- كان الروح القدس في ذلك الوقت يُعطي بهذه الطريقة، بطريقة منظورة لأن من يقبلوه ينطقون بألسنة كل الأمم، ليعني أن الكنيسة بين الأمم تتكلم بألسنة الجميع[3].

---

[1] مقالات لطالبي العماد ١٧: ١٦-١٧.

[2] *In Ioan., tr., 4:10.*

[3] *Sermons on N.T. Lessons, 9:10.*

❖ بهذا التنوع للألسنة أعلنوا مقدمًا بطريقةٍ ما أن الكنيسة حتمًا ستمتد إلى كل الأمم[1].

❖ الآن قد بدأت قوة الحق تُعلن للكل، فإن واحدًا (الكنيسة) قد تقبل الروح القدس يتحدث بلغات كل الأمم. الآن في الكنيسة الوحدة عينها. كأن رجلاً واحدًا يتحدث بلغات كل الأمم. أي لسان لم تصل إليه المسيحية؟ إلى أي بعد لم تمتد إليه؟[2]

**القديس أغسطينوس**

اعتقد أونوميوس – كما كان بعض اليهود يعتقدون – بأن لغة الله هي العبرية، كان يتحدث بها حتى قبل الخليقة، وأن ما سجله موسى النبي أو غيره من الأنبياء هو حديث حرفي لله بلغته العبرية. وقد رد عليه **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** مفندًا هذا الرأي:

❖ أما أنك تظن بأن الله استخدم اللسان العبري عندما لم يكن يوجد من يسمع أو يفهم مثل هذا اللسان، أظن ليس من كائنٍ عاقلٍ يوافقك.

نقرأ في سفر الأعمال أن القوة الإلهية انقسمت إلى لغات كثيرة لهذا الهدف: ألا يفقد أحد ممن له لسان غريب المشاركة في الانتفاع. فإن كان الله تكلم بلسان بشري قبل الخليقة، فمن كان ينتفع باستخدامه هذا اللسان؟ لهذا كان يجب أن يكون حديثه متناسبًا مع قدرة السامعين، لأجل نفعهم...

فإن بولس الذي تبع المسيح عرف كيف يهيئ كلماته بما يناسب عادات سامعيه وتصرفاتهم، جاعلاً من نفسه لبنًا للرضع، وغذاء دسمًا للناضجين.

لكن حيث لا يوجد باعث للانتفاع باستخدام لغة كهذه، فإنك تعلن بأن الله كان يخطب بكلمات كهذه مع نفسه، حيث لا يوجد أحد يحتاج أن تُنقل إليه معلومات. هذه الفكرة هي تجديف وسخافة.

لهذا فإن الله لم يتكلم بلغة عبرانية ولا عبَّر عن نفسه بأي شكل من هذا بين الأمم، ولكن أية كلمات لله سجلها موسى أو الأنبياء هي إشارات إلى إرادة الله مشرقة بطريقة ما أو أخرى، من أجل فهم القديسين لها حسب قياس نعمة

---

[1] *Sermons on N.T. Lessons, 39:1.*
[2] *Sermons on N.T. Lessons, 37:9.*

المشاركين فيها.

إذن تكلم موسى باللغة التي لوطنه التي تعلمها، لكنه نسب هذه الكلمات لله كما قلت مكررًا ذلك من أجل طفولة أولئك الذين يجلبهم إلى معرفة الله، حتى يقدم عرضًا واضحًا للإرادة الإلهية، ولكي يرد سامعيه بالأكثر إلى الطاعة حيث يهابون سلطان المتكلم[١].

**غريغوريوس أسقف نيصص**

❖ نزل لكي يلبس الرسل القوة ويعمدهم... هذه النعمة لم تكن جزئية بل هي قوته في كمالها[٢].

❖ علمهم الروح القدس عدة لغات في وقت واحد لم يعرفوها قط طيلة حياتهم. إنها حكمة واسعة! إنها قوة إلهية![٣]

❖ صارت وسيلة السقوط هي وسيلة الشفاء![٤]

**القديس كيرلس الأورشليمي**

## ٣. موقف الحاضرين

**"وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء،**

**ساكنين في أورشليم". [٥]**

**"ساكنون في أورشليم"**: غالبًا ما جاء هؤلاء الأتقياء إلى أورشليم ليحتفلوا بعيد الفصح، وقضوا فترة الخمسين يومًا حتى عيد الأسابيع أو عيد الحصاد أو الباكورات يجولون في أورشليم كمدينة الله المقدسة، ويتمتعون بالهيكل. هؤلاء إذ سمعوا صوتًا كصوت ريحٍ عاصف ملأ البيت، وقد ارتجت أصوات المسبحين اندفعوا من كل جانب نحو البيت ليتمتعوا بعمل الروح القدس في حياة التلاميذ، أو ليشهدوا مولد كنيسة العهد الجديد في أروع صورة، لذلك إذ **"سمعوا نُخسوا في قلوبهم"** [٣٧].

---

[1] *Answer to Eunomius, Second Book.*
[2] *Lect. Catech., 17:14.*
[3] *Lect. Catech., 17:16.*
[4] *Lect. Catech., 17:17.*

يُفهم أن هؤلاء كانوا إما يهودًا وُلدوا في دولٍ مختلفة وقد جاءوا إلى أورشليم للاحتفال بالعيد، أو كانوا عابرين من بلد إلى آخر فقطنوا في أورشليم إلى حين، أو هم دخلاء من أصل أممي تهودوا وجاءوا إلى أورشليم لذات الهدف. هذا ولم تكن توجد مدينة تجارية في العالم في ذلك الحين لم يكن لليهود دور فيها، خاصة دول البحر الأبيض المتوسط. يقول فيلون اليهودي السكندري ويوسيفوس المؤرخ أنه لم يكن يوجد شعب على الأرض لم يقطن في وسطه اليهود.

"**ساكنون**": التعبير اليوناني *Kateikointes* غالبًا ما يُستخدم عن سكنٍ ثابتٍ دائمٍ، لكنه أحيانًا يمكن استخدامه عن سكن مؤقت. هذا وغالبًا ما كان أغنياء اليهود القاطنين في بلاد أجنبية يشترون مسكنًا دائمًا في أورشليم علامة ارتباطهم بالهيكل واعتزازهم بجنسيتهم.

"**أتقياء**" تشير إلى أشخاص يسلكون بوقارٍ وحكمة، جادين في عبادتهم وطلب خلاص نفوسهم في مخافة الرب.

ربما يتساءل البعض كيف اجتمعت هذه الآلاف في بيتٍ واحدٍ؟ غالبًا ما أن جاءت الجماهير في الشوارع تستطلع هذا الخبر العجيب، حتى انطلق التلاميذ إلى مكانٍ عامٍ بجوار الهيكل.

**"فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحيَّروا،**
**لأن كل واحدٍ كان يسمعهم يتكلّمون بلغته". [٦]**

واضح أن هذا الحدث هزّ قلوب اليهود والأتقياء القادمين من خارج أورشليم أكثر من اليهود الأصليين المقيمين في أورشليم. وقد سمع كل واحدٍ يتكلمون بلغته التي وُلد فيها.

**"فبُهت الجميع وتعجبوا، قائلين بعضهم لبعض:**
**أتُرى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليّين؟" [٧]**

كان يوم العنصرة يومًا فريدًا لم تشهد مثله البشريةُ من قبل ولن يتكرر بنفس الصورة فيما بعد، فقد أعد الله أتقياء من خمسة عشر لسانًا مختلفين، جاءوا لكي يروا

مشهدًا بديعًا ويسمعوا كلمة الله، كل منهم باللغة التي وُلد فيها ينطق بها جليليون لا يعرفون هذه اللغات، ويؤمنوا بحب الله الفائق ليرجعوا إلى العالم بكل لغاته المعروفة في ذلك الحين يشهدون للإيمان الحي.

جاء هؤلاء اليهود الأتقياء من دول مختلفة يربطهم أمر واحد وهو الحنين إلى مدينة أورشليم كمدينة الله والتمتع بهيكل سليمان كأقدس مكان في العالم، فعادوا إلى بلادهم وقد التهبت قلوبهم بالحنين إلى أورشليم العليا والهيكل السماوي الذي يضم كنيسة الله من كل الشعوب والأمم والألسنة، ويشهد الكل لأورشليم الداخلية ولهيكل الرب المُقام داخل النفس، ومجد ابنة الملك الذي في الداخل. عادوا يسبحون الله على عمله العجيب، فقد سمعوا جليليين ينطقون باليونانية واللاتينية والمصرية والعربية الخ. بلهجات كثيرة يسبحون بها الله ويمجدونه على عظم محبته.

"**يهود رجال أتقياء من كل أمة**": كان هذا اللقب يخلعه يهود أورشليم على القادمين من كل أمة (من اخوتهم اليهود بالميلاد أو الدخلاء المتهودين) ليعَيدوا في أورشليم، وقد تحملوا مشاق السفر الذي كان مضنيًا ومكلفًا للغاية، لن يقوم به إلا من كان لهم روح التقوى؛ خاصة وأنهم كانوا يقدمون عطايا بسخاءٍ سواء لفقراء اليهود أو لخدام الهيكل.

"**فكيف نسمع نحن كل واحد منّا لغته التي وُلد فيها؟**" [٨]

دُهشت الجماهير المتعلمة القادمة من بلادٍ كثيرة وتهللت حينما رأت جليليين غير متعلمين يتحدثون بكل لغات العالم، في حكمة وبطلاقة. بينما كان العبرانيون القاطنون في أورشليم متعصبين للغتهم، يستخفون بكل لغة أخرى، بل وكثير من القادة اليهود يحسبون لغتهم هي لغة الله والسمائيين، فلأول مرة في تاريخ أورشليم تُقدم الدعوة بلغات العالم للتعرف على الله والإيمان به والعبادة له.

بينما يرى البعض أن التلاميذ تحدثوا بلغات لم يتعلموها، يرى آخرون أنهم كانوا يتحدثون بلغتهم الأصلية، وكان المستمعون يسمعونهم كل واحدٍ حسب لغته. سواء كان الأمر هكذا أو كذلك فإن ما يبغيه هو أن باب الإيمان قد انفتح أمام الأمم وأن كل شخص يتعبد لله حسب اللغة التي وُلد فيها.

**"فرتيون وماديّون وعيلاميّون والساكنون ما بين النهرين**
**واليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا". [٩]**

. المذكورون هنا هم يهود أو دخلاء متهودون "**فرتيون وماديون وعيلاميون**": وهي مناطق شرقية سبق أن سبي فيها إسرائيل (العشرة أسباط)، وإذ انتهى السبي بقي بعضهم هناك.

**فرتيون**: أهل بارثيا Parthia القديمة، وهي تضم الجانب الشمالي من فارس الحديثة، تقع في جنوب شرقي بحر قزوين، ما بين نهر الفرات والخليج الفارسي على الجانب الشرقي من الاثنين. تكاد تكون مطابقة لمقاطعة خراسان الحالية، شمال شرقي إيران. سكانها من أصل سكيثي Scythian origin.

ذُكر الفرتّيون في كتابات داريوس هستاسبس، إذ قاموا بثورة على الفرس سنة ٥٢١ ق.م.، ولكن سرعان ما أُخمدت. حكمهم بعد ذلك إسكندر الأكبر، ثم خلفاؤه السلوقيّون. بدأت إمبراطورية الفرتيين العظمى حوالي ٢٥٦ ق.م. حين ثار أرساكس الأول Arsaces I ضد السلطة السريانية المقدونية، وبدأ بسلالة حاكمة جديدة في شخصه عرفت بالأرساكيدين Arsaciadae، امتدت في العصور المسيحية عن الإمبراطورية الرومانية. دامت هذه الإمبراطورية لمدة حوالي ٤٠٠ عامًا. اتسم الفرتيون بمهارتهم الحربية كفرسان، يتظاهرون في الحرب بأنهم منسحبون، وإذا بهم وهم منسحبون يلقون سهامهم على العدو الذي خلفهم بمهارة عجيبة. دخلوا في صراع مع الدولة الرومانية في الشرق لمدة طويلة للاستيلاء على أرمينيا. وقد أوقفوا التوسّع الروماني شرقًا من سنة ٦٤ق.م حتى سنة ٢٢٦م، وبين سنتيّ ٤٠ ق.م و ٣٧ ق.م.

لغتهم فارسية. وكان قديمًا كلمتا Parthia وفارس Persia غالبًا ما تشيرا إلى دولة واحدة.

غزوا آسيا الصغرى وسوريا، وفتحوا أورشليم ونهبوها، ونصّبوا أنتيغونس آخر الحشمونيّين على عرشها.

حضر بعض اليهود من بارثيا في أورشليم في يوم العنصرة، وربّما حملوا بشارة الإنجيل معهم إلى بارثيا حين عادوا إليها.

في سنة ٢٢٦م فتح الفرس بلادهم تحت قيادة أزداشير الساساني وقضوا على مملكتهم.

**ماديون:** كانت مادي دولة يحدّها نهر أركسيس وبحر قزوين شمالاً وشمال شرقي، وبارثيا وهركانية وصحراء فارس شرقًا، وفارس وسوسيانه جنوبًا، وأشور غربًا. تبلغ مساحتها حوالي ١٥٠ ألف ميلاً مربعًا، طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي ٦٠٠ ميلاً، وعرضها من الشرق إلى الغرب ٢٥٠ ميلاً. كانت مقسّمة إلى ست مقاطعات، وفي أيام اليونان والرومان انقسمت إلى مقاطعتين وهما أتروباتينة ومادي الكبرى. الأولى في الشمال تضم الأرض الواقعة ما بين بحر قزوين والجبال شمال نهر زاغروس. أمّا مادي الكبرى فهي في الجنوب وشرق أتروباتينة. ومادي كانت بدورها تنقسم إلى مقاطعات صغيرة.

كانت مادي من أغنى مناطق آسيا، دُعيت في الكتاب المقدس ماداي (تك ١٠: ٢). كان الماديّون شعب يتحدّث الهندو – أوربيّة. تحالف الملوك الأشوريّون مع قبائل مادي ابتداء من القرن التاسع ق.م.، وظلّوا على علاقة طيّبة بهم طيلة ٢٠٠ عامًا. ثم تضافر الماديّون والسكيثيّون معًا، متحالفين مع بابل فأسقطوا مملكة أشور سنة ٦١٢ ق.م.

سيطروا في القرنين السابع والسادس ق.م على إمبراطورية امتدّت من بلاد فارس إلى آسيا الصغرى، عاصمتها اكبتانة، حمدان الحديثة، شمال غربي بلاد فارس.

غالبًا ما يرتبط الماديون بالفارسيين؛ وكانوا تحت حكومة واحدة (٢ مل ١٧: ٦؛ ١٨: ١١؛ إس ١: ٣، ١٤، ١٨–١٩؛ إر ٢٥: ٢٥؛ را ٥: ٢٨؛ ٦: ٨؛ ٨: ٢٠؛ ٩ : ١). ظهر تعبير "مادي وفارس" حتى دعي اليونان حربهم الفارسيّة العظيمة بالحرب مع المادّيين.

**عيلاميون:** غالبًا ما يُدعى أهل هذه المنطقة حاليًا فارس، وكان الماديون والعيلاميون شعبين متجاورين يسكنان وراء دجلة.

العيلاميون هم من نسل عيلام بن شيث (تك ١٠: ٢٢). كانوا أمّة منعزلة،

شاركوا السومريّين حضاريًا في المدن القديمة والكتابة. التحق ملكهم كدرلعومر بالحملة على وادي الأردن، وتلقّي الهزيمة على يد إبراهيم أب الآباء. وغالبًا ما كان العيلاميّون تحت سيطرة جيرانهم في الغرب. وقد أرسل الأشوريّون بعض مواطني السامرة إلى عيلام، وأرسلوا عيلاميّين إلى فلسطين ليحلّوا محل أولئك.

صارت عيلام فيما بعد جزءً من الإمبراطورية الفارسيّة، لغتهم بلا شك كانت فارسية. عاصمتها شوشان، يدعوها اليونان سوسا Susa. قيل عن دانيال أنه قطن في شوشان التي هي في مقاطعة عيلام (دا ٨: ٢)، لهذا يُدعى العيلاميّون بالشوشانيّين. لايزال سكانها يدَّعون بأن قبر دانيال النبي لديهم.

عند عودة اليهود من السبي كان بقايا هؤلاء الذين تهّجّروا إلى فلسطين يقاومون فكرة إعادة بناء الهيكل (عز ٤: ٩).

دعاها اليونانيون والرومان عيلاميس Elymias، والآن تدعى خوزستان Kusustan، تحدها مملكة فارس في الشرق، وأشور وميديا في الشمال، وبابل في الغرب والخليج الفارسي في الجنوب.

كان العيلاميون رجال حرب يجيدون ضرب القوس (إش ٢٢: ٦؛ إر ٤٩: ٣٥). فكانت عيلام مركز إمبرواطورية قديمة. وحوالي سنة ٢٠٠ ق.م. استعاد العيلاميّون قوّتهم، وتسلّط بعض ملوكهم على مدن في بابل.

"**الساكنون ما بين النهرين**" أو يهود بابل، هؤلاء لم يريدوا الرجوع من السبي البابلي، بل استوطنوا هناك، وصارت له مدرسة لاهوتية خاصة اتسمت بغزارة العلم، وكان لهم تأثيرهم القوي على شمال الفرات، فتهوَّد كثيرون منهم. تقع ما بين نهري التيجر والفرات (في سهل سوريا) يحدها شرقًا أشور، وغربًا سوريا، وشمالاً أرمينيا، وجنوبًا بابل Babylonia. كان اليهود قديمًا يدعونها فدان آرام، والآن يدعوها الآسيويون Moverannhar، أي مدينة ما وراء النهر.

وجدت في هذه المنطقة أماكن هامة وردت في الكتاب المقدس مثل أور الكلدانيين مكان مولد إبراهيم (تك ١١: ٢٧-٢٨)، وحاران حيث توقف تارح فيها

وهناك مات (تك ١١: ٣١-٣٢)، وكركميش (٢ أي ٣٥: ٢٠)، وهينع (٢ مل ١٩: ١٣)، وسفروايم (٢ مل ١٧: ٢٤) وهي منطقة متسعة مسطحة وخصبة. لغة سكانها يمكن أن تكون السورية مع خليط من الكلدانية.

**اليهودية:** يرى البعض أنه يقصد هنا *Iouaian* ويعني بها اليهود الساكنين في ما بين النهرين. لكن كثيرين يرون إنها اليهودية حيث كانت لهجتهم مختلفة عن لهجة الجليليين.

"**الساكنون في كبدوكية**": استوطن بعض اليهود هناك ونالوا حق المواطنة. وهي أكبر ولايات آسيا الصغرى (تركيا)، تقع في الشرق، تشمل كل المنطقة التي تقع بين جبل طاروس Taurus (تعني برج النور) وبحر Euxine. تقع في جنوب بنطس أو بنتس، وفي غرب الفرات وشمال سوريا وكيليكيّة وشرق غلاطية. وهي سهل مرتفع تخترقه سلاسل من الجبال. جعلها طباربوس، عند وفاة الملك أرخيلاوس عام ١٧م مقاطعة رومانيّة. ووحدها فسباسيان عام ٧٠م مع أرمينيا الصغرى، فصارت من أكبر ولايات الحدود.

لغتهم التي كانوا يستخدمونها لازالت غير معروفة. يُحتمل أن تكون لهجة مختلطة من بين اليونانية والسريانية مع مزيج من جيرانهم مواطني ليقونية Lycoonians (أع ١٤: ١١).

كان اليونانيون يشيرون إلى كبدوكية من بين ثلاث مناطق يرون أنها أشر المناطق (كبدوكية، كريت، كيليكية). لكن بعد قبولها للإيمان المسيحي خرجَّت لنا شخصيات رائعة مثل القديس غريغوريوس أسقف نيصص والقديس باسيليوس الكبير.

كذلك في آسيا، خاصة على الشواطئ الغربية، كان لليهود جالية من أكبر الجاليات، ولهم مدرسة لها تأثيرها، لكنهم كانوا منحلين، يقول عنهم سفر الرؤيا مخاطبًا أسقف فيلادلفيا: "هأنذا أجعل الذين من مجمع الشيطان، من القائلين إنهم يهود وليسوا يهودا، بل يكذبون هأنذا أصيرهم يأتون ويسجدون أما رجليك، ويعرفون أني أنا أحببتك" (رؤ ٣ :٩). كذلك يهود بمفيلية وفريجية وغلاطية وبنتس، كانت الجاليات اليهودية لها تأثيرها وهوّدت كثيرين.

**بنتس**: اسم يوناني ولاتيني معناه "البحر"، وهو الاسم القديم للبحر الأسود وكذلك الأراضي الواقعة على طول ساحله الجنوبي. كانت مملكة لها سلطانها ونفوذها القوي قديمًا، وهي في الأصل جزء من كبدوكية، يحدها في الشرق خولكس Colchis، وفي الغرب نهر Halys، والشمال البحر الأسود، والجنوب أرمينيا الصغرى. كان ملكها المشهور هو مثرادتس Mithridates استطاع أخيرًا الرومان أن يخضعوه.

بنتس هي وطن أكيلا (أع٢: ١٩؛ ١٨: ٢؛ ١ بط ١: ١).

**آسيا**: يقصد بها آسيا الصغرى، وهي جزء من تركيا في آسيا، تُدعى حاليًا ناتوليا Natolia.

**"وفرّيجية وبمفيلية ومصر**
**ونواحي ليبية التي نحو القيْروان**
**والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء". [١٠]**

**فرّيجيّة**: قطاع كبير من آسيا الصغرى (تركيا)، اختلفت تخومها عبر الأزمنة. وبعد أن اُقتطعت منها غلاطية أصبحت حدودها هكذا: شمالها بيثينيّة، وشرقها ليكأونيّة وغلاطية، وجنوبها ليكيّة وبيسيديّة وإيسوريّة، وغربها كاريا وليديا وميسيّا. المنطقة سهل مرتفع بين سلسلة جبال طوروس جنوبًا وأولمبوس شمالاً وتموس غربًا.

شعبها يتحدّث الهندو – أوربيّة. تأسّست مملكتهم في أوائل الألف الأوّل ق.م بعد انهيار الحثّيين. وفي القرن التاسع ق.م اجتاح الكيمريّون فرّيجيّة التي صارت فيما بعد جزءً من مملكة الليديّين.

تُدعى في الوثائق الأشوريّة والعهد القديم "ماشك"، كان شعبها محاربًا، وكانوا يتاجرون في النحاس والعبيد (حز ٣٢: ٢٦؛ ٣٨: ٢-٣؛ ٣٩: ١؛ ٢٧: ١٣؛ ٣٨؛ ٣٩).

كثير من حكّامها دعوا "ميداس"، ولعلّ هذا الاسم كان لقبًا خاصًا بحكّامهم، مثل فرعون مصر. دُفن بعض حكّامها في قبور فخمة حول العاصمة غورديوم التي اكتشفت حديثًا.

في عام ١١٦ ق.م. صارت جزءً من آسيا الرومانيّة، ومنذ ٢٥ ق.م. اقتطفت منها القسم الشرقي المدعو "غلاطيّة".

ذكر العهد الجديد بعض مدنها مثل لاودكيّة وكولوسي وهيرابوليس وأنطاكيّة بيسيديّة. في ذلك الحين لم تعد فرّيجيّة مقاطعة، بل صارت اسمًا خاصًا بمدينة فرّيجيّة، وقد اجتاز الرسول بولس في فرّيجيّة في رحلتيه الثانيّة والثالثة (أع١٦: ٦؛ ١٨: ٢٣).

**بمفيلية:** اسمها القديم ناتوليا Natolia، حاليًا تدعى Caramania، ما بين ليكية Lycia وكيليكية، بالقرب من البحر المتوسط. وهي منطقة على الساحل الجنوبي الغربي من آسيا الصغرى (تركيا)، طولها ٨٠ ميلاً وعرضها ٣٠ ميلاً، تخترقها ثلاثة أنهار هي الكتاركتس وألسترس والأورينيدون. كانت عاصمتها برجة التي زارها الرسول بولس (أع١٣: ١٣؛ ١٤: ٢٤؛ ٢٧: ٥)، وميناءها أتاليه (إضالية أع٢٤: ٢٥). أضاف إليها كلوديوس بيسيديّة وليكيّة.

**يهود مصر:** كانت الجالية اليهودية في مصر من أقوى الجاليات المصرية، وأهم يهود الشتات بلا نزاع. قاموا بترجمة العهد القديم إلى اليونانية، وتُعرف بالترجمة السبعينية، التي ساعدت على نشر الإيمان المسيحي بين الأمم واليهود المتكلّمين باليونانيّة. كما يذكر التقليد أنها تمّت في زمن بطليموس الثاني أو فيلادلفس (٢٨٥-٢٤٦ ق.م).

كان عددهم مليونًا حسب ما ورد في فيلون اليهودي السكندري الجنس الذي اتسمت فلسفته وتفاسيره بالطابع الأفلاطوني. يخبرنا فيلون (حوالي ٢٠ ق.م. – حوالي ٥٠ م.) بأنه وُجد في الإسكندرية حي يهودي يقتطع قسمين من الخمسة أقسام التي للمدينة. في حوالي عام ٣٨ عانى اليهود من اضطهاد مرعب من مواطني الإسكندرية الوثنيين، مما اضطر فيلون أن يذهب إلى روما عام ٣٩ ق. م. ليرفع شكواه أمام الإمبراطور كاليجولا Caligula تُدعى *Legatio ad Caium*. وُجدت أيضًا جالية يهودية في ذلك الحين في منطقة الفيوم لها تأثيرها القوي.

هذا وكان أبولس يهوديًا إسكندري الجنس، الوارد في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، الذي بسبب بلاغته وفلسفته مع حرارة روحه وكرازته تكوّن فريق

نسب نفسه إليه من بين الأربعة فرق هناك.

**ليبيا:** كان اليونان بوجه عام يدعونها أفريقيا، لكن هنا يُقصد بها القطاع الشمالي عند قيروان. أما عن **اليهود الذين في ليبيا**، فإننا نعتز ببعضهم مثل القديس مرقس الرسول الكارز في مصر وليبيا، وقد وُلد هناك، لكن والديه اضطرا إلى الذهاب إلى أورشليم ومعهما يوحنا مرقس بسبب هجوم حدث لهم. وأيضًا لوكيوس النبي في إنطاكية. وكان لليهود الليبيين مجمع خاص بهم في أورشليم.

**قيروان:** على الساحل الشمالي من أفريقيا على البحر المتوسط تقع جنوب جزيرة كريت، وعلى بعد ٥٠٠ ميلاً غرب الإسكندرية. كانت أيضًا تُدعى بنتابوليس أي الخمس مدن (الغربية). نال سمعان القيرواني بركة حمل الصليب في طريق السيد المسيح للصلب.

**يهود روما:** كانوا أصلاً من ضمن الأسرى الذين أسرهم بومبي من أورشليم عام ٦٣ ق.م، وقد تحرروا بعد ذلك وكوّنوا مجمعًا بعددٍ متواضعٍ. لكن نمت الجالية، وصار لها أثرها حتى على رجال الحكم. غير أن شوكتهم ضعفت بعد أن طردهم كلوديوس، ثم عادوا وكوّنوا جالية كانت ممثلة في أورشليم تُدعي الليبرتنيين. يقول يوسيفوس أنه وُجد في أيامه ثمانية مجامع يهودية في روما. هذا وكثيرًا ما أشار الكتّاب الرومان إلى اليهود. وإذ كانوا مصممين على تطبيق الشريعة، وحفظ يوم السبت، وعدم الشركة في الطقوس الوثنية التي للرومان، فإنهم إذ تحرروا انسحبوا ليعيشوا معًا عبر التيبر من جهة روما. وهكذا وُجدت جالية كولونية يهودية هناك.

**"كريّتيون وعرب نسمعهم يتكلّمون بألسنتنا بعظائم اللّه". [١١]**

**كريتيون:** سكان جزيرة كريت، وهي جزيرة ضخمة في الشرق أو الجانب الشرقي من البحر المتوسط، الآن تُدعى Candia، طولها حواليّ ٢٠٠ ميلاً وعرضها ٥٠ ميلاً، تبعد حوالي ٥٠٠ ميلاً جنوب غرب القسطنطينية، ونفس المسافة غرب سوريا. وُجدت جالية **يهود كريت**، وهي أساس تكوين الكُنيسة التي أقام عليها الرسول بولس تيطس أسقفًا.

هذا وكانت لهم جالية كبيرة وخطيرة في **قبرص**، قامت بثورة أيام حكم

تراجان، وذُبح مائتان وأربعون ألفا من مواطني قبرص ذكرها المؤرخ ديو كاسيو[1]، لكن يهود قبرص عادوا وقبلوا الإيمان المسيحي، وكان لهم دورهم الفعال في نشر الإنجيل. من بينهم برنابا وهو لاوي يهودي قبرصي الجنسية، خال القديس مرقس الرسول.

**عرب:** سكان العربية، وهي منطقة مشهورة في آسيا يحدها البحر الأحمر غربًا، والخليج الفارسي شرقًا، واليهودية شمالاً، والمحيط الهندي جنوبًا. لغتهم هي العربية.

وكان ملك العرب الحارث (٢ كو ١١: ٣٢) سواء شرق الأردن أو جنوبه متحالفًا مع اليهود، عاصمته بترا، أقام إمبراطورية. تزوج هيرودس انتيباس رئيس ربع الجليل بنت أرتياس العربي ثم طلقها وتزوج هيروديا امرأة أخيه. وقامت حرب بين هيرودس وأرتياس، انتصر فيها الأخير، وإذ لجأ هيرودس إلى روما أرسلت فايتيليوس لتأديب الحارث، لكن موت الإمبراطور طيباريوس أنهى الحملة، وكان ذلك نحو ٣٩ أو ٤٠ م. أثناء حكم كاليجولا، أو ربما في ٣٦ م. استولى الحارث على دمشق، وأقام فيها نائبًا عنه. لكن أرسل أوغسطس قيصر بعثة إلى بلاد العرب هُزمت أولاً، ثم عادت فزحفت عليها روما بجيش عام ٧٠ م هزمت العرب واستولت على عدن.

"**عظائم الله**": كان الرسل يتحدثون بلغات الحاضرين عن أعمال الله العظيمة مثل تجسد الكلمة، ومعجزاته العجيبة، وعمل الخلاص الفائق من صلبٍ وقيامةٍ وصعودٍ، وخطة الله لخلاص البشرية.

لقد كانت أورشليم أشبه بمركز لا للشعب اليهودي وحده بل للعالم كله، حيث حضر يهود ودخلاء أتقياء من كل العالم، فكانت لحظات حلول الروح القدس أو ذاك اليوم هو يوم غرس بذار الإيمان في تربة الأرض كلها في فترة قصيرة. فقد عادت هذه الجماهير التي في شتات الدول تشهد لعظائم الله.

---

*1 Dio Cassio LXIII:32.*

❖ إنه يدعو ممالك العالم كله: "يا ممالك الأرض سبحوا الله، غنوا للرب" (مز ٦٨: ٣٢). يقول: كل شخص في العالم ينال نور معرفة الله ويقدم تسبحة مترنمًا بوقار[1].

**الأب ثيؤدورت أسقف قورش**

**"فتحيّر الجميع وارتابوا، قائلين بعضهم لبعض:**
**ما عسى أن يكون هذا". [١٢]**

تطلع الجادون في أمر خلاصهم إلى ما حدث فاندهشوا وتحيروا، إذ لم يجدوا أمامهم تفسيرًا بشريًا، لكن لم تحمل هذه الحيرة ارتيابًا، بل رغبة صادقة في البحث عن ما وراء هذا الحدث. صار الكل في حيرة مما حدث؛ كانوا في حالة دهش. بدأ كل واحد يسأل الآخر: وما هو هدف هذا؟ إنه منظر له تقديره، فهل هؤلاء الرجال مرسلون من السماء؟ ألعلهم مثل العليقة الملتهبة نارًا التي رآها موسى النبي؟

**"وكان آخرون يستهزئون قائلين:**
**أنهم قد امتلأوا سُلافة". [١٣]**

تطلع آخرون، غالبًا اليهود القاطنون في أورشليم واليهودية، خاصة رؤساء الكهنة والفريسيون المقاومون لروح الله القدوس، إلى ما حدث بنوعٍ من السخرية، إذ حسبوهم سكرى.

لقد حسبوا أن هؤلاء الرجال قد بالغوا في شرب الخمر يوم العيد، ولم يفكروا في جدية هل كثرة شرب الخمر تعلم الإنسان أن يتحدث بلغات جديدة حقيقية لم يسبق له أن تعلمها. هؤلاء الذين سبقوا فإتهموا السيد المسيح أنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين، الآن يتهمون تلاميذه المملوءين من الروح القدس أنهم سكرى.

يقول د ماكللاند McLelland بأنهم إذ أرادوا أن يهربوا من إدراكهم لجهلهم تبنوا في سخافة نظرية أن الإسراف في شرب الخمر يمكن أن يعلم اللغات.

❖ في استهزائهم تكلموا بالحق، لأنهم في الحقيقة كانت الخمر الجديدة هي نعمة العهد

---

*1 Comment. on Ps. 68, article 23.*

الجديد. هذا الخمر الجديد هو من الكرمة الروحية[1].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

يرى بعض الدارسين أن البيت لم يسعْ تلك الأعداد الضخمة القادمة من كل أورشليم، فانطلق الكل إلى منطقة الهيكل، بجوار الدار، وصار نوع من الاضطراب نتيجة كثرة الوافدين، عجز الحاضرون عن تقديم تفسيرٍ لهذه الظاهرة الفريدة في تاريخ العالم كله.

## ٤. خطاب بطرس للشعب

**"فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته، وقال لهم:**
**أيها الرجال اليهود والساكنون في أورشليم أجمعون،**
**ليكن هذا معلومًا عندكم وأصغوا إلى كلامي". [١٤]**

يرى البعض أن الجميع تحدثوا، كل في دوره مبتدئين بالقديس بطرس.

وقف القديس بطرس ليؤكد للحاضرين أنهم ليسوا بسكرى، وأنه قادر أن يكشف الحق الإلهي من خلال النبوات التي بين أيديهم.

لم يوجه حديثه إلى طبقة معينة بل إلى كل الساكنين في أورشليم سواء المقيمين دومًا فيها أو الذين جاءوا يقطنون فيها من أجل العيد. فالحديث هنا موجه إلى القيادات الدينية مع الشعب، لأن عطية الخلاص هي لكل نفسٍ بشرية.

إذ فحص بعض الدارسين هذا الخطاب وجدوه يحمل لغة الرسول بطرس واصطلاحاته في تطابق مع رسالته الأولى، مما يكشف عن أن القديس لوقا نقل الخطاب كما هو، فالناقل أمين في نقله.

هذا ومن جانب آخر فإن معالجة القديس بطرس للنبوات التي استشهد بها مع بدء ميلاد الكنيسة يستحيل أن تكون من فكر رجلٍ جليليٍ، بل تحتاج إلى استنارة الروح القدس لفهم الكتب المقدسة. إنها عطية الروح القدس للتلاميذ والرسل أن يستخدموا النبوات ويفسرونها ويطبقونها على شخص السيد المسيح.

---

[1] *Lect. Catech., 17:18.*

جاء خطاب القديس بطرس في ثلاثة أقسام:

**القسم الأول** [١٤- ٢١] تفسير الحدث نفسه، وهو عطية الروح القدس.

**القسم الثاني** [٢٢- ٢٨] الشهادة ليسوع الناصري أنه المخلص، خلال القوات والآيات التي صنعها.

**القسم الثالث** [٢٩-٣٦] قيامة السيد المسيح وصعوده وإرساله الروح القدس هو تحقيق للنبوات، وشهادة أنه الرب المسيح.

من العجيب أن بطرس الرسولي الجليلي كان يخاطب أناسًا قادمين من خمسة عشر دولة، لكل دولة لسانها الخاص مثل اليونانيين والمصريين والفارسيين والعرب، ولم يكن ممكنًا لهم أن يفهموا الآرامية العامية التي لأهل الجليل. فما تكلم به القديس سمعه كل واحد حسب لغته التي وُلد فيها. فإن كان القديس قد تحدث بالآرامية العامية أو بلغة بشرية جديدة إنما ما يؤكده سفر الأعمال أن كل واحد فهم ما قاله، وأن نحو ثلاثة آلاف آمنوا واعترفوا واعتمدوا وتمتعوا بعمل الخلاص، الأمر الذي ما كان يمكن أن يحدث هذا لو لم يدركوا كلمات الرسول ويتمتعوا بفهمها، وما لم يهبهم الروح القدس استنارة ويجتذبهم إلى الإيمان. عمل الروح القدس في الرسول بطرس كما في قلوب السامعين.

يحمل تعبير "رفع صوته" الحديث بروح القوة واليقين، بلا خوف ولا تردد ولا تشكك. فإنه لم يقف في ضعفٍ محاولاً تقديم براهين على صدق إيمانه، إنما حمل قوة الشهادة الجريئة والجذابة للنفوس بالروح القدس. لم يأخذ موقف المتوسل أو مجرد المدافع، بل حامل قوة الروح!

**"لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون،**

**لأنها الساعة الثالثة من النهار". [١٥]**

ظنهم البعض أنهم سكارى، ربما لأنهم لاحظوا عليهم الفرح الشديد، وكأنهم في حالة دهش إلهي. أما دفاع القديس بطرس بأنها **"الساعة الثالثة من النهار"** فيعني إنه ميعاد مبكر، إذ يندر أن يأكل يهودي أو يشرب في هذه الساعة، حتى وإن كان مدمنًا للشرب، لأنها كانت ساعة صلاة، فيُحسب ذلك جريمة كبرى. هذا وكان الوقت

غير مناسب لأنه يوم عيد الحصاد أو عيد الباكورات حيث كان اليهود في أورشليم مشغولين بتقديم الباكورات والذبائح وممارسة الصلوات حتى تمام الساعة العاشرة صباحًا.

❖ لكن آخرون سخروا قائلين: "إنهم سكرى".

في استهزائهم تكلموا بالحق، لأن في الحقيقة **كانت الخمر جديدة، هي نعمة العهد الجديد**. هذا الخمر الجديد هو من الكرمة الروحية... كانت قبلاً تحمل هذا الثمر في الأنبياء، والآن قد انبتت برعمًا في العهد الجديد.

فإنه حتى في الأمور الحسّية نجد الكرمة تبقى كما هي، لكنها تحمل ثمارًا جديدة في موسمها، هكذا الروح هو بنفسه يستمر، فكما عمل في الأنبياء يعمل الآن أعمالاً جديدة وعجيبة.

بالرغم من أن نعمته قد قُدمت للآباء أيضًا، لكن هنا تأتي بغزارة، لأنه كان قبلاً فقط (نصيب) شركة من الروح القدس، أما الآن فاعتمدوا فيه تمامًا.

بطرس الذي له الروح القدس إذ عرف ما قد ناله يقول (موبخًا): يا رجال إسرائيل أنتم الذين يبشركم يوئيل لكنكم لا تعرفون الأمور المكتوبة "**لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون**".

إنهم سكارى لكنهم ليس كما أنتم تظنون، بل حسبما هو مكتوب: "يسكرون بدسم بيتك، ويشربون بملذاتك" (مز ٣٦: ٨).

إنهم سكارى بمسكرٍ سامٍ مميتٍ للخطية، وواهب حياة للقلب. مسكرٍ مضادٍ للسُكْرْ الخاص بالجسد. لأن هذا الأخير يسبب نسيانًا، حتى بالنسبة لما كان الإنسان يعرفه، أما هذا فيمنح معرفةً لما لم يكن يعرفه الإنسان.

إنهم سكرى، لأنهم شربوا خمر الكرمة الروحية القائلة: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان"" (يو ١٥: ٥).

لكن إن كنتم لا تقتنعون، افهموا ما أخبركم به من ذات الوقت الذي نحن فيه، أنها الساعة الثالثة من النهار (أع ٢: ٢٥، ٥).

فكما يروي لنا مرقس قد صُلب في الساعة الثالثة، والآن الساعة الثالثة يرسل لنا فيها نعمته. لأن نعمته ليست شيئًا بخلاف نعمة الروح. إنما ذاك الذي صُلب

وقتئذ هو أيضًا يهب الموعد...

وإن أردتم شهادة بذلك، أصغوا إلى ما قيل بيوئيل النبي: "يقول اللّه ويكون في الأيام الأخيرة إني أسكب من روحي" (أع ٢: ١٨)، كلمة "أسكب" تحمل غنى العطية، إذ لا يُعطي اللّه روحه بمقياس... "أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم"، وبعد ذلك يقول: "وعلى عبيدي أيضًا وإمائي أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون" (أع ٢: ١٩).

لا يبالي الروح القدس بالأشخاص، إذ لا يطلب كرامات بل تقوى الروح. لا ينتفخ الأغبياء، ولا يخذل الفقراء، بل ليستعد كل واحد لتقبل النعمة السماوية[١].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

❖ تأسيس الكنيسة هو خلق جديد للعالم، وكما قال إشعياء النبي (إش ٦٥: ١٧) هي خلق سماء جديدة، وكما قال بولس (كو ٢: ٥ إيمانكم في المسيح هو القوة).

خُلقت **أرض جديدة** تشرب المطر النازل عليها، وخُلق **إنسان آخر** تجدد حسب صورة خالقه بالميلاد الجديد من أعلى. وُوجد **نور جديد** يقول عنه المسيح: "أنتم نور العالم" (مت ٥: ١٤)، "تضيئون بينهم كأنوار في العالم" (في ٢: ١٥)، لذلك تُضيء كواكب كثيرة في قوة الإيمان. ليست الأعداد الكبيرة من الكواكب التي سماها اللّه هي العجائب الوحيدة في الخليقة. يقول كلمة اللّه إن أسماءهم مكتوبة في السماء. لقد سمعت **خالق العالم الجديد** يقول لكواكبه: "افرحوا بالأحرى أن أسماءكم كُتبت في السماوات" (لو ١٠: ٢٠). وبالإضافة إلى هذه الكواكب التي خلقها السيد المسيح توجد شموس تُنير العالم بأعمالها الطيبة. ويقول صانع هذه الشموس: "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الصالحة، ويمجدوا أباكم الذي في السماوات" (مت ٥: ١٦). ثم "حينئذ يضئ الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم" (مت ١٣: ٤٣)[٢].

**القديس غريغوريوس النيسي**

---

[١] مقالات لطالبي العماد ١٧: ١٨-١٩.

[2] *Homilies on Song of Songs, 14.* ترجمة الدكتور جورج نوّار

يرى **العلامة ترتليان**[1] أنه مقابل الصلاة الداخلية الدائمة التي لا يحدها زمن توجد صلوات محددة الزمن عامة وهي الثالثة والسادسة والتاسعة كما جاء في الكتاب المقدس. وقد **حل الروح القدس في وقت الساعة الثالثة** (٩ ص)، وشاهد بطرس الرسول الملاءة النازلة من السماء وقت الساعة السادسة (أع ١٠: ٩)؛ ودخل مع القديس يوحنا إلى الهيكل وقت الساعة التاسعة. إذ ينتزع الإنسان نفسه من عمله في هذه الساعات للصلاة. وقد كان دانيال يصلي ثلاث مرات يوميًا حسب الطقس اليهودي (دا ٦: ١٠)، هذا بجانب الصلاة عند الشروق وبالليل وعند الأكل، وعند دخول الحمام... علامة أننا نعطي السماويات أولوية عن الأرضيات.

**"بل هذا ما قيل بيوئيل النبي". [١٦]**

ما يحدث ليس مصادفة، لكن تنبأ عنه يوئيل منذ قرون، وهو حدث مرتبط بالعصر المسياني، وكأنه يقول لهم: يلزمكم أن تراجعوا أنفسكم، فإن الذي قتلتموه هو المسيح موضوع نبوات الأنبياء.

❖ بخصوص الاتهام (أنهم سكرى) برأ نفسه من هذا ببرهان من عنده، أما عن النعمة فإنه استعان بالنبي كشاهد. "أسكب من روحي على كل جسدٍ". وُهب للبعض خلال أحلام، ولآخرين انسكب عليهم علانية، فإنه بالحق بالأحلام رأى الأنبياء ونالوا إعلانات[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**يقول الله: ويكون في الأيام الأخيرة،**
**أني أسكب من روحي على كل بشر،**
**فيتنبأ بنوكم وبناتكم،**
**ويرى شبابكم رؤى،**
**ويحلم شيوخكم أحلامًا". [١٧]**

بقوله: "**يكون في الأيام الأخيرة**" يعلن أن ما حدث هو بداية النهاية، حيث

---

[1] *On Prayer, 25.*

[2] *Homilies on Acts, hom. 5.*

تدخل البشرية مرحلة انتظار مجيء المسيح الأخير وتترقب يوم الرب بفرحٍ عظيم. هذا وقد عرف اليهود هذا الاصطلاح أنه خاص بعصر المسيا الذي طالما ترقبه اليهود عبر الأجيال (إش ٢: ٢؛ هو ٣: ٥). عندما تنبأ يعقوب لأبنائه عما سيحدث في العصر المسياني دعا هذا العصر "آخر الأيام" (تك ٤٩: ١)، وعندما تحدث ميخا النبي عن كنيسة العهد الجديد كجبل بيت الرب قال: "**وفي آخر الأيام**" (مي ٤: ١)، وأيضًا إشعياء النبي (٢: ٢).

هذا وتعبير "**آخر الأيام**" يكشف عن حلول "**ملء الزمان**" الذي فيه أرسل الآب ابنه مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس (غل ٤: ٤)، أو "**ملء الأزمنة**" حيث يجمع الله بتدبيره كل شيء في المسيح ما في السماوات وما على الأرض (أف ١: ١٠). ويرى البعض إنه ملء الزمان الذي فيه يُنزع الملكوت من إسرائيل القديم، ويُنقض الهيكل ليُسلم الملكوت لإسرائيل الجديد، ويُقام الهيكل الجديد في قلوب المؤمنين[1].

حلت الأيام الأخيرة حيث يبطل الكهنوت اللاوي ليُعلن كهنوت المسيح الذي على طقس ملكي صادق (مز ١١٠: ٤؛ عب ٥: ٦؛ ٦: ٢٠)، هذا الذي ليس من نسل إبراهيم، ولا يعرف أحد أباه وأمه... ففي المسيح يسوع تنفتح الدعوة للعمل خلال المجهولين!

يرى البعض أن تاريخ الخلاص يحوي العصور التالية:

- ❖ الإنسان في الفردوس.
- ❖ عصر الآباء.
- ❖ عصر القضاة.
- ❖ عصر الملوك.
- ❖ عصر الأنبياء (خاصة أثناء السبي وبعده).
- ❖ العصر الأخير، أو الأيام الأخيرة: العصر المسياني حتى مجيء الرب الأخير أو يوم الرب. وقد استخدم الرب نفسه هذا الاصطلاح (يو ٦: ٣٩-٤٠، ٤٤-٤٥؛ ١١: ٢٤؛ ١٢: ٤٨). كما استخدمه الرسل (١بط ١: ٢٠؛ ٢بط ٣: ٣، ١يو ٢: ١٨؛

---

[1] *See Matthew Henery: Comm. on Acts 2.*

يهوذا ١٨؛ عب ١: ٢).

**"على كل بشر"** إذ لم يعد عمل الروح القدس قاصرًا على اليهود، وإنما يعمل أيضًا في الأمم. يعمل في أولاد الله من الجنسين لحساب ملكوت الله. يقول الربي تانخوم Rabbi Tanchum: [عندما وضع موسى يده على يشوع قال: يقول الله المبارك "في وقت النص (العهد) القديم تنبأ كل نبي بمفرده، لكن في أيام المسيا سيصير كل إسرائيل أنبياء".]

لا تُفهم كلمة **"يتنبأ"** هنا بمعنى أنهم يخبرون بأحداث مستقبلية تُعلن لهم، وإنما يعلمون ويخبرون بالحق الإلهي خاصة خلاص المسيح، وما يعده للمؤمنين من أمجاد سماوية.

**الرؤى والأحلام:** كان الله قديمًا يعلن عن حضوره الإلهي وإرادته الإلهية خلال وسيلتين: إما عن طريق الرمز مثل **ظهور نارٍ**، كما حدث مع موسى على جبل حوريب، وأيضًا مع أبينا إبراهيم (تك ٢١: ١٧)، وإيليا النبي (١ مل ١٩: ١١-١٢). وأحيانًا **بظهور ملائكة** كما في عصر البطاركة حيث نجد أمثلة كثيرة في سفر التكوين. أما الوسيلة الأخرى فهي **الأحلام** كما حدث مع يوسف (تك ٣٧: ٥، ٩)، ويعقوب (تك ٢٨: ١ الخ؛ ٤٦: ٢ الخ)، ومع فرعون (تك ٤١: ١-٧)، ونبوخذنصر (دا ٤: ١٠-١٧).

ماذا يعني بالقول: **"بنوكم وبناتكم"**؟ كان حلول الروح القدس في العهد القديم مؤقتًا، يحل على فئة معينة مثل الكهنة وهم من سبط خاص (لاوي)، والملوك (من سبط يهوذا)، والأنبياء وهم أفراد معينون يظهرون بدعوةٍ إلهية. أما في العهد الجديد فصار الروح القدس هبة إلهية مُقدمة لكل المؤمنين، حيث يسكن في المؤمن ليهب نعم خاصة متباينة. حتى العمل القيادي الكنسي مثل الرسل والتلاميذ ثم الأساقفة والقسوس والشمامسة فهو ليس قاصرًا على سبطٍ ما أو عائلةٍ ما، لكن الرب اختار تلاميذه من بين عامة الشعب ليقيم من المزدرى وغير الموجود من يُبطل بهم الموجود (١ كو ١: ٨).

❖ سبق وقال أنه قد سكب الروح علينا، إذ ليس من طبيعة الخليقة ولا الأشياء

المصنوعة أن تعطي الروح بسلطان، بل هو عطية اللّه. فتتقدّس المخلوقات بواسطة الروح، أما الابن فحيث أنه لا يتقدّس بواسطة الروح بل بالأحرى هو الذي يعطي الروح للجميع، لذلك ليس مخلوقًا، بل هو ابن الآب الحقيقي[١].

**البابا أثناسيوس الرسولي**

❖ كان الروح يعمل في نفوسهم (الأنبياء) للتنبؤ والتكلّم حينما كانت تدعو الحاجة أن يُخبروا العالم بأحداث عظيمة. لأن الأنبياء لم يكونوا يتكلّمون في كل وقتٍ، بل حينما يشاء الروح الذي فيهم فقط، إلا أن القوّة الإلهية كانت معهم دائمًا. فإن كان الروح القدس قد انسكب بهذا المقدار في ذلك العهد الذي هو ظل لعهد النعمة، كم بالأحرى ينسكب في العهد الجديد، عهد الصليب ومجيء المسيح الذي حدث فيه انسكاب الروح والامتلاء به؟![٢]

**القديس مقاريوس الكبير**

**"وعلى عبيدي أيضًا وإيمائي،**
**أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون". [١٨]** .

ما ورد هنا بدأ يتحقق في عصر الرسل خلال عمل السيد المسيح الذي بدأ بمواهب الروح التي لم تعد محصورة في سبطي لاوي (الكهنوت كميراثٍ) ويهوذا (الملوك)، وإنما الدعوة للخدمة مفتوحة أمام كل نفسٍ أمينة مشتاقة للعمل الكرازي، كما أن الدعوة للشهادة للمسيح هي لكل عضو حي في الكنيسة مهما كان جنسه أو وطنه أو سنه أو قدراته.

❖ في عنايته الكلية سكب الله القدير بنعمته روحه على كل جسدٍ في هذه الأيام الأخيرة، على خدامه وإمائه، فكبح عدم الإيمان المخادع والجامح هذا الذي يثير التشكك في إيمان البشر بقيامة الجسد، وأوضح دون أية عوائق من جهة الكلمات الغامضة في الكتب المقدسة القديمة، وذلك بالنور الواضح للكلمات المقدسة

---

[1] *Adv. Arian. 2:15:18.*

[2] عظة ٥٠: ٣-٤

ومعانيها[1].

**العلامة ترتليان**

**"وأعطي عجائب في السماء من فوق،**
**وآيات على الأرض من أسفل،**
**دمًا ونارًا وبخار دخان". [١٩]**

**"تتحول الشمس إلى ظلمة،**
**والقمر إلى دم،**
**قبل أن يجيء يوم الرب العظيم الشهير". [٢٠]**

لقد صاحبت خدمة العهد الجديد علامات وعجائب في السماء وعلى الأرض، كما حدث عند صلب السيد المسيح حيث حدثت ظلمة على وجه الأرض وزلازل، كما تشققت الصخور وانفتحت القبور، وخرج كثير من القديسين وظهروا في أورشليم، وفي قيامته حيث حدثت زلزلة. وفي صعوده أيضًا أعلنت السماء عن مجده، إذ ظهرت سحابة أخذته عن أعينهم (أع ١: ٩). هذا وسيصاحب مجيء السيد المسيح الأخير عجائب أيضًا من السماء وعلى الأرض تعلن عن قرب مجيئه (مت ٢٤: ٢٩).

يرى البعض أن الدم والنار والدخان والظلمة، هذه الظواهر تشير إلى ما سيحل عليهم من دمارٍ مدنيٍ ودينيٍ، حيث أحرق تيطس الهيكل سنة ٧٠م، وتشتت الشعب في أنحاء العالم، وحلت ظلمة فكرية برفضهم للخلاص.

❖ يُقال حقًا أن كثير من هذه الظواهر قد حدثت فعلاً في السماء كما شهد يوسيفوس. وفي نفس الوقت يرعبهم الرسول بأن يذكّرهم بالظلمة التي حدثت مؤخرًا، وستقودهم إلى أمورٍ مقبلة... إن كانت هذه الأمور هي مقدمة لذلك اليوم (يوم الرب) فإن ما سيتبعه هو في غاية الخطورة ووشيك الحدوث[2].

❖ ماذا يعني: يتحول القمر إلى دم؟ إنه يشير إلى تزايد القتل. اللغة هنا محفوفة

---

[1] *On the Resurrection of the Flesh, 63.*

[2] *Homilies on Acts, hom. 5.*

بالرعب مع اليأس![1]

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص". [٢١]**

ما حدث هو تحقيق لنبوة يوئيل النبي، وهو أول مشاهد الملكوت وفتح الستار عن أعمال المسيح بحلول روحه القدوس من السماء، لا حلولاً مؤقتًا كما كان مع أنبياء العهد القديم، بل هو حلول واستقرار وملء في قلوب المؤمنين، لإقامة ملكوت المسيح، فيصير الكل ملوكًا وأنبياء وكهنة لله العلي.

❖ بسبب نعمة الروح التي أُعطيت لنا، صرنا نحن فيه وهو فينا (١ يو ٤: ١٣)... خارج الروح نحن غرباء عن اللَّه وبعيدون عنه، أما بشركة الروح فصرنا قريبين للاهوت، فوُجدنا في الآب ليس من ذواتنا، إنما هو عمل الروح الذي فينا ساكنًا في داخلنا[2].

**البابا أثناسيوس الرسولي**

❖ على أي الأحوال جعل مقاله مشرقًا، إذ يقدم ما يخص الإيمان، ومرعبًا إذ يتحدث عن العقوبة، فإنه في الابتهال (لله) يوجد الخلاص[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"أيها الرجال الإسرائيليون،**
**اسمعوا هذه الأقوال:**
**يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل اللَّه،**
**بقواتٍ وعجائبٍ وآياتٍ،**
**صنعها اللَّه بيده في وسطكم،**
**كما أنتم أيضًا تعلمون". [٢٢]**

رأينا في تفسيرنا لإنجيل يوحنا أن كثيرين تعثروا في شخص السيد المسيح

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 5.*

[2] *Contra Arians 2:42, 3:24.*

[3] *Homilies on Acts, hom. 5.*

لأنه كان ناصريًا، فاحتج نثنائيل على فيلبس حين دعاه للقاء مع من كتب عنه موسى، قائلا: "أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟" (يو ١: ٤٦). وفي استخفاف وُضعت علة السيد على الصليب: "يسوع الناصري ملك اليهود".

دُعيت "ناصرة"، لأنها مدينة صغيرة لا قيمة لها، تشبه فرع شجرة صغير ينبت بجوار الجذر في مكانٍ غير مناسب، غالبًا ما يقوم الزارع بقطعه، يسمى بالعربية "نسر" وبالعبرية "نتسير" ومنه جاء الاسم "ناصرة".

واضح أن ما فعله السيد المسيح من قوات وعجائب وآيات إنما ليؤكد أنه قد جاء عصر المسيا الذي كان الآباء والأنبياء يشتاقون إليه ويترقبونه لقد أقبل "ملكوت الله" (مت ١٢: ٢٨).

"**صنعها الله بيده**"، ليؤكد القول: "لأني خرجت من قبل الله، وأتيت" (يو ٨: ٤٢)، " أبي يعمل حتى الآن، وأنا أعمل" (يو ٥: ١٧). "إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه" (يو ١٠: ٣٧-٣٨).

يحدثنا **القديس يوحنا الذهبي الفم**[1] عن حكمة القديس بطرس:

**أولاً**: بدأ بقوله: "**أيها الرجال الإسرائيليون**"، ليس كنوعٍ من المداهنة، وإنما لكي يستميلهم للاستماع إليه.

**ثانيًا**: لم يصدر حكمه في أمر يسوع، بل قال: "**اسمعوا هذه الأقوال**" لكي يصدروا الحكم بأنفسهم، ويتعرفوا عليه بحكمة وروية.

**ثالثًا**: لم يبدأ بالحديث عن حقيقته كابن الله الوحيد وكلمة الله، بل قال "**رجل**"، أي بأسلوبٍ متواضع.

**رابعًا**: عندما أشار إلى معجزاته قال: "**صنعها الله بيده**". هكذا نزل إليهم، إلى مستوى تفكيرهم لكي يرفع أفكارهم إلى الحق الذي لم يكن ممكنًا لهم أن يقبلوه دفعة واحدة. هكذا ينطلق بهم في كل مقالة من أسفل إلى أعلى.

في رده على فالانتينوس Valentinus استخدم **العلامة ترتليان**[1] هذه العبارة

---

[1] *Cf. Homilies on Acts, hom. 6.*

لتأكيد أن السيد المسيح قد أخذ جسدًا حقيقيًا، وصار إنسانًا، ولَم يكن جسده روحيًا أو خيالاً.[1]

**"هذا أخذتموه مسلمًا بمشورة اللَّه المحتومة وعلمه السابق،**

**وبأيدي آثمة صلبتموه وقتلتموه". [٢٣]**

كان اليهود يدعون مملكة روما "مملكة الشر"، لذلك فكلمة "**آثمة**" هنا تشير إلى الرومان، وهي تعني "بلا ناموس"، وجاء في إنجيل مرقس: "هوذا ابن الإنسان يُسلم إلى أيدي الخطاة" (مر ١٤: ١٤).

هنا يوضح القديس بطرس أن موت السيد المسيح لم يكن جزافًا، فإنه وإن تم على أيدي آثمة، لا يستطيعون أن يتبرأوا مما فعلوه إلاَّ بالإيمان به، إلاَّ أن ما حدث كان خلال خطة إلهية أزلية، سبق أن أعلنها بالأنبياء الذين نالوا معرفة إلهية.

**"الذي أقامه اللَّه ناقضًا أوجاع الموت،**

**إذ لم يكن ممكنًا أن يمسك منه". [٢٤]**

الله الآب في حبه بذل ابنه الوحيد لخلاص العالم (يو ٣: ١٦)، هو أيضًا أقامه ليبرر الجميع. حقًا إذ في طاعة لإرادة الآب التي هي واحدة مع إرادته سلم نفسه، وهكذا في طاعة قام من بين الأموات، وقد حل حبال الموت (مز ١٨: ٤-٥). أما قوله: "**أوجاع الموت**"، فيشبّه الموت بسيدة تلد، وقد حاول الموت أن يغلق على السيد المسيح في أحشائه فلم يفلح. تمخض الموت بالآلام، وشق السيد المسيح رحم الموت والهاوية وأقام نفسه. يدعوها المرتل: "**حبال الموت**"، إذ ظن الموت قادرًا على فرض سلطانه على السيد، لكن السيد حلّ هذه الحبال، كما قطع شمشون أوتار الجلد التي أوثقه بها الفلسطينيون كخيطٍ أو كفتيلٍ إذا شم النار (قض ١٦: ٩-١٢).

جاءت كلمة "**الموت**" هنا في نسخة بيزا Bezae والسريانية والقبطية والفولجاتا "الجحيم"، وهو المكان الذي كانت تذهب إليه النفوس بعد الموت. فقد مات حقًا ودخلت نفسه إلى الجحيم، لا ليُقبض عليه أبديًا، وإنما لكي يحطم متاريسه، ويحمل الغنائم إلى الفردوس. لقد بشر الراقدين، لا بكلمات بشرية ينطق بها، بل بقوة سلطانه

[1] *On the Flesh of Christ, ch. 15.*

على فك قيودهم وحملهم إلى الراحة.

**"لأن داود يقول فيه:**
**كنت أرى الرب أمامي في كل حين،**
**إنه عن يميني لكي لا أتزعزع". [٢٥]**

حالة التهليل التي عبَّر عنها المرتل لا تخصه هو بل تخص المسيا الذي لم يستطع الموت أن يفصل الابن الوحيد الجنس عن الآب، فالابن عن يمين الآب، والآب عن يمين الابن، لأنهما لا يخضعان لحدود مكانية، إنما **"اليمين"** هنا يشير إلى القوة. فالموت لا يشغل المسيح، لأنه تحت قدميه، أما ما يشغله أنه بقيامته فتح باب الرجاء لمؤمنيه كي يتمتعوا بها.

**"لذلك سُرّ قلبي،**
**وتهلل لساني،**
**حتى جسدي أيضًا سيسكن على رجاء". [٢٦]**

جاء اقتباس الرسول هنا عن الترجمة السبعينية: **"تهلل لساني"**، أما في العبرية **"مجدي"** عوض **"لساني"**.

**"لأنك لن تترك نفسي في الهاوية،**
**ولا تدع قدوسك يرى فسادًا". [٢٧]**

تصوير رائع لحقيقة موت الموت. وُضع الجسد في القبر إلى حين ليطمئن الأموات بوجوده فيه مؤقتًا. وانطلقت نفسه إلى الجحيم تحطم متاريسه، وتنطلق بنفوس الراقدين على رجاء للتمتع بالفردوس.

لم يسقط السيد المسيح تحت الحكم: "لأنك تراب، وإلى تراب تعود" (تك ٣: ١٩)، لأنه بلا خطية، فلا يحل به هذا الفساد. لم يكن ممكنًا للناسوت الذي صار للكلمة أن يحل به ما حل بطبيعة آدم الساقطة. حقًا يمكن لنفسه أن تفارق جسده، لكن إلى حين دون فساد للنفس أو الجسد.

❖ لأنه قام محطمًا الهاوية، وقائلاً للأسرى: اخرجوا، وللذين في الظلام: اظهروا (إش ٤٩: ٩). وصعد إلى أبيه فوق في السماء، إلى الموضع الذي لا يمكن للبشر

الدخول إليه، أخذ على عاتقه خطايانا، وصار كفّارة عنّا[1].

**القديس كيرلس الكبير**

**"عرفتني سبل الحياة،**

**وستملأني سرورًا مع وجهك". [٢٨]**

لم يكن ممكنًا للمرتل أن يقول: "عرفتني القيامة من الأموات"، إذ ما كان يمكن لأحد أن يدركها، لكنه رأى في قيامة الرب **"سبل الحياة"**، حيث يتحطم الموت، ويرتفع المؤمنون إلى الحياة الأبدية.

**"أيها الرجال الاخوة،**

**يسوغ أن يقال لكم جهارًا عن رئيس الآباء داود،**

**أنه مات ودفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم". [٢٩]**

ظن اليهود أن ما قاله داود النبي خاص به شخصيًا، وقد جاء في المدراش: [ليس من دودة ولا حشرة لها سلطان على داود[2].] لهذا أراد الرسول بطرس أن يوضح لهم أن داود لا يزال مدفونًا لم يقم، وها هو قبره قائم يشهد بذلك، فما قيل هنا يخص السيد المسيح، كما قال الربي يوسي Rabbi Jose أن داود قد مات في يوم الخمسين، وكان كل إسرائيل ينتحبونه، ويقدمون ذبائح في اليوم التالي[3].

يدعو القديس بطرس داود رئيس الآباء (بطريركًا)، قبره في الجهة الجنوبية من أورشليم بالقرب من سلوام، قد تحدث عن قيامة السيد المسيح الذي جاء من نسله (حسب الجسد) قائلاً: "نفسه لا تُترك في الهاوية، ولا جسده يرى فسادا".

**يقول القديس يوحنا الذهبي الفم الآن إذ يبدأ يشير إلى عظمة السيد المسيح يتحدث معهم كمن يبدأ يخاطبهم من جديد: "أيها الرجال الاخوة".** كان القديس بطرس يعلم جيدًا أن اليهود لم يقولوا بأن ما نطق به داود النبي لا يخُصه هو، بل يتنبأ عن المسيح ابن داود، ومع هذا فهو يؤكد لهم أن ما قاله لا يخصه شخصيًا، حتى يوضح

---

[1] *Lettens, 41:13.*

[2] *Midris Tillin.*

[3] *Chagig, fol. 78.*

أنه تحقق في يسوع الناصري المصلوب.

**"فإذ كان نبيًا،**
**وعلم أن الله حلف له بقسم،**
**أنه من ثمرة صلبه يُقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه". [٣٠]**

**"سبق فرأى وتكلّم عن قيامة المسيح،**
**أنه لم تترك نفسه في الهاوية،**
**ولا رأى جسده فسادًا". [٣١]**

❖ لم يرَ جسده فسادًا؛ أما جسدنا فبعد الفساد يلبس عدم الفساد في نهاية العالم. لم يكن هو محتاجًا إلينا ليتمم الخلاص، لكننا بدونه لا نقدر نحن أن نفعل شيئًا. يعطينا ذاته بكونه الكرمة ونحن الأغصان، أما نحن فلا يمكن أن تكون لنا حياة خارجًا عنه[1].

**القديس أغسطينوس**

في رسالة القديس جيروم إلى بماخيوس Pammachius يؤكد قيامة الجسد وتمتعه بشركة المجد مع النفس البشرية، لهذا فإننا نحمل نظرة مقدسة ومكرمة للجسد. كمثالٍ صوم الجسد بالنسبة لنا ليس معناه مقاومتنا للجسد كشيءٍ دنسٍ، وإنما هو وسيلة للتمتع بالشركة مع الله، ليس على مستوى النفس وحدها، بل الإنسان ككل.

❖ ما نهدف إليه في الصوم هو الشركة مع الله. فتقتات (حتى الأجساد) بالخبز السماوي، وتشبع بكلمة الله، إذ يكون طعامها كما هو ربها. استمع إلى المخلص: "جسدي يستريح في رجاء" (مز ١٦: ٩) وفي موضع آخر قيل: "ولا رأى جسده فسادًا" (أع ٢: ٣١)، وأيضًا: "ويرى كل جسد خلاص الله" (إش ٤٠: ٥)[2].

**القديس جيروم**

**"فيسوع هذا أقامه الله،**
**ونحن جميعًا شهود لذلك". [٣٢]**

---

[1] *In Ioan., tr., 842*

[2] *Letter Pamachius against John of Jerusalem, 29.*

بعد أن قدم الرسول بطرس شهادة الأنبياء وركز على سفر المزامير فيما يخص مجيء المسيا من نسل داود أو موته أو قيامته، ختم ذلك بشهادة التلاميذ أنفسهم، وفي موضع آخر أحالهم الرسول إلى الروح القدس كشاهدٍ للسيد المسيح (أع ٥: ٣٢).

رآه كل الحاضرين من الرسل والتلاميذ وغيرهم بعد قيامته من الأموات، وهم مستعدون للشهادة بذلك حتى في وجه الاضطهاد والموت.

**"وإذ ارتفع بيمين الله،**

**وأخذ موعد الروح القدس من الآب،**

**سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه". [٣٣]**

يؤكد الرسول بطرس أن يسوع ليس فقط قام من بين الأموات، وإنما تمجد أيضًا عن يمين الآب، ومن خلال هذا المجد بعث الروح القدس الذي تنبأ عنه يوئيل النبي، وقد وعد به السيد المسيح نفسه (يو ١٤: ١٦ الخ؛ ١٦: ٧).

يستشهد الرسول بطرس بالمزمور: "يمين الرب رفعتني، يمين الرب صنعت قوة" (مز ١١٩: ١٦). لا يفيد اليمين هنا مكانًا بل مكانة، فيشير إلى التساوي في المجد والكرامة "بجبروت خلاص يمينه" (مز ٢٠: ٦)، "يمينك يا رب تحطم العدو" (حز ١٥: ٦).

يشير هنا إلى تحقيق وعد السيد المسيح بإرسال الروح القدس الذي يكمل عمل المسيح في قلوبنا. وكما يقول بولس الرسول: "لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة، بروحه في الإنسان الباطن: ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم..." (أف ٣: ١٦).

سكب الآب الروح القدس من السماء ليشهد علنًا، ويشاهده الذين صلبوه. سكبه على التلاميذ الذين أغلقوا على أنفسهم الأبواب في رعبٍ وخوفٍ، لئلا يحل بهم ما حل بسيدهم. سكبه لكي يتحول خوفهم إلى شجاعة للشهادة للحق، ويتحول حزنهم إلى هتافٍ وتهليلٍ، وضعفهم إلى قوةٍ. يشهدوا بالروح القدس، ويسلموا الشهادة من جيلٍ إلى جيلٍ.

**"لأن داود لم يصعد إلى السماوات،**

**وهو نفسه يقول:**

**قال الرب لربي اجلس عن يميني". [٣٤]**

ما نطق به داود النبي لم يكن يخصه شخصيًا، ولا تحقق معه، بل مع ابن داود.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن القديس بطرس لم يعد يتكلم بأسلوب متواضع بخصوص يسوع، بل يكشف عن شخصه بأنه هو وليس داود الذي صعد إلى السماوات، وأن الأمر ليس بعجيبٍ، لأنه رب داود، إذ قال: "**قال الرب لربي**"[١].

❖ إذ هو نفسه أولاً صعد إلى السماء، أحضر الإنسان كعطية لله.

**القديس هيبوليتس**

**"حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك". [٣٥]**

لقد عرض الرسول أعمال السيد المسيح والبركات التي قدمها وشهادة الأنبياء له، والآن إن لم يقبلوه خلال الحب، فليلتزموا أن يخضعوا له خلال الخوف، لئلا يسقطوا كأعداءٍ تحت قدميه.

❖ لا ينجذب البشر بالمنافع بالقدر الذي به يتأدبون خلال الخوف[٢].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فليعلم يقينًا جميع بيت إسرائيل،**

**أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم، ربًا ومسيحًا". [٣٦]**

يقول **الذهبي الفم** أن القديس بطرس يتحدث بلغة اليقين إلى جميع بيت إسرائيل أنهم ملتزمون بقبول من صلبوه ربًا ومسيحًا.

ما كان يشغل ذهن اليهود هو التمتع بمجيء المسيا، وقد أكد لهم الرسول أنه قدِ جاء، وعلامات صدق مجيئه هي الآتي:

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 6.*

[2] *Homilies on Acts, hom. 6.*

- ❖ قيامته من الأموات بشهادة الكثيرين.
- ❖ صعوده إلى السماء.
- ❖ جلوسه عن يمين الآب في العظمة.
- ❖ بعثه الروح القدس تحقيقًا للنبوات، وهو أول ثمر لمجده بعد الصعود.
- ❖ سقوط عدو الخير تحت قدميه، هذا الذي فقد بالصليب سلطانه.

تدرج الرسول بهم خلال شهادة المزامير حتى بلغ بهم إلى نبوة داود النبي عن صعود السيد المسيح وجلوسه عن يمين الآب، وأنه رب داود. وكما يقول الرسول بولس: "لذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبةٍ ممن في السماء ومَن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترفَ كل لسانٍ أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (في ٢: ٩-١١).

الذين أرادوا أن يهبطوا به إلى الهاوية بالصليب نزلوا هم إليها، فحمل مؤمنيه معه إلى السماء، وصار أعداؤه تحت قدميه وأقدام مؤمنيه. لقد أُعلنت ربوبيته وانحنى الكل له، وانسحق إبليس وكل جنوده تحت قدميه.

في بساطة مع عمقٍ لاهوتيٍ، انطلق بهم القديس بطرس خلال النبوات للتعرف على سرّ الخلاص وادراك عمل الصليب، والتلامس مع قيامة السيد المسيح، وصعوده إلى السماء، وجلوسه عن يمين الآب، ليدركوا الخاتمة أن الله أعلن أن الذي صلبوه هو الرب المسيح المخلص. وكأنه يختم حديثه عن السيد المسيح طالبًا من صاليه أن يخلعوا عنهم إنسانهم العتيق، ويلتصقوا بالمصلوب واهب النصرة ومصدر الفرح والسلام السماوي.

- ❖ من جانبنا نقول بأنه ليس صحيحًا أن تشير كلمة "**جعل**" إلى الطبيعة الإلهية، إنما تشير إلى "شكل العبد" (في ٢: ٧) الذي وُجد خلال التجسد، في الوقت المناسب لظهوره في الجسد[1].

**القديس غريغوريوس النيسي**

---

[1] *Against Eunomius, 5:2.*

استخدم كل من أريوس وأونوميوس هذه العبارة بكونها تخص جوهر الابن أنه من صنع الآب كخليقة، وأنه قد أقامه ربًا ومسيحًا، ورد **القديس أثناسيوس الرسولي** على أريوس، و**القديس باسيليوس** على أونوميوس، وقد أورد **القديس غريغوريوس النيسي** هذا الرد في عمله "ضد أونوميوس" في الكتاب الخامس.

❖ على أي الأحوال يكتب **باسيليوس الكبير** معبرًا هكذا: "علاوة على هذا فإنه ليس في نية الرسول أن يقدم لنا وجود الابن الوحيد الذي هو قبل الدهور، وإنما يتحدث بوضوح لا عن جوهر الله الكلمة ذاته الذي هو من البدء مع الآب، وإنما عن ذاك الذي أخلى ذاته وأخذ شكل العبد، وصار في الهيئة مطابقًا جسد تواضعنا (في ٣: ٣١)، وصُلب عن ضعف. مرة أخرى يقول: "معروف لكل شخص حتى الذي على مستوى أقل في استخدام عقله في معاني كلمات الرسول أنه لا يضع أمامنا الوجود الإلهي، بل يستخدم تعبيرات تخص التجسد، إذ يقول: "جعله الله ربًا ومسيحًا"، يسوع هذا الذي صلبتموه، مركزًا على الكلمة التي تثبت أنه بشري ويراه الكل[1].

**القديس غريغوريوس النيسي**

## ٥. جاذبية الروح القدس

**"فلما سمعوا نُخسوا في قلوبهم،**

**وقالوا لبطرس ولسائر الرسل:**

**ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟" [٣٧]**

لم يدخل معه الحاضرون في حوارٍ ونقاشٍ، لأن الروح القدس الذي أعطى القديس بطرس الكلمة هو أيضًا عمل في قلوب السامعين، فخشوا السقوط تحت الدينونة ومقاومة الحق الإلهي.

نخس الروح القدس نفوس السامعين ليسألوا ماذا يفعلون. وقد جاءت الكلمة اليونانية التي ترجمت "نُخسوا" هي ذاتها ترجمت "طعن" عندما طعن واحد من العسكر جنب السيد المسيح بحربةٍ (يو ١٩: ٣٤). فإن كان الأشرار قد طعنوه بالحربة ليضربوا قلبه بجرحٍ مميتٍ، يلقي السيد المسيح بحربة روحه القدوس، ليجرح قلوبهم

[1] *Against Eunomius, 5:2.*

ويبكتها، فيحملوا جراحات الحب الشافية خلال التوبة الصادقة.

إن كان الروح القدس هو الذي نطق على فم بطرس الرسول، فإنه هو عينه الذي نخس قلوب بعض السامعين ليتجاوبوا مع الكلمة. لقد اصطاد الروح القدس في أول عظة ألقيت في كنيسة العهد الجديد حوالي ثلاثة آلاف نفس دفعة واحدة.

❖ أترون أية عظمة للطف؟ فإنه ينخس قلوبنا أكثر من أي عنف، ويسبب جرحًا عارمًا... إنه بلطفٍ يذكرهم باعتداءاتهم التي ارتكبوها دون تعليق من جانبه، مضيفًا إلى هذا عطية الله، واستمر يتحدث عن النعمة التي حملت شهادة للحدث. هكذا وقفوا في رهبةٍ من لطف بطرس، إذ كان يحدث أناسًا صلبوا سيده وينفثون إجرامًا من نحو بطرس وزملائه، مع هذا **يتحدث بصفته أبًا حنونًا وليس كمعلمٍ.** إنهم لم يقتنعوا فقط، وإنما دانوا أنفسهم، وأدركوا تصرفهم في الماضي. إنه لم يعطهم مكانًا أن يثور غضبهم مما يجعل حكمهم مظلمًا، وإنما بكل تواضعٍ بدد غشاوة سخطهم وظلمته، وبعد هذا أظهر لهم اعتداءهم الجريء الذي ارتكبوه. فعندما نقول أننا قد أُضرنا يسعى الطرف المضاد أن يبرهن أنهم ليسوا علة الضرر، ولكن عندما نقول أنه لم يصبنا ضرر بل نحن مخطئون، يأخذ الطرف الآخر الخط المضاد. **فإن أردتم أن تظهروا لعدوكم خطأه احذروا من اتهامه، بل بالأحرى دافعوا عنه، عندئذ حتمًا سيدرك أنه مذنب، فإنه يوجد في الإنسان روح طبيعي لأخذ الموقف المضاد**[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ ليتعلّموا أن اللوغوس هو ابن اللَّه، كما قيل فيما سبق، وأنه غير مخلوق، ولا ينبغي أن ينسبوا مثل هذه الألفاظ إلى أهميّته، بل عليهم أن يفتّشوا لماذا وكيف كُتِبت هذه الأقوال. وممّا لا شك فيه أن تدبير التجسّد الذي صنعه لأجلنا سيجيب على الذين يتساءلون، لأنه عندما قال بطرس: "**جعله ربًا ومسيحًا**"، أضاف في الحال: "**هذا الذي صلبتموه أنتم**" [٣٦]، مما جعل الأمر واضحًا للجميع... إن كلمة "**جعل**" ليست عن جوهر الكلمة – بل عن ناسوته. لأن ما هو الذي صُلب سوى

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 7.*

الجسد؟... "**جعله ربًا**"، وليس هذا فحسب، بل "**جعله ربًا لكم**"، و"**فيما بينكم**". هذا هو ما يعنيه بقوله "تبرهن" [٢٢]... أي أثبت أنه ليس إنسانًا عاديًا، بل هو اللَّه في الجسد، وأنه هو الرب، وهو المسيح... جعله الآب ربًا وملكًا في وسطنا، ولنا، نحن الذين كنّا قبلاً عصاة. فمن الواضح أن هذا الذي يظهر الآن أنه رب وملك، لم يبتدئ أن يصير عندئذٍ ملكًا وربًا، بل ابتدأ يظهر ربوبيّته، وأن تمتد ربوبيّته حتى على الذين يعصونه[1].

❖ الكلمة نفسه وهو بالطبيعة الرب الكلمة قد جُعل إنسانًا، ومن خلال صورة العبد صار رب الجميع ومسيحًا، أي لكي يقدّس الجميع بالروح[2].

**البابا أثناسيوس الرسولي**

❖ لم يقتلوه هو بقدر ما قتلوا أنفسهم. لقد خلصوا بواسطة ذاك الذي ذُبح من أجلهم. ولما تحدّث الرسول نُخسوا في ضميرهم، الذي نخس (السيّد) بالحربة. وإذ نُخسوا طلبوا مشورة فأعطيت لهم، أن يتوبوا ويجدوا نعمة، ويؤمنوا أن يتناولوا الدم الذي سفكوه في ثورتهم[3].

**القديس أغسطينوس**

**"فقال لهم بطرس:**
**توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا،**
**فتقبلوا عطية الروح القدس". [٣٨]**

❖ أرسل بطرس الشعب اليهودي التائب عن عمله الشرير لكي يعتمدوا في الحال[4].

**القديس جيروم**

❖ من ييأس من نوال غفران خطاياه إن كانت جريمة قتل المسيح قد غُفرت بالنسبة لمرتكبيها؟... لقد جاءوا إلى مائدة الرب، وبالإيمان شربوا الدم الذي في هياجهم

---

[1] *Adv. Arian. 2:15:12.*
[2] *Ibid 2:15.14.*
[3] *Sermons on N.T. Lessons, 39 :1.*
4 *Letter 69 to Oceanus, 6.*

سفكوه[1].

**القديس أغسطينوس**

❖ أية خطية أعظم من أن يصلب الإنسان المسيح؟! ومع هذا فالعماد يغسلها[2].

❖ يا لعظمة النعمة التي كانت تعمل في جميع الرسل معًا حتى آمن من اليهود صالبي المسيح هذا العدد العظيم، واعتمدوا باسم المسيح، و"كانوا يواظبون على تعليم الرسل والصلوات" (أع ٢: ١٤)[3].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

من لم يسمع للقديس يوحنا المعمدان حيث نادى بالتوبة (مت ٣: ١-٢)، ولا تجاوب مع كرازة ربنا يسوع الذي نادى أيضًا بالتوبة (مت ٤: ١٧)، يمكنه أن يبدأ الآن خلال عمل الروح القدس، فيقدم توبة أو ميتانويا (ميطانيا) وتعني تغيير القلب والفكر والإرادة، وإعادة النظر إلى حياة الإنسان الداخلية وسلوكه الظاهر. هي إعطاء الوجه لله عوض القفا (إر ٧: ٢٤؛ ٣٢: ٣٣)، وإعطاء القفا للخطية عوض الوجه.

التوبة هي اكتشاف حب الله الفائق، وكما قيل للمرأة الخاطئة: "لأنها أحبت كثيرًا مغفورة لها خطاياها الكثيرة". يجد الخاطي في حب الله مصدر المغفرة والتعزية والفرح الفائق.

يشير **العلامة أوريجينوس** إلى **المعمودية** التي تُقدم حتى للأطفال الصغار "لمغفرة الخطايا" متسائلاً: [خطايا من هذه؟ متى ارتكبوا خطايا؟ أو كيف يمكن شرح غسل المعمودية الذي يحدث حتى مع الأطفال الصغار، إلا حسب شرحنا للأطفال الصغار الذي نتكلم عنه؟ فإنه ليس إنسان بلا غضنٍ، ولو كانت حياته يومًا واحدًا (أي ١٤: ٤- ٥). فإنه بسرّ المعمودية يُنزع كل غضن. ولهذا فإنه حتى الأطفال يعمدون، لأنه "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت السماوات". (يو ٣

---

[1] *Sermons on N.T. Lessons, 27:4.*

[2] *Lect. Catech., 17:15.*

[3] *Lect. Catech., 17:21.*

: ٥)[١].

إذ يعطون الوجه لله بالتوبة يقبلون العماد لنوال البنوة لله. تُغفر لهم خطاياهم ويتمتعون بعطية الروح القدس الذي يسكن في داخلهم.

يمكننا القول بأن التوبة هي قارب النجاة الذي يُقدم نعمة الله للمسافر بعد أن انكسرت السفينة ودمرتها أمواج الخطية وزوابع العصيان. يلزمه أن يلقي بنفسه في هذا القارب. أما العماد فهو التقاء المسافر في حضن أبيه، ودخوله كما إلى مسكنه الأبدي، فيجد راحته في بنوته للآب، وشركته مع الابن الوحيد الجنس، وفرحه بعمل روح الله الساكن فيه. بالتوبة يُقدم الدواء للشفاء من جراحات الخطية، وبالعماد ترتد للإنسان كرامته ليصير بالحق أيقونة المسيح حامل برّه، له حق الشركة في المجد الأبدي.

❖ لم يقل بعد "آمنوا"، بل "**ليعتمد كل واحد منكم**"، فهذا يتقبلونه في المعمودية. تحدث بعد ذلك على المنافع: "لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس". إن كنتم تقبلون العطية، فالمعمودية تهب المغفرة، لماذا تتأخرون؟[٢]

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

غسل خطايانا وتجديدنا لا يعني موت الجسد بل موت الشهوات الجسدية أو الإنسان القديم بأعماله، أما الجسد فصالح ومقدس.

❖ أريد أن يموت هذا الجسد عن الخطيئة. لست أسأل أن يموت الجسد بل ألا يخطئ مرة أخرى. وكما أن الميت يكون جثمانه فوق إمكانية الخطيئة، هكذا الذي يصعد من مياه المعمودية يخلص من الخطيئة. فإن كنتَ قد متّ في هذه المياه يلزمك أن تبقى ميتًا عن الخطيئة[٣].

❖ يليق بمن يتوب ألا يلتصق بعد بذات الخطايا التي تاب عنها. لهذا السبب نؤمر

---

1 *Homilies on Luke 14:5.*

2 *Homilies on Acts, hom. 7.*

3 *In Epis. Ad Rom. Hom 2.*

بأن نقول: "أجحدك أيها الشيطان" حتى لا نعود بعد إليه[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ المعمودية باب يردنا إلى الفردوس، فيها يدخل الإنسان إلى اللَّه ليكون معه.

المعمودية سفينة جديدة حاملة للأموات، بها يقومون ويعبرون إلى بلد الخالدين.

وُضعت المعمودية في العالم لأجل العالم الجديد، فيها يعبر الإنسان من عند الأموات إلى بلد الحياة...

❖ تعالوا أيها المدينون وادخلوا، خذوا صكّكم مجّانا، فتُمحى ذنوبكم داخل المياه.

تعالوا أيها المساكين، واقتنوا الغنى بالعماد الروحى، وأقيموا الخزانة العظيمة عوض الفقر.

تعال أيها الخروف الضال الذي لسيد القطيع واعتمد، فبك يكمل العدد مائة.

تعال أيها الخاطئ المتعَب، والمنسحق، والمملوء جراحات، واقطع عنك ثقل الإثم بالمعمودية.

تعالوا أيها العميان المُظْلِمون باختيارهم، اعتمدوا لتتفتح أعينكم، وتستضيئوا بابنة النهار.

تعالوا أيها الهالكون، لأن الراعي الصالح قد خرج وراءكم ليجمعكم عند الينبوع...

تعالوا، فإن طرق بيت اللَّه مفتوحة داخل المياه...

تعالوا أيها العتيقون الذين شاخوا وبلوا... اقتنوا تجديدًا في بطن المعمودية الجديد[2].

**مار يعقوب السروجي**

**"لأن الموعد هو لكم ولأولادكم،**

**ولكل الذين على بُعد،**

**كل من يدعوه الرب إلهنا". [٣٩]**

[1] *Baptismal Instructions, 12:22.*

[2] ميمر عن المعمودية المقدسة (مخطوط بدير الأنبا أنطونيوس نسخ عام ١٤٨٨ ش).

هذا الموعد الذي تنبأ عنه يوئيل النبي متسع جدًا، يُقدم حتى "لكل الذين على بعد"، يُقدم لكل البشر. الوعد مُقدم لمن يدعوه الرب الذي هو محب للبشر؛ فمن جانب الرب الدعوة مقدمة للكل. بقي من جانب الإنسان أن يتجاوب مع الدعوة إذ "**كل من يدعو باسم الرب ينجو**، لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم تكون نجاة، كما قال الرب وبين الباقين من يدعوه الرب" (يؤ ٢: ٣٢). " سلام، سلام للبعيد وللقريب، قال الرب، وسأشفيه" (إش ٥٧: ١٩).

ما أسهل أن يهمل الإنسان في التمتع بحقوقه، لكن يصعب أن يقبل هذا بالنسبة لنسله. لهذا يؤكد الرسول: "الموعد هو لكم **ولأولادكم**". لهذا قيل: "اسكب روحي على نسلك، وبركتي على ذريتك" (إش ٤٤: ٣)، "روحي الذي عليك، وكلامي الذي وضعته في فمك، لا يزول من فمك، ولا من فم **نسلك**، ولا من فم **نسل نسلك**، قال الرب". (إش ٥٩: ٢١) (تك ١٧: ٧)

**"وبأقوالٍ آخر كثيرة كان يشهد لهم ويعظهم قائلاً:**
**اخلصوا من هذا الجيل الملتوي". [٤٠]**

ركز القديس بطرس في تكملة عظته التي لم يسجلها لنا لوقا البشير على خطية ذاك الجيل الذي يدعوه "الجيل الملتوي"، الذين سجلوا على أنفسهم: "دمه علينا وعلى أولادنا". (مت ٢٧: ٢٥) فإذ يقدمون توبة عما فعلوه بالمخلص يتمتعون بالغفران على خطاياهم، أو بالمصالحة مع غافر الخطايا. لقد صار الأمر في سلطانهم، فمن جانب الله قدم كل شيء؛ أعلن الآب حبه ببذل ابنه، ودفع الابن الثمن، وصار الروح القدس حالاً في الكنيسة، فما عليهم إلاَّ أن يقبلوا الروح القدس واهب كل شيء. إنه وقت للخلاص قبل دمارهم الأبدي، وحلول التأديب الإلهي بدمار الهيكل.

إنه يحذرهم من الانضمام إلى غير المؤمنين والأشرار. وكما قال المرتل: "انصرفوا عني أيها الأشرار فاحفظ وصايا إلهي... وكزغلٍ عزلت كل أشرار الأرض، لذلك أحببت شهاداتك". (مز ١١٩: ١١٥، ١١٩)

❖ أتوسل إليك أيها العزيز المحبوب، وارتمى عند قدميك متوسلاً أن تهبني وتهب نفسك هذه الصلاة الواحدة أن تخلص نفسك من الجيل الملتوي (أع ٢: ٤٠).

اتسحب أيها العزيز المحبوب من هرطقة أوريجينوس وكل الهرطقات[1].

**القديس أبيفانيوس أسقف سلاميس**

**"فقبلوا كلامه بفرح،**

**واعتمدوا،**

**وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس". [٤١]**

دعوة الرسول بطرس للتوبة دفعتهم لحياة الفرح، لأنهم قدموا توبة صادقة، وتمتعوا بما كان يشتهيه داود الملك والنبي: "رد لي **بهجة خلاصك**".

علامة عمل الروح القدس هو قبول الكلمة بفرح سبب أهليهم للتوبة والاعتراف بخطاياهم ونوال المعمودية.

❖ من يحب بحقٍ أن يعيش بحسب الإنجيل، يهدم بداية حالته الشريرة ونهايتها، ويمارس كل فضيلة بالكلام والعمل. إنه يتحرر من كل مضايقات الشهوات، وإذ يتحرر عقله من هذا الصراع يمتلكه رجاء السعادة العتيدة، ولا يعرف شيئًا سوى الفرح الدائم الذي يغذي النفس.

**القديس مرقس الناسك**

يرى البعض أن انضمام الثلاثة آلاف نفس تحقق ليس فقط بخطاب الرسول بطرس وإنما بحديث بقية الرسل أيضًا، هذا بلغةٍ وذاك بلغةٍ أخرى، وكان محصلة الكرازة في خلال اليوم كله ٣٠٠٠ نسمة من كل أورشليم، لهذا قيل: "**وانضم في ذلك اليوم**"، ولم يقل "في تلك الساعة". لم يكن بالأمر الهين أن يترك ٣٠٠٠ نسمة في يومٍ واحد الخضوع لرؤساء الكهنة ومجمع السنهدرين ليعلنوا قبولهم يسوع المصلوب ربًا ومسيحًا.

## ٦. كنيسة روحية متهللة

**"وكانوا يواظبون على تعليم الرسل،**

**والشركة وكسر الخبز والصلوات". [٤٢]**

---

[1] *St. Jerome: Letter to John, bishop of Jerusalem, 3.*

كلمة "**يواظبون**" في اليونانية تحمل معنى تكريس النفس وتقديمها، أو التفرغ لهذا العمل والالتصاق به.

"**تعليم الرسل**" يشمل الإيمان الحي بيسوع أنه الرب والمسيح مخلص العالم، هذا مع فهمٍ جديدٍ وإدراكٍ لغاية العهد القديم، خاصة ما يحويه من نبوات مسيحيانية، وتعليم التقليد الكنسي الشفاهي الذي تسلموه من السيد المسيح خلال خدمته.

"**الشركة**" مارست الكنيسة الأولى الشركة من جوانب متعددة.

**أولاً:** شركة الحب العملي الباذل كالاهتمام بالفقراء والمحتاجين والمتألمين والمسجونين والغرباء والحزانى والمرضى.

**ثانيًا:** شركة في ولائم المحبة، حيث يشترك الكل معًا في الطعام بروح الفرح والمحبة.

**ثالثًا:** شركة في العبادة معًا كالصلاة والصوم الخ.

**رابعًا:** الشركة حول الإفخارستيا للتناول من جسد الرب ودمه.

**خامسًا:** شركة الروح وإدراك الوحدانية على مستوى الأعضاء المتنوعة للجسد الواحد، جسد المسيح المتناغم معًا.

❖ هنا فضيلتان: المثابرة (المواظبة) والتوافق معًا... كل شيء كان مشتركًا، كل شيء كان في اتحاد[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ تصور دائرة تخرج من مركزها أشعة أو خطوط. فبقدر ما تبتعد الخطوط عن المركز بقدر ما تفترق عن بعضها البعض... وبالعكس كلما اقتربت من المركز، تقاربت نحو بعضها البعض.

افترض أن هذه الدائرة هي العالم، ومركز الدائرة هو الله. والخطوط من المركز إلى المحيط أو من المحيط إلى المركز هي طرق حياة البشر. فإننا نجد نفس الأمر، فبقدر ما يتحرك القديسون في داخل الدائرة تجاه المركز، راغبين في الاقتراب من الله، يقترب كل منهم نحو الآخر.

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 7.*

بقدر ما يقترب البشر نحو اللّه، يقترب كل منهم نحو بعضهم البعض. وبقدر ما يقتربون نحو بعضهم البعض يقتربون نحو اللّه...

وعندما يبتعدون عن اللّه ويتجهون نحو الأمور الخارجية... يبتعد كل منهم عن الآخر، وبالتالي يبتعدون عن الله (أكثر)...

**هكذا في اقتنائنا للحب أيضًا، بقدر ما نكون خارجًا ولا نحب اللّه، يبتعد كل منا عن أخيه. ولكننا إن أحببنا اللّه، فإنه بقدر ما نقترب إليه نتحد بالحب باخوتنا، وبقدر ما نتحد بالحب باخوتنا هكذا نتحد باللّه.**

**الأب دوروثيؤس**

❖ المحبة الكاملة هي أن يود الإنسان أن يقدم حياته من أجل كل البشر. لكن هل يبلغ الحب كل هذا العلو دفعة واحدة؟ لا، فإنه إذ يُولد يحتاج أن ينتعش، وإذ ينتعش يتقوى، وإذ يتقوى يصير كاملاً[1].

**القديس أغسطينوس**

"**وكسر الخبز**": التسمية البدائية لسرّ الإفخارستيا.

❖ لم يستطع الملاك أن يلمس الجمرة النارية بأصابعه، وإنما أحضرها قريبًا من فم إشعياء (إش ٦). لم يمسكها الملاك، ولم يلتهمها إشعياء، أما فسمح لنا ربنا أن نفعل هذا وذاك (بتناولنا جسده ودمه المقدسين).

**القديس أفرآم السرياني**

❖ بالحقيقة يعطي المسيح حتى جسده، الذي به ينتعش الذين يؤمنون كأطفال صغار.

**القديس هيبوليتس الروماني**

"**والصلوات**": بدأوا بالشركة معًا في صلوات الهيكل بما تحتويها من مزامير وتسابيح وصلوات البركات الثمانية عشر حسب المواسم. بجانب هذا كانت لهم صلوات مشتركة معًا في البيوت. بلا شك لم يكن يشغلهم في صلواتهم سوى تقديم التسبيح والشكر لله الذي أشرق عليهم بالنور، واجتذبهم إلى حبه وإدراك أسراره، طالبين ذات

---

[1] *Robert Llewelyn, The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 114.*

العطية لكل نفسٍ بشريةٍ في العالم. لم يكن في أذهانهم شوق إلى مبانٍ كنسية ضخمة، ولا إلى طموحات معينة، سوى نشر الكلمة وبنيان كنيسة المسيح.

❖ لنخضع نحن أنفسنا للصلاة. إنها سلاح قدير إن قُدمت بغيرة، إن كانت بدون عجب، إن كانت بذهنٍ مخلصٍ. إنها تصد حروبًا، وتفيد الأمة كلها مع عدم استحقاقها. يقول: "سمعت أنينهم ونزلت لأنقذهم" [٣٤]. إنها هي عينها دواء منقذ، له قوة لمنع الخطايا وشفاء الأفعال الشريرة[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ لنجتمع معًا في جماعة تقدم صلاة متحدة معًا، ولنصارع معه في طلباتنا، هذا يبهج الله.

**العلامة ترتليان**

❖ إن كان لكم الابن نفسه، ابن اللّه الوحيد، كمجد العماد، فلماذا أتكلم بعد عن إنسانٍ؟! حقًا كان يوحنا (المعمدان) عظيمًا، لكن ماذا يكون يوحنا بجانب الرب؟! أنه صوت صارخ، لكن ماذا يكون إن قورنت بالكلمة؟!

هذا الرسول نبيل جدًا، لكن ماذا يُحسب إن قورن بالملك؟!

نبيل هو هذا الذي عمد بماء، لكن ماذا يكون إن قورن بالذي يعمد بالروح القدس ونار؟! إذ عمد المخلص الرسل بالروح القدس ونار (مت ٣: ١١)، عندما صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحدٍ منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس"[2].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

**"وصار خوف في كل نفس،**

**وكانت عجائب وآيات كثيرة تُجرى على أيدي الرسل". [٤٣]**

**"وصار خوف في كل نفس"**: ملأ الروح القدس الكنيسة بروح المهابة، خاصة

---

[1] *Homilies on Hebrews, hom. 27:9.*

[2] مقالات لطالبي العماد ٣: ٩.

وأن كثيرين منهم كانوا قبلاً قد اشتركوا في صلب السيد المسيح أو قبلوا ذلك.

امتلأ الكل بمخافة الرب التي هي رأس الحكمة، وثمر الروح القدس، الذي قيل عنه: "يحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب" (إش ١١: ٢).

❖ خوف الرب يحث النفس على حفظ الوصايا، وعن طريق حفظ الوصايا يُشيد منزل النفس.

❖ إذًا ليتنا نخاف الرب ونُشيد منازل لأنفسنا، حتى نجد مأوى في الشتاء حيث المطر والرعد، لأن من لا منزل له يعاني من مخاطرٍ عظيمةٍ في وقت الشتاء.

**الأب دوروثيؤس**

❖ إن أراد أحد أن ينال حب الله، فليكن فيه **مخافة الرب**، لأن الخوف يولِّد بكاء، والبكاء يولد قوة. وإذا ما كملت هذه كلها في النفس، تبدأ النفس تثمر في كل شيء. وإذ يرى الله في النفس هذه الثمار الحسنة، يشتمها رائحة بخور طيبة، ويفرح بها هو وملائكته، ويشبعها بالفرح، ويحفظها في كل طرقها حتى تصل إلى موضع راحتها دون أن يصيبها ضرر.

إذ يرى الشيطان الحارس العلوي العظيم يحيط بالنفس، يخاف أن يقترب منها أو يهاجمها بسبب هذه القوة العظيمة.

إذًا، اقتنوا هذه القوة حتى ترتعب الشياطين أمامكم، وتصير أعمالكم سهلة، وتتلذذوا بالعمل الإلهي، لأن حلاوة حب الله أشهى من العسل.

حقًا إن كثيرين من الرهبان والعذارى في المجامع لم يتذوقوا هذه الحلاوة الإلهية، ولم يقتنوا القوة الإلهية، ظانين أنهم قد نالوها، بالرغم من عدم جهادهم. أما من يجاهد لأجلها فينالها حتمًا خلال المراحم الإلهية، لأن الله لا يحابي الوجوه.

فمن يريد أن يكون له نور الله وقوته، يلزمه أن يستهين بكرامات هذا العالم ودنسه، ويبغض كل أمور العالم ولذة الجسد، وينقي قلبه من كل الأفكار الرديئة. ويقدم لله أصوام ودموعًا ليلاً ونهارًا بلا هوادة كصلوات نقية، عندئذ يفيض الله عليه بتلك القوة.

اجتهدوا أن تنالوا هذه القوة، فتصنعوا كل أعمالكم بسهولة ويُسر، وتصير لكم دالة عظيمة قدام الله، ويهبكم كل ما تطلبونه[1].

**القديس أنطونيوس الكبير**

أخيرًا سند الروح القدس الرسل بإجراء عجائب وآيات كثيرة باسم ربنا يسوع.

**"وجميع الذين آمنوا كانوا معًا،**
**وكان عندهم كل شيءٍ مشتركًا". [٤٤]**

قبل أن يشير الإنجيلي لوقا عن الشركة في الممتلكات والاحتياجات تحدث عن شركة الروح والقلب والفكر، قائلاً: "كانوا معًا". من الجانب الجسماني لا يمكن القول بأن المائة وعشرين مضافًا إليهم الثلاثة آلاف نسمة قد صاروا معًا في حجرة واحدة أو بيتٍ واحدٍ يتحركون معًا طول اليوم، وإنما كانوا معًا بالروح والفكر والحب الحقيقي.

❖ **فجأة صار الجميع ملائكة؛** واظب الكل على الصلاة والاستماع، متطلعين إلى الأمور الروحية أنها مشتركة، ليس لأحد شيء أكثر من الآخر. جاءوا بسرعة معًا إلى ما هو عام، حتى في العطاء للكل...

**إنها دولة ملائكية، ليس فيهم من ينسب شيئًا إلى نفسه.** لقد نُزع جذر الشر فورًا. ما فعلوه أظهروا ما قد سمعوه، هذا الذي قيل: "اخلصوا من هذا الجيل الملتوي" (أع ٢: ٤٠)[2].

❖ وحدة عشرة أشخاص أتقياء يجعلون من الواحد عشرة. بالتبعية كل واحدٍ منهم يمكنه أن يعمل خلال عشرين يدًا ويرى خلال عشرين عينًا؛ وكل واحد ينال رعاية كما للعشرة، كما يهتم هو بنفسه. لهذا فإن الأعين والأيادي والأقدام التي للعشرة تخدم كل واحدٍ منهم. فلا يكتفي إنسان بأن يهتم بنفسه وحده، بل يهتم أيضًا بالآخرين. بهذا يستطيع الواحد أن يفعل أمورًا كثيرة لأنه يحمل طاقات العشرة.

---

[1] رسالة ٩.

[2] *Homilies on Acts, hom. 7.*

إذن متى وُجدت وحدة بين مائة شخص تقي، كل واحد يحمل طاقة مائة شخص[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها،**

**ويقسمونها بين الجميع،**

**كما يكون لكل واحدٍ احتياج". [٤٥]**

لم يُلزم الرسل المؤمنين بقانونٍ معين بخصوص العطاء، بل صار المؤمنون يعشقون الحب الباذل والعطاء بسخاء حبًا في الله. إذ وهبهم الروح القدس ما هو لله، نسوا ما هو لهم، وحسبوا كل ما بين أيديهم لا يساوي شيئًا مقابل اقتناء اللؤلؤة الكثيرة الثمن.

❖ لم يتصرفوا بطيشٍ مثل بعض الفلاسفة اليونانيين الذين منهم من تخلوا عن أراضيهم، ومنهم من ألقى أمواله في البحر بكميات هائلة، لكن هذا لا يعني استخفافًا بالثروات، وإنما هو غباوة وجنون. فإن الشيطان يسعى بأن يستهين الإنسان بخليقة الله، كما لو كان من المستحيل استخدام الثروات بطريقة صالحة[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

قدمت الكنيسة بالحب، وليس بالأوامر والقوانين، مثلاً حيًا أمام العالم كيف يمكن خلال الشركة أن يشبع الكل ويفرحون ويتهللون، ولا يوجد بينهم من هو في احتياج.

❖ إطعام الجائعين أعظم من إقامة الموتى.

❖ تطلّع كم وهبك الله، خذ منه احتياجك، وما تبقّى وأنت لا تحتاج إليه يحتاج إليه الغير.

❖ قدّم له الكرامة التي يطلبها بنفسه، بتقديم مالك للفقراء.

**القدّيس يوحنا الذهبي الفم**

---

*1 Hom. 78 in John. PG 59 : 425.*

*2 Homilies on Acts, hom. 7.*

**"وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفسٍ واحدة،**
**وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت،**
**كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب". [٤٦]**

بالحب افرغوا أنفسهم من كل اهتمامٍ مقلقٍ، وكرسوا قلوبهم وحياتهم للعبادة المشتركة والحياة المشتركة، فتحولت حياتهم كما إلى عرسٍ دائمٍ، صاروا فرحين مبتهجين حتى أثناء تناولهم الطعام معًا.

❖ تذكر يا عزيزي أننا لن نكف عن الصلاة حتى نرى اليوم الذي نصير فيه جميعنا واحدًا، غير منقسمين في الفكر، وفي المجمع الواحد. حقا إننا نكون غرباء عن الله إن كنا نفرح بالانشقاقات والانقسامات التي تهدد الكنيسة[١].

**القديس باسيليوس الكبير**

❖ لاحظوا يا إخوة واعرفوا ما هو سرّ الثالوث، كيف يقال يوجد الآب والابن والروح القدس، ومع هذا فالله واحد. انظروا كان يوجد ألوف (من المؤمنين) ولكنه يوجد قلب واحد، يوجد ألوف ونفس واحدة... ليقتربوا إلى الله، فيصير الكل نفسًا. إن كان بالاقتراب إلى الله القدوس تصير النفوس الكثيرة بالحب نفسًا واحدة، وتصير القلوب الكثيرة قلبًا واحدًا، فماذا يكون ينبوع الحب في الآب والابن؟[٢]

**القديس أغسطينوس**

لم يفارقوا الهيكل، ولا حملوا روح العداوة لليهود، لكنهم دون شك لم يشتركوا في تقديم ذبائح حيوانية، وقد بقوا هكذا حتى طردوهم ومنعوهم من دخوله والشركة في العبادة معهم.

بقوله: "**في البيوت**" واضح أن كل جماعة تتحدث بلغةٍ معينةٍ كانت تجتمع معًا مع رسولٍ أو أكثر ممن وُهب لهم عطية التكلم بهذه اللغة، ليمارسوا العبادة بلغتهم المفهومة بالروح والعقل معًا.

---

1 *Epistle to Evagrius.*

2 *In Ioan., tr., 39:5.*

❖ لقد طرحوا ثرواتهم وفرحوا، وصارت لهم بهجة عظيمة، إذ نالوا غنى أعظم بدون تعبٍ. ليس من يوبخ، ولا من يحسد، ولا من يتذمر؛ ليس من كبرياءٍ ولا احتقار للغير بينهم. حسبوا أنفسهم كأطفالٍ تحت التعليم، كأطفالٍ حديثي الولادة، هكذا كانت نزعتهم[1].

❖ لم يعرف الفقراء العار، ولا الأغنياء التباهي؛ وهذه هي البهجة. يشعر الآخرون أنهم الفريق الملتزم السعيد (بالعطاء)، والأولون شعروا بأنهم مُكرمون هنا، وقد التصقوا تمامًا معًا[2].

❖ لم يعد يُوجد خوف في أحدٍ مع أنهم كانوا في وسط المخاطر[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

"**بساطة قلب**": للأسف تشوهت صورة البساطة، وصار كثيرون يحسبونها جهالة أو عدم حكمة أو توقف عن التفكير الجاد، مع أن الله نفسه يُوصف بأنه بسيط. فبساطة القلب هي شركة في إحدى سمات الله نفسه، حيث لا يوجد في القلب طريقان مختلطان مع بعضهما البعض، بل طريق واحد مستقيم بلا اعوجاج ولا امتزاج بطريقٍ آخر. وقد قدم لنا القديس **فيلوكسينوس** فصلاً رائعًا عن "البساطة" سبق لنا نشره.

❖ مكتوب: "مطوبة هي كل نفس بسيطة" (أم ١١: ٢٥) مرة أخرى: "من يسلك بالبساطة يمشي في آمان" (أم ١٠: ٩). تقول: "حقًا، لكن التعقل أيضًا مطلوب". أسألك: ما هي البساطة سوى التعقل؟ فحينما لا تشتبه في شر لا تستطيع أن تختلق شرًا، وحينما لا تساورك قلاقل لا تقدر أن تتذكر المضرات. هل شتمك أحد؟ إنك لم تتألم. هل سبَّك أحد؟ لم يصبك أي ضرر. هل حسدك أحد؟ لازال لم يصبك ضرر ما. **البساطة هي الطريق العلوي للفلسفة الحقيقية**. ليس من جمالٍ للنفس مثل تلك التي للبسيط... من له هذه السمة يمكنه بسهولة أن يقيم له صديقًا، وإذا حدث اختلاف بينهما بسهولة يمكنه التصالح. لا يحتاج مثل هذا إلى حرس ولا إلي

[1] *Homilies on Acts, hom. 7.*

[2] *Homilies on Acts, hom 7.*

[3] *Homilies on Acts, hom. 7.*

قوات مخفر أمامية، ولا يحتاج إلى قيود وأغلال، إنما حريته عظيمة وحرية من يلتصقوا به، ربما تقول: ما هو موقف مثل هذا إن سقط بين أناس أشرار؟ الله الذي أمرنا أن نكون بسطاء في الذهن يبسط يده. من كل بريئًا أكثر من داود؟ ومن كان أشر من شاول؟ ومع هذا من الذي غلب؟ أيضًا في أمر يوسف، ألم يقترب إلى زوجة سيده في بساطة هذه التي استخدمت معه فنون الشر؟ نعم، أسألك ما الذي أصابه ضرر؟ علاوة على هذا من كل أكثر بساطة من هابيل؟ ومن كان أكثر دهاء من قايين؟[1]

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ لقد أعطانا ربنا مبدأ سهلاً في بشارته، ألا وهو الإيمان الحق البسيط. فالبساطة ليست هي المعروفة في العالم بالبلادة والخرافة، بل **هي فكر وحيد بسيط، يسمع ولا يفحص، ويقبل ولا يبحث**... دُعي إبراهيم وخرج تابعًا الله وما فحص صوت المنادي له، ولم يعقبه الأقارب ولا الأصدقاء ولا المقتنيات ولا أي شيء من رباطات البشرية. أنظر الآن، وليكن خروجك مثله، ولا تتأخر عن صوت المسيح الذي دعاك ببشارته قائلاً: "من يريد أن يكون لي تلميذًا، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (لو ٩: ٢٣). وقد أظهر هذه الدعوة لجميع الناس، وهكذا دُعى الرسل فتركوا شباكهم وتبعوه (مر ١: ١٨)، وإذ لم يكن لهم من متعلقات تثقل محبة العالم انصاعوا لصوت الذي دعاهم.

❖ افرح بالبساطة لتجعلك محبوبًا عند الله والناس. وإن ظننت أن الناس يستهزئون بك، ويحسبونك جاهلاً أبلهًا بلا عقل أو إفراز، فليكن معلومًا عندك أنه ليس صلاح بلا عثرة. فإن كنت تهرب من معوقات الخير فلا يمكنك أبدًا أن تقتني فضيلة.

**مار فيلوكسينوس**

❖ الذين كانوا مرتعبين وخائفين وثبوا بعد أن نالوا الروح القدس في وسط المخاطر، وجردوا أنفسهم للمعركة ضد وحوش جديدة نارية متوحشة... وإذ كانوا أميين جهلة دخلوا في مباحثات بكل جرأة أدهشت السامعين لهم. فالروح جعل منهم رجالاً جددًا

[1] *Homilies on Acts, hom. 7.*

من أناسٍ من الطين، ووهبهم أجنحة، وسمح لهم ألا يهزمهم شيء بشري.

هكذا هي تلك النعمة، إن وجدت قنوطًا تبدده، وإن وجدت شهوات شريرة تحطمها، وان وجدت جبنًا تطرده خارجًا، ولا تسمح لشخصٍ يشترك فيها أن يصير بعد ذلك إنسانًا مجردًا، وإنما كمن تنقله إلى السماء نفسها وتجعله أن يتشبه بكل ما هو هناك. بهذا لا يقول أحد بأن أي شيء مما يملكه أنه له، بل يستمرون في الصلاة والتسبيح ووحدانية القلب. فإن هذا هو ما يطلبه الروح القدس بالأكثر. فإن ثمر الروح هو فرح، سلام، إيمان، وداعة (غل ٥: ٢٢- ٢٣)[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

## ٧. كنيسة ولود

**"مسبّحين الله،**

**ولهم نعمة لدى جميع الشعب،**

**وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون". [٤٧]**

كانوا كنيسة متهللة دائمة التسبيح بسبب ما تمتع به جميع الشعب من نعمة إلهية. كان الشعب في حالة شبع روحي يفيض فرحًا على كل نفس في الداخل وعلى كل وجه. تهتم الكنيسة بالتسبيح، لأنه عمل ملائكي، وهو العمل الوحيد الذي لن يتوقف بخروجنا من هذا العالم. التسبيح سند للمؤمن وسط وادي هذا الدموع، يبتلع كل ضيق أو حزن أو مرارة، ليحيا المؤمن كما في وليمة سماوية دائمة.

أما النعمة التي يتمتع بها الشعب جميعه فهي نعمة الثالوث القدوس العامل بلا توقف في حياتهم. وقد سبق لنا تقديم ملحق للإصحاح الأول من إنجيل يوحنا عن "نعمة فوق نعمة" يمكن الرجوع إليه.

أما ثمرة الحياة المتهللة بالرب الدائمة التسبيح فهي: **"وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون"**. هذا هو عمل النعمة الإلهية في حياة الشعب المتهلل بالروح الدائم التسبيح.

---

[1] *Homilies on St. John , hom. 75:5.*

## من وحي أعمال الرسل ٢

### لأنطق باللسان الناري!

❖ مع نسمات الريح الهادئة صعدت يا مخلصي إلى السماء!
ارتجت السماء كلها بالبهجة والتهليل،
فقد دخل ابن الإنسان يحمل البشرية فيه إلى العرش الإلهي.

❖ أرسلت روحك إلى أرضنا مثل ألسنة نارية!
لكي تهتز أعماقي بصوتٍ كما من هبوب ريحٍ عاصفٍ.
حقًا وهبتني روحك القدوس الناري ساكنًا فيَّ.

❖ روحك الناري يحولني إلى خادمٍ ناريٍ.
حتى صمتي وسكوني الداخلي ينطق كما بلسانٍ ناري،
لسان الحب الفائق الذي يجتذب الكثيرين إليك!

❖ أنت تعلم إني أميّ، عاجز عن النطق بالإلهيات.
روحك الساكن فيّ،
يتكلم بي في قلوب الكثيرين.
هو وحده يعرف لغة كل إنسانٍ وفكره وأحاسيسه وعلله.
هو وحده يتكلم مع كل بشرٍ بثقافته الداخلية.

❖ روحك يشبع احتياجات الكل.
يسكب فرحًا وتعزية في قلوب الحزانى والمتألمين.
يملأ النفس ويشبعها،
فلا تكون في عوزٍ.
يشرق في داخلها،
فتتبدد مملكة الظلمة،
يتسلم عجلة قيادتها،
فلا يقدر عدو أن يقتحمها.
يرفعها إلى السماء،

فلا يقدر العالم أن يهبط بها.

حقًا إنه يهبني لسانًا ناريًا واهب النور،

فيجتذب الكثيرين!

❖ مع بطرس أجبن أن أشهد لك أمام جارية،

لكن بروحك تقتنص بي الألوف،

ليصيروا أعضاء في جسدك.

# الباب الثاني

## في أورشليم

## ص ٣ - ص ٧

# الأصحاح الثالث

# شفاء كسيح

## كنز الكنيسة: اسم يسوع المسيح

في الاصحاحين السابقين رأينا كيف أعد السيد المسيح الكنيسة لكي تنطلق للعمل لحساب ملكوت الله. ففي الأصحاح الأول أوضح أن **رأسها سماوي** (الصعود) فيليق بها أن تكون سماوية، وفي الأصحاح الثاني رأينا **قائدها هو الروح القدس الناري** لكي تلتهب بالحب الناري. الآن يبدأ العمل في أورشليم كوصية السيد المسيح، فيقدم لنا القديس لوقا حقيقة إنجيلية هامة وهي أن **كنز الكنيسة هو اسم يسوع المسيح**.

**١. شفاء الأعرج باسم يسوع الناصري** ١-١٠.

**٢. حديث عن الإيمان باسم يسوع** ١١-١٦.

**٣. شهادة كل الأنبياء ليسوع** ١٧-٢٦.

## ١. شفاء الأعرج باسم يسوع الناصري

"كانت عجائب وآيات كثيرة تُجرى على أيدي الرسل" (أع ٢: ٤٣). لم تتم العجائب والمعجزات بطريقة عشوائية، ولا لاستعراض إمكانيات الرسل، وإنما كانت هادفة نحو جذب كل نفسٍ للتمتع بأعظم أعجوبة؛ حب الله الفائق المُعلن على الصليب. ولم يسرد لنا سفر الأعمال إلاَّ أمثلة قليلة هادفة عبر كل الأجيال ليدرك الكل إمكانيات كنيسة الله لملكوت إلهي على الأرض.

**"وصعد بطرس ويوحنا معًا إلى الهيكل،**
**في ساعة الصلاة التاسعة". [١]**

كان القديسون بطرس ويعقوب ويوحنا، الجماعة المختارة من الرسل لمرافقة **السيد المسيح في كثير من الأحداث، يُحسبون أعمدة (غل ٢: ٩). وحدهم رافقوا السيد المسيح في تجليه (مر ٩: ٢٠)، وكانوا أقرب من غيرهم في بستان جثسيماني (مر ١٤: ٣٣).**

مع اختلاف طبع القديس بطرس عن القديس يوحنا لكنهما ارتبطا بعلاقة صداقة عجيبة. كان الأول يتسم بالغيرة والاندفاع، والثاني بالهدوء والحب. أنكر الأول السيد المسيح ثلاث مرات أثناء محاكمته، بينما رافق الثاني السيد حتى الصليب. ومع هذا نجد السيد يختارهما كرفيقين يُعدان له الفصح (لو ٢٢: ٨). هذا وواضح من سفر الأعمال أن التصاقهما ببعضهما البعض تزايد بالأكثر بعد قيامة السيد المسيح وصعوده إلى السماء. وكانا عضوي البعثة التي بعثها الرسل لتسليم أهل السامرة الإيمان والعماد (أع ٨: ١٤). وكانا في صحبة عند زيارتهما لقبر السيد المسيح (يو ٢٠: ٢).

كان لكل من القديسين بطرس ويوحنا أخ من بين التلاميذ، ومع هذا فإن ارتباطهما معًا أقوى بكثير من ارتباط كل منهما بأخيه حسب الجسد. هكذا كثيرًا ما تكون الصداقة في المسيح يسوع وفي العمل الروحي أقوى من الرباط الدموي.

- لا يوجد علاج مؤثر لشفاء الأوجاع مثل الصديق الصادق الذي يعزيك في ضيقاتك.

- بحق ليكن لك صديق يُدعى "نصف نفسي".

- لا توجد صداقة حقيقيّة ما لم تجعلها كوصلة تلحم النفوس، فتلتصق معًا بالحب المنسكب في قلوبنا بالروح القدس.

**القدّيس أغسطينوس**

- بين هذه الأنواع جميعها يوجد نوع واحد من الحب لا ينحل، حيث يقوم فيه الاتحاد لا على التعارف أو بغية نوال شفقة أو ربح أو بسبب نوع من العلاقات التجارية أو بحكم ضرورة الطبيعة، إنما ببساطة **لأجل التشابه في الفضيلة. هذا الحب، أقول، لا تهزه الظروف، ولا يؤثر فيه أو يفسده عامل الزمن أو المكان، بل ولا يقدر الموت أن ينزعه. هذا هو الحب الحقيقي الذي لا ينكسر، والذي لا تنفصم رباطاته بسبب اختلاف الميول أو أي اضطراب من جهة الرغبات المتضاربة[1].**

**الأب يوسف**

---

[1] *Cassian: Conferences, 16:3.*

"**وصعد بطرس ويوحنا معًا إلى الهيكل**"، فقد كان بناء الهيكل مرتفعًا قليلاً عن بقية المدينة، لذلك قيل: "**صعد**". قد سبق فرأينا التزام التلاميذ والرسل بالعبادة بانتظام في الهيكل (أع ٢: ٤٦).

"**في ساعة الصلاة التاسعة**": كان اليهود يمارسون ثلاثة سواعي للصلاة: الثالثة والسادسة والتاسعة. يقول داود النبي: "مساءً وصباحًا وظهرًا أشكو وأنوح، فيسمع صوتي" (مز ٥٥: ١٧). وقد التزم دانيال بهذا في أرض السبي (دا ٦: ١٠). وقد ظلت الكنيسة الأولى محافظة على كل طقوس العبادة اليهودية والاشتراك في الصلوات في الهيكل في المواعيد المحددة، ولكن بفكرٍ مسيحيٍ جديدٍ ومفاهيمٍ جديدةٍ.

❖ وقت الساعة التاسعة، فنصلي كالرسل... وهو وقت تسليم الرب (روحه) على الصليب[1].

القديس باسيليوس الكبير

**"وكان رجل أعرج من بطن أمه يُحمل،**
**كانوا يضعونه كل يوم عند باب الهيكل،**
**الذي يُقال له الجميل،**
**ليسأل صدقة من الذين يدخلون الهيكل ". [٢]**

قصة شفاء أعرج من بطن أمه هي معجزة من بين كثير من المعجزات التي وهبها الروح القدس للرسل ليتمموها باسم يسوع المصلوب، لكن الروح اختارها لتحمل معنى خاصًا.

تمت المعجزة على أيدي بطرس ويوحنا، في هذه القصة المختصرة يتكرر اسمي الرسولين ثلاث مرات لتأكيد أن الاسمين يحملان معنى رمزيًا يمس حياة الكنيسة وحياة كل مؤمن صادق يود التمتع بعمل الروح القدس في أعماقه. الأول يمثل الإيمان حيث كلمة بطرس معناها "صخرة"، ويوحنا يمثل الحب الذي به نتعرف على الرب ونراه، إذ وحده بين التلاميذ عرفه عند بحر طبرية، وقال لبطرس: "هو الرب" (يو

---

[1] دير السريان: القديس باسيليوس الكبير، سنة ١٩٦، ص ١٢١.

٢١: ٧). وكأن عمل الروح يتجلى في الكنيسة خلال الإيمان العامل بالمحبة.

كان الشخص أعرج من بطن أمه، وكأن عمل الروح هنا أشبه بالخلق، فهو يجدد الطبيعة البشرية، ويهبنا "خلقة جديدة" قادرة على السير في الطريق، أي في المسيح، لنعبر إلى حضن الآب. أما الإشارة إلى أنه أعرج من بطن أمه، ففيه تأكيد أن المعجزة ليس فيها أي نوع من الخداع، فهو أعرج منذ ولادته، ويُحمل إلى الهيكل، ويعرفه كل سكان أورشليم.

كان الأعرج يُحمل ويُوضع عند باب الهيكل، الذي يُقال له الجميل، يطلب صدقة فهو عاجز عن الحركة، يحتاج إلى من يحمله؛ وُضع خارجًا في فقرٍ يستعطي.

**باب الجميل:** هو الباب الرئيسي المؤدي إلى رواق النساء ورواق إسرائيل ورواق الكهنة، فيعبر به كل الشعب اليهودي من رجال ونساء وشيوخ وأطفال، كما يعبر به الكهنة واللاويون، فالشهادة للسيد المسيح موجهة لكل الداخلين إلى الهيكل لممارسة صلاة الساعة التاسعة، بلا تمييز بينهم. يرى د. لايتفوت Lightfoot أن باب الجميل هو الباب المؤدي من دار الأمم إلى دار اليهود، بهذا يلتقي به اليهود سواء كانوا من الرجال أو النساء دون الأمم، إذ كان يترفع عن أن يمد يده ليأخذ عطاء من أممي.

يرى د. هويتبي Whitby أن باب الجميل هو مدخل الهيكل مسكن الله. جمال الهيكل لا يعيبه وجود أعرج فقير يستعطي، فإن الحب الذي يقدمه المصلون وروح العطاء هو جزء لا يتجزأ من جمال بيت الله.

❖ ليكن في كل أسرة موضع يختفي المسيح فيه في أشخاص الجائعين والعطشى الغرباء.

❖ ليس شيء يجعلنا هكذا مقرّبين من اللَّه وعلى شبهه مثل هذا العمل الحسن!

❖ تُصعد الرحمة الإنسان إلى علوٍ شامخٍ وتعطيه دالة بليغة عند اللَّه.

فكما أن الملكة متى أرادت الدخول إلى موضع الملك لا يجسر أحد من رجال البلاط أن يمنعها أو يسألها عن المكان الذي تريد الذهاب إليه، بل جميعهم

يستقبلونها بابتهاج، هكذا من يصنع الرحمة والصدقة يمتثل أمام عرش الملك بدون عائق، لأن الإله يحب الرحمة حبًا شديدًا، وهي تبقى بالقرب منه، لذلك قال الكتاب: "قامت الملكة عن يمينك". ذلك، لأن الرحمة مفضّلة عند الإله، إذ جعلته يصير إنسانًا لأجل خلاصنا.

**القدّيس يوحنا ذهبي الفم**

❖ أعطِ المساكين، وهلمّ بدالّة قدّم صلواتك، أي تحدّث مع الإله كما يتحدّث الابن مع أبيه، فليس شيء يقدر على دنو القلب إلى الباري مثل الرحمة.

**مار اسحق السرياني**

❖ القدّيسون الذين يقطنون الأرض يقطنون السماء بقلوبهم بالرغم من أنهم يسيرون على الأرض بأجسادهم. فليس باطلاً تنبيههم: "ارفعوا قلوبكم"، فيجيبون أنهم قد رفعوها. لم يقل باطلاً: "فإن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا مّا فوق حيث المسيح جالس عن يمين اللَّه"، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض. فبقدر اختلاطهم بالسماويّات يحملون اللَّه، ويكونون سماءً، لأنهم كرسي اللَّه: وعندما يعلنون كلام اللَّه، فإن "السماوات تحدث بمجد اللَّه"[1].

**القديس أغسطينوس**

**"فهذا لمّا رأى بطرس ويوحنا مزمعين أن يدخلا الهيكل،**
**سأل ليأخذ صدقة". [٣]**

غالبًا لم يكن الأعرج يعرف الرسولين بصفتهما الشخصية، لكن الرسولين حتمًا كانا ينظرانه كلما دخل قبلاً إلى الهيكل للعبادة.

**"فتفرس فيه بطرس مع يوحنا وقال:**
**أنظر إلينا". [٤]**

عادة يتطلع طالب الإحسان إلى القادمين يستعطفهم لينال منهم شيئًا، أما أن يقف الرجلان يتفرسان فيه، فهذا ما لم يتوقعه قط: ماذا يطلبان منه؟ هل يريدان أن

---

[1] *Sermon on N.T. lessons, 3:14.*

يسألاه شيئًا أو يوبخانه، والكل يعلم عجزه عن العمل منذ ولادته؟

لقد تفرس فيه الرسولان قبل صنع المعجزة؛ كما يتطلع إلينا الله بعيني الحنو والاهتمام الشخصي. هكذا الحب يسبق العطاء. قدما حبهما واهتمامهما به قبل اعطائه الشفاء باسم يسوع المسيح الناصري. إنهما لم يفعلا مثل كثيرين يقدمون بأيديهم العطاء أما قلوبهم فمنصرفة عن المحتاجين.

والعجيب أن الاثنين تفرسا فيه دون سابق اتفاق، فإن الروح الواحد عمل فيهما ليتطلعا إليه بقلبيهما كما بأعينهما.

قال بطرس: "انظر إلينا"، فقد اشتاق أن يتطلع الأعرج فيرى فيهما شخص السيد المسيح الساكن فيهما والعامل بروحه فيهما وبهما.

❖ إن أعطيت شيئًا لمحتاجٍ، ليسبق وجهك البشوش عطيتك، مع كلمات رقيقة، ومساندة لآلامه.

إن فعلت هذا فإن السرور الذي يشعر به في ذهنه بعطيتك يكون أعظم من احتياج جسده[1].

**القديس مار اسحق السرياني**

**"فلاحظهما، منتظرًا أن يأخذ منهما شيئًا". [٥]**

**"فقال بطرس:**
**ليس لي فضة ولا ذهب،**
**ولكن الذي لي، فإيّاه أعطيك،**
**باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشِ". [٦]**

تفرس بطرس ويوحنا في الأعرج، وطلب بطرس منه أن ينظر إليهما. هكذا تلاقت النظرات معًا، ليحمل هذا تلاقٍ داخلي لحساب ملكوت الله. فالرسولان وقد حملا روح الأبوة بعمل الروح القدس يشاركان الله تطلعه نحو كل نفسٍ عاجزةٍ ومحتاجة، يتطلعان بروح الحق الفائق والحنو، لكن ليس بروح العجز واليأس، وإنما بروح القوة

[1] *A. J. Wensinck: Mystic Treatises by Isaac of Nineveh, 1923, p 233.*

خلال إمكانيات الروح القدس.

حقًا ما أحوج الكنيسة إلى نظرات رعاة قلوبهم مثل قلب الله الكلي الحب والحنو في أبوةٍ صادقةٍ مع حكمة وقدرة، لقد اختبر ذلك في القديم ارميا النبي الذي في حنوه كان يصرخ: "أحشائي، أحشائي، توجعني جدران قلبي، يئن فيَّ قلبي. لا أستطيع السكوت" (إر ٤: ١٩). وفي شوقه لخلاص اخوته كان يصرخ: "أليس بلسان في جلعاد؟ أم ليس هناك طبيب؟ فلماذا لم تُعصب بنت شعبي؟" (إر ٨: ٢٢)

إذ تطلع الأعرج إليهما منتظرًا أن ينال صدقة أخبره بطرس عن إفلاسهما من مقتنيات العالم، لكن ما ورثاه هو اسم يسوع المسيح الناصري، وهو أفضل لهما وله، قادر أن يهبه الشفاء، فيقوم كما من الموت، ويمشي كما في طريق ملوكي. وكما يقول المرتل: "أرسل كلمته فشفاهم" (مز ١٠٧: ٢٠).

تحرك قلب بطرس بالإيمان الحي باسم يسوع المسيح طبيب النفوس والأجساد، وصدق وعده الإلهي: "إن سألتم شيئًا باسمي فإني أفعله" (يو ١٤: ١٤).

لقد جاء البلسان (الإيمان بالسيد المسيح)، ونزل إلينا طبيب النفوس والأجساد، لكن مجمع السنهدرين رفضه، أما البسطاء مثل القديس بطرس فقبلوه، وقدموه شفاءً لكل العالم ليصيروا بالحق ابنة صهيون الجديدة، شعب الله الحقيقي. يرى **القديس أمبروسيوس** أن الرسول بطرس قدم هذا البلسم فشُفي الأعرج (أع ٣: ١-١١)، وقدمه للمفلوج إينياس (أع ٩: ٣٤) فأقامه من سرير مرضه، كما قدمه عندما أقام طابيثا من الموت (أع ٩: ٤٠).

❖ من يرغب أن يقتني الحكمة يقول: **"ليس ليّ فضة أو ذهب، ولكن الذي لي إياه أعطيك، باسم يسوع الناصري قم وامشِ"**. إذ لم يكن يملك فضة اقتنى عطية عمل المحبة في اسم المسيح. لذلك يُقال لكم أيضًا: "اسحبوا الحكمة إلى الأماكن الداخلية" (راجع أي ٢٨: ١٨)، "إنها محجوبة عن عيني كل حي، ومتوارية عن طير السماء" (أي ٢١:٢٨ الطبعة الكاثوليكية، دار المشرق ببيروت). لا يعرف البشر أين كانت، ولا الملائكة، لأنهم طيور السماء، الذين قيل عنهم: "رأيت ملاكًا طائرًا

في وسط السماء" (رؤ ١٤: ٦)[١].

❖ ليس باسمه الخاص به بل باسم المسيح. لكن كلمة "قم" هي أمر... حالة من يثق في حقه، وليس حال من هو في عجرفة بسلطانٍ ما[٢].

**القديس أمبروسيوس**

❖ "خلصني يا الله باسمك" (مز ٥٤: ١). يقول إن استدعاء اسمك كفيل لسلامي. بنفس الطريقة تمم الرسل الإلهيون العجائب العظيمة؛ يقول الكتاب: "باسم يسوع المسيح قمْ وامشِ" (أع ٣: ٦)[٣].

**الأب ثيؤدورت أسقف قورش**

❖ أما الآن فكثيرون، وإن كانوا لا يقولون بالكلمات، إنما يقولون بالأعمال: "ليس لي إيمان ولا تقوى، وإنما الذي لي فهو فضة وذهب، هذه لا أعطيها لك"[٤].

❖ الآن يقدس ربنا بفقره فقر بيته. لذلك فلنفكر في صليبه، ونحسب الغنى ليس إلا تراب. لماذا نعجب بما يدعوه المسيح "مال الظلم" (لو ١٦: ٩)؟ لماذا نحب ونبحث عما يفتخر بطرس أنه لا يملكه؟[٥]

❖ لم يتثقل الرسل بثقل الغنى. لهذا استطاعوا أن يقفوا مثل إيليا عند شق الصخرة (١ مل ١٩: ١١-١٣) وأن يعبروا خلال ثقب الإبرة، وأن يروا مجد الرب من خلف[٦].

**القديس جيروم**

بلا شك وضعت ثروات كثيرة عند أقدام بطرس ويوحنا كما عند أقدام سائر الرسل، لكن لم يكن هذا يشغل أذهانهم، بل تركوا كل أحدٍ يأخذ ما يريده. لم يحمل الرسولان نصيبًا من هذه الأموال لتقديمها للفقراء في الطريق أو عند مدخل الهيكل، إنما حملا رب العالم كله ليهب بواسطتهما بفيضٍ ما هو أعظم من الفضة والذهب.

---

[1] *The Prayer of Job and David, B.1, 9: 30.*
[2] *Of the Christian Faith, 3:4 (31).*
[3] *Comment. on Ps. 54.*
[4] *Letter 22:32.*
[5] *Letter 52 to Nepotian, 10.*
[6] *Letter 123:15.*

في دراستنا في إنجيل يوحنا كان تلقيب يسوع المسيح **بالناصري** فيه نوع من السخرية والاستخفاف، لكن الرسول يستخدم ذات اللقب ليعلن أن ما يحسبه العالم عارًا يحمل مجدًا إلهيًا فائقًا. هذا وقد ارتبط هذا اللقب بالصليب (يو ١٩: ١٩).

ولعل وضع اليد أو مدها للعمل يشير إلى حنو الله وحبه العجيب للإنسان، فإن كان يعمل بنعمته المجانية إلاّ أنه يقدمها خلال الذراع البشري. إنه لا يستخف بأيدينا، مع أننا عاجزون تمامًا عن العمل، وكل ما يتم خلالها إنما هو هبة مجانية من قبل الله.

إن كانت العطية المقدمة للأعرج هي هبة مجانية من الله لا فضل لأحدٍ فيها، لكن بطرس يعلن شوقه للعمل ومساعدة الأعرج.

- لم يقل: "**ليس معي الآن**"، كما اعتدنا نحن أن نقول، بل بطريقة مطلقة قال: "ليس لي"[1].

- إن كان لأحد فضة وذهب لا يكون له تلك العطايا الأخرى. تقول لماذا إذن يوجد من ليس لهم لا هذا ولا ذاك؟ لأنهم ليسوا فقراء اختياريًا، أما الذين صاروا فقراء باختيارهم فلديهم كل الأمور الصالحة. إنهم وإن كانوا لا يقيموا موتى ولا يشفوا عرج، إلا أن لديهم ما هو اعظم من الكل، لهم ثقة في الله. إنهم سيسمعون في ذلك اليوم الصوت الطوباوي: "تعالوا يا مباركي أبي". أي شيء يمكن أن يكون أفضل من هذا؟ "رثوا الملكوت المعد لهم منذ إنشاء العالم، لأني جعت فأطعمتموني..." (مت ٢٥: ٣٤-٣٥). لنهرب إذن من الطمع، فننال ملكوت السماوات. لنطعم الفقراء، فنطعم المسيح، ونصير شركاء في الميراث في المسيح يسوع ربنا...[2]

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

- لم يُشف المجمع اليهودي؛ لأن ذلك البلسم عبر إلى الكنيسة (إر ٨: ٢٢). لهذا أتى **التجار من جلعاد (قابل تك ٣٧:٢٥)، أيضًا من امتلاكهم أو سكناهم في الناموس،** وأحضروا سلعهم إلى الكنيسة. ليشفي ذلك البلسم خطايا الأمم، الذين قيل عنهم: "تشدّدي أيتها الأيادي المسترخية، وتثبتي أيتها الركب المرتعشةَ!" (إش ٣:٣٥

[1] *Homilies on Acts, hom. 8.*
[2] *Homilies on Hebr. , hom. 18:6.*

LXX). والبلسم هو الإيمان النقي (غير الفاسد). مثلُ الإيمان الذي أظهره بطرس، حين قال للأعرج: "باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشِ!" (أع ٣:٦، قابل أع ٣:١-١١)، فقام ومشى حقًا كان لبطرس. نفس الإيمان حين قال للمفلوج: "يا إينياس يشفيك يسوعُ المسيحُ. قم وافرِشْ لنفسك!" (أع ٩:٤٠) فقام وأعَدّ فراشه. وكان له نفسُ الإيمان حينما قال للمرأة الميتة: "قومي باسم ربنا يسوع المسيح" (أع ٩:٤٠). وقامت الميتة!... بالدواءِ المصنوعِ من هذا البلسم شُفي الأعرجُ، واستقام المشلولُ، وقامت الميتةُ حيّةً[1].

❖ لنشتري القوت الذي به يمكننا أن نتجنب المجاعة. لا يرجع أحد بسبب فقره. لا يخف أحد لأن ليس لديه مال، **فإن المسيح لا يسأل مالاً، بل يطلب إيمانًا**، الذي هو أعظم من المال. بالحق إذ لم يكن لدى بطرس مالاً اقتناه (المسيح)... ويقول النبي إشعياء: "أيها العطاش جميعًا هلموا إلى المياه، والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا " (إش ٥٥: ١). لأن الذي دفع دمه ثمنًا لنا، لا يطلب ثمنًا منا، إذ لم يخلصنا بذهبٍ وفضةٍ بل بدمه الكريم (١ بط ١: ١٨-١٩)[2].

**القديس أمبروسيوس**

**"وأمسكه بيده اليمنى وأقامه،**
**ففي الحال تشددت رجلاه وكعباه". [٧]**

أمسكه القديس بطرس بيده اليمنى، التي تشير إلى القوة التي صارت له في المسيح يسوع. وفي إقامته لطابيثا: "ناولها يده وأقامها" (أع ٩: ٤١). وفي إتمام كثير من الأسرار الكنسية يمد الأسقف أو الكاهن يده ليعلن مذ السيد المسيح يمين قوته ليهب نعمةً خاصة. ففي سيامة الكاهن يضع الأسقف يده على رأس المرشح للكهنوت، وفي نوال الحل في سرّ الاعتراف يضع الكاهن يده على رأس المعترف، وفي سرّ الزواج يضع الكاهن يديه على رأسي العروسين.

---

[1] *St. Ambrose: Joseph, 3:17 (Translated by Guirguis Kamel Youssef).*
[2] *Joseph, 7:42.*

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن القديس بطرس لم يقدم استعراضًا بما يفعله، إذ لم يطلب لنفسه كرامة، فقد شفاه عند مدخل الهيكل حيث لم يكن يقف أحد، بل كان الجمهور داخل الهيكل.

لم يسأله الرسول: أتؤمن أنك باسم يسوع تُشفي؟ لأن هذا الأعرج غالبًا ما كان والداه غير مؤمنين بيسوع المسيح، لهذا لم يحملاه إليه، ولا قدماه للتلاميذ. وغالبًا لم يكن للأعرج صديق يروي له ما فعله يسوع قبل صلبه، ولا ما فعله التلاميذ، لهذا لم يطلب منه أن يؤمن كشرطٍ لشفائه.

**"فوثب ووقف وصار يمشي،**

**ودخل معهما إلى الهيكل،**

**وهو يمشي ويطفُر ويسبح اللَّه". [٨]**

لم يعد بعد محتاجًا إلى من يحمله، فقد حملته الأذرع الأبدية، ولا من يتكئ عليه فقد أقامه الرب ليحيا بروح القيامة وبهجتها!

معروف أن المشي عند الإنسان يحتاج إلى فترة تدريب طويلة، سواء بالنسبة للطفل بعد ولادته، أو بالنسبة للذين أصيبوا بمرض أو حادَث عاقهم عن المشي لمدة طويلة، فإنه لا يمكن أن يسيروا بعد شفائهم مباشرة. أما هذا ففي لحظات وقف وصار يمشي. لم يتمتع الأعرج بالشفاء فحسب، وإنما نال قوة فائقة، صار يعَّبر عنها بسرعة الحركة والانتفاضة من حالة العجز التي كان عليها. وكما قيل: "يعطي المعيي قدرة" (إش ٤٠: ٢٩)، "حينئذ يقفز الأعرج كالآيل، ويترنم لسان الأخرس" (إش ٣٥: ٦).

إنه منظر مبهج ملأ الحاضرين رهبة وعجبًا وبهجة. يرون الأعرج يثب متهللاً، ويمشي ويطفر.

لم يكن ممكنًا للأعرج أن يكتم مشاعره، فقد وثب كمن لا يريد أن يعيش في حالة العجز الكامل التي تقترب إلى الموت. إنه لأول مرة يتحرك بقدميه، **فيقدم بكور هذه الحركة لحساب الله**، فيدخل إلى الهيكل، يقدم ذبيحة الشكر والتسبيح للطبيب السماوي.

❖ إنه لأمر عجيب أنه آمن هكذا سريعًا، فإن الذين شفوا من أمراض مزمنة بصعوبة يصدقون حتى أعينهم. ما أن شُفي حتى التصق بالرسولين، شاكرًا الله... لاحظوا كيف أنه لم يسترح، ملتهبًا بالبهجة، مبكمًا أفواه اليهود[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"وأبصره جميع الشعب وهو يمشي ويسبح الله". [٩]**

تحركت قدما النفس إذ شُفيتا، فسار في طريق الخلاص، يسبح الله ويمجده على أعمال محبته. لم نسمع عنه أنه قدم شكرًا للرسولين، ولا وقف يمدح عملهما، لكن تسبيحه لله فرّح قلب الرسولين.

**"وعرفوه أنه هو الذي كان يجلس لأجل الصدقة على باب الهيكل الجميل، فامتلأوا دهشة وحيرة مما حدث له". [١٠]**

هذا الذي كان يُحمل ليُوضع عند الباب الرئيسي للهيكل، بالكاد يزحف لمد يده يستجدي إحسان الناس، وقد صار منظره مألوفًا لكل شعب إسرائيل والكهنة والفريسيين والصدوقيين... الآن يروه يثب متهللاً، يسبح ذاك الذي صلبوه.

صارت دهشة إذ لم يستطيعوا إنكار الحق، وقد سلكوا في الباطل وظنوا إنهم كتموا الحق ودفنوه، إذا بالحق يتجلي، وصارت الشهادة له لا تُقاوم. أصيبوا بدهشة وبحيرة، لا يعرفون ماذا يفعلون، هوذا دم يسوع المسيح يصرخ في القلوب. لم يكن ممكنًا مقاومة هذا العمل الإلهي للأسباب التالية:

❖ يعاني الأعرج من هذا المرض منذ ولادته، أي لمدة ٤٠ عامًا (أع ٤: ٢٢).

❖ لم يكن الأعرج محتالاً، لأنه كان يُحمل إلى هذا الموضع العام أمام الجميع، وقد عرفه كل شعب أورشليم.

❖ لا يمكن أن تكون هناك علاقة بينه وبين الرسولين، لأنه عند شفائه لم ينطق بكلمة شكر أو مديح لهما، بل كان يسبح الله، وإن كان قد صار ملتصقًا بهما لا يريد مفارقتهما.

❖ كان الأعرج نفسه مقتنعًا أن ما حدث معه هو من الله.

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 8.*

## ٢. حديث عن الإيمان باسم يسوع

**"وبينما كان الرجل الأعرج الذي شُفي متمسكًا ببطرس ويوحنا،**
**تراكض إليهم جميع الشعب إلى الرواق،**
**الذي يقال له رواق سليمان،**
**وهم مندهشون". [١١]**

إذ صار الأعرج يسبح متهللاً تراكض الشعب من رواق إسرائيل، وتكدسوا في رواق سليمان الخارجي ليتعرفوا على حقيقة ما حدث. هنا وجد القديس بطرس الفرصة سانحة للكرازة أمام الشعب وعلى مسمع من الكهنة والكتبة وكل القيادات اليهودية. وجد الفرصة سانحة ليتحدث في رواق سليمان عن واهب الحكمة لسليمان، وهو أعظم من سليمان.

**رواق سليمان:** هو رواق ضخم مُغطي بسقفٍ، يحتل الجانب الشرقي من دار الأمم.

- بدأ تعليمنا في "**رواق سليمان**" [١١]، الذي هو نفسه علم بأنه يلزمنا أن نطلب الرب في بساطة قلب[1].

**العلامة ترتليان**

**"فلما رأى بطرس ذلك أجاب الشعب:**
**أيها الرجال الإسرائيليون،**
**ما بالكم تتعجبون من هذا؟**
**ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي؟" [١٢]**

صار بطرس الرسول يتكلم بكل قوة عن المصلوب القائم من الأموات، ولم يكن ممكنًا للصدوقيين الذين يقولون إنه لا قيامة من الأموات أن يعترضوا، فقد وقف الأعرج من بطن أمه يصدق على كلمات الرسول بالشهادة العملية التي لن يقدر أحد أن ينكرها أو يقاومها.

---

[1] *On Prescription against Heretics, 7.*

بدأ الرسول بتأكيد حقيقة خطيرة يسقط فيها كثير من العامة، بل وحتى من القيادات أصحاب المعرفة، حينما يظن الشعب أن ما يفعله قديس ما يمارسه بقوة تقواه أو قداسته، وأحيانا يصدق القادة ما يُقال عنهم، فيتصنعون التواضع، ويتمنعون عن قبول أية كرامة، وبهذه الصورة الخطيرة للتواضع المزيف يسقطون في كبرياءٍ داخلي مدمر.

بكل قوة قال الرسول: **"ما بالكم تتعجبون من هذا؟ ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي؟"** [١٢] حقًا كان يمكن له أن يعلن أن ما حدث هو بقوة يسوع الناصري، ويقف عند هذا الحد. فيظن كثيرون أنه وإن كان ذلك قد تم بقوة يسوع، لكنه تم على يدي رجلٍ عظيمٍ تقيٍ قديسٍ، أما القديس بطرس فأصر أن لا دور له إلا من حيث قبوله وإيمانه بقوة يسوع الناصري المصلوب.

❖ بالحقيقة كانا يزيدان من مجدهما باحتقارهما للمجد (الزمني)، مظهرين أن ما حدث لم يكن بعملٍ بشري، بل هو عمل إلهي، وأنه من جانبهما إذ نظرا المتطلعين إليهما بدهشةٍ لم يتقبلا هذه الدهشة منهم. ألا ترون كيف كان (بطرس) بعيدًا عن كل طمعٍ، وكيف رفض الكرامة المقدمة له؟ بنفس الكيفية سلك الآباء القدامى. كمثال قال دانيال: "أما أنا فلم يكشف لي هذا السرّ لحكمة فيَّ أكثر من كل الأحياء" (دا ٢: ٣). وأيضا يوسف: "أليست لله التعابير؟!" (تك ٤٠: ٨). وأيضا داود: "عندما جاء الأسد والدب باسم الرب مزقتهما بيدي" (راجع ١ صم ١٧)[1].

❖ من هذا نتعلم أمرًا عظيمًا، أعني أن غيرة الإنسان وحدها لا تكفي ما لم يتمتع ببركة المعونة من فوق. مرة أخرى هذه المعونة التي من فوق لا تفيدنا ما لم نكن نحن غيورين... الفضيلة منسوجة من هذين الخيطين. لهذا أحثكم ألا تضعوا كل شيء على الله وأنتم نائمون، ولا تظنوا أن بغيرتكم يصير كل شيء حسنًا، بجهودكم الذاتية. الله لا يريدنا كسالى، ولهذا فلا يفعل كل شيء بنفسه، ولا يريدنا أن نكون فشارين (معجبين بأنفسنا) لذلك لم يعطنا كل شيء. إنه ينزع من الطرفين

[1] *Homilies on Acts, hom. 9.*

ما هو ضار ويهبنا ما هو نافع لنا[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ لن ينسب هؤلاء الرجال شيئًا لأنفسهم، بسبب قدرتهم على صنع مثل هذه الأعاجيب، معترفين بأنهم لم يصنعوا هذا عن استحقاقاتهم بل بحنو الرب. رفض الرسل الكرامة البشرية المقدمة لهم بسبب الاندهاش من معجزاتهم قائلين: "ما بالكم تتعجَّبون من هذا، ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوّتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي؟!" (أع ٣:١٢). ولم يفكر أحد أن يتمجد من أجل المواهب الإلهية والأعاجيب، بل بالأحرى بثمار الأعمال الصالحة...

لهذا يحذر من وهبهم بنفسه هذا السلطان لصنع المعجزات والأعمال العجيبة بسبب قداستهم ألا ينتفخوا قائلاً: "ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتِبَت في السماوات" (لو ١٠:٢٠).

أخيرًا فإن الرب ينبوع كل المعجزات والأعمال القديرة هو بنفسه عندما دعا تلاميذه أن يتعلموا منه، أظهر لهم بوضوح ما ينبغي عليهم بحق أن يتعلموه بصفة رئيسية: "تعلموا مني"، ليس بصفة رئيسية أن تخرجوا الشياطين بقوة سماوية، ولا أن تطهروا البرص، ولا أن تشفوا العمي، ولا أن تقيموا الموتى، فإنه هذه الأمور أفعلها خلال خدامي، لكن لا يمكن بهذه الأمور أن يكون الإنسان ممدوحًا من اللَّه، ولا يقدر أن يكون بها تلميذًا أو خادمًا له... وإنما يقول: "تعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب" (مت ١١:٢٩)، فإن هذا ممكن لدى البشر عامة. إذ يمكنهم أن يتعلموه ويختبروه. أما صنع المعجزات والعلامات، فهذا ليس بضروري على الدوام، ولا هو مفيد للجميع، ولا يُوهب للكل.

**التواضع هو سيد كل الفضائل**، والأساس الأكيد للبناء السماوي، وعطية المخلص الخاصة السامية. يقدر الإنسان أن يتمم المعجزات التي صنعها السيد المسيح "باسم الرب" من غير خطر السقوط في الكبرياء، حينما يقتفي أثر الرب الوديع، لا في سمو معجزاته، بل في فضيلتي الصبر والتواضع. وأما الذي يهدف

[1] *In Matt., 83. PG. 58:742-743 A.*

إلي أن يأمر الأرواح النجسة أو ينال مواهب الشفاء، أو إظهار بعض المعجزات الباهرة أمام الشعب، فإنه حتى وإن أظهرها تحت اسم المسيح، إلا أنه بعيد عن السيد المسيح، لأنه بكبرياء قلبه لا يتبع معلمه المتواضع.

في عودته إلي الآب، تهيأ ليتحدث بإرادته تاركًا لتلاميذه "وصية جديدة" وهي: "أن تحبُّوا بعضكم بعضًا، كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضًا بعضكم بعضًا"، وللحال أضاف: "بهذا يعرف الجميع إنكم تلاميذي إن كان لكم حبّ بعضًا لبعضٍ" (يو ١٣: ٣٤، ٣٥). إنه لم يقل: "إن كان لكم أن تصنعوا علامات ومعجزات"، بل "إن كان لكم حبّ بعضًا لبعض". هذه الوصية بالتأكيد لا يقدر أن يحفظها إلا الإنسان الوديع والمتواضع.

لذلك فإن آباءنا السابقين لم يُحسبوا رهبان صالحين أو متحررين من خطأ المجد الباطل لأنهم يُخرجون الشياطين، ولا يتباهون بزهو أمام الجماهير المعجبة من النعمة التي نالوها أو ادعوها، وهكذا فإن من يصنع شيئًا من هذه الأمور (العجيبة) في حضورنا، يلزم أن نمدحه ليس إعجابًا بالمعجزات، بل لجمال سيرته، ولا نطلب أن تخضع لنا الشياطين، بل بالأحرى أن نحمل ملامح الحب التي يصفها الرسول[1].

**الأب نسطور**

**"إن إله إبراهيم واسحق ويعقوب،**
**إله آبائنا مجَّد فتاه يسوع الذي أسلمتموه أنتم،**
**وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس،**
**وهو حاكم بإطلاقه". [١٣]**

في الوقت الذي فيه حوّل الرسول أنظارهم عنه لكي لا يحسبوه تقيًا قديسًا، وجه أنظارهم إلى ذاك الذي سلموه للصلب وأنكروه بينما كان الوالي غريب الجنس يود إطلاقه. إنهم عاندوا إله إبراهيم واسحق ويعقوب الذي مجَّد ابنه الوحيد الجنس، كعادتهم قاوموا إله إسرائيل نفسه.

---

[1] *St. John Cassian: Conferences, 15:6-7.*

تعمد الرسول أن يدعو الآب هنا "**إله إبراهيم واسحق ويعقوب**" ليؤكد لهم أن ما ناله آباؤهم من مواعيد إلهية، إنما قد تحققت بتمجيد الابن الوحيد الجنس، في صلبه كما في دفنه وقيامته وصعوده. أقامه الآب ملكًا ورئيس كهنة سماوي وشفيعًا كفاريًا، ورأسًا للكنيسة لكي يهبنا شركة أمجاده.

شفاء الأعرج من بطن أمه شهادة حية لقيامة المصلوب، وبرهان عملي أن يسوع المصلوب لم يُصلب لأجل علةٍ واحدةٍ عليه تستلزم موته. لقد حوّل أنظارهم عن معجزة شفاء أعرج من بطن أمه إلى معجزة الحب الإلهي خلال الصليب، ليتمتعوا بقوة قيامته، فالكل في حاجة إلى شفاء النفس الداخلية لكي تثب بتهليلٍ، تقوم من الفساد إلى عدم الفساد، وتنطلق من قبر الخطية إلى الهيكل السماوي.

اندهش القديس بطرس أنهم يندهشون بهذه المعجزة بينما لا يندهشون لقيامة المسيح من الأموات، القادرة أن تهب قوة القيامة للنفوس الميتة.

حول القديس بطرس أنظارهم من الأعرج إلى المسيح القائم من الأموات، فعوض الدهشة والحيرة لما رأوه ولمسوه يلزمهم أن يدهشوا لما حدث مع السيد المسيح، فإن هذا الأمر في غاية الخطورة، يمس حياتهم وخلاصهم الأبدي. إن كان الأعرج قد شُفي باسم يسوع القائم من الأموات، فكيف لا ينشغلون بالقائم من الأموات، خاصة وأنهم هم الذين صلبوه.

إذ كان اليهود يفتخرون بأنهم أبناء إبراهيم، فإن إله إبراهيم نفسه، الله الآب، شهد للابن الوحيد ومجّده. وإن كانوا يفتخرون ببرّ الناموس فإن بيلاطس الأممي بذل كل الجهد لكي لا يشترك في جريمة قتله. وكأن إله السماء يشهد له، وسكان الأرض حتى الذين بلا ناموس يعترفون ببراءته.

**"ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار،**
**وطلبتم أن يُوهب لكم رجل قاتل". [١٤]**

قدم بطرس صحيفة اتهام خطيرة ضدهم إذ ارتكبوا الجرائم التالية:

❖ قاوموا إله آبائهم، إله إبراهيم واسحق ويعقوب [١٣].

❖ قاوموا باطلاً السلطات الزمنية، التي تمثلت في بيلاطس بنطس.

❖ ارتكبوا جريمة قتل للمسيا القدوس البار.

❖ ارتكبوا غباوة وجهالة، إذ فضلوا رجلاً قاتلاً عن القدوس (لو ٢٣: ١٩؛ مر ١٥: ٧).

❖ قتلوا واهب الحياة، قائد معركة الخلاص.

❖ قاوموا الآب الذي أقامه، وهم لا يزالون يرفضونه!

**"ورئيس الحياة قتلتموه،**
**الذي أقامه اللَّه من الأموات،**
**ونحن شهود لذلك". [١٥]**

لقد كان بيلاطس في صراعٍ داخلي، وقد بذل كل الجهد لكي يبرئه، وكانت آخر محاولة له أنه طلب أن يطلقه ليس من أجل براءته، وإنما من أجل العيد كعادتهم. لقد سجل عليهم دون أن يدري أنهم فضلوا رجلاً قاتلاً عن يسوع المسيح. طلب منهم أن يطلق ملكهم، فرفضوا مُلكه، وقبلوا أن يكون قيصر ملكًا عليهم. لقد صاروا بلا ملك ولا ملكوت!

حسدهم وكراهيتهم للحق لا تحتاج إلى شهادة، فقد صلبوا البار، وأطلقوا باراباس القاتل واللص. حكم هؤلاء القادة على أنفسهم أنهم لا يطلبون البرّ ولا الحق، إنما يخشون على مراكزهم ومصالحهم المادية على حساب ضمائرهم.

وقف بطرس الأمي الجليلي يحاسب رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين وقادة الفكر، المؤتمنين على الشريعة وحفظها. صياد السمك البسيط كشف في بساطة على موازينهم المختلة.

**"رئيس الحياة"**: الكلمة اليونانية لا تشير إلى رئاسة، وإنما صاحب الحياة أو مصدرها. وهو تعبير عسكري، إذ يظهر السيد المسيح كقائد للمعركة ضد الموت ليهب حياة للذين سقطوا تحت أسر الموت. لقد ظنوا أنهم قادرون على التغلب عليه بقتله، ولم يدركوا أن بموته داس الموت، وبقتله قتل الفساد وحطمه. إنه قائد معركة الخلاص!

قتلوا واهب الحياة، لكنهم كانوا عاجزين على إبادته، إنما قتلوا الحياة التي فيهم، وحرموا أنفسهم من المتمتع به بكونه الحياة والقيامة.

يقدم الرسول شهادة حية لقيامة المسيح، ليس بكونه قد رآه وتلامس معه وتحدث وأكل معه خلال الأربعين يومًا من قيامته إلى صعوده، وإنما لأنه يشهد به قائمًا فيه، فيتمتع بالحياة المقامة. وكما يقول الرسول بولس: "أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات".

في تعليق العلامة أوريجينوس على قول السيد المسيح: "متى خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة وإن لا يجد يقول: ارجع إلى بيتي الذي خرجت منه... ثم يذهب ويأخذ سبعة أرواح أخر أشر منه (لو ١١: ٢٤-٢٦)، يقول بأن هذا ينطبق على حال الشعب اليهودي. [فإن الذين لم يؤمنوا بابن الله لم يعد بهم "روح شرير" مثلما كان اليهود في مصر، بل يمتلئوا بالأرواح الشريرة أيضًا، وبهذا صارت أواخرهم أشر من أوائلهم. الآن هم يعانون من أمورٍ أشر مما كانوا عليه وهم في مصر، إذ ليس فقط لم يؤمنوا بيسوع المسيح، بل "قتلوا رئيس حياتنا"، فحُرموا من الحياة. لا يعود يقول النبي بينهم: "هكذا يقول الرب". لا تعود توجد بينهم علامة، ولا أمر عجيب، ولا إشارة عن إعلان الله وحضوره. فقد عبرت الخيرات إلينا نحن الأمم، ككلمة ربنا يسوع: "ملكوت السماوات يُنزع منهم ويُعطى لشعب يحمل ثمرًا" (راجع مت ٢١: ٤٣). نحن هو هذا الشعب الذي أُعطي له ملكوت الله، غنى الإنجيل[1].]

- ❖ أية خطية أعظم أن يصلب الإنسان المسيح، ومع هذا فإن العماد يغسلها؟ لأنه تحدث بطرس مع الثلاثة آلاف الذين جاءوا إليه. هؤلاء الذين صلبوا الرب، إذ سألوه قائلين: "ماذا نصنع أيها الرجال الاخوة؟!" (أع ٢:٣٧) فإن الجرح عظيم؟! لقد جعلتنا يا بطرس نفكر في خطيتنا بقولك: "رئيس الحياة قتلتموه" (أع ٣:١٥). فأي تضميد يصلح لجرحٍ عظيمٍ كهذا؟! أي تطهير يكون لغباوةٍ كهذه؟! أي خلاصٍ لهلاك مثل هذا؟! يا لحب اللّه المترفق غير المنطوق به؟! مع أنهم كانوا بلا رجاء

[1] *Fragment 185 on Luke 11:24.*

من جهة خلاصهم، لكنهم مع ذلك تأهلوا للروح القدس (أع ٢:٣٨)! هل رأيت قوة المعمودية؟! إن كان أحدكم يصلب المسيح بكلمات تجديفه، إن كان أحدكم ينكره في جهل أمام الناس، إن كان أحدكم يجدف على التعاليم بكلمات شريرة، فليتب، وليكن له رجاء صالح، لأن النعمة حاضرة إلى الآن.

تشجعوا... الرب يطهركم! "تشجعي يا أورشليم فإن الرب ينزع عنك كل آثامك" "الرب يغسل دنس أبنائه وبناته بروح القضاء وبروح الاحتراق" "سيرش عليكم ماءً طاهرًا، فيطهركم من كل خطيتكم" (راجع صف ٣:١٤، ١٥، إش ٤:٤، حز ٣٦:٢٥).

سترقص الملائكة حولكم قائلة: "من هذه الطالعة في ثوب أبيض مستندة على حبيبها" (راجع نش ٨:٥.)[1].

## القديس كيرلس الأورشليمي

يرى القديس ايريناؤس[2] أن السيد المسيح جاء ليخلص الكل خلال نفسه. صار طفلاً بين الأطفال ليقدس الأطفال، وصبيًا بين الصبيان ليقدسهم... وأخيرا مات ليكون بكرًا من بين الأموات، "لكي يكون هو متقدمًا في كل شيء" (كو ١: ١٨) كائنًا قبل الكل، ومتقدمًا الكل.

**"وبالإيمان باسمه شدد اسمه،**
**هذا الذي تنظرونه وتعرفونه،**
**والإيمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم". [١٦]**

ما يصبو إليه الرسول في كل حديثه هو جذب كل نفسٍ للإيمان بالقائم من الأموات، والتمتع بقوة اسمه القدوس.

ما قد تمتع به هذا الأعرج من صحة الجسد وتهليلٍ لنفسه وتسبيح، إنما بقوة اسم يسوع. إنها دعوة لكي يؤمن الكل باسمه، فيتمتعون بشخصه وقوته وسماته.

لا يقصد بالكلمة "اسم" مجرد لقب أو الاسم في ذاته، بل شخص يسوع

---

[1] مقالات لطالبي العماد ٣ :١٥-١٦.

[2] *Adv. Haer. 2:22:5.*

المسيح، وقوته وسلطانه. فالإيمان باسم يسوع يعني الإيمان بشخصه وسلطانه وتدابيره الإلهية.

"**تنظرونه وتعرفونه**": رأوا الرب خلال شفاء الرب للأعرج، وتعرفوا على شخصه وقدرته وحبه الفائق للإنسان!

"**أمام جميعكم**": ما حدث كان علانية أمام الجميع، فأنتم شهود على أنفسكم إن لم ترجعوا إليه.

"**والإيمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم". [١٦]**

❖ الإيمان سراج، وكما ينير السراج البيت هكذا ينير الإيمان النفس[١].

❖ الإيمان هو نور النفس، طريق الحياة، أساس الخلاص الأبدي[٢].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ الإيمان المسيحي يشبه حبة خردل، يبدو للنظرة الأولى شيئًا صغيرًا تافهًا وضعيفًا، لا يُظهر بوضوح قوته الحقيقية؛ عندما تبدأ تهاجمه تجارب متنوعة عندئذ يظهر نشاطه خارجيًا وقوته ويتنسم إيمانه الناري بالرب ويُثير نوع من الهوى الإلهي لا ليلتهب هو نفسه فقط بل ويلهب كل ما في داخل مجاله[٣].

**القديس أمبروسيوس**

❖ بالرغم من أن كثيرين من اليهود شعروا بمرارة من مثل هذا الحديث الرفيع إلا أنهم كبحوا غضبهم رغمًا عن إرادتهم، إذ أنهم خجلوا من عظمة المعجزة.

هناك نقطة أخرى ينبغي ألا ننساها، وهي أن المسيح إذ وشح أولاً الرسل القدّيسين بقوات عظيمة هكذا، فإنه يدعوهم بعد ذلك للانطلاق بسرعة. ويبدأوا عملهم في إعلان سرّه إلى سكّان الأرض كلها. لأنه كما أن الثوّار المقتدرين بعد أن يزوّدوا جنودهم الشجعان بأسلحة الحرب يرسلونهم ضد كتائب العدو، هكذا

---

[1] *In Cap. 25 St. Mat. PG 56 : 930.*

[2]. *In Cap. 25 St. Mat. PG 56 : 930*

[3] *Sermon 1*

يفعل المسيح، مخلصنا وربّنا جميعًا. يرسل معلّمي أسراره، القدّيسين، موشحين بالنعمة التي يمنحهم إيّاها، ومجهّزين كليّة بالسلاح الروحاني ضد الشيطان وملائكته، لكي يكونوا مقاتلين أشدّاء غير مغلوبين. لأنهم كانوا على وشك أن يدخلوا في معركة مع أولئك الذين سيطروا على سكّان الأرض في الزمن القديم، أي أن يحاربوا ضد القوّات الشرّيرة المضادة[1]...

**القديس كيرلس الكبير**

❖ يلزم أن يعدّك الإيمان ومخافة الرب لمواجهة أي شيء وكل شيء.

لتكن خسارة للأشياء القريبة منك والعزيزة لديك، فقدان الصحة بسبب مرض خطير، أو حرمان من الزوجة والأطفال. مثل هذه الأمور يلزم ألا تكون فرص لتربكك بل بالأحرى لحفظك. مثل هذه المصائب يلزم ألا تضعف إيمان المسيحي أو تزيله بل بالأحرى هي فرص لكي تقوم هذه الفضيلة بغيرة متجددة أثناء الصراع.

يلزمنا أن نتجاهل الشرور الحاضرة، مرتبطين برجائنا في المكافأة السماوية.

**حيث لا يوجد صراع لا يمكن أن توجد نصرة.** حيث تثور المعركة تُوهب النصرة، عندئذ ينال الغالب المكافأة.

يبرهن قائد السفينة على استحقاقه أثناء العاصفة، والجندي في المعركة. الشجرة ذات الجذور العميقة لن تسقط حتى إن هزتها الرياح. هكذا أيضًا الرسول بولس بعد أن انكسرت السفينة به، مع القيود واحتمال آلام جسدية كثيرة لم يتحدث بقلبٍ منكسرٍ بل بالأحرى صار إلى حالٍ أفضل بالمخاطر التي واجهها. فإنه بقدر ما تعذب بأمور خطيرة، كان بالأكثر يتزكى بأنه مستحق للمديح الحقيقي[٢].

**الشهيد كبريانوس**

## ٣. شهادة كل الأنبياء ليسوع

**"والآن أيها الاخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضًا". [١٧]**

---

[1] *Comm. on Luke, Sermon 47.*
[2] *De Mortalitate PL 4 : 590 f.*

بعد أن وجه إليهم هذه الاتهامات الخطيرة بدأ يلاطفهم بروح المحبة، فدعاهم "إخوة"، وهو تعبير يستخدمه اليهود للحديث مع أشخاص من ذات الأمة، لهم ذات الرجاء، وذات الوعود الإلهية. وكأنه لم يقف كمن يعلم من على منبرٍ أو يتعالى عليهم، بل كواحدٍ منهم، يرجو لهم أن يشاركوه ما تمتع به.

فهو ليس بالرجل القديس الذي يحدث خطاة وينتهرهم، إنما يقترب إليهم ليجتذبهم إلى التوبة معه. فالإنسان يمارس التوبة بكل قلبه خلال كلمات الحب والتشجيع بروح التواضع، وليس التوبيخ بروح الكبرياء.

يفتح لهم القديس بطرس باب الرجاء، حاسبًا أن ما فعلوه هم ورؤساؤهم كان "بجهالة". لقد حذرهم بيلاطس مرة ومرات، وأكد لهم أنه لم يجد عليه علة. كانوا يجهلون خطة الله وتدبيره الفائق، كما يجهلون حقيقة شخص يسوع. إذ يقول الرسول بولس: "لو عرفوا رب المجد لما صلبوه" (١ كو ٢: ٨). كما قال السيد المسيح نفسه على الصليب: "يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو ٢٣: ٢٤). كل قوانين العالم لا تبرئ الإنسان بسبب جهله بالقانون، لكن هذا هو قانون الحب والرحمة: "والرحمة تفتخر على الحكم" (يع ٢: ١٣).

لقد اضطهد بولس الرسول كنيسة المسيح، وأراد إبادتها، ومحو اسم يسوع من العالم، وقد فعل ذلك بجهالة. إذ عرف الحق تحول عن الجهالة إلى حكمة الله، وصار إناءً مختارًا للعمل الإلهي، عوض الاضطهاد والتجديف والمقاومة المستمرة.

❖ لقد أرسل الرسل لأجل خلاصهم، فيسمعون على الأقل: "نحن نعلم أنكم بجهالة عملتم" (راجع أع ٣: ١٧). بهذه الوسيلة يسحبونهم للتوبة. ليتنا نتمثل بهم، فإنه ليس شيء يجعل الله صفوحًا مثل محبة الأعداء، وأن نصنع صلاحًا للذين يسيئون إلينا. عندما يشتكي أحد لا تتطلع إليه بل إلى الشيطان الذي يحركه، وصب كل غضبك عليه، وترفق بالشخص الذي يحركه الشيطان[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

---

[1] *Homilies on St. John , hom. 84:2.*

"وأمّا اللّه فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه،
أن يتألم المسيح قد تمّمه هكذا". [١٨]

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الرسول بطرس خلال عظته كان لطيفًا إلى أبعد الحدود، فمع عدم تجاهله أن الحاضرين يُحسبون صالبين ليسوع المسيح، لكنه في لطفٍ يفعل كما فعل يوسف مع إخوته إذ قال لهم: "لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم" (تك ٤٥: ٥). فقد باعوه حسدًا، لكنه حسب بيعهم له بسماحٍ إلهيٍ لأجل استبقاء حياته وحياتهم، أرسله الله نفسه قدامهم. هكذا في لطف يقول بطرس الرسول أنه لخلاصهم وخلاص العالم سُلم يسوع للصلب[1].

ويلاحظ القديس يوحنا الذهبي الفم أن القديس لم يورد النصوص التي تنبأ بها الأنبياء عن صلبه أو موته أو دفنه، بل اكتفى بالقول بأن "أنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم" [١٨]، معللاً بذلك أن هذه النصوص حملت اتهامات مع العقوبة التي يسقط تحتها صالبوه... وكأنه قد تركهم ليدرسوا النصوص ويدركوا خطورة عملهم، أما هو ففتح باب الرجاء لهم ليتمتعوا بالفرح من وجه الرب [١٩]، وأما ما فعلوه بالسيد فحقق خطة الله لخلاص العالم.

"فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم،
لكي تأتي أوقات الفرج αναπουχισ من وجه الرب". [١٩]

تارة يقول لهم الرسول أن ما فعلوه كان بجهلٍ [١٧]، وأخرى أنه بذلك تحققت خطة الله التي أعلنها على أفواه جميع الأنبياء [١٨] وثالثة "ارجعوا لتُمحي خطاياكم" [١٩]، "لكي تأتي أيام الفرج" [١٩]... كل هذا كما يقول الذهبي الفم يهبهم الرجاء ويفتح أمامهم باب التوبة، مع تحذيرهم إن أصروا على تكملة الطريق بعدم الإيمان في عصيان له [٢٢-٢٣].

❖ بعد نعمة المعمودية المعروفة للجميع، وتلك العطية العظمى التي للاستشهاد، التي هي الحميم بالدم، توجد ثمار كثيرة للتوبة التي بها يمكننا أن نقلع عن خطايانا.

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 9.*

إن الخلاص الأبدي ليس موعودًا به بالتوبة عن الخطايا فحسب حسبما يقوله الطوباوي بطرس الرسول: "فتوبوا وارجعوا لتُمحَى خطاياكم" (أع ٣:١٩)، وحسبما قاله يوحنا المعمدان والسيد المسيح نفسه: "توبوا لأنهُ قد اقترب ملكوت السماوات" (مت ٣:٢)، **لكن أيضًا ينبغي أن تكون مقرونة بأعمال المحبة**، لأن "المحبَّة تستر كثرةً من الخطايا" (١ بط ٤:٨).

**هكذا نجد الشفاء لكل جراحاتنا نتيجة لثمار التوبة كالصدقات وأفعال الرحمة.** لأنه كما يقول الكتاب المقدس: "كما أن الماء يطفئ الحريق، كذلك الدموع تغسل خطايانا" (ابن سيراخ ٣:٣٣)، وأيضًا: "أعوّم في كل ليلة سريري وبدموعي أبلّ فراشي" (مز ٦:٦)[١].

**الأب بينوفيوس**

**"ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل". [٢٠]**

ما قد حدث وإن كان بدافعٍ شريرٍ من جانبكم، لكنه حقق خطة الله لخلاص العالم؛ فلم يُصب السيد المسيح بصلبه ضرر، فإن هذه مسرته ومسرة أبيه أن يموت عن العالم. فإن كنتم قد فعلتم هذا بجهالة، الآن فرصة لتصحيح الموقف بالرجوع إليه بالتوبة، والإيمان به. ما اقترفتموه سبب لنا خلاصًا، فلماذا لا تتمتعوا معنا بذات الخلاص. الآن زمن الحب، زمن الفرج من وجه الرب. لقد ضاعت الفرصة الأولى لقبوله حين كان في وسطكم يخدمكم وهو بالجسد، الآن يود أن ترجعوا إليه، فيرجع إليكم ويحل بالإيمان في قلوبكم.

هكذا أنار الروح القدس للقديس بطرس خطة الخلاص لكل العالم، حتى لصالبي السيد المسيح، وفتح ذهنه لإدراك الكتب المقدسة والنبوات وطول أناة الله على البشرية.

لم يقل الرسول "أنبأ به الأنبياء" بل "**بأفواه جميع أنبيائه**"، وكأن يسوع هذا الذي صلبوه، إنما هو موضوع شهوة جميع الأنبياء بلا استثناء. هو المحك الذي به يُفرز النبي الحقيقي من النبي الكذاب. فإن كانت آلامه قد شغلت كل نبي منذ بدء

[1] *St. John Cassian: Conferences, 20:8.*

الخليقة حتى النبي السابق يوحنا المعمدان، فإن عدم الإيمان به هو رفض تام لكل الأنبياء، ولعمل الله بهم.

تنبؤ الأنبياء عن آلامه لا يعطيهم عذرًا لما فعلوه، إنما يفتح لهم باب الإيمان ليقبلوه، فتُمحى كل خطاياهم بما فيها جريمة صلبه. النبوة والإعلان السابق للأحداث لا يدفع عنهم شرهم، ولا يغير من طبيعة شرهم، إنما يحول شرهم إلى خلاصٍ للعالم كله بما فيه الصالبين أنفسهم إن رجعوا إليه.

هذا وتأكيده أن ما حدث تنبأ عنه جميع الأنبياء يشهد لهم كما لغيرهم أنه هو المسيا المنتظر.

**"تُمحى خطاياكم"**، يُستخدم تعبير **"تُمحى"** عندما يُكتب على لوح من الشمع، ثم يجعلونه أملس لا أثر للكتابة عليه، كأن الخطايا تُزال تمامًا من السجل، والاتهام يصبح كما لم يكن، وصك الدين قد مُزق تمامًا، فصار لا وجود له. أُستخدم تعبير **"تُمحى خطاياكم"** في إش ٤٣: ٥؛ مز ٥١: ١، ٩؛ إر ١٨: ٢٣؛ نح ٤: ٥؛ إش ٤٤: ٢٢.

**"أوقات الفرج"**: مهما قدمت الخطية من ملذات ومباهج تجعل القلب ضيقًا، وفي مرارة داخلية، لا يدرك الإنسان علتها؛ أما الرجوع إلى الله بالتوبة فيفتح القلب ليتسع ولا تقدر ضيقة ما أن تحطمه بل تصير حياة الإنسان كلها **"أوقات الفرج"**، مملوءة سرورًا داخليًا وسلامًا فائقًا، إذ يحل مجد الله في داخل النفس، ويحول القلب إلى ملكوت سماوي.

كلمة **"فرج"** *anapswxis*: تعني "تنفس" أو استراحة، تُستخدم عندما يستريح الإنسان بعد فترة عناء كمن يأخذ نفسه، أو بعد الجري لمدة طويلة. لقد جاءت الكرازة بصليب المسيح أو إنجيله لتتنسم البشرية الراحة بعد طول شقاء بسبب الخطية.

أما قوله "ستأتي" فلا يعني عدم التمتع بها هنا، إنما إذ يحدث اليهود قبل الإيمان يبشرهم بما سيتمتعون به في المستقبل القريب عندما يتوبون كعربونٍ لما ينالونه من أمجاد وراحةٍ أبدية في السماء.

**"من وجه الرب"**: فإننا إذ نعطيه الوجه لا القفا (إر ٢: ٢٧)، نتمتع بوجهه

مشرقًا علينا، وبحضوره كسرّ فرحنا وراحتنا.

"**ويرسل يسوع ...**": إذ كان اليهود ولا يزالوا يترقبون مجيء المسيا، فإنهم إذ يؤمنون بذاك الذي سبقوا فرفضوه، يرونه قادمًا في حياتهم، مقدمًا خلاصه المبهج، واهبًا إياهم ما قد سبق فوُعدوا به خلال آبائهم وأنبيائهم في العهد القديم.

"**الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء،**
**التي تكلم عنها اللَّه بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر". [٢١]**

يعود فيؤكد الرسول أن كل ما حدث إنما من أجله، وقد سبق فأعلنه الله على فم أنبيائه القديسين. لقد تحققت الوعود الإلهية منذ سقوط آدم، ودعوة إبراهيم، واستلام موسى النبي للشريعة، وظهور الأنبياء... كل هؤلاء نالوا وعودًا اشتاقوا أن يروا يوم تحققها. والآن قد تمت كل هذه الوعود الإلهية خلال الصلب والقيامة وصعود السيد المسيح، فكان يليق بالسامعين أن يطوّبوا أنفسهم لأنهم يروا ما اشتهى أن يراه آباؤهم، وذلك إن آمنوا باسم يسوع، وقبلوا عمله الخلاصي في حياتهم.

"**الذي ينبغي أن السماء تقبله**" [٢١]. يبدو التعبير كأن السماء ليست مسكن إقامته الطبيعي، لكن يلزمها أن تقبله. إذ صار ابن الإنسان ونزل إلينا فإنه إذ تقبله السماء تقبلنا فيه. هذا ومن جانب آخر كأن السيد قد صعد إلى السماء ليس كمن أتم كل عمله، إنما يبقى في السماء يدبر أمور كنيسته، ويسند كل عضو فيها حتى يتمم الكل جهاده، ويتمتعوا بشركة أمجاده السماوية. إنه يُعد المكان لنا حتى يوم مجيئه، فيتمتع الكل باللقاء المفرح، يوم العرس الأبدي.

"**إلى أزمنة رد كل شيء**" أي تحقيق خطة الله من جهة البشرية. كان الاعتقاد السائد لدى اليهود أن المسيا يأتي ليملك على الأرض أبديًا (يو ١٢: ٣٤)، وها هو سرّ رفضهم ليسوع الذي رفض المُلك الأرضي، وأعلن عن صلبه، لهذا كان لزامًا على الرسول أن يصحح مفاهيمهم، ويؤكد أنه بالحقيقة هو ملك، وأن مملكته هي في السماء! لقد صعد إلى السماء وهم شهود بذلك، إذ رأوه عيانًا وهو يصعد (أع ١: ٩). كان لائقًا بالسماء أن تقبله، لأنه ملك الملوك السماوي (عب ٧: ٢٥؛ ٩: ٢٤؛ رو ٨: ٣٤؛ مز

١١٠: ١٦).

"رد كل شيء ...": إن كانت الخطية قد حرمت البشرية عن تحقيق رسالتها وأفسدت الخليقة الأرضية، فإن صعود السيد المسيح إلى السماء رد للإنسان كرامته ليحقق رسالته التي خُلق من أجلها، حيث يحمل أيقونة السيد المسيح، ويملك مع الرب.

"منذ الدهر" تعبير يحمل معنى "منذ البداية"، فالنبوات عن السيد المسيح بدأت منذ نال آدم الوعد الإلهي، لهذا يرى بعض الدارسين أن آدم هو أول نبي.

وكأن ما يكرز به الرسل ليس بالأمر الجديد، لكنه إعلان عن تحقيق ما اشتهته البشرية التي تطلب بصدقٍ خلاصها منذ أبوينا الأولين، والذي أعلنه الله خلال رجاله القديسين عبر العصور.

**"فإن موسى قال للآباء:**

**إن نبيًا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من اخوتكم،**

**له تسمعون في كل ما يكلمكم به". [٢٢]**

لما كان سلطان موسى النبي عند اليهود مطلقًا ونهائيًا، لهذا يردد القديس بطرس نبوة موسى النبي عن السيد المسيح (تث ١٨: ١٥-١٩). وقد سبق لنا الحديث عن هذه النبوة في تفسيرنا لسفر التثنية. وقد ميز الرسول هنا بين من يسمع له، ومن لا يسمع. فمن لا يسمع له يعصى موسى النبي الذي يفتخرون به وبالطاعة الكاملة له، يُحرم من الانتساب إلى شعب الله، فلا يكون له نصيب في الملكوت.

**"ويكون أن كل نفسٍ لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب". [٢٣]**

كما تستخدم كلمة "جسد" لتعني الإنسان بكليته (يو ١: ١٤)، هكذا تُستخدم كلمة "نفس" لتعني الشخص بكليته (أع ٧: ١٤؛ يش ١٠: ٢٨).

**"وجميع الأنبياء أيضًا من صموئيل فما بعده،**

**جميع الذين تكلّموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام". [٢٤]**

كشف القديس بطرس عن اهتمام موسى النبي كأول قائدٍ للشعب، ثم انتقل من شهادة موسى النبي إلى صموئيل النبي، ويعتبر أول الأنبياء بعد موسى النبي، جاء في

نهاية عصر القضاة وبداية عصر الملوك، ثم بقية الأنبياء منذ كانت المملكة في قمة مجدها ثم انقسامها وسبي المملكتين وعودة الشعب من السبي.

كان نسل شاول مدعوًا لذلك (أم ١٣: ١٣) وإذ انحمق ولم يحفظ وصية الرب انتقل الوعد إلى داود الملك (١ صم ١٥: ٢٨). تجدد هذا الوعد خلال الأنبياء اللاحقين (إر ٣١: ٣١-٤١؛ يؤ٢: ٢٨-٢٩؛ حز ٣٧: ٢٦-٢٧).

كل ما يشغل أنبياء هذه الحقبات هو مجيء المسيا، وقد جاء، وتحقق عهد الله لإبراهيم أب المؤمنين. الآن يليق بالمستمعين كأبناء لهؤلاء الأنبياء وأصحاب العهد أن يتمتعوا ببركة يسوع القائم من الأموات، والقادر وحده أن يرد الكل عن شرورهم.

شوق الأنبياء جميعهم إلى ذلك اليوم يلزم أن يدفع أبناءهم إلى قبوله بفرحٍ وتهليلٍ. كأن ما يحمله الرسول بطرس من غيرة متقدة على الإيمان بالمسيا هو مشاركة جادة عملية لشوق الأنبياء الشديد، وغيرتهم على التمتع بشخص المخلص! بهذا كان يدفع سامعيه أن يشاركوه ذات المشاعر.

**"أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذي عاهد به اللَّه آباءنا،**
**قائلاً لإبراهيم:**
**وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض". [٢٥]**

يعتبر اليهود أنفسهم أبناء الأنبياء، ليس لأنهم من نسلهم جسديًا، وإنما لأنهم تلاميذ وأتباع لهم. فالتلميذ في فكر التقليد اليهودي كما الكنسي هو ابن لمعلمه. هكذا يليق بهم كأبناء أن يسمعوا لهم، وإلا فقدوا بنوتهم لهم.

"**أبناء العهد**"، أي أبناء إبراهيم الذين من حقهم التمتع بالوعد الإلهي المُقدم لأبيهم، والذي في عهد مع الله. وكأنهم هم أبناء الملكوت سواء خلال تلمذتهم للأنبياء أو انتسابهم لإبراهيم. فلا يليق بهم أن يكونوا كيهوذا "ابن الهلاك" (يو ١٧: ٢١).

"**وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض**"، وكما يؤكد القديس بولس أن "**النسل**" هنا بصيغة المفرد تشير إلى السيد المسيح الذي جاء من نسل إبراهيم ليبارك جميع الأمم (غلا ٣: ١٦).

❖ لئلا يظنوا أنهم نالوا هذا العرض (الخاص بالتوبة ونوال الخلاص) كمنحة من بطرس، يُظهر لهم (الرسول) أن هذا يليق بهم منذ القديم، حتى يؤمنوا بأن مثل هذا يتمم إرادة الله[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"إليكم أولاً، إذ أقام اللّه فتاه يسوع،**
**أرسله يباركك،**
**يردّ كل واحد منكم عن شروره". [٢٦]**

بقوله "**إليكم أولاً**" يشير إلى اليهود الذين قُدم لهم الخلاص أولاً، حيث تبدأ الكرازة بأورشليم (لو ٢٤: ٤٧). وقد كرّس يسوع المسيح نفسه خدمته لليهود.

"**أقام الله فتاه ...**"، إذ كرس الله المتجسد حياته من أجل تمتع البشرية بالبركة السماوية. لقد أرسله الآب وفي طاعة جاء الابن الذي بإرادته الواحدة مع إرادة الآب يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تي ٢: ٤).

"**يرد كل واحد منكم عن شروره**": مع ما يتمتع به الإنسان من حرية إرادة، إلاَّ أنه يعجز عن أن يرجع إلى الله، ويعطي ظهره للشر بدون العون الإلهي، أو عمل المسيح الخلاصي.

مع أن الوعد لإبراهيم أن بنسله، أي بالمسيح يسوع، تتبارك كل الأمم، لكنه جاء أولاً ليرد كل يهودي عن شره بالالتصاق بمصدر البركة.

❖ قال: "**أقام يسوع**" أي بعد صلبه، أي حتى بعد ارتكابهم جريمة قتله يترقب الله الآب خلاصهم، وذلك حتى لا يظنوا أن بطرس قدم لهم هذه المنحة وليس الآب، لذلك يقول: "**يبارككم**". فإن كان "يسوع" هو أخوكم ويبارككم، فالأمر هو وعد "**لكم أولاً**". بمعنى حاشا لكم ألا تشتركوا في هذه البركات، إذ يريد أن تصيروا بالأكثر مؤسسين ومصدر بركات للآخرين. فلا تشعروا كما لو كنتم منبوذين. مرة أخرى يقول إنه إذ أقامه "يرد كل واحد عن شروره". إنه يبارككم بهذه الكيفية، وليس بركة

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 9.*

عامة (لكل إسرائيل القديم)[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حقًا لقد فعلتم أعمالاً تستحق الإدانة، لكن لازال يمكنكم نوال العفو. بقوله هذا يمكنه أن يقول: "إليكم أرسل الله ابنه يسوع ليبارككم". لم يقل ليخلصكم، بل ما هو أعظم أن يسوع المصلوب بارك صالبيه.

ليتنا نتمثل به. لنطرح روح القتل والعداوة هذه.

لا يكفينا إننا لا نثأر لأنفسنا، بل نفعل ما في استطاعتنا كما يليق بأصدقائنا الملتصقين بنا في أحضاننا، بل كما نفعله بأنفسنا، هكذا نعمل مع الذين يؤذوننا.

نحن أتباعه، نحن تلاميذه، هذا الذي بعد صلبه دبّر كل شيء عمليًا لحساب قاتليه، وأرسل رسله لهذه الغاية.

نحن بعدلٍ نتألم، أما هؤلاء فعملوا ليس فقط في غير عدلٍ بل وبشرٍ، لأنه هو المحسن إليهم، لم يصنع بهم شرًا صلبوه. ولأي سبب؟ من أجل سمعتهم. أما هو نفسه فجعلهم موضوع تقديرهم[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي أعمال الرسل ٣

هب لي قدمين تعبران إلى هيكل قدسك!

❖ مع ذاك الأعرج من بطن أمه تئن نفسي.
أقف كما عند باب الجميل أطلب صدقة،
ولا أدخل إلى الجمال ذاته،
الذي يود أن يسكب بهاءه عليّ.
أطلب صدقة، وأبي هو خالق السماء والأرض!
يا لعجزي! ويا لغباوتي!

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 9.*
[2] *Homilies on Acts, hom. 9.*

- لأسمع صوت كنيستك:
ليس لي فضة ولا ذهب، ولكن الذي لي، فإياه أعطيك.
باسم يسوع الناصري قم وامشِ.
اسمك العجيب هو وحده يهبني صحة لنفسي كما لجسدي.
باسمك تسير قدماي إلى هيكل قدسك.
أدخل كما إلى السماء،
أثب متهللاً مع أنبيائك ورسلك وكل قديسيك.

- سمروك يا رئيس الحياة على الصليب،
فككت قيودي،
لأجري نحو عرش نعمتك.
صلبوك بين الآثمة،
وختموا قبرك كي يحبسوك.
فأقمتني مع الطغمات السمائية،
وأصعدت قلبي إلى سماواتك!
قمت محطمًا الموت،
فأقمتني لأتمتع بحرية مجد أولاد الله.

- ليفرح كل الأنبياء الذين اشتهوا يومك!
فإني أشهد أن وعودك صادقة وأمينة!
لقد حلّ اليوم الذي فيه أتمتع بالفرح، وأرى وجهك الإلهي!

# الأصحاح الرابع

# بطرس ويوحنا أمام المجمع

كشف سفر الأعمال عن موقف القيادات اليهودية، فإنهم إذ رفضوا يسوع المصلوب استمروا بعد صعوده في مقاومته، ومقاومة إنجيل المسيح القائم من الأموات والصاعد إلى السماوات الذي تكرز به الكنيسة.

يصف هذا الأصحاح بدء هذه المقاومة التي تستمر حتى زيارة الرسول بولس الأخيرة لأورشليم، فيدبروا مؤامرة لقتله (أع ٢٣: ١٢-١٥؛ ٢٥: ١-٣).

١. **القبض على بطرس ويوحنا** ١-٤.
٢. **الرسولان أمام المجمع** ٥-١٢.
٣. **ارتباك المجمع** ١٣-١٨.
٤. **تهديد الرسولين** ١٩-٢٢.
٥. **صلاة من أجل الكرازة** ٢٣-٣١.
٦. **حياة الشركة** ٣٢-٣٧.

## ١. القبض على بطرس ويوحنا

**"وبينما هما يخاطبان الشعب،**

**أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون". [١]**

لم يلتجئ الكهنة إلى الفريسيين بل إلى الصدوقيين لمقاومة هذا العمل الكرازي داخل رواق سليمان. وقد جاء معهم قائد جند الهيكل، وهو الشخص المسئول عن الحالة الأمنية للهيكل، وقد لاحظ جمهرة غير عادية في رواق سليمان، وكان هذا القائد هو الرجل الثاني بعد رئيس الكهنة من جهة الالتزام بحفظ نظام الهيكل والأمان فيه.

بلا شك لم يأت كل الكهنة، وإنما الكهنة أصحاب النفوذ، الأعضاء في مجمع السنهدرين.

كان قائد جند الهيكل يعسكر دومًا في قلعة انتونيا Antonia، خاصة في أيام الأعياد الكبرى. وقد خشي أن شفاء الأعرج من بطن أمه قد يسبب شغبًا، لذا شعر بالالتزام بالتدخل.

"**أقبل عليهما**": يحمل هذا التعبير أن مجيئهم كان فجأة وفيه نوع من العنف. فإذ كان بطرس ويوحنا يخاطبان الشعب بروح القوة والشهادة ليسوع القائم من الأموات، انفتحت أعين الكثيرين على معرفة الحق، حتى آمن نحو خمسة آلاف رجل [٤]. لم يكن ممكنًا لقوات الظلمة أن تقف مكتوفة الأيدي، خاصة الصدوقيون الذين لا يؤمنون بالقيامة من الأموات. لقد حسبوا هذا الحدث مع حديث القديسين بطرس ويوحنا هدمًا كاملاً لطائفتهم، وتحطيمًا لعقيدتهم.

لم يكن لديهم مانع من اشتراك المسيحيين في العبادة في الهيكل حسب الطقس اليهودي، وأن يجتمعوا في رواق سليمان، وتكون لهم تدابيرهم الخاصة بهم، أما أن ينادوا باسم يسوع الناصري علانية، وقيامته من الأموات، ففي هذا اتهام علني ضد القيادات التي سلمت يسوع للصلب، إنهم سافكو دم بريء وقتلة، وأن المصلوب هو المسيا. لهذا كان لا بد من التحرك لمقاومة هذه الحركة الخطيرة حسب أفكارهم.

لا يتعجب **القديس يوحنا الذهبي الفم** من أن الذين ألقوا القبض على يسوع وصلبوه يعودوا حتى بعد قيامته ليمارسوا شرهم بكل جسارة ضد تلاميذه. فإذ تلد الأفكار عملاً يفقد الخاطي حياءه ليفعل ما يشاء. فالخاطي وهو لا يزال يصارع مع الأفكار يصغي إليها مع إحساسه بالخجل، لكن ما أن تلد، أي تتحول الأفكار إلى عملٍ كاملٍ حتى تجعل الذين يمارسونها في أكثر وقاحةٍ.

❖ في المرة الأولى ألقوا القبض على السيد المسيح في البستان كمن هم في خجلٍ بعيدًا عن الشعب، أما الآن ففي شيء من الجسارة جاءوا إلى الرسولين وهما يخاطبان الشعب علانية في الهيكل[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 10.*

**"متضجرين من تعليمهما الشعب،**

**وندائهما في يسوع بالقيامة من الأموات". [٢]**

جاءت كلمة "**متضجرين**" تحمل السخط الشديد مع الغضب، لأنهم أدركوا أن في هذه الكرازة تعدٍ على سلطانهم، ومعارضة لتعاليمهم، بغض النظر عما إذا كانوا يكرزون بالحق الإلهي أم لا.

لم يكن من السهل أن يرى الكهنة والصدوقيون أن جماعة من الجليليين الأميين يحتلوا مركز التعليم بقوةٍ ونجاحٍ، وهم لا ينتمون إلى الكهنة ولا إلى القيادات الدينية. حسبوا هذا تحديًا وتمردًا على السلطات الدينية.

لم يشغلهم البحث عن ما وراء هذه المعجزة الفائقة وغيرها، وإنما كان يشغلهم سلطانهم الديني، وشعبيتهم التي صارت في وضعٍ حرجٍ. هذا ولم يكن ممكنًا لهم أن يسمعوا عن قيامة يسوع المسيح من الأموات.

لقد تضجروا وامتلأوا سخطًا حين رأوا الإنجيل يُكرز به، وكما يقول المرتل: "الشرير يرى فيغضب، يحرق أسنانه ويذوب، شهوة الشرير تبيد" (مز ١١٢: ١٠). هكذا تحولت كلمة الإنجيل المفرحة إلى اضطراب ومرارة بالنسبة لهم، وكما يقول الرسول: "لهؤلاء رائحة موتٍ لموتٍ، ولأولئك رائحة حياةٍ لحياةٍ" (٢ كو ٢: ١٦). هكذا يتحول مجد المسيح وفرح ملكوته إلى فقدانٍ للسلام وحزنٍ وموتٍ أبديٍ لمن لا يطيقه. وكما يقول إشعياء النبي: "لا سلام قال الرب للأشرار" (اش ٤٨: ٢٢).

اضجر الصدوقيون وامتلأوا حزنًا اقتنوه بسبب خطاياهم، بينما كان الرسل يكرزون بالقيامة المفرحة! واضجر الكهنة وهم يؤمنون بالقيامة أن يتحقق هذا باسم يسوع الناصري. فكان في نظرهم التحالف مع منكري القيامة أقل مرارة من قبول القيامة في المسيح يسوع.

❖ "**متضجرين من تعليم الشعب**" ليس لأنهم علموا الشعب، وإنما لأنهم أعلنوا أنه ليس المسيح وحده أُقيم من الأموات، وإنما خلاله نقوم نحن أيضًا... هكذا قيامته قديرة

فإنه هو علة القيامة حتى بالنسبة للآخرين[1].

❖ تحفظ من أن تحوط نفسك بطاغية الحزن. يمكنك أن تسيطر على نفسك، فإن العاصفة ليست أعظم من مهارتك.

❖ لا تكون قط مكتئبًا، فإنه لا يوجد سوى شيء واحد مخيف وهو الخطية.

❖ الكل يطلب الفرح، لكنه لا يوجد على الأرض.

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ أمور النعمة يصاحبها فرح وسلام ومحبة وحق... أما أشكال الخطية فيصاحبها اضطراب وليس محبة ولا فرح نحو الله[2].

**القديس مقاريوس الكبير**

**"فألقوا عليهما الأيادي،**
**ووضعوهما في حبسٍ إلى الغد،**
**لأنه كان قد صار المساء". [٣]**

ألقوا القبض على التلميذين وهما يخاطبان الشعب، ووضعوهما في السجن لمحاكمتهم في اليوم التالي. هذه بدء سلسلة آلام الكنيسة التي يليق بها أن تشارك مسيحها آلام صلبه. أُلقي القبض على التلميذين في المسيح ووُضعا تحت الحفظ، إذ لم يكن من عادة مجمع السنهدرين أن يجتمع مساءً. هذا بجانب أن أعضاء المجمع كانوا ملتزمين بممارسة صلوات المساء وتقديم الذبائح.

❖ لم يخشوا الشعب، لأنه كان معهم قائد الهيكل، هؤلاء كانت أياديهم لا تزال تتضرج بدم الضحية السابقة[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

ربما يتساءل البعض: **لماذا لم يقدموهما إلى بيلاطس كما فعلوا مع السيد**

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 10.*

[2] عظة ٣:٧.

[3] *Homilies on Acts, hom. 10.*

**المسيح عند محاكمته؟** بلا شك أدركوا أن بيلاطس قد حاول مرة ومرات أن يطلق هذا البريء، وتحت الضغط الشديد والتهديد بأنه ليس بصديقٍ لقيصر اضطر إلى الحكم بصلبه. أما الآن فحتمًا لن يقبل أن يصلبهما، وربما كان يُصر أن يبرئهما، أو يترك المجمع يقتلهما، فيثور الشعب عليهم.

❖ لم يأخذوهما إلى بيلاطس، لأنهم كانوا في خجلٍ وعارٍ من التفكير فيما حدث قبلاً (مع السيد المسيح) لئلا يُلزمهم أن يقوموا هم بفعل هذا (أي قتلهما)[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا،**
**وصار عدد الرجال نحو خمسة آلاف". [٤]**

في يوم الخمسين كانت باكورة الكنيسة من القادمين إلى أورشليم، يهودًا كانوا أو متهودين، آمن منهم نحو ثلاثة آلاف نسمة، والآن "**صار عدد الرجال نحو خمسة آلاف**"، هؤلاء استناروا بالكلمة، وحُسبوا بالحق أبناء إبراهيم وأبناء الأنبياء، وتأهلوا أن يكونوا بالحق أبناء الموعد.

القبض على التلميذين بأمر القيادات الدينية الرسمية وحبسهما في السجن لم يعق هذه الآلاف عن الإيمان، بل حسبوا كل ألم تجتازه الكنيسة هو إلقاء بالبذار في التربة لكي تأتي بثمرٍ كثيرٍ.

هنا صورة حية ومثل رائع لنمو الكنيسة في وسط الآلام، فقد ظهر عمليًا أن دم الشهداء هو بذار الكنيسة. في المظهر كان عدد التلاميذ قليلاً جدًا، بلا إمكانيات مادية أو علم ومعرفة زمنية أو سلطة، وكان يُظن أنه ما أسهل سحق هذه الحركة تمامًا، لكن الضيق وهب الكنيسة نموًا فائقًا وامتدادًا لا يُمكن مقاومته. إذ لا يقدر الضيق أن يحطم الحق الإنجيلي أو يقيد الكلمة، بل هو مناخ طيب للعمل الإلهي.

❖ موت الشهداء يدافع عن الدين، وينمي الإيمان، ويقوي الكنيسة. لقد انتصر الذين ماتوا، وانهزم المضطهِدون... موت الشهداء هو مكافأة حياتهم. مرة أخرى بموتهم،

[1] *Homilies on Acts, hom. 10.*

على اختلاف صوره، وضع نهاية للكراهية[1].

**القديس أمبروسيوس**

يرى البعض أن رقم ٥٠٠٠ هنا يضم المائة وعشرين المذكورين في أع ١: ١٥ والثلاثة آلاف الذين آمنوا في يوم البنطقستي (أع ٢: ٤١). وقد اجتمع الخمسة آلاف في رواق سليمان (أع ٣: ١١) بمناسبة شفاء الأعرج.

❖ هذا أيضًا حدث بتدبير الله، لأن الذين آمنوا كانوا أكثر ممن آمنوا قبلاً. لهذا قيدوا الرسولين في حضور الشعب لكي يجعلوهم في رعبٍ شديد. لكن حدث العكس، فقد فحصوهما ليس أمام الشعب، بل سرًا حتى لا يتشجع السامعون لهما[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

## ٢. الرسولان أمام المجمع

**"وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم،**

**اجتمعوا إلى أورشليم". [٥]**

اجتمع مجمع السنهدرين (السنهدريم)، وقد سبق لنا الحديث عنه في تفسير الإنجيل بحسب يوحنا. اجتمع الآن بعد مرور عدة أسابيع لاجتماعه وأخذ القرار بالخلاص من شخص يسوع، وبالفعل خططوا وسلموه للقتل، وإذا باسمه يتمجد بالأكثر، وعدد المؤمنين بلغوا الآلاف في أيام قليلة، وصاروا شهودًا جادين أن يسوع المصلوب هو المسيا مخلص العالم. في اجتماعهم الأول كانوا يشعرون أن وجود يسوع يزعزع مكانتهم، ويفقدهم موارد رزقهم. أما الآن إذ انتشرت الكرازة بقيامته وصعوده، هذا لا معنى له سوى أن الذين صلبوه قتلة وسافكو دم بريء.

كانت الجلسة بلا شك عاجلة تمت في اليوم التالي مباشرة، وإن لم تكن بذات العجلة كما عند محاكمة السيد المسيح، إذ لم يجتمع المجمع مساءً.

تمت المحاكمة في أورشليم، المدينة الذي ينتظر الكل أن يتمتعوا فيها

[1] *On the Decease of his Brother Satyrus, Book 2:45.*

[2] *Homilies on Acts, hom. 10.*

بالخلاص، لأنها مدينة الله، صارت مقاومة للحق الإنجيلي. يقول النبي: "كيف صارت القرية الأمينة زانية؛ ملآنة حقًا، كان العدل يبيت فيها، وأما الآن فالقاتلون" (إش ١: ٢١). وقد ناح عليها السيد المسيح نفسه، قائلاً: "يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا" (مت ٢٣: ٣٧).

ضمت هيئة القضاء الرؤساء والشيوخ وهم أصحاب سلطان جاءوا ليصدروا الحكم عليهم على الأقل بأن يكفوا عن الكرازة، أما الكتبة فهم الطبقة المتعلمة، كانوا يظنون أنهم قادرون أن يفحموا هؤلاء الرسل الأميين ويردعوهم بالحجج والبراهين.

**"مع حنّان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والإسكندر،**
**وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة". [٦]**

**"ولما أقاموهما في الوسط،**
**جعلوا يسألونهما:**
**بآيّة قوة، وبأيّ اسم صنعتما أنتما هذا؟" [٧]**

يجتمع المجمع في شكل دائرة، ويقف المتهمون في المنتصف (لو ٢: ٤٦). بهذا يتحقق قول الكتاب: "جماعة من الأشرار اكتنفتني" (مز ٢٢: ١٦)، "أحاطوا بي مثل النحل" (مز ١١٨: ١٢)، إذ كانوا يجلسون حولهما من كل جانب.

استدعوا التلميذين وبدأوا يستجوبوهما: "**بأية قوة، وبأي اسم صنعتما أنتما هذا؟**" لم يكن ممكنًا لهم أن ينكروا صنع المعجزة، فإن آلاف مؤلفة تشهد بها، ولا يمكن إخفائها، لكنهم كالعادة غايتهم تحويل الحق إلى باطل، فينسبوا الشفاء إلى بعلزبول رئيس الشياطين كما اتهموا السيد قبلاً، أو لقوةٍ سحريةٍ، ولعلهم ظنوا أن بالتهديد يضطر التلاميذ أن ينسبوا العمل لأحد أنبياء العهد القديم.

تحدثوا معهما في شيء من السخرية، فإن النص اليوناني الذي ترجمته: "**بأي اسم صنع مثلكما هذا؟**" يحمل معنى "أنتما لا تنتميان إلى الكهنة، ولا إلى سبط لاوي، ولستما نبيين، ولا من القادة، فبأي سلطان تفعلان هذا؟ من أين أتيتما بالقوة؟ وتحت أي

اسم تتجاسران وتفعلان هذا؟"

إنهم يعرفون تمامًا أنه باسم يسوع الناصري وبسلطانه وقوته فعلا هذا، لكنهم أرادوا أن يبثوا روح الرعب فيهما، ويلفقان لهما اتهامًا أنهما يعملان باسمٍ غير شرعي، وأنهما مرتكبان جريمة ضد الله والناموس وموسى.

وُجه إليهم نفس السؤال الذي وُجه لسيدهم: "بأي سلطان تفعل هذا؟ ومن أعطاك هذا السلطان؟" (مت ٢١: ٢٣).

**حنان**: وهو حما قيافا رئيس الكهنة، ذُكر أولاً بسبب كرامته، إذ كان رئيسًا للكهنة قبل استلام زوج ابنته هذا المركز. وقد رأينا في دراستنا لإنجيل يوحنا كيف كان ملتهبًا بالكراهية نحو شخص يسوع المسيح.

**يوحنا والاسكندر**: لا نعرف عنهما شيئًا، غير أن ذكرهما بالاسم يشير إلى أنهما صاحبا سلطان ونفوذ، يظن المجمع أنهما قادران أن يُسكتا الرسل.

أورشليم: واضح من هذا أن المجمع كان ينعقد أحيانًا في بلاد أخرى وقد ذكر الكتّاب اليهود أنه كان ينعقد في كل مرة في بلدة مختلفة، وذلك خلال الأربعين عامًا قبل خراب أورشليم.

**"حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس، وقال لهم:**

**يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل". [٨]**

لقد حقق الرب وعده لتلاميذه: "فضعوا في قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكي تحتجوا، لأني أنا أعطيكم فمًا وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها" (لو ٢١: ١٤-١٥). كما وعدهم بأن الروح القدس يعطيهم كلمة عند مقاومتهم.

ألم يكن بطرس ممتلئًا بالروح حين حلّ عليه في عيد العنصرة مع بقية التلاميذ، فلماذا يقول: "**حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس**"؟ الامتلاء هنا يحمل معنى التمتع بإلهام جديد، وإعلان مساندة خاصة لموقف متأزم، فمع كل ظرف يعيش فيه المؤمن، يتحرك روح الله داخله ليهبه قوة وفهمًا وحكمة ومشورة إلهية.

تحدث القديس بطرس مع أعضاء المجمع بكل وقارٍ واحترامٍ، وفي نفس الوقت بكل شجاعةٍ، حاسبًا ذلك فرصة للشهادة للحق، وذلك حسب مبدأه: "مستعدين دائمًا لمجاوبة من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعةٍ وخوفٍ" (١ بط ٣: ١٥).

لقد سبق فجحد القديس بطرس سيده في نفس المدينة أمام ذات المجمع وفي حضورِ ذات الأشخاص، لهذا وجد الرسول فرصته ليحمل شهادة صادقة لمسيحه الذي سبق فأنكره.

كل مؤمنٍ يذوق عذوبة الحياة في المسيح يسوع بالحق لن يكف عن الشهادة له، مشتهيًا أن يختبر كل البشرية ما يتمتع به.

❖ عندما تكتشفون أن شيئًا ما نافع لكم، تريدون أن تخبروا الآخرين عنه... طبّق هذا السلوك الإنساني في المجال الروحي. عندما تذهب إلى الله، لا تذهب وحدك.

❖ عندما تتحرّك متقدَّما، اجتذب آخرين ليذهبوا معك. لتكن لك رغبة في أن يكون لك رفقاء في الطريق إلى الرب.

**البابا غريغوريوس (الكبير)**

❖ قلب محب واحد يلهب قلبًا آخر بالنار.

❖ ماذا اشتهي؟ ماذا أريد؟ لماذا أتكلّم؟ لماذا أعيش إن لم يكن لهذا السبب: أن نحيا معًا مع المسيح... أنني لا أريد أن أخلص بدونكم.

❖ ضرورة الحب تبحث عن ممارسة العملَ الرسولي.

**القدّيس أغسطينوس**

❖ خلص نفسك في خلاص الآخرين.

**القدّيس جيروم**

❖ لو كنتم مسيحيّون بالحق لما بقي وثني واحد.

**القدّيس يوحنا الذهبي الفم**

**"إن كنا نفحص اليوم عن إحسان إلى إنسانٍ سقيم،**

**بماذا شُفي هذا". [٩]**

في شجاعة بعمل الروح القدس يعلن بطرس الرسول شهادته ليس أمام مجمع السنهدرين وحده، بل وأمام جميع شعب إسرائيل، أن ما حدث هو بقوة يسوع المسيح الناصري وباسمه. هكذا يصر الرسول أنه لن يتوقف عن الشهادة ليسوع المسيح أمام جميع شعب إسرائيل. وأنه يوجه لهم الاتهام، إنهم هم قتلة ذاك الذي جاء ليشفي كساح الشعب وأمراضه، جاء ليشفي ويهب قوة وحركة عمل في حياة الشعب، فهل يودون محاكمتهم على هذا الإحسان كما سبق فحاكموا البار وقتلوه؟ ليكن، لكن رسالتهم هي أن يعلنوا للجميع عن صاحب هذا الاسم وقوته الإلهية الفائقة المقدمة لكل مؤمنٍ.

أوضح الرسول بطريقة غير مباشرة أنه ليس من شرٍ قد ارتكبه، وإنما يُحاكم من أجل إحسان قُدم لرجلٍ سقيمٍ لم يستطع مجمع السنهدرين ولا كل القيادات الدينية أن تفعله. فلا توجد مادة لجريمةٍ ما، بل مادة لإحسانٍ عظيمٍ وفريدٍ.

ومن جانب آخر، فإنه ليس من ينكر الشفاء، لأنه حقيقة ملموسة من الجميع، إنما موضع الاتهام هو "**بماذا شفي هذا؟**" الجريمة التي كانت تلاحق الكنيسة، ولا تزال تلاحقها، هي جريمة "الاسم"، أنه باسم يسوع يتم الخلاص، ويتحقق كل إحسان ونعم إلهية!

**"فليكن معلومًا عند جميعكم، وجميع شعب إسرائيل،**
**أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم،**
**الذي أقامه اللَّه من الأموات،**
**بذاك وقف هذا أمامكم صحيحًا". [١٠]**

يؤكد حديث القديس بطرس أن السيد المسيح يتمم وعده الصادق لنا: "فمتى ساقوكم ليسلموكم فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا. بل مهما أُعطيتم في تلك الساعة بذلك تكلموا، لأن لستم أنتم المتكلمون بل الروح القدس" (مر ١٣: ١١).

يا للعجب! بطرس الذي أنكر أمام جارية وأصر على الإنكار يقف الآن أمام السنهدرين بكل قوةٍ ليشهد لاسم يسوع المسيح الناصري المصلوب والقائم من الأموات. إنه يعلن أن الذي قتلوه هو الحي غالب الموت، الذي يملك وليس من يقدر أن يقاومه.

في حكمة الروح القدس يكشف بجرأة أن حكمهم باطل، فقد قتلوا البار، وأن حكم الله الآب القدير لا يُقاوم إذ أقامه من الأموات. فقد نقضت السماء حكمهم، وكشفت عن فسادهم كقتلة مملوءين حسدًا وغيرة.

أما الشهادة على ذلك فظاهرة، لا تحتاج إلى دفاع: "**بذاك وقف هذا أمامكم صحيحًا**" [١٠].

كان لدى القديس بطرس الفرصة للهروب من الإجابة على تساؤلهم لو أراد، لكنه وجدها فرصة قد لا تتكرر كثيرًا أن يقف أمام مجمع السنهدرين يشهد للسيد المسيح وعمله الخلاصي، كما أنها فرصة ليصحح ما ارتكبه أثناء محاكمة السيد المسيح حيث أنكره ثلاث مرات. لم يعد بطرس الإنسان الخائف والمرتعب أمام جارية، بل الشاهد الأمين أمام أصحاب السلاطين، لقد اختبر بحق كيف صار صفا، إذ صار قلبه كالصخرة خلال الإيمان الحي، ويشتهي أن يختبر كل من هو حوله عمل الروح القدس ليحمل الكل صخرة الإيمان التي لن تهتز أمام تيارات العالم مهما بلغ عنفها.

لم يكن دافع شهادته كرامة شخصية ولا عن تعصبٍ، وإنما عن حبٍ صادق لله وللبشرية.

بقوله "**باسم يسوع المسيح**"، أي يربط الاسمين معًا، يتحدى مجمع السنهدرين الذي يرفض أن يكون يسوع هو المسيا الذي تنبأ عنه رجال العهد القديم، والذي تشتهي كل الأجيال اللقاء معه.

لم يعد لقب "**الناصري**" ولا "المصلوب" موضوع خزيٍ وعارٍ، بل شرف ومجد وقوة.

"**هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناءون،**
**الذي صار رأس الزاوية". [١١]**

يعود فيوضح لهم أن ما فعلوه سبق فأعلنه المرتل: "الحجر الذي رفضه البناءون قد صار رأسًا للزاوية، ومن قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا". (مز ١١٨: ٢٢)

قد سبق فأشار السيد المسيح نفسه أن فيه تتحقق هذه النبوة (مر ١٢: ١١). سبق فتنبأ إشعياء عنه: "لذلك هكذا يقول السيد لرب: هاأنذا أؤسس في صهيون حجرًا، حجر امتحان، حجر زاوية، كريمًا أساسًا مؤسّسا، من آمن لا يهرب". (إش ٢٨: ١٦)

إنه حجر مرفوض، لكن رفضه يكشف عن حقيقته، أنه "**حجر الزاوية**" الذي يضم اليهود مع الأمم كحائطين يلتحمان معًا في هيكل الرب الجديد، أو كنيسة العهد الجديد.

يقول القديس بولس: "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركبًا معًا ينمو هيكلاً مقدسًا في الرب؛ الذي فيه أنتم أيضا مبنيون معًا مسكنًا لله في الروح". (في ٢: ٢٠-٢١)

هنا يصحح الجليلي مفاهيم علماء اليهود الذين ظنوا أن الحجر المرذول هو داود النبي والملك، فقد جاء في الترجوم Targum تعليقًا على مز ١١٨: ٢٢: "الطفل الذي كان بين أبناء يسى، والذي كان مستحقًا أن يجلس ملكًا، رذله البناءون".

- لقد ذكَّرهم أيضًا بالقول الكافي أن يرعبهم. فقد قيل: "من سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه" (مت ٢١: ٤٤). يقول بطرس أنه ليس بأحد غيره الخلاص [١٢]. أية جراحات تظنون أصابتهم بهذه الكلمات!... إنه بهذا أخمد تهديدهم[1].
- إنه أمر واضح لكل أحدٍ أنه يشير إلى المسيح. ففي الأناجيل أورد بنفسه هذه العبارة الموحاة بكلماته: "أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رذله البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية؟" (مت ٢١: ٤٢، لو ٢٠: ١٧)... هنا يعني اليهود، معلّمي الناموس والكتبة والفرّيسيّين، لأنهم رفضوه قائلين: "إنّك سامري وبك شيطان" (يو ٨: ٤٨). وأيضًا: "لا يمكن أن يكون من عند اللّه، إنّه يخدع الجموع". لكن هذا الإنسان الذي رُفض ظهر للعيان أنّه **مقبول أن يصير رأس الزاوية**.

أنتم ترون أنّه ليس أيّ حجر يصلح أن يكون للزاوية، وإنما الحجر المقبول

[1] *Homilies on Acts, hom. 10.*

جدًا، القادر أن يربط حائطين من الجانبين. هكذا فإن الكاتب الملهم يقصد أن الشخص الذي يرفضه اليهود ويحتقروه يظهر علانيّة أنّه عجيب ليس فقط ليكون في البناء بل يربط الحائطين.

أيّ حائطين بالحقيقة (اللذين يربطهما)؟

أولئك الذين آمنوا من اليهود والذين من الأمم، وكما يقول أيضًا بولس: "لأنّه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدًا، ونقض حائط السياج المتوسّط، أيّ العداوة، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائضٍ، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا" (أف٢: ١٤-١٥). وأيضًا: "مبنيّين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية" (أف٢: ٢٠).

الآن، هذه العبارة هي اتّهام خطير ضد اليهود، إذ لم يحسبوه حجرًا لائقًا لبنائهم، بل طرحوه خارجًا كمن هو غير مقبول، مع أنّه قادر على أقامة البناء. إن أردتّم أن تتعلّموا من هما الحائطين، فلتصغوا إلى المسيح نفسه القائل: "ليّ خراف آخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضًا... وتكون رعيّة واحدة وراعٍ واحد" (يو١٠: ١٦).

هذا أيضًا حدث قبلاً في رمزٍ، إذ كان إبراهيم أبًا لكلٍ من المجموعتين: أهل الختان وأهل الغرلة[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

يوضح القديس أمبروسيوس كيف يُدعى السيد المسيح الجبل العظيم وأيضًا حجرًا، فيقول:

❖ إن حسبنا لاهوت المسيح هو الجبل العظيم فهذا حق: "أما أملأ أنا السماوات والأرض يقول الرب؟" (إر ٢٣: ٢٤) فإن كان بالحق لاهوت المسيح هو الجبل العظيم، فإن تجسده يقينًا هو التل الصغير (الجبل الصغير مز ٤٢ : ٦). لهذا فالمسيح هو كلاهما معًا. فهو جبل عظيم وجبل أقل! عظيم حقًا، لأنه "عظيم هو الرب وعظيمة هي قوته" (مز ١٤٧: ٥). وأقل لأنه مكتوب: "تنقصه قليلاً عن

[1] *On Ps. 118.*

الملائكة" (مز ٨ :٥). لهذا يقول إشعياء: "رأيناه، لا صورةً له ولا جمالٌ" (إش ٥٣:٢ LXX)، ومع أنه عظيمٌ نزلَ صائرًا أقل! وحال كونه أقلَ صارَ عظيمًا. وحال كونه عظيمًا صار أقل، لأنه "بالرغم من أنه بالطبيعة هو الله، أخلى ذاته وأخذ طبيعة عبد" (في ٢ :٦-٧) وحال كونه أقل صار عظيمًا، لأن دانيال يقول: "**أما الحجر الذي ضرب التمثال، فصار جبلاً كبيرًا، وملأ الأرضَ كلها**" (دا ٢: ٣٥). وإن كنتم تطلبون معرفة من هو ذلك الحجر، فاعرفوا أنه "**الحجر الذي رفضه البناءون، هذا صار رأس الزاوية**" (قابل مز ١١٨ :٢٢،إش ٢٨ :١٦، مت ٢١: ٤٢، لو ٢٠ :١٧، أع ٤: ١١، ١ بط ٢ :٦-٧). كان هو نفسه، مع ذلك وبالرغم من أنه ظهر صغيرًا، كان عظيمًا. ويوضح إشعياء موافقته لتلك الحقيقة لأنه يقول: "يولد لنا ولد ونُعطى ابنا الذي بدايته على كتفيه، ويُدعى الرسول المشير العظيم " (إش ٩: ٥ LXX).

المسيح هو كل شيء لأجلكم:

**هو حجر لأجلكم، ليبنيكم، وجبلٌ لأجلكم، لتصعدوا!**

**فاصعدوا الجبل إذن، يا من تطلبون السماويات.**

**لهذا السبب طأطأ (أحنى) السماوات، لتكونوا أقربَ إليه!**

**ولهذا السببِ صعد إلى أعلى قمة الجبل ليرفعكم معه.**

**القديس أمبروسيوس**

**"وليس بأحد غيره الخلاص،**

**لأن ليس اسم آخر تحت السماء،**

**قد أُعطي بين الناس،**

**به ينبغي أن نخلص". [١٢]**

وقف الجليلي الأمي يدعو رجال العلم والمعرفة الدينية والسلطة إلى التوبة والتمتع بالخلاص.

رفعهم الرسول بطرس من الانشغال بشفاء الكسيح إلى شفاء نفوسهم العاجزة عن العبور إلى السماء، أو خلاصها لتتمتع بالمجد المُعد للمؤمنين. هذا الذي شفي

الكسيح هو طبيب النفوس والأجساد، باسمه وحده ينعم الإنسان بالخلاص. ليس من وجهٍ للمقارنة بين الأسماء التي عرفوها واعتزوا بها مثل إبراهيم أب الآباء أو موسى مستلم الشريعة أو أحد الأنبياء، فإنه ليس أحد منهم قادرًا أن يخلص النفوس من الفساد وينعم عليها بالمجد، إنما اسم ذاك الذي رفضوه واحتقروه وقتلوه.

قدم لهم الرسول جوهر الإيمان، وهو أن الخلاص لا يتحقق بحرفية الناموس، وإنما **بالإيمان باسم يسوع المسيح، أي بالقادر وحده أن يخلص: يمحو الخطايا، ويهب البرّ، يحول آلام الضيق إلى بهجة قيامة، يرفع القلب إلى السماء، ليتذوق المؤمن عربون الأبدية. يحطم متاريس الهاوية، ويفتح أمامنا أحضانِ الآب السماوي، لنتمتِع بالاتحاد معه.**

❖ الإيمان المسيحي يشبه حبة خردل يبدو للنظرة الأولى شيئًا صغيرًا تافهًا وضعيفًا، لا يُظهر بوضوح قوته الحقيقية؛ عندما تبدأ تهاجمه تجارب متنوعة، عندئذ يظهر نشاطه خارجيًا وقوته، ويتنسم إيمانه الناري بالرب، ويُثير نوعًا من الهوى الإلهي، لا ليلتهب هو نفسه فقط، بل ويلهب كل ما في داخل مجاله[1].

**القديس أمبروسيوس**

❖ سيأتي زمن أرى فيه ما كنت أؤمن به ولا أراه.

❖ سأرى في الأبدية ما أؤمن به هنا... وما أرجوه هنا سأحصل عليه هناك.

❖ عظيم هو الإيمان، إنما لا فائدة منه إن خلا من المحبة.

❖ يلزم على الإيمان أن يسبق الإدراك، ليكون الإدراك جزء من الإيمان.

❖ نستطيع أن نلمس ذاك الجالس في السماء بإيماننا وليس بأيدينا.

**القديس أغسطينوس**

❖ تكمن قوة الفضيلة في الإيمان، والتعرف على أن الله يمكن أن يحفظنا من الموت الحاضر؛ وفي نفس الوقت لا نرهب الموت ولا نخضع له، حيث يتزكى به الإيمان

[1] *Sermon 1*

بأكثر غيرة[1].

❖ نُضوج الإيمان يا إخوتي الأعزاء يُسند داخلنا بثبات. بعد كل هجوم عنيف تقف الفضيلة ثابتة كصخرة ضخمة في مقاومة هائلة[2].

**الشهيد كبريانوس**

"**ليس اسم آخر**": لا يعني الرسول تجاهل اسم الله الآب، لكن بذل الآب ابنه الوحيد ليهب الخلاص خلال اسم ابنه، فمن يدعو اسم الابن الوحيد إنما يدعو الثالوث القدوس، حيث لا انفصال بين الأقانيم، بل توجد وحدة عمل.

"**قد أُعطي**": هذا الاسم أو شخص ربنا يسوع المسيح أُعطي لنا مجانًا، أو كما يقول الرسول: "فشكرًا لله على عطيته التي لا يُعبر عنها" (٢ كو ٩: ١٥).

❖ أنصت إلى المخلص: أنا جددتك، يا من وُلدت في العالم بالشقاء للموت. لقد حررتك، وشفيتك وخلصتك. سأهبك الحياة التي بلا نهاية، السرمدية، الفائقة للطبيعة. سأريك وجه الله الآب الصالح.

❖ أني أحثك على الخلاص، هذا ما يشتهيه المسيح.

❖ سخي هو ذاك الذي يهبنا أعظم كل العطايا، حياته ذاتها[3].

❖ من هو؟ تعلموا باختصار، إنه كلمة الحق، كلمة عدم الفساد، الذي يجدد الإنسان إذ يرده إلى الحق. إنه المهماز الذي يحث على الخلاص. هو محطم الهلاك، وطارد الموت. أنه يبني هيكل اللّه في الناس، فيأخذهم للّه مسكنًا له.

يحتاج المرضى إلى مخلص،
ويحتاج الضالون إلى مرشد،
يحتاج العميان إلى من يقودهم إلى النور،
والعطاش إلى الينبوع الحيّ الذي من يشرب منه لا يعطش أبدًا والموتى إلى

---

[1] *Ibid 4:353.*
[2] *Ad Cornelium epist. 3. Lib 1 PLEASE 3:798.*
[3] *Paedagògus 1:9.*

الحياة،

والخراف إلى راعي،

والأبناء إلى معلم؛

تحتاج كل البشرية إلى يسوع![1]

**القديس إكليمنضس السكندري**

❖ ليكن المسيح هو كل شيء. من يترك كل شيء من أجل المسيح، حتمًا يجد أمرًا واحدًا فيه الكل، لكي يصرخ: نصيبي هو الرب[2].

**القديس چيروم**

❖ وُلد اسحق رمزًا للمسيح، لأن الأمم لا تتبارك في اسحق بل في المسيح، يقول الرسول بطرس: "ليس بأحدٍ غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص[3]".

**أمبروسياستر**

## ٣. ارتباك المجمع

**"فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا،**

**ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا،**

**فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع". [١٣]**

كان حديث الرسولين بطرس وبولس مقنعًا، يتكلمان بمجاهرة، في ثقةٍ وكمن لهما سلطان، مع أنهما في أعين القيادات عاميان عديما العلم، لأنهما لم يتربيا في مدارس الربيين. إنهما عاميان أي من عامة الشعب، ليس لهما مركز مرموق ولا هما من أصحاب المواهب. لقد كشفا عن مفاهيم جديدة للنبوات بمنطقٍ لاهوتيٍ عميقٍ، ومحاجاة يصعب على محامٍ أن يأتي بها. كلماتهما كانت من عمل الروح القدس نفسه صاحب الكلمة، والذي وحده يقدر أن يعلن عن الحق.

---

[1] *Paed. 2:9.*
[2] *Ep. ad Pammachium PL 22:1206.*
[3] *Comm. On Paul's Epistles (Rom. 4:11).*

لقد بحثوا في أمرهما، فاكتشفوا أن سرّ قوتهما والهالة التي تحيط بهما "**أنهما كان مع يسوع**"، وأنهما قد حملا انعكاس بهائه عليهما.

لقد أدركوا أنهما من رسل السيد المسيح الذين تبعوه والتصقوا به، وآمنوا به ولعلهم بلغوا هذه النتيجة من الآتي:

١. يحملان قوة في صنع العجائب، خاصة شفاء هذا الأعرج باسم يسوع المسيح الناصري.

٢. يحملان روح المجاهرة والشجاعة في الشهادة له دون خوف أو تردد.

٣. حملا روحه والمناداة بالحق الإلهي.

٤. إدراكهما لأسرار العهد القديم بمفهومٍ جديدٍ.

٥. مع عدم تعليمهما بثقافةٍ زمنيةٍ، يتحدان الحكماء (١ كو ١: ٢٧-٢٨)، بل ويفحمان مجمع السنهدرين نفسه، الذي يظن أنه حامي الإيمان والحق. إنهما مثل سيدهما الذي كان يتكلم كمن له سلطان (مر ١: ٢٢)، مع أنه لم يتعلم الكتب في مدارس الربيين (يو ٧: ١٥).

❖ تفوّق العاميان على بلاغتهم وعلى رؤساء الكهنة، لأنهما لم يكونا المتكلمين بل نعمة الروح[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ ليس للمعرفة الحقيقية الروحية فصاحة زمنية، تلك التي هي مدنسة بوصمات الخطايا الجسدية، فإننا نعرف أنه أحياناً ينالها بصورة عظيمة من هم بلا فصاحة لسان بل والأميون. هذا يظهر بوضوح في حالة الرسل وكثير من القديسين الذين ليس لهم مظهر أوراق (الشجر) الكثيرة لكنهم منحنون بفعل ثقل ثمار المعرفة الروحية الحقيقية. عن هؤلاء جاء في أعمال الرسل: "فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميّان تعجَّبوا، فعرفوهما أنهما كانا مع

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 10.*

يسوع" (أع ٤:١٣)[1].

**الأب نسطور**

**"ولكن إذ نظروا الإنسان الذي شُفي واقفًا معهما،**
**لم يكن لهم شيء يناقضون به". [١٤]**

الأعرج الذي شُفي هو برهان أكيد لا مجال للحوار فيه على الحق الذي ينادي به الرسولان. فالمعجزة علنية وواضحة وحاسمة، والأعرج رجل معروف تمامًا.

لم يكن القادة قادرين على المغالطة، فالشفاء واقعة حقيقية تمت لرجلٍ يعرفه كل أهل أورشليم، والحديث منطقي كتابي، مستمد من النبوات التي بين أيديهم.

هنا يمتدح **القديس يوحنا الذهبي الفم** شهامة وشجاعة الرجل الذي شُفي.

❖ عظيمة هي جرأة الرجل، فإنه لم يتركهما حتى في قاعة المحكمة، فإنهما وإن قالا هذه الحقيقة لا تكون بذات القوة عندما يحاججهم هو[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فأمروهما أن يخرجا إلى خارج المجمع،**
**وتآمروا فيما بينهم". [١٥]**

**"قائلين: ماذا نفعل بهذين الرجلين؟**
**لأنه ظاهر لجميع سكان أورشليم أن آية معلومة قد جرت بأيديهما،**
**ولا نقدر أن ننكر". [١٦]**

رُفعت الجلسة للمداولة وهم في خزي، دون إمكانية إصدار حكم ضد الرسولين، فإنهما لم يكسرا الشريعة، والشعب كله قد عرف ما قد تم على أيديهما، وكرازتهما عن قيامة المسيح لا يمكن نقضها.

تحوّل المجمع إلى موضع مؤامرة، لا محكمة تمثل العدالة. لكن من الذي أخبر لوقا البشير بأنهم تآمروا فيما بينهم، بينما كان الرسولان خارجًا؟ غالبًا ما كان

---

[1] *St. John Cassian: Conferences, 14:16.*
[2] *Homilies on Acts, hom. 10.*

شاول الطرسوسي من بينهم، إذ كان فريسيًا وعلى علاقة قوية بغمالائيل، وكان مملوء غيرة على تقليدات آبائه، وكان رؤساء الكهنة يحسبونه سندهم القوي في مقاومة اسم يسوع. شاول هذا بعد تحوله إلى الإيمان قدم للقديس لوقا المعلومات الخاصة بما جرى داخل المجمع، سواء في هذا الحدث أو غيره من الأحداث، ولعله اشترك معهم في هذه المؤامرة أو كانت له اليد الكبرى في تشجيعهم على ذلك.

طلبوا من الرسولين أن ينسحبا إلى خارج المجمع، لا ليتدارسوا صحة إيمانهما أو بطلانه، إنما ليخططا ضد الكنيسة في بدء انطلاقها، ولم يدركوا أن رأس الكنيسة حاضر في كل موضع يدافع عنها، ويبطل مؤامرات العدو. لم يدركوا أنهم يحققون النبوات: "تآمر الرؤساء معًا، على الرب وعلى مسيحه" (مز ٢: ٢).

❖ "ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" (رو ٨: ٣٧). فإنه بالحق عجيب هو هذا الأمر، أننا لسنا فقط منتصرين فحسب، بل **نحن منتصرون بنفس الأمور التي وضعت كخطط ضدنا**. وإننا "أعظم من منتصرين"، أي أننا منتصرون بسهولة بدون تعب أو مجهود... انظروا، فإن اليهود يقولون: "**ماذا نفعل بهذين الرجلين؟**" (أع ٤: ١٦). حقًا إنه لأمر عجيب، مع أنهم أمسكوا بهما، وجعلوهما تحت المحاكمة، وسجنوهما، وضربوهما، لكنهم شعروا أنهم في ضياع وارتباك كمن **انهزموا بنفس الأمور التي توقعوا أنهم بها ينتصرون**. لم يكن للملوك ولا للشعب ولا لطغمات الشياطين ولا لإبليس نفسه سلطان لينالوا شيئًا منهما، بل الكل انهزموا في خسارة عظيمة، إذ وجدوا أن كل ما قد خططوه ضدهما آل إلى صالحهما. لهذا يقول: "**نحن أعظم من منتصرين**" (راجع رو ٨: ٣٧). هذا قانون جديد للنصرة به ينال البشر الغلبة على أعدائهم، لن ينهزموا بأية وسيلة، بل يدخلون هذه الصراعات كأن الأمر في أيديهم...

إنّهما ليس فقط انتصرا، وإنّما **انتصرا بطريقة مدهشة**، حتى يظهر بوضوح أن الذين خطّطوا ضدّهما كانوا في معركة ضد اللّه وليس ضد بشر مجرّدين[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

---

[1] *Hom. On Romans, hom. 15.*

**"ولكن لئلاّ تشيع أكثر في الشعب لنهددهما تهديدًا،**
**أن لا يُكلّما أحدًا من الناس فيما بعد بهذا الاسم". [١٧]**

**"فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتّة،**
**ولا يُعلما باسم يسوع". [١٨]**

كان رؤساء المجمع في موقف لا يُحسدون عليه، فإن حكموا بموت الرسولين يخشون الشعب الذي شاهد بنفسه معجزة فريدة من نوعها. وإن أطلقوهما بلا مؤاخذه يحسب ذلك موافقة علنية على أن اسم يسوع المصلوب يصنع معجزات بواسطة تلاميذه. أخيرًا استقروا على تهديد الرسولين حتى لا ينطقا البتة، ولا يعلما **بهذا الاسم**.

أصاب الرؤساء حالة إحباط فمن محاكمة إلى تهديد، وأخيرًا مجرد توصية. بسبب حقدهم الشديد **لم يستطيعوا حتى أن ينطقوا اسم يسوع**، بل أوصوهما إلا يعلما **"بهذا الاسم"**. لقد حملوا روح شاول الملك الذي في كراهيته الشديدة لداود كثيرًا ما كان غير قادر أن ينطق باسمه بل يدعوه "ابن يسي" (١ صم ٢٠: ٢٧، ٣٠، ٣١؛ ٢٢: ٨، ١٣).

ليس من خدمة يمكن أن تُقدم لمملكة إبليس أعظم من أن توقف خدمة رجال الله الأمناء، ظنًا من أنه يمكن أن يُوضع النور تحت مكيال، لكن هذا محال.

❖ كلما أرادوا أن يعوقهم (عن الكرازة) كان العمل بالأكثر يزداد على أيديهم[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

## ٤. تهديد الرسولين

**"فأجابهم بطرس ويوحنا وقالا:**
**إن كان حقًا أمام اللَّه أن نسمع لكم أكثر من اللَّه فاحكموا". [١٩]**

استطاع هذان الأميان عديما العلم أن يبكما أكثر من سبعين شخصًا على أعلى مستوى من المعرفة والسلطة. فقد اعتقد أعضاء مجمع السنهدرين أنهم مُعينون من قبل

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 10.*

الله نفسه، وأنهم مدافعون عن الحق الإلهي. الآن يسألهم الرسولان: تلقينا أمرًا من الله بالكرازة، وتلقينا أمرًا منكم بالصمت، فأي الأمرين يلزم طاعته: الأمر الإلهي أم البشري؟ هكذا وُضع المجمع في مأزقٍ رهيبٍ، إذ لم يعد يمثل فكر الله، ولا يبالي بالوصية الإلهية وتتميم مشيئة الله ولا بقبول تنفيذ النبوات.

طلب الرسولان من رؤساء المجمع أن يحكموا بأنفسهم: هل يسمع الرسل لهم أكثر من الله؟ هل يصمتون عن الشهادة للحق الذي رأوه وسمعوه واختبروه؟ كيف يمكنهم أن يخفوا إشراق نور القيامة عن الناس؟ فالضرورة موضوعة عليهم أن يكرزوا (١ كو ٩: ١٦؛ إر ٢٠: ٩؛ أع ١٨: ٥).

**"لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا". [٢٠]**

الشهادة للسيد المسيح هي حق بل والتزام من جانب من يرى الرب في حياته، ويسمع صوته الإلهي في داخله. ليس من صوتٍ بشريٍ مهما كان سلطانه يقف ضد الصوت الإلهي، كلمة الإنجيل الحي العامل في حياة المؤمن.

❖ يلتزم العبد الذي يرسله الرب أن يفعل ما يجب عليه أن يعمله، حتى ولو كان ذلك بغير إرادته، فإنّه إن لم يفعل ذلك يتعرّض للعقوبة. لقد كرز موسى لفرعون، مع أنّه لم يكن يريد ذلك. (خر ٤: ١٠؛ ٥: ١)، والتزم يونان أن يبشّر أهل نينوى (يو ١: ١- ٣: ٤)[1].

إمبرسياستر

❖ أود أن أسأل: من الذي كان مرتعبًا؟ هل الذين قالوا: **"لا يكلما أحدًا من الناس"** أم القائلان: **"لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا"**؟

لقد وجدوا بهجة وحرية للتكلم، وفرحًا فائقًا على الكل، أما أولئك فكان يلحق بهم القنوط والخزي والخوف، إذ كانوا يخشون الشعب.

لم يكونا خائفين منهم، بل بالعكس بينما قال هؤلاء ما يريدونه، إذا بالرسولين لم ينفذا ما أراد هؤلاء، فمن إذن الذين كان في قيودٍ ومخاطرٍ؟ ألم يكن هؤلاء

---

[1] *Commentary on Paul's Epistles (1 Cor. 9:16).*

(أعضاء المجمع)؟[1]

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"وبعدما هدّدوهما أيضًا أطلقوهما،**
**إذ لم يجدوا البتّة كيف يعاقبونهما بسبب الشعب،**
**لأن الجميع كانوا يمجّدون اللّه على ما جرى". [٢١]**

**"لأن الإنسان الذي صارت فيه آية الشفاء هذه،**
**كان له أكثر من أربعين سنة". [٢٢]**

كان لابدّ للمجمع أن ينهي جلسته، فقد كان الجمع يمجد الله على شفاء الأعرج بطريقة فائقة. فإنه يستحيل لأعرج له أكثر من أربعين عامًا يعانيّ من الكساح وقد وُلد هكذا أن يُشفى.

## ٥. صلاة من أجل الكرازة

**"ولما أُطلقا أتيا إلى رفقائهما،**
**وأخبراهم بكل ما قاله لهما رؤساء الكهنة والشيوخ". [٢٣]**

ما أن انطلقا حتى ذهبا إلى الكنيسة التي كانت غالبًا مجتمعة للصلاة من أجلهما لكي يعطيهما الرب كلمة شهادة حية وسط الضيق. ذهبا ليشترك الكل معهما في الفرح بعمل الله، ويقدم الكل معًا ذبيحة تسبيح وشكر لله.

لقد قدما تقريرًا عن عمل الناس وعمل الله معهما، فمن جهة الناس بذلوا كل الجهد لإعاقة كلمة الله ومقاومة الحق، ومن جهة الله فحوّل كل الأمور لبنيان الكنيسة.

قدموا هذا التقرير ليشترك الكل في التسبيح للرب، ولكي يتشجع الكل للعمل الكرازي، وكما كتب الرسول بولس: "وأكثر الإخوة وهم واثقون في الرب بوثقي يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف" (في ١: ١٤).

❖ ليس من أجل مجدهما أخبرا بالقصة؛ كيف يمكن أن يكون هذا دافعهما؟ وإنما ما أخبرا به هو البراهين التي تكشف عن نعمة المسيح. قالا ما نطق به المقاومون،

[1] *Homilies on Acts, hom. 10.*

أما ما قالاه هما فحذفاه. هذا يجعل السامعين أكثر شجاعة[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فلما سمعوا رفعوا بنفسٍ واحدةٍ صوتًا إلى اللَّه وقالوا:**

**أيها السيد،**

**أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيه". [٢٤]**

روى الرسولان أول خبرة لهما في بدء طريق الألم. لقد خرجا منتصرين لكن تحت تهديد استخدام أساليب سرية للخلاص منهما بغير محاكمة حتى لا يثور الشعب.

دفعتهم التجربة إلى حياة النصرة الجماعية بنفسٍ واحدةٍ، في يقينٍ بقدرة الله خالق السماء والأرض.

لما كانت القضية والاتهام ضد **"اسم يسوع"** لذا قدموا الصلاة لله الآب على أساس أنها قضية الابن الوحيد الذي أرسله ليقدم الخلاص للعالم.

من ثمار الضيق حفظ روح الوحدة، لا على مستوى التجمع والتكتل، بل على مستوى الروح بالحب والصلاة المشتركة، إذ صلوا **"بنفسٍ واحدةٍ"**.

جاءت الكلمة اليونانية المترجمة هنا **"السيد"** أو **"الرب"** *Despota*، وهي تعني "الحاكم"، تخص من يدبر أمور الآخرين بسلطانٍ وقوةٍ. ففي وسط الضيق يشعر المؤمنين أن كل أمورهم الكبيرة والصغيرة لن تحدث اعتباطًا، بل يوجد ملك الملوك يدبرها بحكمته وقدرته الفائقة، وأن حياتهم ليست في يد بشرٍ ما مهما كان سلطانهم.

- هؤلاء مرة أخرى هربوا إلى الله الملجأ الحقيقي، إلى الاتحاد الذي لا ينفك، مرة أخرى **"رفعوا بنفس واحدة صوتًا إلى الله وقالوا"** [٢٤] بغيرة عظيمة، **فإنه لا تُقام صلاة بغير هدف**[2].

- لنخضع نحن أنفسنا للصلاة. إنها سلاح قدير، إن قدمت بغيرة، إن كانت بدون

[1] *Homilies on Acts, hom. 11.*
[2] *Homilies on Acts, hom. 11.*

عجب، إن كانت بذهنٍ مخلصٍ. إنها تصد حروبًا، وتفيد الأمة كلها مع عدم استحقاقها. يقول: "سمعت أنينهم ونزلت لأنقذهم". إنها هي عينها دواء منقذ، له قوة لمنع الخطايا وشفاء الأفعال الشريرة[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ لنجتمع معًا في جماعة تقدم صلاةٍ متحدة معًا، ولنصارع معه في طلباتنا، هذا يبهج الله.

**العلامة ترتليان**

**"القائل بفم داود فتاك:**

**لماذا ارتجت الأمم وتفكرت الشعوب بالباطل؟" [٢٥]**

في صلاتهم قدموا كلمات ليست من عندهم، بل اقتبسوا لغة الروح القدس، إذ إختاروا **المزمور الثاني** الذي يحمل رؤية شاملة لقضية الصليب وكيف أقام الشيطان تحالفًا بين اليهود والرومان والرؤساء ضد الرب ومسيحه.

يقدّم لنا رجل الصلاة والسكون **مار اسحق السرياني** خبرته العمليّة في حياة النصرة على إبليس وكل قوّات الظلمة، وذلك بممارسة **الصلاة المنسوجة من المزامير والصلاة الربّانيّة والصلاة الارتجاليّة**، يصوبها المؤمن كسهم أو ثلاثة سهام يطعن بها عدو الخير.

❖ **خدمة المزامير**، والصلاة الربانية لأبينا السماوي، وصلاة التلاوة التي يرتجلها الإنسان ويطلب بها الرحمة والعون والخلاص، هذه الثلاثة مثل ثلاثة سهام بها تطعن الشياطين وتقتلهم[٢].

**مار اسحق السرياني**

دعا داود النبي يسوع **"فتاك"**. وفى اليونانية *paidasou* يمكن ترجمتها "عبد" كما ورد في تسابيح العبد المتألم فى إشعياء النبي، وأيضا "ابن" كما دعاه الآب

[1] *Homilies on Hebrews, hom. 27:9.*

[٢] جزء ١، ميمر ٥.

أثناء العماد والتجلي (مت ٣: ١٧؛ لو ٣: ٢٢).

**"قامت ملوك الأرض، واجتمع الرؤساء معًا،**

**على الرب وعلى مسيحه". [٢٦]**

كأنهم يشكرون الله الذي سبق وأنبأ على لسان داود النبي عن مقاومة الأمم والشعوب بملوكهم ورؤسائهم للسيد المسيح ولمملكته. كأن كل مقاومة أيا كان مصدرها، مادامت من أجل المسيح، فهي تأكيد أننا في الطريق الحقيقي. وكل اتحاد لقوات الشر ضد الكنيسة، إنما يكشف عن عجزهم عن تحطيمها. إن كان الله قد وهبهم عطايا هذا مقدارها، من بينها أنهم صاروا ملوكًا ورؤساء وأصحاب سلطان، لكنهم حوّلوا هذه النعم لمقاومة واهبها.

❖ إنهم كمن يقاضون الله هكذا يقدمون له عهوده، مقدمين هذه النبوة، وفي نفس الوقت يجدون فى هذا راحة، أن كل تخيلات أعدائهم باطلة. هذا هو ما يقولونه: لتُحقق هذه الكلمات، ولتُظهر أنهم يتخيلون أمورا باطلة[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع،**

**الذي مسحته،**

**هيرودس وبيلاطس بنطس مع أمم وشعوب إسرائيل". [٢٧]**

❖ تلك **المسحة** لا ترفع من شأن الابن الوحيد الجنس الطوباوي غير الفاسد، ذاك الذي يقطن فى طبيعة الله، إنما ثبتت سرّ جسده وقدست الناسوت الذي أخذه[2].

**القديس هيلاري أسقف بواتييه**

كثيرًا ما جاء عن بيلاطس لقب "البنطي" وهي ترجمة خاطئة، والأصح هي "**بنطس**" لأن اسمه بيلاطس بنطس، وهو ليس من بلد تدعى بنطس أو بنط حتى ندعوه "البنطي". وقد اتفق اللاهوتيون في مجلس كنائس الشرق الأوسط على تصحيح هذا الخطأ في الترجمات.

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 11.*
[2] *On the Trinity, 11:8.*

**"ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون". [٢٨]**

**"والآن يا رب انظر إلى تهديداتهم،**
**وامنح عبيدك أن يتكلّموا بكلامك بكل مجاهرة". [٢٩]**

لم تطلب الكنيسة المجتمعة في عصر الرسل أن يرفع الرب الضيق، ويحطم الأعداء ويهلكهم، بل طلبوا أن يحول الرب كل ضيقة للشهادة بمجاهرة وبكل قوته لملكوته السماوي.

"**ارتجت**": بينما يقدم الإيمان المسيحي المصالحة التي تتحقق بين الناس والآب خلال دم الابن الوحيد، ومصالحة الإنسان مع أخيه ومحبته حتى لأعدائه المقاومين له، مع المصالحة الداخلية بين النفس والجسد بعمل روح الله القدوس، إذا بالشعوب والأمم ترتج في ثورة عارمة، لأنها لا تطيق النور الإلهي. يستخدم العالم كل عنف لمقاومة الكنيسة الحاملة طبيعة عريسها: "لا يصيح ولا يسمع أحد صوته".

"**تفكرت**": أي تحول الفكر البشري بكل طاقاته لهدفٍ واحدٍ، وهو تحطيم مملكة النور، ورفض المسيا المصلوب.

"**بالباطل**": الكلمة اليونانية *kena* وترجمتها الحرفية في العبرية *reeyq* وتعني "الفراغ"، فقد صارت الشعوب أشبه بإناءٍ فارغٍ لا يقبل أن يمتلئ بمصدر الشبع، المخلص ربنا يسوع. هذا الفراغ أيضًا يحمل العجز، فكل مقاومة بكل عنف من جانبهم تنتهي إلى لاشيء. إنهم يبددون طاقاتهم في مقاومتهم للحق، فيسمعون مع شاول الطرسوسي: "صعب عليك أن ترفس مناخس". (أع ٩: ٥)

بقولهم: "**انظر إلى تهديداتهم**" يشيرون إلى اهتمام الله الخاص بمقاومة الأشرار لأولاده، فإنها لا تعبر هكذا، إنما تشغل ذهن الله. وكما صلى حزقيا الملك البار: "أملْ يا رب أذنك واسمع. افتح يا رب عينيك وانظر، واسمعْ كل كلام سنحاريب الذي أرسله ليعير الله الحي" (إش ٣٧: ١٧)، ويقول المرتل: "قد رأيت لأنك تبصر المشقة والغم لتجازي بيدك، إليك يسلم المسكين أمره". (مز ١٠: ١٤)

❖ قد يقول أحد: "لكن أنظر، قال المسيح لرسله القدّيسين: "حبّوا أعداءكم..." (لو ٦:

٢٧)، فكيف يصرخون ضدّهم دون ان يستخفّوا بالوصيّة الإلهيّة؟" نجيب على هذا: "إذن هل نصلّي ان ينالوا جسارة وقوّة من اللَّه ليهاجموا بعنفٍ الذين يمجّدون أعماله، فلا يسمحوا لهم بالتعليم، ويقاومون مجد ذاك الذي تُقدّم له الطلبة؟" كيف لا يُحسب ذلك غباوة؟ لذلك إن قدّمت المقاومة من أي شخصٍ ضدّنا شخصيًا، نحسب ذلك للحال مجدًا لنا أن نغفر لهم، ونحمل حبًا مشتركًا، مقتدين بالآباء القدّيسين حتى عندما يضربوننا ويهينوننا، نعم وإن استخدموا كل نوعٍ من العنف. إذ ليتنا لا نلوم (الرسل) فإنّهم كانوا أسمى من الغضب والكراهيّة. مثل هذا يمجّد القدّيسين ويسر اللَّه...

الصلاة التي نطق بها الرسل القدّيسون ليست أمرًا عديم المنفعة، بل لأجل إنجاح الرسالة الإلهيّة وإضعاف يد المضطهدين. يقول الرسل: "**انظر يا رب إلى تهديداتهم**"، أي اجعل مقاومتهم لنا باطلة، وامنح عبيدك أن يتكلّموا بكلامك بكل مجاهرة" (أع ٤: ٢٩)[١].

**القديس كيرلس الكبير**

❖ لا يعطي أحد اهتمامًا للمخاطر التي يجلبها الشيطان في الاضطهادات، بل بالأحرى **يهتم بالعون الذي يقدمه لنا الله.**

ليته لا يرتبك الذهن بالكارثة البشرية بل بالأحرى يتقوى الإيمان بالصون الإلهي، فإنه حسب الوعد الإلهي كل واحدٍ ينال من الله عونًا حسب إيمانه، إن آمن أنه ينال.

**لا يوجد شيء ما لا يستطيع القدير أن يهبه إن لم يعقه عدم الإيمان من جانب الذي يستقبل العون**[٢].

**الشهيد كبريانوس**

❖ لاحظوا أنهم لم يقولوا: "حطمهم، واطرحهم، بل ماذا قالوا؟

"**امنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة**" [٢٩].

لنتعلم نحن أن نصلي هكذا. ومع هذا كيف يمتلئ الشخص سخطًا عندما يسقط

[1] *Comm. On Luke, Sermon 119.*
[2] *De Exhortatione Martyrum PL 4:664 ff.*

بين أناس يقصدون قتله، ويهددونه بهذا؟ كم يمتلئ بالعداء؟ لكن ليس كذلك موقف هؤلاء القديسين[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"بمدّ يدك للشفاء،**

**ولتجرَ آيات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع". [٣٠]**

لا تقف طلبتهم عند نوالهم كلمة جريئة للشهادة للحق، وإنما يسألون الرب أن يهبهم آيات وعجائب باسم ربنا يسوع المسيح. لم يطلبوا هذا لحفظ حياتهم الزمنية، ولا لنوال كرامة زمنية.

جاءت صلاتهم بخصوص التهديدات، أنهم لا يضعون اعتبارًا لحياتهم الزمنية أو راحتهم، فإنهم وضعوا حياتهم مبذولة من أجل الشهادة للحق، لكن ما يشغلهم أن ينالوا قوة الروح وحكمته للمجاهرة بكلمة الله، وأن يسندهم بالعجائب والآيات لحساب اسم يسوع القدوس.

طلبوا عمل الآيات، إذ رأوا كيف مجد الشعب اسم يسوع وآمن كثيرون به، وكيف استطاعت آية واحدة أن تلجم رؤساء مجمع السنهدرين وتكتمهم.

**"ولما صلّوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه،**

**وامتلأ الجميع من الروح القدس،**

**وكانوا يتكلّمون بكلام الله بمجاهرة". [٣١]**

في تعليق **القديس كيرلس الكبير** على كلمات السيّد المسيح في لوقا ١٧: ٦ عن قوّة الإيمان يقول: [إن كانت قوّة الإيمان تحرّك (تهز) ما هو ثابت... يمكن القول بكل يقين أنّه ليس شيء ثابت لن يهزّه الإيمان، متى كان هناك داعٍ لاهتزازه. لذلك عندما صلّى الرسل **تزعزع المكان**، كما سجّل أعمال الرسل[2].]

لماذا تزعزع المكان؟ هذا استعلان عن حضور الله نفسه: "الأرض ارتعدت، السماوات أيضًا قطرت أمام وجه الله" (مز ٦٨: ٨)، "من قبل رب الجنود تُفتقد برعدٍ

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 11.*
[2] *Comm. On St. Luke, hom 113-116.*

وزلزلةٍ وصوتٍ عظيمٍ بزوبعةٍ وعواصفٍ ولهيب نار آكلة" (إش ٢٩: ٦). وأيضًا عن قبول الله للصلاة الكنسية من أجل الخدمة ولحلول الروح القدس ليهب الرسل قوة خارقة للطبيعة. فالمكان يتزعزع، والزمان ينتهي حيث يحل روح الحق الذي يفرق الزمان والمكان.

بحلول روح الحق الأبدي ينفضح ضعف الطبيعة، فلا يرتبط الإنسان بالزمان والمكان بل بالأبدي وحده.

يا لعظمة الصلاة وقدرتها فهي تفتح قلوب البشر على خالقهم، لينهلوا من قوته الإلهية التي تزعزع المكان، وتثبت قلوبهم.

تحول الضيق والمرارة والتهديدات إلى صلاة لها قوتها، لتهب إمكانيات الروح القدس للكرازة والشهادة.

❖ من يفهم القول السري للطوباوي بولس: "فإن مصارعتنا... مع أجناد الشر الروحية" (أف ٦:١٢)، يفهم أيضًا مثل الرب الذي انتهي بقوله: "ينبغي أن يُصلى كل حين ولا يُمل" (لو ١٨:١).

**القديس مرقس الناسك**

غاية هذا الملء المتجدد هو النطق بكلام الله بمجاهرة.

## ٦. حياة الشركة

**"وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة،**
**ولم يكن أحد يقول أن شيئًا من أمواله له،**
**بل كان عندهم كل شيء مشتركًا". [٣٢]**

يقدم لنا الإنجيلي لوقا صورة رائعة عن سمات الكنيسة في عصر الرسل تتقدمها سمة الحب العميق والوحدة الصادقة على مستوى الروح والقلب كما على مستوى العمل.

إذ امتلأ الجميع من الروح القدس، ليس فقط تزعزع المكان الذين كانوا يقيمون فيه الصلاة، بل وتزعزع العالم أمام أعين التلاميذ؛ فلم يسمحوا له بالتسلل إلى

قلوبهم. تجلت أمامهم اللؤلؤة الكثيرة الثمن فلم يجدوا حاجة إلى تغصب لبيع ما لديهم لاقتنائها.

تجمعت هذه الآلاف من جنسيات مختلفة ولغات متباينة، كانوا قبلاً يشعرون أنهم غرباء عن بعضهم البعض، حتى وإن اجتمعوا في هيكلٍ واحدٍ ليقدموا عبادة واحدة. كان منهم كثيرون قادمون من بلاد مختلفة، وحتى الذين من أورشليم كانوا ينتسبون إلى جماعات متعارضة في الفكر. الآن تجمع الكل كأعضاء في جسد المسيح الواحد، يقودهم الروح القدس الواحد خلال رباط الحب.

وهبهم الروح روح الحب والوحدة، فلم يحسب أحد أن له شيئًا ما، بل كل ما في يديه هو لاخوته. لم يعد للإحساس بالملكية الفردية وجود في حياة المؤمنين، لذلك تحققت الوحدة قلبًا ونفسًا.

والعجيب أن هذا الشعور لم يتحقق من أوامر إلهية أو قوانين كنسية أو وصايا رسولية صدرت لهم، لكنه تحقق طبيعيًا بامتلائهم من الروح القدس فصاروا أعضاء جسد المسيح القدوس، الذي بذل ذاته عن الجميع، وأخلى ذاته من أجل خلاص الكل.

❖ في كنيسة أورشليم كما لو وُجد جمر والتهاب بنار الروح القدس، عندما كان للكل نفس واحدة وقلب واحد نحو اللَّه. عندما رُجم إسطفانوس تحمّلت تلك الكومة الاضطهاد، وتبعثر الجمر فانطلقت النار في العالم[1].

**القديس أغسطينوس**

❖ عندما يصير المسيحيون هكذا (في توافقٍ) يصدرون موسيقى، أو يصدرون صوتًا متناغمًا يسر الله، ويتحقق فيهم ما هو مكتوب: "كانوا بقلبٍ واحدٍ ونفسٍ واحدةٍ"[2].

**الأب قيصريوس أسقف آرل**

❖ الآن اخبروني هل حبهم أنجب فقرهم، أم الفقر ولَّد الحب؟ في رأيي إن الحب ولَّد

---

[1] *Sermons on N.T. Lessons, 66:6.*
[2] *Sermon 163:3.*

الفقر، وبعد ذلك سحب الفقر بقوه حبال الحب[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ هذا الحب الذي هو من الله لا يمكن فصله عن شخص الله، لأن الله والحب واحد. وحيث أن الحب الذي في ذاته غير منفصل عن مصدره، فإنه ليس فقط يقتني الكائنات البشرية الذين يمكن للواحد أن يعتزل الآخر، وإنما يجعل قلوب كثيرة ونفوس متعددة قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة، فأي جنون هو القول بأن هذا الحب الذي يعتاد أن يربط العقول المنفصلة في حب لا ينفصل يمكن فصله عن الكائنات البشرية الذين يعبرون عنه؟ لهذا يقول بولس: "فإني وإن كنت غائبًا في الجسد لكني معكم في الروح، فرحًا وناظرًا ترتيبكم" (كو ٢ :٥). وجاء في أعمال الرسل أنه كان لجمهور المؤمنين قلب واحد ونفس واحدة... الأمر الذي ما كان يتحقق إلا بروح الإيمان والحب[2].

**الأب فلجنتيوس أسقف روسب**

❖ مجّدوا الرب معي ولنرفع اسمه معًا (مز ٣٤: ٣). فإنه يوجد أمر واحد ضروري، وهو سماوي (علوي)، الوحدة! الوحدة التي فيها الآب والابن والروح القدس هم واحد. انظروا، كيف اُستودعت الوحدة لدينا... الثالوث كلّه هو اللّه الواحد، والحاجة إلى واحد. ليس شيء يجلبنا إلى هذا الأمر (اللّه الواحد) إلا إذ صرنا نحن الكثيرون قلبًا واحدًا[3].

**القديس أغسطينوس**

❖ أقول الآن أن كل الكنيسة آنذاك كانت مثل الحفنة القليلة التي تسلك الآن في نظام الشركة، ولكن بعد موت الرسل، وقد بدأت جموع المؤمنين تفتر وتبرد، خاصة الجموع التي جاءت إلى الإيمان من أممٍ مختلفةٍ، والذين بسبب حداثة إيمانهم وعبادتهم الوثنية المتأصلة فيهم لم يُطالبوا سوى بضرورة أن "تمتنعوا عمّا ذُبح

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 11.*
[2] *Fulgentius of Ruspe: Letter to Victor 9: 5-6.*
وضع الأب فلجنتيوس (حوالي ٤٦٧- ٥٣٢ م) عظات كثيرة، وقد تأثر بالقديس أغسطينوس.
[3] *Sermons on N.T. Lessons, 53:4.*

للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنى" (أع ١٥:٢٩). هذه الحرية التي وُهبت للأمم لحداثة إيمانهم، قللت من الصورة الكاملة التي كانت لكنيسة أورشليم... بل **وحتى بعض القادة تهاونوا بعض الشيء ظانين أنه ما قد سُمح به للأمم من أجل ضعفهم مسموح به لهم أيضًا، معتقدين أنهم لن يُضاروا شيئًا إن اتبعوا إيمان المسيح، واعترفوا به محتفظين بمقتنياتهم وما يمتلكونه**[1].

**الأب بيامون**

❖ كيف إذن يمكن أن تحدث أي بذار للنقاش (المثير) ممن لا يطلب ما لنفسه بل ما هو لقريبه؟! بهذا يصير تابعًا لربه وسيده القائل عن نفسه: "لأني قد نزلت من السماءِ ليس لأعمل مشيئَتي بل مشيئَة الذي أرسلني" (يو ٦:٣٨).

كيف يمكن أن يثير نزاعًا لسببٍ ما، ذاك الذي صمم أن يأخذ برأي قريبه، ولا يسلك حسب إرادته الذاتية، محققًا بقلبٍ ورعٍ متواضعٍ ما جاء في الإنجيل: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبّ بعض لبعض" (يو ١٣:٣٥)؟

لأنه بهذا، كما بعلامة خاصة، أراد السيد المسيح أن يميز قطيعه في هذا العالم، فارزًا إياهم عن غيرهم، مختومين بالختم الذي نتكلم عنه! على أي أساس يقبل أية ضغينة تتسرب إلى نفسه أو تبقى في نفس أخيه؟! فإن قراره ثابت وهو أنه لا يمكن أن يترك أساسًا للغضب، لأنه أمر خطير وخاطئ، وإذا ما كان أخوه غاضبًا معه لا يقدر أن يصلي كما لو كان نفسه غاضبًا، حافظًا كلمات ربنا ومخلصنا يسوع في قلبه بتواضع: "فإن قدَّمت قُربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئًا عليك، فأترك هناك قُربانك قُدّام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذٍ تعال وقدِّم قُربانك" (مت ٥:٢٣، ٢٤)[2].

**الأب يوسف**

يرى **القديس أمبروسيوس** أن أساس الوحدة التي تقوم بين الجماعة المقدسة **هي وحدة الإنسان**، والتناغم بين عناصره بعمل الروح القدس، **فتصير** النفس أشبه بحمامة واحدة (نش ٦: ٩)، وتتمتع **بالسلام الداخلي بين النفس والجسد**، فيصير

[1] *St. John Cassian: Conferences, 18:5.*
[2] *St. John Cassian: Conferences, 16:6.*

الاثنان واحدًا (أف ٢: ١٤)، بهذا تتشبه بالقائل: "ليكون الجميع واحدًا كما أننا واحد. أنا فيهم، وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد (وحدة)" (يو ١٧: ٢٢-٣٢). لهذا مثل هذه النفس هي حمامة واحدة، صادقة، روحية، لا تضطرب بشهوات الجسد مع وجود صراعات من الخارج ومخاوف من الداخل (٢ كو ٧: ٥)[١].

❖ لقد أمرنا الرب بصوته، قائلاً: "هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضًا" (يو ١٥: ١٢). وأيضًا: "إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبي الذي في السماوات" (مت ١٨: ١٩). فإن كان اثنان بفكرٍ واحدٍ يمكنهما أن يفعلا هذا، كم يكون بالأكثر إن حدث اتفاق جماعي بين الكل؟[٢]

**الشهيد كبريانوس**

يرى **الشهيد كبريانوس** أن الله يقدم عطايا للجميع، ونحن كأبناء لله نسلك بالناموس السماوي، نتمثل بالله فنُشرك الكل فيما نملكه[٣].

إذ قدم لنا **القديس يوحنا كاسيان** وصفًا رائعًا عن حياة الشركة الرهبانية في مصر أبرز أهمية الشركة على نمط الكنيسة الأولى، كما جاء في سفر الأعمال. وقد أضاف إليها أن البعض خرجوا خارج المدن ليعيشوا حياة نسكية عجيبة، فقد انشغلوا بدراسة الكتب المقدسة والصلوات والأعمال اليدوية ليلاً ونهارًا بغيرة متقدة حتى أنهم كانوا ينسون الطعام ولا يفكرون فيه كل يومين أو ثلاثة أيام حيث يذكرهم الجوع الجسدي بذلك[٤].

**"وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع،**
**ونعمة عظيمة كانت على جميعهم". [٣٣]**

أما السمة الثانية للكنيسة فهي تمتع الرسل بقوة عظيمة، أي إمكانية قبول المستمعين لكلماتهم، يتكلمون كمن لهم سلطان إذ يحملون واهب السلطان في داخلهم. لهم نعمة عظيمة أمام من يلتقي بهم، حتى المقاومون لهم يشعرون بنعمة الله وإشراق

[1] *Cf. Isaac, or the Soul, 7: 59.*
[2] *Epistles, 7:3.*
[3] *Cf. Treatise 8 on Works and Alms, 2:5.*
[4] *De institutis caeoborum, 2:5.*

النور الإلهي على حياتهم. يتلمس الكل في أعماقهم أنهم يحملون انعكاس بهاء مجد الرب وجماله، هذا الذي هو "أبرع جمالاً من بني البشر".

خرج التلاميذ من تجربة السجن والتهديدات بقوةٍ مضاعفة، فقد قدمت الكنيسة صلاة بحرارة، بنفس واحدة، وامتلأ الكل من الروح القدس، وصار للجميع قوة عظيمة للشهادة، وتمتعوا بنعمة إلهية عظيمة.

هنا يكاد الإنجيلي لوقا أن يسجل عجز اللغة البشرية عن وصف حال الكنيسة الحاملة لقوة الله والمتمتعة بنعمته، فتنطلق في طريق الشهادة لقيامة الرب من الأموات بكل قوةٍ ونجاحٍ، مع نموٍ دائمٍ لملكوت الله.

❖ "ها أنا أعطيكم سلطانًا أن تدوسوا الحيّات والعقارب". هذا ليس بعمل إنسان مجرّد، ولا يقدر أحد مثلنا أن يمنح آخرين مثل هذا السلطان المجيد والعجيب لكي يكوّن لهم القدرة أن يدوسوا كل قوّة العدوّ. هذا بالأحرى هو عمل خاص بالله وحده، العالي فوق الكل والمكلّل بالكرامات الفائقة... إنّه لم يترك للتلاميذ أي عذر للاستسلام للجبن، بل بالأحرى يطلب منهم أن يكونوا أقوياء القلب وشجعانًا، لأنّه هكذا ينبغي أن يكون خدّام كلمة الإلهيَّة، لا جبناء، ولا مقهورين بالكسل، وإنّما يكرزون "بقوّة عظيمة" كما يقول الكتاب (أع٤: ٣٣)[1].

**القديس كيرلس الكبير**

**"إذ لم يكن فيهم أحد محتاجًا،**
**لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها،**
**ويأتون بأثمان المبيعات". [٣٤]**

بعد أن تحدث الإنجيلي عن سمات الحب والوحدة الكنسية، والشهادة بروح القوة، والكشف عن بهاء المسيح الساكن فيهم تطرق إلى سمتين عمليتين هما سمة واحدة ذات وجهين: السخاء في العطاء خاصة للمحتاجين، والموت عن العالم وكل غناه وكراماته.

---

[1] *Comm. On St. Luke, hom. 64.*

ترجمة مركز دراسات الآباء بالقاهرة.

❖ كانت مشاعرهم كما لو كانوا تحت سقف أبوي، صار الكل في لحظة يشتركون معًا. إنه لا يُقال أنهم أعانوا الآخرين وإن كانوا بالحقيقة فعلوا هكذا، إلا أنهم شعروا بأن كل شيء هو لهم. لا، الأمر العجيب هو هذا، أنهم أولاً نقلوا ممتلكاتهم، وهكذا سندوا الآخرين، على أن هذا العون لم يأتِ من ممتلكاتهم الخاصة بل من الملكية العامة[١].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ أولئك الذين بالإيمان نالوا في داخلهم ذاك الذي يجعل كل الأشياء جديدة... إذ يقبلون منه كلمة رسالة الإنجيل الذي يبهج قلب الإنسان جديدة يصيرون فوق الغنى ومحبّة المال، وتتشدّد عقولهم، فلا يعطون اعتبارًا للأمور الزمنيّة، بل يتعطّشون للأبديّات.

يكرمون الفقر الاختياري ويشغفون بمحبّة الإخوة. وكما جاء في أعمال الرسل القدّيسين أن كثيرين من أصحاب الأراضي والبيوت باعوها وجاءوا بأثمانها ووضعوها عند أقدام الرسل، وكانت توزّع على كل أحد حسب احتياجه[٢].

**القديس كيرلس الكبير**

يصور لنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** هذا المنظر السماوي الرائع قائمًا على الأرض، حيث يرى أن الثلاثة آلاف الذين آمنوا مع الخمسة الآلاف بعد ذلك يمارس جميعهم نفس الشيء في نجاحٍ سامٍ، ولم يعد واحد منهم يشتكي من الفقر. أي مجد يمكن أن يوجد أكثر مما كان لهذا الشعب؟[٣]

حقًا إن الحب والوحدة يجعلان من الكنيسة سماءً مجيدة، فإن الشركة العملية الصادقة والنابعة عن الحب لهي شهادة لعمل نعمة الله الفائقة.

❖ ألم تسمع الرسل يقولون أن الذين نالوا الكلمة أولاً باعوا البيوت والأراضي، لكي يسدوا احتياجات الرسل؟ أما أنتم فتسلبون البيوت والأراضي لكي تزينون فرسًا، أو

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 11.*
[2] *Comm. On St. Luke, hom. 123.*
[3] *Cf. Homilies on Acts, hom. 11.*

قطعة (أثاث) خشبية أو جلدية، أو حائطًا، أو رصيفًا. وما هو أردأ من هذا أنه ليس فقط الرجال، بل وحتى النساء أيضًا تأثرن بهذا الجنون، ودفعن رجالهن إلى هذا النوع من الهوى الفارغ، فيدفعنهم أن ينفقوا أموالهم في شراء ما هو أكثر من الضروريات[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"ويضعونها عند أرجل الرسل،**

**فكان يُوزع على كل واحدٍ كما يكون له احتياج". [٣٥]**

خرجت الكنيسة من الضيقة لا لتعاني من متاعب مادية، بل لتمارس الحب الأخوي في أروع صوره، وتكشف عن وضع المال في كنيسة العهد الجيد، إنه ليس في صندوقٍ خاصٍ، ولا في أرصدةٍ لدى مصارف، بل عند أرجل الرسل.

ما يعجز عن تحقيقه في كل أنظمة العالم الاقتصادية والاجتماعية لتوفير احتياجات الفقراء والمعوزين تحقق طبيعيًا عندما تمتعت الجماعة بملء الروح. فصارت الأموال عند أقدام الرسل، لينال منها كل شخصٍ احتياجه بروح الأمانة والخشوع.

❖ إنه عمل رمزي يشير إلى أن يليق بالناس أن يطأوا بأقدامهم على الطمع. فإن الرب يشتاق أن يهب نفوس المؤمنين ما هو أعظم من غناهم. نقرأ في الأمثال: "فدية نفس الإنسان غناه" (أم ١٣: ٨ LXX).

**القديس جيروم**

❖ أقر سليمان أيضًا في الروح القدس وشهد وعلم بالسلطان الكهنوتي قائلاً: "خف الرب بكل نفسك وكرم كهنته" (حكمة سليمان ٧: ٢٩). وأيضًا: "أكرم الله من كل نفسك وكرم كهنته" (حكمة سليمان ٧: ٣١)... علاوة على هذا فإن ربنا يسوع المسيح نفسه ملكنا وديِاننا وإلهنا في ذات يوم آلامه لاحظ كرامة الكهنة ورؤساء الكهنة مع أنهم لم يحفظوا صوت الله، ولا معرفة المسيح. فعندما طهر الأبرص قال

[1] *Homilies on Romans, hom. 11.*

له: "اذهب أرِ نفسك للكاهن وقدم القربان" (مت ٨: ٤). بهذا التواضع علمنا التواضع، فقد دعاه كاهنًا مع أنه يعرف أنه مدنس للمقدسات[1].

**الشهيد كبريانوس**

**"ويوسف الذي دُعي من الرسل برنابا،**
**الذي يترجم ابن الوعظ،**
**وهو لاوي قبرسي الجنس". [٣٦]**

**"إذ كان له حقل باعه،**
**وأتى بالدراهم، ووضعها عند أرجل الرسل". [٣٧]**

بلا شك باع المئات وربما الألوف ممتلكاتهم ووضعوا أثمانها عند أقدام الرسل، فلماذا انفرد السفر بما فعله برنابا الذي من سبط لاوي؟

**أولاً:** بكونه لاويًا ليس من حقه شراء أرض في إسرائيل، فلعل الأرض كانت في قبرص، إذ كان قبرصي الجنسية.

**ثانيًا:** يبدو أنها كانت أرض متسعة جدًا، بيعت بثمنٍ مرتفعٍ جدًا، فصار ذلك مثلاً حيًا لمن تحرر من كل محبةٍ للاقتناء.

**من وحي أعمال الرسل ٤**

**آلام مجيدة!**

❖ تآمرت قوات الظلمة عليك،
حكموا عليك بالموت، لكنهم عجزوا عن منع قيامتك!
تتآمر قوات الظلمة بعينها على رسلك!
هي بعينها لن تكف عن التآمر على كنيستك عبر الأجيال!

❖ وضعوا الرسولين في السجن،
فأقبل الآلاف إلى الإيمان بك.

[1] *Epistles, 64:2.*

مع كل ضيقة تنمو كنيستك،
ومع كل اضطهاد لشعبك تتجلى قوة اسمك القدوس.

❖ المجمع الذي حكم عليك بالموت،
يهدد رسلك بالموت.
بطرس الذي خاف جارية،
يدين أعضاء مجمع السنهدرين الأعظم.
اتهمهم بمقاومة الله: صلبوا يسوع وأقامه الآب.
اتهمهم بالجهالة: رفضوا الحجر رأس الزاوية.
اتهمهم بالفشل: ليس بأحد غير يسوع الخلاص.
اتهّمهم بعدم الحكمة: يطلبون الطاعة لهم أكثر من الطاعة لله.

❖ وسط الآلام تمجدت في كنيستك.
جرت آيات وعجائب كثيرة،
صارت لها صلوات قوية زعزعت الموضع.

❖ وسط الآلام صارت كنيستك سماءً ثابتة،
وتحول المؤمنون إلى شبه ملائكة.
صار للجميع قلب واحد ونفس واحدة... يا لها من سمة سماوية!
تحول الكل إلى الشهادة بقيامتك،
فلم يعد للموت سلطان ولا قوة.
لم يعد للعالم سلطان عليهم، ولا للمادة إغراء.
صار كل شيء بينهم مشتركًا.
أتوا بأموالهم عند أقدام رسلك، إذ لا مكان آخر لها.
قدموا الأموال كأمانة تسلموها من يدك،
وها هم بفرحٍ يقدمونها لخدمة الجميع!

# الأصحاح الخامس

# حنانيا وسفيرة

قدم لنا الإنجيلي لوقا صورة مفرحة للكنيسة ذات القلب الواحد والنفس الواحدة مع شركة حية في العبادة والعطاء بسخاء. الآن يقدم لنا صورة مؤلمة لأسرة تطلب مجد ذاتها بروح الكذب، وإذ كان هذا الأمر هو أول حدث مؤلم داخل الكنيسة، كان رد الفعل حازمًا للغاية، ليقدم الروح القدس درسًا قاسيًا لمن تسول نفسه لاستغلال الحب الأخوي. وقد انتهى الأصحاح بصورة مفرحة حيث يغلب التهليل على حياة الكنيسة المضطهدة.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن ما حدث مع حنانيا وسفيرة معجزة أعظم من معجزة شفاء الأعرج، لأنها تكشف عن معرفة الروح القدس ما في القلب الخفي، ولأن ما حدث سبب خوفًا لدي كل السامعين[1].

نستطيع القول بأن المعجزتين متكاملتان، الأولى تكشف عن حب الله الفائق وحنوه نحو الإنسان، وأن الله لم يطلب منه حتى أن يؤمن قبل تلامسه مع الحب الإلهي، والثانية تكشف عن ضرورة الالتزام والأمانة في مخافة للرب، خاصة لمن قبلوا الإيمان وتمتعوا ببركات إلهية، فالحب الإلهي مرتبط بالمخافة، ومخافة الرب لا تنفصل عن الحب الإلهي.

| | |
|---|---|
| **١ – حنانيا وسفيرة** | ١ – ١١. |
| **٢ – نمو الكنيسة المستمر** | ١٢ – ١٦. |
| **٣- إلقاء الأيدي على الرسل** | ١٧ – ٢٣. |
| **٤ – تهمة الاسم** | ٢٤ – ٣٢. |
| **٥ – موقف غمالائيل** | ٣٣ – ٤٠. |

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 12.*

٦ – كلمة الله لا تُقيد ٤١ – ٤٢.

## ١ – حنانيا وسفيرة

في الأصحاح السابق تحدث الإنجيلي لوقا عن الكنيسة ككل وقد التهبت بروح الحب الحقيقي، ووُجد بينهم من هو مثل يوسف برناباس القبرصي الجنس، باع حقله وقدم كل ثمنه عند أرجل الرسل. غالبًا ما كان غنيًا جدًا، وكان ثمن الحقل فائقًا حتى ذكره القديس لوقا كمثلٍ حيٍ لما فعله المؤمنون في ذلك الحين. لكن في نفس الوقت وُجد بين الحنطة زوان، وبين المخلصين في حبهم لله والناس مراءون مثل حنانيا وسفيرة، يقدمون صورة جميلة في الظاهر، ويحملون قلبًا مخادعًا مملوء كذبًا، محبًا للكرامة والمال والعالم. هذه الصورة كان لابد للقديس لوقا أن ينقلها لنا حتى لا نضطرب حينما نجد في كل عصر عينات رائعة في الحب، وأيضًا أمثلة مرة في الرياء.

**"ورجل اسمه حنانيا وامرأته سفيرة،**

**باع ملكًا". [١]**

"**حنانيا**" كلمة عبرية معناها "يهوه حنان"، أو "منعم بسخاء". و"**سفيرة**" كلمة آرامية معناها "جميلة". إلاَّ أن كل منهما حمل اسمًا على غير مسمى، فلم يكن حنانيا يتمثل بالله الكلي الحنو، ولا اهتمت سفيرة بجمالها الداخلي.

❖ افتخر شاب غنى أنه يتمم كل متطلبات الناموس، لكن الرب قال له (كما نقرأ في الإنجيل): "يعوزك شيء واحد، اذهب بع كل مالك وأعطِ الفقراء... وتعالَ اتبعني" (مر ١٠: ٢٢)... يقول الرب: "اذهب بع" ليس نصيبًا مما لك بل "كل مالك وأعط الفقراء"، ليس لأصدقائك أو لأقاربك أو معارفك، ولا لزوجتك وأولادك. اذهب إلى أبعد من ذلك: لا تحتفظ بشيء لنفسك خشية أن تفتقر يومًا ما، لئلا بفعلك هذا تنال دينونة حنانيا وسفيرة؛ بل أعطِ كل شيء للفقراء، واصنع لنفسك أصدقاء من مال الظلم، فيقبلونك في المساكن الأبدية (لو ١٦: ٩).

أطع سيدك: "اتبعني"! واقتنى رب العالم كملكٍ لك، فيمكنك أن تتغنى مع النبي: "نصيبي هو الرب" (مز ١٦: ٥)، فتكون كلاويٍ حقيقيٍ، ليس لك أي ميراث

أرضي (عد ٨: ٢٠-٢٤)...

لا أستطيع أن أنصحك إلا بهذا إن أردت أن تكون كاملاً، إن رغبت أن تنال قمة مجد الرسل، إن أردت أن تحمل صليبك، وتتبع المسيح[1].

**القديس جيروم**

**"واختلس من الثمن،**
**وامرأته لها خبر بذلك،**
**وأتى بجزء ووضعه عند أرجل الرسل". [٢]**

اقتضت أمانة القديس لوقا أنه كما سجل الوجه المشرق المجيد للكنيسة في بدء انطلاقها، أن يسجل أيضًا موقف الكنيسة ممن قبلوا العضوية فيها لكن بقلوب غير نقية ولا مخلصة. لقد سجل لنا ما فعله برنابا القبرصي الذي قدم ثمن كل أرضه المتسعة عند أقدام الرسل حتى لا يستكثر أحد على الكنيسة أن يقدم كل ماله كما يقدم حياته مبذولة. وها هو يسجل لنا تصرف حنانيا وسفيرة اللذين حملا صورة التقوى في شكليات ظاهرة دون حب حقيقي داخلي.

في كل عصر يوجد أمناء باذلون حتى الحياة، ويوجد داخل الكنيسة من يلتصق بالشكل دون الروح، ذلك من أجل محبتهم للعالم وارتباطهم بالمادة.

في بدء انطلاق الشعب إلى أرض الموعد وُجد عخان بن كرمي الذي اختلس وأخفي ما اختلسه وكذب، فصار في وسط إسرائيل حرام مما سبب هزيمة الشعب (يش ٧)، فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة هو وأهل بيته. وها هنا في أرض الموعد الجديدة، في بدء كنيسة العهد الجديد وُجد حنانيا ومعه زوجته سفيره يكذبان على الروح القدس، ويختلسان من ثمن الحقل الذي كان في وسعهما - إن أرادا - ألا يقدما ثمنه.

- ❖ الخداع هو عبادة أوثان، فيكونوا قد تمثلوا باللذين ذُكرا في أعمال الرسل، اللذين باعا ميراثهما، وإذ احتفظا بجزءٍ منه هلكا بموتٍ سريعٍ فوريٍ.

تأمل يا أخي، فإنه ليس شيء هو لك كي تحفظه يقول الرب: "من منكم لا

[1] *Letter 4 to Julian, a wealthy nobleman, 4. (His wife and two daughters had recently died)*

يترك كل ماله لا يقدر أن يكون لي تلميذًا". لماذا تحمل قلبًا مسيحيًا متذبذبًا؟[1]

**القديس جيروم**

**"فقال بطرس:**

**يا حنانيا، لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس،**

**وتختلس من ثمن الحقل؟" [٣]**

توقّع حنانيا أن يسمع مديحًا من الرسل ومن المجتمعين حولهم، إن لم يكن علانية فخلال نظراتهم وحركاتهم، لكنه فوجئ باتهامٍ موجه ضده، مع صدور حكم من الروح القدس يُنفذ فورًا! لم يُطلب منه دفاع وإثبات سواء لخطيته أو لتبرئته، لأن الحكم لم يصدره إنسان، بل الروح القدس فاحص القلوب.

كان يمكن للقديس بطرس أن يتحدث معه على انفراد، ويسأله أن يعترف هو وزوجته بما ارتكباه من كذب، وأن يحزم حنانيا وسفيرة الأمر بتوبتهما بغض النظر إن كانا يأخذا هذا المال ثانية أو يقدما كل المبلغ أو يعترفا أمام الجميع أنه ليس بكامل الثمن، لكن الروح القدس يعلم أن قلبيهما امتلأ شرًا، ولعل هذا الحدث جاء لملء كأس شر عاشا فيه زمانًا، ولم تعد هناك فرصة للتوبة.

لم يقل له: "قد جربك الشيطان" أو "أوحى إليك بالشر"، إنما يقول: "**قد ملأ قلبك**"، مما يشير إلى أن حنانيا قد فتح القلب لعدو الخير ولأفكاره مرة ومرات، وتركه يدخل ويملك تمامًا، **فملأ القلب**، ولم يعد للروح القدس موضع فيه.

"**الشيطان**" ومعناه "مخاصم"؛ وفي العبرية معناه "يجول ذهابًا وإيابًا". يقول عنه الرسول بطرس: "يجول ملتمسًا من يبتلعه". (١ بط ٥: ٨) ولما سأله الله من أين أتى أجاب: "من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها". (أي ١: ٧)

❖ ينبغي أن تعرفوا بأننا نصير أجسادًا لهم (الشياطين) حينما تقبل نفوسنا أفكارهم المظلمة الشريرة، وعندما يصيرون هم ظاهرين بواسطة جسدنا الذي نسكن فيه[٢].

---

[1] *Letter 14 to Heliodorius the monk, 5.*

[٢] الرسالة السادسة.

❖ تعمل الشياطين خفية، ونحن نجعلهم ظاهرين بواسطة أعمالنا[1].

**القديس أنبا أنطونيوس الكبير**

لما كان عدو الخير لا يهدأ من الجولان في الأرض ليحطم النفوس، فإن الله في محبته يبحث عن هذه النفوس حتى لا تهلك، إذ "أعين الرب الجائلة في الأرض كلها" (زك ٤: ١٠)، وجاء رب المجد "يجول يصنع خيرًا". (أع ١٠: ٣٨)

❖ خطط إبليس لا أن يسحبنا من البركات التي لدينا، إنما يحاول أن يسحبنا إلى جرف صخري أكثر اندفاعًا. لكن الله في محبته لم يفشل في الاهتمام بالبشرية.

لقد أظهر لإبليس كيف أنه غبي في محاولاته. لقد أظهر للإنسان عظم العناية التي يظهرها الله له، فإنه بالموت وهب الإنسان الحياة الأبدية. لقد سحب إبليس الإنسان من الفردوس، قاده الله إلى السماء. فإن النفع أكثر بكثير من الخسارة[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

لم يوبخ القديس بطرس حنانيا لأنه لم يقدم المبلغ كله، إنما **وبخه على الغش والكذب**. لقد قدم جزءً من الثمن على أنه ثمن الحقل كله، وبهذا يتمكن من أن يأخذ من الصندوق العام ما هو لمعيشته هو وأسرته، فأراد أن يقتني المال مع المديح وينهب مما لا حق له فيه.

لعل حنانيا وسفيرة ظنا أنهما أحكم من كل الموجودين لأنهما يقدمان نصيبًا مما لديهما ويحجزا ما تبقى خفية خشية الأيام الصعبة أو الاحتياج. لم يثقا في كلمة الله ووعده وعنايته بهما، فانقسم قلب كل منهما بين خدمة الله والاهتمام بالزمنيات.

خطيتهما أنهما ظنا بأنهما قادران أن يخدعا الرسل وكل الكنيسة بأنهما تقيان، قدما كل ما عندهما، ولم يعلما أنهما إنما وجها هذا العمل ضد الروح القدس قائد الكنيسة الذي لا تُخفى عنه القلوب.

بعدما تمتع حنانيا بالروح القدس فتح باب قلبه للشيطان حتى يملأه ويملك

---

[1] الرسالة السادسة.

[2] *Baptismal Instructions, 2:7.*

عليه، فانحاز للشيطان ضد الروح القدس.

❖ يوجد فرق بين الأنبياء القدامى والأنبياء الحديثين هكذا: تنبأ القدامى عن خلاص إسرائيل، ودعوة الأمم، وتجسّد المسيح، بينما يتنبّأ الأنبياء المحدثون عن أمور معيّنة أو شعب معيّن كما تنبأ بطرس عن حنانيا كمثال[1].

**سفيريان أسقف جبالة**

**"أليس وهو باقٍ كان يبقى لك،**
**ولمّا بيع ألم يكن في سلطانك،**
**فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر؟**
**أنت لم تكذب على الناس، بل على اللّه". [٤]**

كان يليق بحنانيا أن يتّعظ بجيحزي الذي ظنّ أنّه قادر أن يخدع معلّمه إليشع النبي فانطلق إلى نعمان السرياني يطلب فضّة وثيابًا، وعاد يكذب على النبي. لقد فقد جيحزي تلمذته، وإمكانيّة العمل النبوي، وسمع توبيخ معلّمه: "ألم يذهب قلبي (معك)؟" (٢ مل ١٥). هذا وعلى مستوى الشعب يقول الرب على لسان إرميا النبي: "لأنّه خيانة خانني بيت إسرائيل وبيت يهوذا يقول الرب، جحدوا الرب وقالوا: ليس هو، ولا يأتي علينا شرّ، ولا نرى سيفًا ولا جوعًا" (إر ٥: ١١-١٢).

لم يكن على حنانيا التزام مادي كرهنٍ للأرض، ولا معه أولاد لينفق عليهم، وكان يمكنه إن أراد أن يترك ما يشاء حتى المبلغ كله، فليس من ضرورة تُلزمه بهذا التصرف. لأن المعطي بسرور يحبه الله (٢ كو ٩: ٧). وحينما طلب القديس بولس من فليمون أن يقدم عفوًا عن عبده أنسيموس الهارب لم يرد أن يكون ذلك قسرًا بل بكامل حرية إرادته (فل ١٤)، فإن الله لا يطلب العطية بل القلب. إنه لا يقبل أن يسكن في القلب المنقسم بين ملكية الله عليه وملكية إبليس، إذ لا يُسر باعوجاج الطرق، وأنصاف الحلول. وكما قال إيليا النبي: "إن كان الرب هو الله فاتبعوه، وإن كان البعل فاتبعوه" (١ مل ١٨: ٢١).

---

[1] *Severian pf Gabala: Pouline Comm. From the Greek Church, on 1 Cor. 11:4.*

أوضح الرسول بولس أن كل خطية موجهة في الواقع ضد القدوس الذي بلا خطية، وكما يقول المرتل: "لك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعت" (مز ٥١: ٤).

- ❖ هل غضب بطرس، طالبًا موت حنانيا وسفيرة؟ قطعًا لا، إنما أراد الله ألا يهلك الآخرون باقتدائهم بهما[١].
- ❖ لقد هلك لأنه خدع، وكان يمكنه ألا يقدم شيئًا بالمرة دون ممارسة الخداع. لكنه إذ دخل بالخداع إلى العمل لم ينتفع بحريته بل دفع ثمن خداعه[٢].

**القديس أمبروسيوس**

لم تكن خطية حنانيا في احتفاظه بجزء من المبلغ، بل في كذبه وريائه حيث أراد أن يظهر كمن كرس حياته وممتلكاته بالكامل لله، بينما يحتفظ في قلبه بمحبة المال وملكية عدو الخير عليه. إنها خطية التكريس الصوري المزيف، إذ كذب على الله فاحص القلوب.

لقد قيل عن شاول الملك أنه فارقه روح الرب وبغته روح شرير رديء من قبل الرب أو بسماحٍ منه (١ صم ١٦: ١٤). هكذا إذ نال حنانيا الروح القدس لم يتجاوب معه، بل أصر على دخول الشر إلى قلبه ليملك فيه، فسقط تحت الحكم.

يرى البعض أن صدور هذا الحكم الذي يبدو لنا أنه سريع كان بسبب مركز حنانيا، إذ يرى لايتفوت Lightfoot أنه كان من المائة والعشرين الذين حضروا يوم الخمسين، وكان له دور فعّال للشهادة، لكن قلبه لم يكن مستقيمًا، ولا تجاوب مع الروح القدس. هنا تظهر خطورة القائد في الكنيسة، متى نال موهبة الخدمة بالروح القدس، لكنه لم يسلك بروح الله.

حينما يخطيء الإنسان، أيا كانت خطيته، فإن أبواب الرجاء مفتوحة أمامه، يقوده إليها الروح القدس بالتوبة. أما من يكذب على الروح القدس في تصميم وتنفيذ عملي، فإنه يعطي ظهره للروح القدس الذي يبكت على خطية، فلا تجد التوبة لها

[1] *Duties of the Clergy, 1:30.*
[2] *Duties of the Clergy, 3:11 (74)..*

موضعًا فيه. خطية الكذب تفسد الإنسان، وتنقله من البنوة لله إلى البنوة لإبليس الكذاب وأب الكذابين (يو ٨: ٤٤).

❖ كان حنانيا فقيرًا عندما باع أرضه وقدم المال للرسل، إذ لم يكن قادرًا أن يفي بالدين بل شغل نفسه بالأكثر (بالمال). وكانت الأرملة غنية، هذه التي قدمت فلسين في الخزانة، التي قال عنها المسيح: "هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من الجميع" (لو ٢١: ٣). فإن الله لا يطلب مالاً بل إيمانًا[1].

**القديس أمبروسيوس**

❖ يجب على كل أحدٍ أن يعطى اهتمامًا عظيمًا لئلا يسلبه "الكذب"، لأن **الكذاب لا يتحد مع الله.**

**الكذاب غريب عن الله.** ويقول الكتاب المقدس بأن الكذاب هو من الشيطان إذ هو "كذاب وأبو الكذاب" (يو ٨:٤٤).

هكذا دُعي الشيطان أبو الكذاب، أما الحق فهو الله، إذ يقول بنفسه: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤:٦).

أما ترون إذن كيف أننا نصير غرباء عن الله بالكذب وبمن نتحد **(عن طريقه)**؟! لذلك إن أردنا بحق أن نخلص، يلزمنا أن نحب الحق بكل قوتنا وكل غيرتنا، ونحرس أنفسنا من كل كذب، حتى لا يفصلنا عن الحق والحياة.

**الأب دوروثيؤس**

❖ وعد حنانيا الله أن يعطيه كل أمواله مترجيًا أن ينال مجدًا من الناس. لكن بحجزه جزءٍ من ثمن بيعه لممتلكاته لم يجنِ سوى غضب الله، من خلال كذبه على بطرس الرسول، ولم يكن في قلبه مكان للتوبة[2].

**القديس باسيليوس الكبير**

لم تشغل قلوب الرسل كميات الأموال التي تقدم عند أرجلهم، لكن ما كان يشغلهم الحب الذي في قلوب المؤمنين. لهذا فبروح القوة أراد الرسول أن ينتزع قناع

---

[1] *Concerning Repentance, 2:9 (82).*
[2] *Oliver Davies: Gateway to Paradise, 3.*

الرياء الذي ارتداه حنانيا ليخفي محبة العالم التي سيطرت على قلبه. لم يشغله المال، بل النفوس لئلا تهلك حتى ولو قدمت أموالاً كثيرة للخدمة الكنسية في أية صورة من صورها.

جاءت كلمة "**اختلس**" هنا في اليونانية ذاتها التي ترجمت "خان" بالنسبة لعخان بن كرمي (يش ٧: ١).

- من يبيع ممتلكاته لأنه يحتقرها ويطلب جحد العالم يمكنه ألا تكون رغبته في بيعها كما لو كانت أمرًا عزيزًا لديه. لتعتبر ما تنفقه على ثوب عرسك كمن يقتني مالاً.

يوجد قول قديم أن البخيل يفقد بقدر ما يحتفظ به من مال كأنه لا يملكه.

**المؤمن يملك عالم الغنى كله، وغير المؤمن ليس لديه فلس واحد.**

لنحيا دومًا كمن لا يملك شيئًا، ونحن نملك كل شيء (٢ كو ٦: ١٠).

القوت والكسوة هما ثروة المسيحي (١ تي ٦: ٨).

إن كانت ممتلكاتك في سلطانك بعها، وإن لم تكن فأطردها[1].

**القديس جيروم**

لم يتهمه القديس بطرس بأنه خدعه، وإنما حاول أن يخدع الروح القدس. هنا واضح إدراك الرسول للروح القدس أنه ليس مجرد طاقة إلهية، وإنما هو أقنوم إلهي، يتعامل معه الشخص ككائنٍ، إذ هو الله. فإن الخطية مثل الكذب؛ لا تُوجه ضد سمة من السمات بل ضد الشخص. فالروح القدس ليس سمة إلهية بل هو الله ذاته.

الروح القدس هو الله فاحص القلوب، يعرف ما فيها من نية للكذب والرياء. فالروح يفحص كل الأشياء حتى أعماق الله (رؤ ٢: ٢٣)، يعود فيدعوه الرسول بطرس "الله" [٤].

**"فلما سمع حنانيا هذا الكلام وقع ومات،**

**وصار خوف عظيم على جميع الذين سمعوا بذلك". [٥]**

لم يصدر الحكم من بطرس الرسول شخصيًا إنما من الله، وما على الرسول

---

[1] *Letter 53 to Polinus of Nola, 11.*

إلاَّ الإعلان عن الحكم.

حتمًا لم يسلم حنانيا الروح نتيجة صدمة نفسية، إذ ظهرت أمام الجميع بشاعة خطيته التي لم يكن يتصور أن أحدًا ما سيعرفها، وإنما كان ذلك بسماحٍ إلهيٍ لبنيان الكنيسة.

"**خوف عظيم**": كان موضوع الكرازة ينصب حول حب الله الفائق للإنسان، وتقديره له. قلنا أننا حينما نتحدّث عن الحب يلزمنا ألا نتجاهل "مخافة الرب" بأنواعها الكثيرة. فالمخافة لازمة وضروريّة تتلمذ المؤمن الحقيقي كطفلٍ لترتفع به إلى الحب، أي تدخل به من الطفولة الروحيّة إلى النضوج الروحي؛ وإذ تسلّمه للحب لا تفارقه مخافة الرب، إنما تهبه خبرة جديدة وعميقة للمخافة. خبرة مخافة الابن التي لا تقوم على الخوف من العقوبة بل الابن الذي يحب أباه، ولا يقبل أن يجرح أحاسيسه، ولو بفكرٍ واحدٍ غير لائقٍ بأبيه.

❖ ألا ترون كم من الشرور تنبع عن محبة المال؟ "**وصار خوف عظيم على جميع الذين سمعوا بذلك**" [٥]. عوقب ذلك الرجل، وانتفع الآخرون بذلك. لم يحدث هذا بلا هدف. ومع ذلك فقد سبق أن صُنعت آيات، لكن لم يوجد مثل هذا الشعور بالمخافة. بالحق يقال: "معروف هو الرب بتنفيذ قضائه" (مز ٩: ١٦). حدث نفس الأمر في شأن التابوت، فقد عوقب عزة وحل الخوف على الباقين (٢ صم ٦: ٧). في هذا المثال استبعد الملك التابوت عنه خوفًا، أما هنا فقد صار التلاميذ حذرين بأكثر غيرة[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ خوف الرب يحث النفس على حفظ الوصايا، وعن طريق حفظ الوصايا يُشيد منزل النفس.

❖ إذًا ليتنا نخاف الرب ونُشيد منازل لأنفسنا، حتى نجد مأوى في الشتاء حيث المطر والرعد، لأن من لا منزل له يعاني من مخاطر عظيمة في وقت الشتاء.

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 12.*

❖ يقول يوحنا: "المحبة الكاملة تطرد الخوف إلى خارج" (١ يو ٤: ٨)، فلماذا يقول النبي الطوباوي داود: "اتقوا (خافوا) الرب يا قديسيه" (مز ٤: ٩٣)؟

هذا يكشف عن نوعين من الخوف:

النوع الأول أولي، والنوع الثاني خوف كامل.

الأول يخص المبتدئين، والثاني يخص القديسين الكاملين الذين بلغوا إلى قامة الحب الكامل.

فمن يطيع إرادة اللّه بسبب خوفه من العذاب يكون خوفه مبتدئًا. وأما الذي ينفذ إرادة اللّه بسبب حبه للّه لكي يرضيه، وقد بلغ بهذا الحب إلى الخوف الكامل. **وبواسطة هذا الخوف (الكامل) يخاف لئلا يفقد تلك البهجة التي يتمتع بها بوجوده مع اللّه ويخشى لئلا يخسرها. هذا هو الخوف الكامل، المولود من الحب، الذي يطرد الخوف البدائي إلى الخارج.**

**الأب دوروثيؤس**

**"فنهض الأحداث، ولفّوه،**

**وحملوه خارجًا، ودفنوه". [٦]**

جاءت الكلمة اليونانية المترجمة هنا "**الأحداث**" لتشير إلى خدام يقومون بخدمة الجماعة، وقد استخدمت نفس الكلمة عن العسكر بكونهم شبابًا (أع ٥: ١٠).

**"ثم حدث بعد مدة نحو ثلاث ساعات أن امرأته دخلت،**

**وليس لها خبر ما جرى". [٧]**

يتساءل البعض لماذا أسرع الأحداث في تكفين حنانيا وإخراجه خارجًا ودفنه دون أن يعطوا خبرًا لزوجته؟

❖ إذ دخل حنانيا بالمال بمفرده دون زوجته، وحدث هذا الموقف غير المتوقع لم يفكر أحد في تبليغ زوجته، وربما لم يعرف الكثيرون أنه متزوج.

❖ كان من عادة الفارسيين وربما اليهود تكفين الجثمان ودفنه فورًا مادامت لا توجد النية في تحنيطه.

❖ كان الموقف مثيرًا للغاية، وبقاء الجثمان في وسط الجمهور بهذه الصورة ربما

يسبب تشويشًا وإثارة.

مجيء سفيرة بعد حوالي ثلاث ساعات، ربما لكي تنال شركة مجد زمني مع رجلها الذي قدم المال، يدل على أنها غالبًا ما كانت خارج أورشليم في بلدٍ بعيدٍ، لهذا جاءت مباشرة إلى الاجتماع ولم تكن تدري بما حل برجلها.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنه لم يجسر أحد من الحاضرين أن يذهب ليخبر زوجته بما حدث، ولا عند دخولها أن يخبرها أحد، لأن الخوف حلّ بهم.

**"فأجابها بطرس:**
**قولي لي: أبهذا المقدار بعتما الحقل؟**
**فقالت: نعم بهذا المقدار". [٨]**

يرى البعض أن حنانيا كان قد جاء في وقت ممارسة صلاة جماعية، وقد حمل في قلبه الكذب والخداع. وقد مرت نحو ثلاث ساعات وجاءت زوجته لتشترك في الساعة التالية. كان لديها الفرصة لتصحيح موقف زوجها، لكنها إذ كانت قد اتفقت معه على الاختلاس والكذب كذبت بإصرار: "**نعم بهذا المقدار**" [٨].

❖ ربما عرفت من (قول الرسول) إن بطرس عرف السرّ. فإنه لماذا لم يسأل أحدًا آخر بل سألها هي؟ أليس واضح من هذا أنه يسألها لأنه عرف السرّ؟ لأن قسوتها كانت شديدة جدًا، لم تسمح لها أن تحاول الهروب من الجريمة، بل بكل يقين أجابت، لأنها ظنت إنها تتحدث فقط مع إنسانٍ. خطورة الخطية كانت تكمن في أنهما ارتكباها بنفسٍ واحدةٍ كما باتفاقٍ بينهما مستقرٍ[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فقال لها بطرس:**
**ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب،**
**هوذا أرجل الذين دفنوا رجلك على الباب،**
**وسيحملونك خارجًا". [٩]**

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 12.*

ما حدث لم يكن فكرة طارئة خطرت على حنانيا فنفذها، لكنها خطة تكشف عما في قلبي حنانيا وسفيرة معًا، فالاثنان مشتركان في جريمة الكذب، فكرًا وخطةً وتنفيذا.

**"تجربة روح الرب"**: أرادا خداع الرب، كمن لا يكتشف ما في قلبيهما من خداع ورياء وحب للكرامة ومحبة المال. فعلا هذا محاولين أن ينظرا إن كان للروح القدس القدرة على إدراك جريمتهما.

إذ دخلت سفيرة إلى الرسل كان الأحداث قد قاموا بتكفين رجلها، وحملوا الجثمان إلى القبر خارج الأسوار، وفي طريق عودتهم اقتربوا جدًا إلى الوصول؛ كانوا لا يزالوا خارجًا عند الأبواب.

ما أجمل أن يتفق الزوجان معًا، لكن في الرب، لا في الشر. فقد اتفق آدم وحواء في عصيانهما للرب فدمرا حياتهما.

**"فوقعت في الحال عند رجليه وماتت،**
**فدخل الشباب،**
**ووجدوها ميّتة،**
**فحملوها خارجًا،**
**ودفنوها بجانب رجلها". [١٠]**

**ربما يتساءل البعض لماذا تمت العقوبة بالنسبة لحنانيا وسفيرة بهذه السرعة؟**

١. إذ كانت الكنيسة في بدء انطلاقها، وكأول حدث في العهد الجديد فيه خيانة لروح الله وعدم أمانة ممن نالوا الروح القدس كان لا بد من عقوبة رادعة تبرز خطورة مقاومة الحق، والانحياز للشيطان، وفتح الباب له، لكي يملك عوضًا عن الله. لقد قدم الرسل أعمالاً كثيرة تكشف عن حبهم كظلٍ لحب الله المطلق، وكان يجب أيضًا أن توجد مواقف حازمة حتى لا يفقد المؤمنون مخافتهم للرب. فالحب بلا مخافة صادقة يمكن أن يتحول إلى تسيب واستهتار، كما أن الخوف بلا حب يتحول إلى يأسٍ ودمارٍ.

٢. كان يلزم أن يعلن الروح عن تنقية هذه الجماعة لتكون "كنيسة مقدسة بلا

لوم"، فإنه لا يليق بكنيسة المسيح أن يوجد فيها مثل هذا الإثم. مع بغض الله للخطية أيا كانت، إلاَّ أن الرياء هو أخطر الخطايا، إذ يتسلل إلىٰ الكنيسة، خاصة العاملين فيها. لهذا لم نسمع السيد المسيح يوبخ الزناة والعشارين وينتهرهم، بل مع رفضه لخطاياهم كان يجتذبهم بالحنو. أما المراءون فوبخهم بكل حزمٍ، في أكثر من موقف (مت ٢٣: ١ – ٣٨؛ مر ١٢: ١٥؛ لو ١٢: ١؛ ١ تي ٤: ٢؛ أي ٨: ١٣؛ ١٣: ١٦؛ ١٥: ٣٤؛ ٢٠: ٥؛ مت ٧: ٥؛ لو ١١: ٤٤). ما أراد الله أن يؤكده هو ألاَّ تحمل كنيسة العهد الجديد ما تسلل إلى كنيسة العهد القديم في ذلك الحين، وهو اتسام كثير من القادة بروح الكبرياء والزهو والرياء. كان الرب مهتمًا بالنقاوة الداخلية للكنيسة، فمن لا يبالي بهذا يتعرض للتأديب. كما يقول الرسول: "من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، كثيرون يرقدون" (١ كو ١١: ٣٠).

٣. مع ما اتسم به الرسل من بساطة في المظهر وفي الحديث، أكد الروح القدس السلطان المُقدم لهم في المسيح يسوع لكي يقودوا الكنيسة بروحه القدوس في طريق البرّ، في حنو وترفق بالنفوس التائبة مع حزمٍ بسلطان ضد كل فسادٍ يمس الداخل. هذا واضح من موقف الرسول بولس من الشاب الذي أراد أن تكون له امرأة أبيه (١ كو ٥: ١–٨) مطالبًا أن يُسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع. استخدم الرسول بولس هذا السلطان في التأديب السريع لعليم الساحر الذي كان يقاوم كلمة الله (أع ١٣: ٨: ١١).

٤. في العهد القديم توجد مواقف كثيرة حلّ فيها التأديب الفوري لأجل بنيان الجماعة الداخلي، كما حدث مع عاخان بن كرمي (يش ٧: ١–٢٤)، والذي كان يجمع حطبًا في يوم السبت كاسرًا وصية تقديس يوم الرب (عد ١٥: ٣٢ الخ). وكما فعل فينحاس الكاهن مع الرجل الإسرائيلي والمديانية حين ارتبط الإسرائيليون بالوثنيات، واشتركوا معهن في تقديم ذبائح لآلهتهن (عد ٢٥).

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن حنانيا وسفيرة حين اختارا بإرادتهما أن يبيعا ما لديهما ويسلما الثمن عند أرجل الرسل، إنما قدما مالهما للتكريس، صار من نصيب الرب، مقدسًا لخدمته. وحين اختلسا من الثمن، إنما اعتديا على مقدسات الرب،

إذ أخذا ما هو مقدس للرب لاستخدامهما الشخصي، وكأن خطيتهما هنا هي تعدي على مقدسات الرب.

يرى القديس أن ما فعله حنانيا وسفيرة يشبه ما حدث قديمًا حين جمع رجل حطبًا في يوم السبت، فاعتدى على يوم الرب المقدس له، وحُسب منتهكا للمقدسات، فاستحق الرجم.

❖ إن كان من أجل جمع الحطب رُجم الرجل (لأنه دنَّس يوم السبت)، كم بالأكثر يستحق ذلك الذي يدنس المقدسات، لأن هذا المال قد صار مقدسًا. ذاك الذي اختار أن يبيع ماله ويوزعه وبعد ذلك سحب منه جزءً، فإنه قد دنس المقدسات... تدنيس المقدسات أيها المحبوبون هو أخطر جريمة، تحمل إهانة واستخفافًا[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ ليكن مدحك صادرًا من معدة الجائعين، وليس من ولائم المتخمين الفاخرة. نقرأ في أعمال الرسل كيف بينما كان دم الرب لا يزال دافئًا وكان المؤمنون في حماس إيمانهم الأول باعوا ممتلكاتهم ووضعوها عند أقدام الرسل (ليظهروا أنه يجب أن نطأ على المال بأقدامنا)، وكان يوزع على كل واحدٍ كما يكون له احتياج (أع ٤: ٣٥). لكن حنانيا وسفيرة كانا وكيلين مملوءين جبنًا، وما هو أكثر أنهما مخادعان، فجلبا لنفسيهما الدينونة (أع ٥: ١-١١). فإذ نذرا أن يقدما مالهما لله كما لو كان هذا المال ملكهما وليس ملك الله الذي نذرا إليه ذلك، احتفظا بجزء من ذاك الذي لا يخصهما، خشية حدوث مجاعة، الأمر الذي لن يخافه الإيمان الحقيقي. جلبا لنفسيهما ضربة ناقمة مفاجئة التي لم يُقصد بها القسوة ضدهما، وإنما لتحذير الآخرين. في الواقع لم يستدعِ الرسول بطرس الموت بأية وسيلة عليهما كما يدعي برفوري Prophery في غباوة. إنما أعلن حكم الله بروح النبوة، إن مصير الاثنين هو مثال للكثيرين.

**منذ وقت تكريسكِ للبتولية الدائمة، لم تعد بعد ممتلكاتكِ ملكًا لكِ**، أو بالأحرى أنها بالحق قد صارت للمسيح. مادامت جدتكِ ووالدتكِ عائشتين يلزمكِ أن تفعلي

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 12.*

بالمال كما تشاءان. لكن عند موتهما وراحتهما في رقاد القديسين (وأنا أعلم أنهما ترغبان في إحياء ذكراهما)، عندما تنضج سنينك وتصيري أكثر ثباتًا، ويصير تصميمك أقوى، تفعلين بمالكِ ما يبدو لك أنه الأفضل، أو بالأحرى ما يأمر به الرب، وتعلمين أنك لا تدخرين إلا ما تنفقينه على الأعمال الصالحة.

قد يبني آخرون كنائس ويزينون حوائطها بعد بنائها بالرخام والأعمدة الضخمة، ويطلون تيجانها بالذهب والزينة الثمينة، ويغطون أبواب الكنيسة بالفضة، ويزينون المذابح بالذهب والحجارة الثمينة. لست ألوم من يفعلون ذلك، لست أجحدهم. ليفعل كل واحدٍ حسب حكمه، ومن الأفضل أن ينفق الإنسان ماله هكذا من أن يخزنه أو يرقد عليه.

على أي الأحوال واجبكِ مختلف عنهم. **رسالتك أن تكسي المسيح في الفقراء، وتزوريه في المرضى، وتطعيمه في الجائعين، وتحميه في الذين بلا بيوت، خاصة الذين هم من أهل الإيمان، وأن تعيني جماعات العذارى، وأن تهتمي بخدام إله المساكين بالروح؛ الذين يخدمون الرب نفسه ليلاً ونهارًا، الذين يعيشون على الأرض الحياة الملائكية، ولا ينطقون إلا بتسابيح الله.** إذ لهم طعام وكسوة يفرحون حاسبين أنفسهم أغنياء. لا يطلبون أكثر من هذا، مقتنعون بما يحفظهم في تدبير حياتهم. فإنهم إذ يبدأون يطلبون ما هو أكثر يظهرون أنهم ليسوا أهلا حتى للضروريات[1].

**القديس جيروم**

**"فصار خوف عظيم على جميع الكنيسة،**
**وعلى جميع الذين سمعوا بذلك". [١١]**

يقدم لنا القديس لوقا آثار ما حدث لحنانيا وسفيرة على الكنيسة في ذلك الحين:

- ❖ اتسمت الكنيسة بالمخافة للرب، فصار الحب لله ممتزجًا بمخافة صادقة [١١].
- ❖ إتمام عجائب كثيرة لكي يدرك الشعب أن الله يعمل بالأكثر في حياة الكنيسة حين تكون جادة في حرصها على الحياة المقدسة مُغتسلة من كل فسادٍ ظاهر وخفي.

---

[1] *Letter 80 to Demetrias, 14.*

- ❖ التصاق الكل معًا بروح العبادة الكنسية، فحيث القداسة والتقوى توجد الوحدة الصادقة [١٢].
- ❖ خشي البعض [الآخرون] من الالتصاق بهم [١٣]، لعله يقصد هنا بالآخرين الذين أرادوا الخدمة مع الرسل لكنهم لم يكونوا مخلصين في تكريس حياتهم.
- ❖ اكتشف الشعب بهاء مجد الله في الرسل [١٣].
- ❖ عقوبة حنانيا وسفيرة لم تسبب نفورًا من الكنيسة، بل جاذبية عجيبة، فانضم جمهور من الرجال والنساء إلى الكنيسة المقدسة [١٤].
- ❖ اهتزت مدينة أورشليم بروح الرجاء، فصاروا يحملون المرضى في الشوارع، لعل ظل بطرس يخيم عليهم [١٥]. واهتزت البلاد المحيطة، فجاءوا بالمرضى إلى المدينة، ونال جميعهم الشفاء [١٦].

**هذه هي المرة الأولى التي فيها يستخدم العهد الجديد كلمة "الكنيسة"، وهي تشير إلى جماعة المؤمنين.**

لماذا حلّ الخوف على جميع الكنيسة، وعلى جميع الذين سمعوا؟ كان يليق بالمؤمنين ألا يخافوا، فالله نار آكله تأكل المقاومين، المصرين على المقاومة، أما المخلصون في إيمانهم فتلهبهم نار إلهية مقدسة ومنيرة. لهذا يرى البعض أن الخوف حلّ على الكنيسة، لأن ما فعله حنانيا وسفيرة يبدو أنه بدأ يتسلل في وسط الجماعة. لهذا يحذر الرسول بولس: "لأن محبة المال أصل كل الشرور، الذي إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" (١ تي ٦: ١٠).

## ٢. نمو الكنيسة المستمر

**"وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب،**

**وكان الجميع بنفسٍ واحدةٍ في رواق سليمان". [١٢]**

بعد أن حلّ على حنانيا وزوجته ثمر كذبهما على الكنيسة بكونه كذبًا وخداعًا لروح اللَّه القدّوس قائد موكب الكنيسة المقدّسة، قدّم الروح سندًا لكنيسته بإجراء آيات وعجائب كثيرة على أيدي الرسل في الشعب، ليس من أجل المؤمنين، وإنّما لأجل غير المؤمنين. هكذا إذ تنتقّى الكنيسة من الفساد، يعمل روح اللَّه بقوّة، لكي يتجلّى المسيح

القدّوس فيها، وتصير شاهدة بالحق المقدّس أمام العالم. هذا وأمّا ثمره الرائع فهو وحدة الكنيسة التي كان لها النفس الواحدة بالرغم من التزايد المستمرّ لعدد المؤمنين، فكانوا يجتمعون في مكان متّسع "رواق سليمان".

- لم يعودوا إلى بيوتهم، بل بقوا في ذات الهيكل يقضون هناك وقتهم. لم يحسبوا أنفسهم كمن لمسوا دنسًا؛ لا بل بدون تردد حملوا الميت[١].
- لم يتنهد أحد، ولا بكى أحد عليهما، بل كان الكل في خوفٍ. وإذ نما إيمانهم تضاعفت الآيات[٢].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"وأمّا الآخرون فلم يكن أحد منهم يجسر أن يلتصق بهم،**
**لكن كان الشعب يعظمهم". [١٣]**

يرى لايتفوت Lightfoot أن "**الآخرين**" هنا تشير إلى بقية المائة والعشرين، إذ كان حنانيا أحدهم. وإن كان كثير من الدارسين لم يقبلوا هذا التفسير. يرى البعض أن الآخرين هنا هم مجموعة من المسيحيين واليهود التصقوا بالرسل على مستوى الصداقة أو حب الاستطلاع أو مجرد الدهشة لما يحدث، فخشوا أن تتكشف نياتهم الداخلية كما كشف الروح القدس ما يحمله حنانيا وسفيرة من غشٍ خفيٍ في القلب. ويرى آخرون أن تعبير **الآخرين** يشير إلى بقية الأغنياء وأصحاب السلطة الذين كان من بينهم حنانيا، فما حدث لحنانيا يُعتبر درسًا رادعًا لمن تسوله نفسه أن يخدع الرسل البسطاء. ويبرر أصحاب الرأي الأخير ذلك بأن القديس لوقا يميز بين هؤلاء الآخرين وبين الشعب في نفس الآية. فالآخرون هم الأغنياء والعظماء، بينما البقية هم عامة الشعب الذين في بساطة القلب لم يخشوا ما حدث، بل كانوا يعظمون الرسل. فما حدث لحنانيا هو مرعب للأغنياء العظماء وحدهم.

التصق الجميع معا بروح العبادة في رواق سليمان، وكانت الآيات والعجائب على أيدي الرسل تعطي قوة للشهادة. وكانت القيادات الدينية في موقف لا يحسدون

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 12.*
[2] *Homilies on Acts, hom. 12.*

عليه؛ فهم يخططون للإيقاع بهم وفي نفس الوقت يخشون الجموع، إذ آمن كثيرون علانية، كما أدركوا أن كثيرين في طريقهم للإيمان إلا أنهم يخشون المجاهرة بذلك خوفا منهم (أي من الرئاسات).

**"وكان مؤمنون ينضمّون للرب أكثر،**

**جماهير من رجال ونساء". [١٤]**

كان المسيحيون يدعون **تلاميذ** أو **مؤمنين**، لأنهم يتبعون السيد المسيح كمعلمٍ ومربٍ لهم، ولأن حياتهم تقوم على الإيمان به.

لقد فقد رؤساء الكهنة والكهنة الكثير من إيراداتهم، إذ تحول الكثيرون من تقديم ذبائح حيوانية ومالية للهيكل إلى خدمة الفقراء والمحتاجين، حيث كانوا يلقون بالمال عند أرجل الرسل. بجانب ذلك فقدوا أيضًا الكثير من مجدهم الزمني وسلطانهم الطاغي.

**"حتى أنهم كانوا يحملون المرضى خارجًا في الشوارع،**

**ويضعونهم على فِرَش وأسرّة،**

**حتى إذا جاء بطرس يُخيم ولو ظلّه على أحدٍ منهم". [١٥]**

كلمة فرش *klinoon* تشير عادة إلى الأسرة الفاخرة الناعمة التي غالبًا ما يستخدمها الأغنياء. هذا معناه أن كثير من الأغنياء المرضى كانوا راقدين على أسرّة في الشوارع في طريق القدّيس بطرس ومن معه من الرسل. وأما الأسرّة *krabatoon*، فتشير إلى الفراش الخشن الرخيص الذي يستخدمه الفقراء (مر ٢: ٤، ٩: ١١-١٢؛ يو ٥: ٨-١٢). فقد التقى الفقراء مع الأغنياء في الشعور بالحاجة إلى عمل اللّه في حياة الرسل.

كانوا يحملون المرضى في الشوارع، ربما لأن الكهنة لم يسمحوا لهم أن يأتوا بهم إلى رواق سليمان، ولم يكن لدى الرسل من الوقت ليذهبوا إلى بيوت المرضى. كانوا يضعونهم على فرش وأسرة، ربما لأنهم كانوا عاجزين عن الوقوف أو الجلوس في الشوارع يترقبون مرور أحد الرسل.

صورة رائعة لعمل الله الذي لا يُحد بمكانٍ معين؛ أينما حلّ أولاد الله يتقدس الموضع بروح الله الساكن فيهم ليمارسوا عمل الله حتى في الشوارع.

**ظل بطرس:** وعد السيد المسيح تلاميذه أن باسمه يتممون العجائب التي يعملها وأعظم منها (يو ١٤: ١٢). فما فعله السيد أن المرأة نازفة الدم لمست هدب ثوبه فشُفيت، لأن قوة قد خرجت منه (مت ٩: ٢٠). أما بالنسبة لبطرس فوهبه السيد المسيح أن بظله يشفي الذين يرقدون في الشوارع على فرش وأسرة مرضى. لكن ما فعله السيد كان بقوته وسلطانه، أما ما تحقق ببطرس وغيره من الرسل فكان باسم يسوع الناصري. حقًا إنه لحساب مجد المسيح تمت المعجزات الأعظم.

السيد المسيح هو شمس البرّ (ملا ٤: ٢)، إذ يشرق بنوره على رسله فإن ظل الرسل يحمل قوة للشفاء، فماذا تكون الشمس ذاتها؟ لذلك يقول ملاخي النبي: "ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البرّ والشفاء في أجنحتها" (ملا ٤: ٣).

هذا وإن كان ظل بطرس يحمل تقديسًا ليعلن قوة الله بشفاء المرضى، كم بالأكثر يكون جسده نفسه؟! هكذا يقدم لنا السيد المسيح نظرة مقدسة للجسد، فلا نظن أنه عنصر ظلمة كما كان يظن الغنوصيون وأمثالهم. كل ما خلقه فينا الرب صالح يتقدس بعمل روحه القدوس فينا.

❖ هذا لم يحدث في تاريخ المسيح، لكن انظروا هنا ما قد أخبرهم قد تحقق أن الذين يؤمنون بي، فالأعمال التي أنا أعملها يعملونها هم أيضًا ويعملون أعظم منها (يو ١٤: ١٢)[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم،**
**حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة،**
**وكانوا يبرأون جميعهم". [١٦]**

إذ تقدس الرسل كان روح الله يعمل بهم حتى خلال ظلهم أو الخرق التي

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 12.*

يضعونها على أجسامهم. إذ كان قلب الرسول متسعًا بالحب، مشتاقًا إلى راحة الجميع، لهذا كان يعمل بهم الروح القدس بكل وسيلة ليهبهم سؤل قلوبهم.

كما كان الرسل يشتاقون إلى خدمة الجميع، كان المؤمنون أيضًا من جانبهم في حالة إيمان ويقين أن الله يهب نعمه وخيراته خلال الكنيسة، فكانوا يأتون بالمرضى والمعذبين من أرواح نجسة من المدن المحيطة بأورشليم، وقد آمنوا أن الله يعمل ولو بظل الرسول. تحولت الشوارع إلى مستشفي عام ممتلئة بالمرضى، وامتلأت تسبيحًا وشكرًا لله على عمله معهم.

## ٣- إلقاء الأيدي على الرسل

**"فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم شيعة الصدوقيين، وامتلأوا غيرة". [١٧]**

بينما كانت الكنيسة، خاصة الرسل، تمتلئ من الروح القدس (٤: ٨) للشهادة للسيّد المسيح واهب الخلاص للعالم، إذا بالعدو يقف بالمرصاد. وجد في أحد الخدّام المرائيّين، حنانيا، فرصة فملأ قلبه [٣] ليكذب على الروح القدس واهب التوبة، وقائد موكب الكنيسة. الآن يعمل خلال رئيس الكهنة ومن معه (شيعة الصدّوقيّين) الذين ملأ الحسد (الغيرة) قلوبهم. لقد أعلنوا عداوتهم للسيّد المسيح ولإنجيله وكنيسته، فخطّطوا للقبض على الرسل، ولم يدركوا إنّما بهذا يقتلون أنفسهم. يُقال "الحسد يذبح السخفاء". لقد تصرّفوا في سخافة لا تليق بهم كقادة روحيّين.

لم يستطع رئيس الكهنة ومن معه من شيعة الصدوقيين أن يروا رواق سليمان قد اكتظ بجمهور المؤمنين بالسيد المسيح كما امتلأت الشوارع والميادين بالتسبيح والتشكرات التي يقدمها المرضى الذين تمتعوا بالشفاء. إن كانوا قد تخلصوا من يسوع الناصري بصلبه، فهوذا قد قام وتحولت الجماهير إلى الإيمان به.

كان الفريسيون يبغضون الصدوقيين بغضة شديدة، أشد تأصلاً في نفوسهم من مقاومتهم للمسيحيين. وقد استغل الرسول بولس ذلك حين وقف يحتج في غرفة المحاكمات بالهيكل (أع ٢٣: ٦-٩).

لقد حسد رئيس الكهنة ورجاله والصدوقيون الرسل، وامتلأوا سخطًا عليهم، خاصة وقد أدركوا تزايد عدد القابلين للإيمان المسيحي، والذين لم يعودوا يبالون بسلطة مجمع السنهدرين.

**"فألقوا أيديهم على الرسل،**

**ووضعوهم في حبس العامة". [١٨]**

بدأت حرب عدوّ الخير في الداخل كما في الخارج مبكّرة جدًا، منذ بدء انطلاق الكنيسة. هذه هي المرّة الأولى التي فيها أُلقي الرسل في السجن؛ قبلاً اكتفى القادة بتهديد الرسولين بطرس ويوحنّا (أع٤: ٢١)، أما الآن فألقوا القبض على الرسل وسجنوهم في الحبس العام. لم يبالِ رئيس الكهنة ومن معه بما يحدث إن ألقوا القبض على الرسل، فإنهم حسبوا أنه لن يحدث لهم أسوأ مما هم عليه.

أُلقي القبض عليهم ووُضعوا في السجن، حتى لا يلتف الشعب حولهم. هذا وبإلقائهم في الحبس العام يجعلونهم في عارٍ مع المجرمين، فلا يعود الشعب يعظمهم.

غالبًا ما يقصد برئيس الكهنة قيافا، وجميع الذين معه، أي الحاملين ذات أفكاره من جهة كراهيته للسيد المسيح وعدم قدرته أن يرى الكرازة بالإنجيل تنتشر. وأما الصدوقيون فكانوا في ذلك الوقت يمثلون غالبية في مجمع السنهدرين، قادرين على أخذ القرار. وقد التجأ إليهم رئيس الكهنة، ولم يلتجئ إلى الفريسيين الذين أخذوا دورًا خطيرًا في مقاومة السيد المسيح ومحاكمته، ذلك لأن الفريسيين مع كراهيتهم للسيد المسيح إلا أن الكرازة بقيامته تحطم تعاليم الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة من الأموات. لهذا السبب لم يكن الفريسيون متحمسين لمقاومة الرسل.

**"ولكن ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن،**

**وأخرجهم وقال". [١٩]**

جاء التعبير اليوناني هنا يشير إلى أحد الملائكة وليس إلى ملاكٍ معينٍ.

إذ ملأ عدوّ الخير قلوب رئيس الكهنة ومن معه بالغيرة الشرّيرة، أحكم إغلاقها حتى يملك عليها تمامًا، ويسيطر بظلمته عليها، فيقاوموا نور الإنجيل المفرح.

وقد ظن هؤلاء أنّهم قادرون على حبس الرسل في عارٍ وفضيحة وإغلاق الأبواب أمامهم لكي لا يلتقوا بأحدٍ، ولم يدركوا أن الرب حال فيهم، والسمائيّون يشتهون العمل لحسابهم في الرب. لا يوجد سجن مظلم وأبوابه محكمة وحرّاسة أقوياء أمام الرب. فكما لم يستطع القبر أن يحبس جسده، ولا الجحيم أن تغلق أبوابها على نفسه، هكذا لا تستطيع سجون العالم أن تحبس جسده، الذي هو الكنيسة.

أغلقوا عليهم في السجن، فانفتحت أمامهم أبواب السماء. لم يكن ممكنًا للعالم أن يقيد كلمة الله، إذ أرسل السيد المسيح ملاكه، وفتح أبواب السجن وأخرجهم، وطلب منهم أن يتكلموا في الهيكل مجاهرة. في وسط ظلمةِ الليل، انفتحت أبواب الظلمة، السجن، إذ لم يكن ممكنًا أن تقيد أبناء النور وتحبسهم.

خرجوا ليشهدوا لقيامة السيد المسيح، لا ببراهين خارجية، بل في أجسادهم حيث انحلت عنهم القيود، وتركوا السجن فارغًا والأبواب مغلقة، كما خرج الرب من القبر والحجر عليه بختومه.

وقفت قوات الظلمة تحاربهم، وحارب أب الأنوار لحسابهم، فأرسل ملاك النور يظهر براءتهم أمام مقاوميهم كما أمام الشعب. لن يقف الرب مكتوف الأيدي ولا يتخلى عن الشاهدين له بل يعزيهم ويدافع عنهم ويحملهم كما بذراعيه!

لم يكن ممكنًا لأبواب السجن وحصونه المنيعة ولا للقيود ولا للحراس بكل أسلحتهم أن تقف أمام ملاك الرب السماوي.

**"اذهبوا قفوا وكلموا الشعب في الهيكل،**

**بجميع كلام هذه الحياة". [٢٠]**

ظهور الملاك وخروجهم من السجن كان من أجل القيادات اليهودية القادمة لتدرك أنها إنما تقاوم ملك السماء باطلاً، وأن كل مقاومة حتمًا تحقق مجدًا لانجيل المسيح. وفي نفس الوقت يعطي دفعة للرسل وللمحيطين بهم للعمل بالأكثر لحساب ملكوت الله. هذا وأن ما حدث يؤكد للشعب صدق الإنجيل وتحقيق مواعيده.

كانت الرسالة الصادرة للرسل هى الشهادة العلنية **في الهيكل**، أي في بيت

أبيهم، الذي تشتهي السماء ألا يخرب، بل يبقى مصدر إشعاع للحب الإلهي وكرازة بالخلاص للعالم كلّه.

وجّهتهم السماء إلى الكرازة **للشعب**، وليس للكهنة ولا للقيادات التي تهوى الحوار الغبي، وتحمل في الداخل مقاومة غبيّة للحق، مع كبرياء واعتداد بالذات. إنها تطالبهم للكرازة للشعب، فإن كل نفس ثمينة في عينيّ اللّه دون تمييز بين القادة والشعب.

تسألهم السماء أن ينطقوا **"بجميع كلام هذه الحياة"**، أي الحياة الأبدية. كلمة **"الحياة"** هنا تحوي الإيمان كله الذي غايته الدخول إلى الحياة الأبدية. أي يقدّموا خبرة قيامتهم مع المسيح، وتمتّعهم بالحياة السماويّة الجديدة، التي لم يكن ممكنًا لرئيس الكهنة ومن معه أن يذوقوها، مادام عدوّ الخير قد ملك بالحسد على قلوبهم. موضوع كرازتهم ليس التباهي بالمعجزات، ولا قدرة السماء على فتح أبواب السجن، ولا الدخول في مناقشات غبيّة، وإنّما تقديم خبرة عذوبة الحياة في المسيح يسوع كما يعيشونها تحت أي ظرف وفي أي موضع.

لم يخرجوا من السجن لكي يهربوا إلى موضع آمن، بل لينطلقوا إلى الهيكل يسبحون الله، ويشهدون للحق. لقد خرجوا لتترنم نفوسهم، قائلة: "لتُحي نفسي وتسبحك وأحكامك لتُعني" (مز ١١٩: ١٧٥). "اخرج من الحبس نفسي لتحميد اسمك؛ الصديقون يكتنفونني، لأنك تحسن إليّ" (مز ١٤٢ : ٧). "لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة (إش ٤٢ : ٧).

**"فلما سمعوا دخلوا الهيكل نحو الصبح،**
**وجعلوا يعلّمون.**
**ثم جاء رئيس الكهنة والذين معه،**
**ودعوا المجمع وكل مشيخة بني إسرائيل،**
**فأرسلوا إلى الحبس ليُؤتى بهم". [٢١]**

ظن رئيس الكهنة ومن معه أنّهم قد أحكموا الخطّة، وأنّهم قد قضوا تمامًا على هذه الحركة الجديدة، فدعوا المجمع وكل المشيخة لاستعراض بطولتهم في العمل،

وغيرتهم على مجد إسرائيل. يقدّر البعض عدد الحاضرين بمائة وستة عشر قاضيًا.

لو أن الرسل كانوا قد هربوا من السجن، لكانوا قد اختفوا حتى لا يُلقى القبض عليهم، أما أن يعودوا للتعليم داخل الهيكل، فلا تفسير له سوى أن خروجهم كان بقوة سماوية تتحدى القوات المقاومة، لا تهاب السجن أو القيود.

لم يخرج الرسل من السجن ليكرزوا في مكانٍ خفيٍ بعيدٍ عن الهيكل، لكن صدر إليهم الأمر من السماء أن يذهبوا إلى الهيكل ليكرزوا علانية وسط الجماهير. تريد السماء أن تعطي لليهود فرصة جديدة لاستخدام بيت الرب في الشهادة لله وعمله الخلاصي، بعد أن صيروه بيت تجارة ومغارة لصوص.

لقد انطلقوا في الصباح المبكر إلي الهيكل دون دخولٍ في حوارٍ فيما بينهم، لأن الأمر صادر من السماء للعمل لحساب ملكوت الله، وللشهادة بجميع كلام الحياة الأبدية. ليس من وقت لأي حوار فيما بينهم، بل الوقت مقصر والأيام شريرة، فيلزم استغلال كل فرصة للعمل الكرازي. صاروا يعلمون في رواق سليمان عن خلاص كل نفس، وعن عمل الله من أجل البشرية. لم يتحدثوا عن أنفسهم كأبطال احتملوا السجن، وإنما عن الله كمحبٍ للبشر.

**"ولكن الخدام لمّا جاءوا لم يجدوهم في السجن،**
**فرجعوا وأخبروا". [٢٢]**

غالبًا ما قدّم رئيس الكهنة خطابًا افتتاحيًا حماسيًا يقدّم فيه موجزًا لأعماله وجهاد من معه في حسم الموقف. وإذ انتهى الخطاب، دخل خدّام الهيكل يقدّمون نبأ عدم وجود الرسل في الحبس العام. ظن رئيس الكهنة أنّه ومن معه في أوج عظمتهم، فقد سحقوا هذه البدعة، ولم يدركوا أن الساكن في السموات يضحك، الرب يستهزئ بهم" (مز ٢: ٤). لقد صاروا في حالة إحباطٍ شديدةٍ وأصاب الخزيّ وجوههم.

**"قائلين إننا وجدنا الحبس مغلقًا بكل حرص،**
**والحراس واقفين خارجًا أمام الأبواب،**
**ولكن لمّا فتحنا لم نجد في الداخل أحدًا". [٢٣]**

التأم مجمع السنهدرين ومعه كل مشيخة بني إسرائيل، وإذ طلبوا الرسل لمحاكمتهم فوجئوا بالسجن فارغًا والأبواب مغلقة والرسل غير موجودين. الآن حدثت معجزة لها خطورتها، فقد بلغ التحدي بين اتباع المصلوب وصالبيه الذروة.

عجيبة هي أعمال الله، فإنّه فتح أبواب السجن، وأخرج الرسل معًا بواسطة ملاكه، بينما كان الحرّاس واقفين. ألم يروا الملاك يفتح الأبواب؟ ألم يروا البواب مفتوحة؟ وكيف يخرج هذا العدد ولم يروهم؟

وجود الحبس مغلقًا، أي الأبواب سليمة لا معنى له سوى تدخّل السماء في الأمر، لأنّه ما كان يمكن للشعب أو لأصدقاء الرسل أن يخرجوهم من الحبس دون كسر الأبواب أو هدم الأسوار والدخول في معركة مع الحرّاس. لكن شيئًا من هذا القبيل لم يحدث.

لو أن الحرّاس تعاطفوا معهم أو أخذوا رشوة لما وقفوا في حراسة مشدّدة والحبس فارغ.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن ما حدث هنا يشبه ما حدث في قبر السيد المسيح، فقد كانت الأختام موضوعة والحراس ساهرين والقبر فارغًا، لأن يسوع قام. هكذا وهب تلميذيه أن ينطلقا ويبقى السجن كأنه قبر فارغ بينما كانت الأبواب مغلقة والحراس واقفين خارجًا!

هذا هو عمل القيامة اليومي في حياة الكنيسة، فالعالم مصمم أن يدفنها في مقبرة، أو يكتم أنفاسها في سجنٍ، لكن تبقى الأختام موضوعة والحراس واقفين خارجًا وتنطلق الكنيسة للشهادة للقائم من بين الأموات.

جاءت شهادة الجند أن أبواب السجن مغلقة، حتمًا كان خروجهم بيدٍ إلهيةٍ تتحدى قوانين الطبيعة. ليس من خيانة ولا رشوة، فالحراس كانوا واقفين في الخارج في يقظة وتحفظ، ليس من يقدر أن يدخل سوى قائد جند الهيكل ومعه جنوده.

❖ لاحظوا كيف أنهم يحاربون الله! قولوا لي هل ما حدث معهما هو من عمل إنسان؟ من الذي أطلقهما بينما كانت الأبواب مغلقة؟ كيف خرجوا والحراس واقفون خارجًا

أمام الباب؟ حقًا إن الذين يقولون هذا هم مجانين أو سكرى. هنا أناس لم يقدر السجن ولا القيود ولا الأبواب المغلقة أن تحبسهم في الداخل، ومع هذا يظنون أنهم يقدرون أن يغلبوهم، يا لها من غباوة طفولية! لقد جاء خدامهم (الجند) واعترفوا بما حدث، وكأنهم عن عمدٍ يحذروهم من كل تصرف بدون تعقل[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

## ٤ – تهمة الاسم

**"فلما سمع الكاهن وقائد جند الهيكل ورؤساء الكهنة هذه الأقوال،**

**ارتابوا من جهتهم ما عسى أن يصير هذا". [٢٤]**

رجع الخدام أو جند الهيكل في عارٍ وخزيٍ، لأن الساكن في السماوات الرب يستهزئ بهم (مز ٢: ٤). يمكن أن نتصور رئيس الكهنة كرئيس لمجمع السنهدرين وقد اجتمع بالأعضاء باكرًا في جدية، في إستخفافٍ عن الجليليين الأميين البسطاء، وحسبهم أنهم في خزيٍ وعارٍ لأنهم في السجن العام، وأن هذه الحركة لن تدوم! لكن سرعان ما عاد الجند في خيبة أملٍ، فأبواب السجن مغلقة والمتاريس سليمة والحراس في يقظة يحرسون السجن، وكل المساجين في أماكنهم أما الرسل فغير موجودين!

حتمًا حدث ارتباك عظيم، كل يقدم ظنونه وأفكاره: ألعلهم سحرة استطاعوا الخروج من السجن والأبواب مغلقة؟ أو لعلهم رشوا حارس السجن وهربوا؟ وإلى أين يهربون؟ هل انطلقوا خارج أورشليم ليكرزوا من وراء أعيننا؟ ألعلهم رجال الله وما نفعله هو مقاوم للحق؟

**"ثم جاء واحد وأخبرهم قائلاً:**

**هوذا الرجال الذين وضعتموهم في السجن هم في الهيكل،**

**واقفين يعلّمون الشعب". [٢٥]**

سقط أعضاء المجمع وشيوخ إسرائيل في حالة ارتياب وحيرة، ما عسى أن يكون الأمر. هل توجد خيانة بين المسئولين عن السجن. وكيف يمكن لخائنٍ أن يتمم خطته دون اكتشافها؟ ثم كيف خرجوا؟ هل اخترقوا الجدران؟ هل هذا عمل سماوي

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 13.*

فائق؟ ثم ما موقف المجمع ومن معه؟

**"حينئذ مضى قائد الجند مع الخدام،**

**فأحضرهم لا بعنف،**

**لأنهم كانوا يخافون الشعب لئلاّ يُرجموا". [٢٦]**

بلا شك بدأت قصة خروجهم على يد ملاك الرب تنتشر، وتجمهر الشعب حولهم. أما قائد الجند مع الخدام فأحضر الرسل بغير استخدام العنف خوفًا لئلا يرجمهم الشعب. لم يخشوا مقاومتهم لله والحق، إنما خشوا على أنفسهم من الشعب.

لم يستخدموا اللطف في استدعائهم للمجمع عن توقير للهيكل وقدسيّته، ولا عن احترام للقانون ألا يستخدموا العنف حتى تثبت الاتهامات ضدّهم، ولا لأنّهم خشوا غضب السماء فيحل عليهم ما حلّ على رئيس الخمسين، الذي أراد استدعاء إيليّا بالعنف، فنزلت نار من السماء وأكلته هو والخمسين الذين له (٢ مل ١: ١٠). وتكرّر الأمر مع رئيس الخمسين الآخر ومن معه (٢ مل ١: ١٢).

لم يستغل الرسل الفرصة، فيقاومون قائد جند الهيكل، معتمدين على إمكانية قيام الشعب بالثورة ضده هو وجنوده، لكن إذ طلب القائد الذهاب معهم لاستجوابهم انطلقوا معه في بساطة قلب. إنها فرصة رائعة للشهادة من جديد أمام مجمع السنهدرين!

❖ يا لهم من أغبياء! يقول: "**كانوا يخافون الشعب**" [٢٦]. لماذا؟ كيف كان يمكن للشعب أن يسندوا التلاميذ؟ مع أنه كان يجب عليهم أن يخافوا الله الذي كان يخلصهم على الدوام كأنهم خليقة مجنحة وينقذهم من سلطانهم، لكنهم عوض هذا "**كانوا يخافون الشعب**"[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فلما أحضروهم، أوقفوهم في المجمع،**

**فسألهم رئيس الكهنة". [٢٧]**

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 13.*

إذ أحضرهم قائد جند الهيكل بكل وقارٍ وتكريمٍ، خشية على حياته وحياة جنوده لئلا يرجمهم الشعب الذي التف حول الرسل، وقف رئيس الكهنة كرئيس للمجمع يتكلم باسم المجمع، موجهًا التهم ضدهم.

**"قائلاً: أمَا أوصيناكم وصية أن لا تُعلموا بهذا الاسم،**
**وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم،**
**وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان". [٢٨]**

العجيب أن رئيس الكهنة لم يسألهم عن كيفية خروجهم من السجن، فإن كل ما يشغله أن يوقف الشهادة لاسم يسوع الناصري.

وجه رئيس الكهنة إلى الرسل اتهامين:

**الاتهام الأول:** عصيان الأوامر الصادرة إليهم، فحسبهم متمردين على السلطة وكاسرين للقوانين، يمارسون الكرازة بدون تصريح من السلطة، أي من مجمع السنهدرين.

**الاتهام الثاني:** وهو الأهم والأخطر، أنهم يجلبون دم يسوع عليهم. لعلهم كانوا يعانون في ضمائرهم من الشعور بالذنب كقتله وكسافكي دم السيد المسيح البريء. لعل منظر صلب هذا البريء لم يفارق أنظارهم الداخلية.

جاء حديث رئيس الكهنة يكشف ما في قلبه وقلوب أعضاء المجمع، وهو أن هؤلاء الأميّين استطاعوا أن يجتذبوا أورشليم إلى تعاليمهم، فنالوا مركز القيادة، وصار لهم اعتبارهم الذي فاق ما يناله المجمع نفسه. هذا ما نلمسه من قوله: **"قد ملأتم أورشليم بتعليمكم"**.

**"وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان"**، لأن تعليم الرسل وكرازتهم إنما تدفع الشعب لاتهام مجمع السنهدرين أنه حكم على يسوع بالموت خطأ، وأنه سفك دمًا بريئًا. وكأن تعليمهم تحريض غير مباشر للشعب ضد السنهدرين.

**"فأجاب بطرس والرسل وقالوا:**
**ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس". [٢٩]**

لم يقدّم القدّيس بطرس أو أحد التلاميذ تعليلاً لنشر التعليم في أورشليم أنّه بسبب المعجزات التي صنعوها والتي لا يقدر أحد أن ينكرها، ولا أشاروا إلى تمتّعهم بموهبة التكلّم بالألسنة كعطيّة سماويّة، ولا عزّوا هذا لحكمتهم وقدرتهم، إنّما لأن العمل هو من اللّه، والتعليم سماوي، يحمل في ذاته جاذبيّة للنفوس. ما فعله الرسل هو **الطاعة للوصيّة الإلهيّة** والشهادة لخطّة اللّه الخلاصيّة بكل شجاعة، لأن العمل ليس عملهم، إنّما هو عمل اللّه نفسه.

جاءت الإجابة صريحة وواضحة ومختصرة: "**ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس** " [٢٩].

❖ يا لها من شهامةٍ عظيمة! لقد أظهرهم أنهم يحاربون الله[١].

❖ ليتنا نتمثل بهم يا أحبائي، لنكن شجعان في كل مخاطرنا. لا يوجد ما يرهب ذاك الذي يخاف الله، وإنما تحل كل المخاوف على الآخرين. فعندما يتخلص إنسان من أهوائه، ويحسب كل الأمور الحاضرة كظلٍ، أي شيء يكون مخيفاً بالنسبةِ له؟ ممن يخاف؟ إلى من يحتاج أن يتوسل؟ لنهرب إلي هذه الصخرة (المسيح) التي لا يمكن أن تهتز... والأمر الأكثر عجبًا أن الأمور التي يُظن أنها تسبب قلقًا تصير مصدر كل فرحٍ وبهجةٍ... فإنه مستحيل، يستحيل على الكلمات أن تعبر عن أية مسرة عظيمة تصير نصيب من يتألمون لأجل المسيح. فإنهم يفرحون في آلامهم أكثر من فرحهم في خيراتهم[٢].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ بدون قوّة الروح ارتعب بطرس أمام صوت جارية؛ وبالروح وقف أمام رؤساء وملوك[٣].

**القديس جيروم**

❖ إن كانت أوامر الإمبراطور أو القائد صالحة فلنتبّع إرادة من أصدر الأمر. وإن

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 13.*
[2] *Homilies on Acts, hom. 13.*
[3] *The Homilies of St. Jerome, hom., 65.*

كانت شرّيرة ضد اللّه، فأجب عليها بكلمات أعمال الرسل: **"ينبغي أن يُطاع اللّه أكثر من الناس"** [٢٩][1].

**القديس جيروم**

**"إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه،**
**معلقين إيّاه على خشبة". [٣٠]**

**"هذا رفعه اللّه بيمينه رئيسًا ومخلصًا،**
**ليُعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا". [٣١]**

رفعه الله الآب بيمينه، فإذ احتل مركزنا قدم أعماله الخلاصية باسمنا ولحسابنا، حتى متى صعد يصعدنا معه، وإذ يرفعه الآب إلى المجد الذي له أزليًا، والذي أخفاه لحسابنا، حتى متى ناله نناله نحن فيه. رفعه أيضًا يشير إلى قبول الآب لشفاعته الكفارية أو لذبيحته من أجلنا، ومصالحتنا مع الآب. وأيضًا برفعه وهب رسله روحه القدوس (يو ١٦: ٧-١١؛ ١٥: ٢٦) للعمل باسمه لخلاص العالم، وتمتعْ المؤمنين بغفران الخطايا وشركة المجد الأبدي.

هنا يكشف الرسول عن لاهوت السيد المسيح بكونه عن يمين الآب الرئيس والمخلص واهب التوبة وغافر الخطايا، كما يكشف عن مفهوم التوبة أنها عطية إلهية يهبها السيد المسيح لإسرائيل الجديد، وأنه لا خلاص لإنسانٍ ما لم يعترف في تواضع بخطاياه لينال المغفرة. وأخيرًا فإنه ليست خطية مهما بدا جرمها يمكن أن تقف عائقًا أمام نوال المغفرة، لأن المخلص قدير في عمله الخلاصي.

في اختصار شديد قدّم الرسل صورة حيّة لشخص يسوع المسيح الذي يكرزون به وهي أنّه:

**أولاً: الرئيس**، تسلّم الرئاسة، لا من الناس، بل من اللّه أبيه، فإن كان بحبّه تواضع، أخلى ذاته، إنّما ليملك على القلوب، وتكون له الرئاسة على حياة محبّيه الداخليّة.

---

[1] *Commentary on Titus. PL 26:626 CD.*

**ثانيًا: المخلّص،** لا يمكن لإنسان أن يختبر عذوبة خلاصه، ولا أن يكتشف سرّ صليبه كقوّة اللَّه للخلاص ما لم يقبله أولاً "رئيسًا". فمن يفتح قلبه له يكتشف رئاسته التي تقوم على حبّه الإلهي الفائق، وعمل الخلاص المجّاني، لذلك جاء لقب رئيس قبل مخلص.

**ثالثًا: معطي التوبة،** بدونه لا يقدر الإنسان أن يدرك خطاياه ليعترف عنها، محوّلاً وجهه للمصالحة مع اللَّه ببهجة قلب. وإن أدرك خطاياه بالناموس الطبيعي أو الموسوي يعجز أن يحوّل قلبه عنها، لأنّه أسير لذّتها. فالسيّد المسيح وحده قادر بروحه القدّوس أن يغيّر قلب الإنسان وفكره، ويوجّه أعماقه إلى اللَّه أبيه عوض الخطية المسيطرة عليه.

**رابعًا: غافر الخطايا،** إذ يمزّق بالصليب الصك الذي كان علينا ليصير لنا حق التمتّع ببرّه فينا.

**"ونحن شهود له بهذه الأمور،**

**والروح القدس أيضًا الذي أعطاه اللَّه للذين يطيعونه". [٣٢]**

يعلن الرسل استعدادهم للشهادة عن شخص السيّد المسيح القائم من الأموات، كرئيسٍ ومخلّصٍ وواهب للتوبة وغافر للخطايا. فقد اختبروا قوّة نعمته الفائقة، يسندهم في ذلك الروح القدس الإلهي، الذي هو روح المسيح الموهوب لأبناء الطاعة للَّه.

جاء ختام حديثهم يؤكّد أنّهم لن يصمتوا لئلا يُحسبوا خونة للحق وجاحدين للنعمة الإلهيّة العاملة فيهم.

هكذا ركّز الرسل على شخص المسيح وعمله فيهم الذي لا ينفصل عن أقنوم الروح القدس الذي يهبه الآب للذين يطيعون الحق.

لم يكن ممكنًا لمجمع السنهدرين أن يحتملوا هذا الحديث، الذي ينسب ليسوع المصلوب هذه الألقاب الأربعة [الرئيس والمخلّص ومعطي التوبة وواهب غفران الخطايا] الخاصة بالمسيّا المنتظر. فقد عرف المجمع تمامًا خلال النبوّات أنها ألقاب خاصة بالمسيّا الذي اشتهى الآباء والأنبياء أن يروه.

قدم الرسول بطرس والرسل الذين معه دفاعًا مختصرًا وقويًا، جاءت بنوده هكذا:

١. بينما وُجه إلى الرسل الاتهام بالعصيان لأوامر أعلى سلطة دينية وهي "مجمع السنهدرين"، فإن الرسل مع تمتعهم بسمة التواضع، لم يقبلوا الخضوع له مادام يأمر بما يضاد الأمر الإلهي لهم. فحسبوا مجمع السنهدرين يمثل رأي الناس، فلا يُطاع على حساب الطاعة لله نفسه. أن الصراع ليس بين مجمع السنهدرين والرسل، إنما هو صراع بينهم وبين الله إله آبائهم. هم حكموا على السيد المسيح بالقتل معلقًا على خشبة، وإله آبائهم أقامه من الموت. فالقضية موجهة ضد الإله الذي يدعي المجمع أنه إله آبائهم، وأنهم باسمه مجتمعون ولحساب مجده، بينما هم يقاومون مشيئته.

٢. جاء الاتهام أنهم ملأوا أورشليم بتعليمهم، وها هم الرسل يقدمون التعليم لمجمع السنهدرين. كأنهم يقولون: إننا لم نكمل بعد الكرازة في كل أورشليم، إذ نشتهي أن تذوقوا أنتم أيضا الحق الإنجيلي.

٣. يظن المجمع أنه مسئول عن شئون إسرائيل، خاصة من الجانب الديني، وتحقيق العدالة، بينما هم يقاومون الرئيس الحقيقي، **"هذا رفعه الله بيمينه رئيسًا"**. فمن هو الرئيس الحقيقي: المجمع المقاوم لمشيئة الله، أم ذاك الذي رفعه الله الآب رئيسًا؟

٤. وجه الاتهام ضدهم أنهم يجلبون دم هذا الإنسان على مجمع السنهدرين، وها هم الرسول يصححون لهم الرؤية. إنه ليس بالإنسان المجهول لكنه الرئيس والمخلص الذي يترقبه إسرائيل منذ بدء نشأته. كشف الرسل للمجمع عن شخصية المصلوب الذى يريدون الخلاص منه وتبرير صلبهم إياه. أقامه الآب **"مخلصًا"**، فهو الذي يهب الخلاص. وكأن الرسل يحاجون رؤساء المجمع قائلين: هوذا الشعب في رواق سليمان كما في الشوارع قد تمتع بالخلاص، فشُفيت أمراضهم، وتحرروا من الأرواح النجسة؛ كما أرسل لنا ملاكه وخلصنا من القيود، وأخرجنا من السجن. إنه مخلص إسرائيل والمدافع عنا، هو وحده يقدر أن يخلصنا من أياديكم، فليس لكم سلطان علينا إلا بسماح منه وفي الحدود التي يُسمح لكم بها.

٥. إن كانت المحكمة قد أصدرت حكمًا خاطئًا بقتله، فسفكت دمًا بريئًا، فإنه على الصليب غفر لكم هذه الجريمة، لكن بقي أن تؤمنوا به، إذ "يعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا". هوذا الرسل يحوّلون بنود الدفاع لصالح أعضاء المجمع بدعوتهم للإيمان به، وقبول غفران الخطايا خلال التوبة!

٦. أنتم تحاكموننا على أمور تلامسنا معها، نشهد بها ولا نقدر أن نجحدها. كيف ننكر أنكم صلبتموه؟ وكيف ننكر قيامته من الأموات؟

٧. إن كنتم تحاكموننا لأننا نشهد للحق، فإننا لسنا نشهد من ذواتنا، إنما بالروح القدس روح الله. فهل أنتم قادرون على محاكمته ومقاومته؟ نحن نلنا روح الله القدوس إذ أطعناه، وها هو يشهد لرسالة السيد المسيح مؤيدًا ذلك بالآيات والمعجزات التي عملها بنا علانية. فالباب مفتوح أمامكم لتختبروا ما نختبره، وتتمتعوا بعمل روح الله القدوس إن قبلتم شهادته.

يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على هذه العبارة قائلاً بأن الرسول لم يقل: "والروح القدس أيضًا الذي أعطاه الله لنا"، وإنما قال: "**للذين يطيعونه**"، قائلاً: [هنا يظهر لطفهم المتواضع، معلنين عن عظمة العطية، ومظهرين للسامعين أنه يمكنهم هم أيضًا أن يقبلوا الروح[1].]

هكذا لم ينشغل الرسل بما يحل عليهم من متاعب، وما يحمله المقاومون لهم من كراهيةٍ شديدةٍ وحقدٍ، إنما يفتحون الباب حتى أمام المقاومين لهم، يطيعون الحق ويقبلون الروح القدس، ويشاركونهم فيما يتمتعون هم به.

ليس للرسل عمل آخر سوى الشهادة ليسوع المسيح، إنه **الرئيس والمخلص وواهب التوبة ومانح المغفرة**، فقد تعينوا لهذا الهدف.

إنهم **شهود للصليب** الذي تصحبه **قيامة المسيح وصعوده**، ليهب لمؤمنيه الحياة الأبدية، كما هم **شهود لعطية الروح القدس** الذي أرسله الابن من عند الآب على الذين آمنوا وأطاعوا.

---

[1] *Homilies on Acts, hom. 13.*

## ٥. موقف غمالائيل

**"فلما سمعوا حنقوا،**

**وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم". [٣٣]**

إذ سمعوا خطاب الدفاع الذي ألقاه القديس بطرس لم يكن لديهم ما يجيبون عليهم، لكنهم "**حنقوا وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم**" [٣٣]. وقعت الكلمات عليهم كالصاعقة، فامتلأت قلوبهم حنقًا عليهم، وصاروا يتشاورون. غالبًا ما كانوا يستعينون بالفريسيين بكونهم العلماء أصحاب المشورة لا لفحص كلمات الدفاع، وإنما كانت للتخطيط لقتلهم رجمًا.

لقد أثارهم الخطاب في النقاط التالية:

١. اتهام مجمع السنهدرين أن ما يصدره ضد إرادة الله، وأن الرسل ملتزمون بالطاعة لله لا الناس.
٢. اتهام أعضاء المجمع أنهم قتلة، وسافكو دم برئ.
٣. أن المصلوب هو الرئيس والمخلص، المسيا الذي ترقبته الأجيال.
٤. أنه واهب التوبة لإسرائيل المحتاج إلى التوبة، وأنه غافر الخطية.
٥. أن الرسل شهود لأعمال الله الخلاصية.
٦. أن الروح القدس يشهد ويعمل في المؤمنين الطائعين.
٧. أخيرًا فإن الصدوقيين صاروا في خطرٍ، حيث تأكد الكل من القيامة من الأموات، التعليم الذي ينكروه تمامًا.

فمع قصر الخطاب جدًا لكنه أشبه بسهمٍ قاتلٍ، ملقى بمهارة فائقة في قلب مجمع السنهدرين، لم يكن أمام المجمع سوى قبول الإيمان بالسيد المسيح أو الخلاص من رسله بقتلهم.

**"فقام في المجمع رجل فريسي اسمه غمالائيل معلم للناموس،**

**مكرّم عند جميع الشعب،**

**وأمر أن يخرج الرسل قليلاً". [٣٤]**

كان جناح الصدوقيين في ثورة عارمة ضد الرسل، ففي أذهانهم لا يمكن

حسم الأمر إلا بقتل الرسل. لكن مع أنهم يمثلون الأغلبية في مجمع السنهدرين إلا أنهم كانوا في حاجة إلى كسب الفريسيين في صفهم. يقول يوسيفوس إن فريق الفريسيين في المجمع كان قليلاً من جهة العدد، لكن لهم شعبيتهم وتأثيرهم القوي على الشعب. لهذا لم يكن ممكنًا للصدوقيين أن يأخذوا قرارًا ولو بأغلبية المجمع ما لم يوافق عليه غالبية الفريسيين.

شعر الفريسي غمالائيل معلم الناموس، وهو الابن الأكبر لهليل الكبير، ومعلم شاول الطرسوسي (أع ٢٢: ٣)، ويُقال أنه ابن سمعان الشيخ الذي حمل الطفل يسوع على ذراعيه في الهيكل، أن موقف المجمع أشبه بمحاربة الله نفسه. لعله قبل داخليًا دفاع القديس بطرس. قيل أنه آمن بالسيد المسيح مع نيقوديموس ومع ابنه على يدي القديسين بطرس ويوحنا، وأنه بقي مسيحيًا في الخفاء. غير أن بعض الدارسين يرون أنه أخذ هذا الموقف ليس اقتناعًا بما سمعه، وإنما لأنه كان يحمل فكرًا متحررًا، فلا يؤمن باستخدام العنف في الدين.

❖ "فرّيسي" اسم معناه "الذين يميّزون (يعزلون) أنفسهم (كمكرّسين للّه). لقد تبعوا طريقة حياة حسبوها أفضل حياة. حسبوا طريقهم أسمى من كل الآخرين، يركّزون على القيامة، ووجود الملائكة، وعلى قداسة الحياة. اتّبعوا حياة صارمة، ومارسوا النسك والامتناع عن العلاقات الجنسيّة في فترات معيّنة، وكانوا يصومون يومين في الأسبوع. كانوا يغسلون قدورهم وأطباقهم وكؤوسهم بطقوسٍ معيّنة، كما يفعل الكتبة، ويقدّمون العشور والبكور، ويكرّرون صلوات كثيرة[1].

**الأب يوحنا الدمشقي**

**"ثم قال لهم:**
**أيها الرجال الإسرائيليون،**
**احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس،**
**في ما أنتم مزمعون أن تفعلوا". [٣٥]**

[1] *On Heresies, 15.*

**"لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلاً عن نفسه أنه شيء،**
**الذي التصق به عدد من الرجال نحو أربع مائة،**
**الذي قُتل،**
**وجميع الذين أنقادوا إليه تبدّدوا،**
**وصاروا لا شيء". [٣٦]**

لم نعرف شيئًا عن ثوداس سوى ما ورد هنا، وهو حتمًا غير ثوداس الوارد في يوسيفوس[1] الذي قام في أيام فادوس Fadus الوكيل على اليهودية في عهد الإمبراطور كلاديوس Claudius (٤٥ أو ٤٦م)، الذي اجتذب كثيرين وذهب معهم إلى نهر الأردن، مدعيًا النبوة، وأنه يشق النهر ليعبروا فيه. انقض عليهم فادوس وقتل كثيرين، ثم أخذ ثوداس إلى أورشليم حيث قطع رقبته. هذا تم بعد عشرة أو خمسة عشر عامًا بعد حديث غمالائيل الوارد هنا. يرى لايتفوت أن يوسيفوس أخطأ فَي تأريخ ثيوداس، وأن ما ورد فيه هو ذات الرجل الذي تحدث عنه غمالائيل.

يرى البعض أن كلاً من لوقا البشير ويوسيفوس صادقان، لأنهما مؤرخان مدققان، وأن اسم ثوداس كان شائعًا في ذلك الحين، وليس بمستبعدٍ ظهور شخصين بذات الاسم قاما بالثورة أحدهما يلي الآخر بعد هذا الزمن. وأن شخصية مثل غمالائيل لا يمكن أن تشير إلى حدث كهذا في مجمع السنهدرين لو لم يكن الأمر أكيدًا ومعروفًا لدى أعضاء المجمع.

هذا ويبدو أن الثورات كانت كثيرة للغاية في منطقة اليهودية كما أشار يوسيفوس[2]. أما قوله: "**قائلاً عن نفسه شيئًا**"، فيعني أنه ادعى بأنه بارز أو المسيا المنتظر.

**"بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب،**
**وأزاغ وراءه شعبًا غفيرًا،**
**فذاك أيضًا هلك،**

---

[1] *Antiq. 20:5.*
[2] *Antiq. XVII:10:4, 8.*

**وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا". [٣٧]**

**يهوذا الجليلي:** كان ينادي بعدم دفع الجزية للرومان، وقد قام الرومان بسحقه هو وأتباعه. لكن ورث جماعة الغيورين تعليمه، وحاولوا الإيقاع بالسيد المسيح بسؤاله عن دفع الجزية (مر ١٢: ١٣-١٧). وقد قاموا بثورة فيما بعد ضد الرومان، لكن الرومان تحت قيادة تيطس دخلوا أورشليم، وأحرقوا الهيكل، وبددوا الأمة اليهودية.

**"والآن أقول لكم:**
**تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم،**
**لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض". [٣٨]**

**"وإن كان من الله،**
**فلا تقدرون أن تنقضوه،**
**لئلاّ تُوجدوا محاربين لله أيضًا". [٣٩]**

طالب كبير معلمي الناموس بترك الرسل، مقدمًا لهم مثلين عمليين وهما ظهور ثوداس ويهوذا الجليلي، وكيف التف حولهما البعض، ولكن لأن الأمر لم يكن حسب فكر الله فشلا. لقد أعلن غمالائيل بطريقة خفية عن حالة إفلاس مجمع السنهدرين والمشيخة في كل إسرائيل من جهة معرفة الله، وعجزهم عن التمييز بين ما هو حسب فكر الله، وما هو حسب فكر الناس.

عندما عزل هيرودس أرخيلاوس Archelaus ، أحد أبناء هيرودس الكبير (مت٢: ١، ٢٢) من حكم اليهودية، صارت الدولة يديرها حاكم روماني؛ نادى يهوذا الجليلى بالامتناع عن دفع الجزية للرومان، فأثار مشاعر الشعب الدينية والوطنية للثورة العنيفة. أعلن أن الله وحده هو ملك إسرائيل، وهو وحده له الحق أن يملك على الشعب اليهودي.

تحدث عنه يوسيفوس ودعاه "الجليلي[1] Galilean، وفي موضع آخر دعاه أنه من مدينة جمالا[2] Gamala.

---

[1] *Antiq. 17:10:5.*
[2] *Antiq. 18:1:1.*

ذكر يوسيفوس أن الحاكم الروماني هو Cyrenius سناتور(عضو مجلس للشيوخ) روماني، جاء إلى سوريا ليحكم تلك الأمة، ويهتم بشأنها. يقول يوسيفوس أنه جاء إلى اليهودية التي أضيفت إليه مع سوريا ليدبر أمورها، وأنه وضع أموال أرخيلاوس تحت تصرفه. فأخذ يهوذا صادوق Saddoak وهو فريسي غيور، ونادى الاثنان بأن دفع الجزية ليس إلا مدخلاً للعبودية، وطالب الأمة بأن تدافع عن حريتها. وأن هذه الثورة فتحت بابًا للثورات متعددة لم تنقطع حتى تم تدمير المدينة والهيكل والأمة نفسها.

على أي الأحوال لم يعطِ غمالائيل المجمع فرصة مراجعة قرارهم السابق بخصوص تسليم السيد المسيح للصلب. لم يطلب منهم أن يبحثوا عن الحق. لكن من الواضح أن غمالائيل كان قد وضع في قلبه وجال في فكره احتمال أن هذه الحركة التي يقوم بها الرسل هي من الله، لكنها فكرة تتردد عليه، ولم يكن بعد قد اقتنع بها تمامًا.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن ما قاله غمالائيل هنا سبق فأعلنه السيد المسيح: "لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئًا إن لم يكن قد أُعطي من السماء" (يو ٣: ٢٧). فإن هؤلاء كانوا يحاولون المستحيل وسيُوجدون محاربين لله. حسنًا، لكن ألم يأخذ ثيوداس وأتباعه شيئًا من أنفسهم؟ لقد أخذوا، ولكن للحال تشتتوا وهلكوا، وهذا ليس حال المسيح.

قدم غمالائيل رأيًا سديدًا مملوء حكمة وهو:

١- أن مقاومة الحركة الشعبية أمر غير حكيم، يدفع الناس إلى العناد وعدم التفكير في الأمر في تروٍ وتعقلٍ.

٢- ترك الخطأ وتجاهله إلى حين غالبًا ما يقضي عليه.

٣- أن الإيمان بيسوع المسيح يحتاج لا إلى المقاومة بتعصبٍ وحماسٍ دون دراسة وتعرف إن كان الأمر من الله أم من الناس.

٤- يطالبهم بالثقة في الله حافظ الإيمان، وفي عنايته بشعبه، فإن سُلم بين يديه يعلن الحق.

٥- خشي لئلا يسقط المجمع في مقاومة الله نفسه وهو لا يدري، فتكون غيرتهم باطلة.

❖ أراد أن ينصحهم بالعدول عن رأيهم باعتبار أن هذا الأمر مستحيل (إن كانوا يقاومون ما هو من الله)، وفي نفس الوقت ليس لصالحهم[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فانقادوا إليه،**
**ودعوا الرسل وجلدوهم،**
**وأوصوهم أن لا يتكلّموا باسم يسوع،**
**ثم أطلقوهم". [٤٠]**

لقد أعمى الشيطان أعين قضاة إسرائيل عن فحص قضية يسوع المسيح المصلوب. ولعلهم في داخلهم كانوا يشعرون مع غمالائيل أنهم يحاربون الله، يقاومون الحق ويرفضون الخلاص.

على أي الأحوال اقتنع المجمع بعدم قتل الرسل، لكن الغيرة التي ملأت قلوبهم جعلتهم يصرون على ضربهم أو جلدهم مع إصدار أمر ألا يتكلموا باسم يسوع. اخذوا بمشورة غمالائيل جزئيًا، خشية أن يفقدوا مهابتهم وسلطانهم أمام الشعب.

## ٦ – كلمة الله لا تُقيد

**"وأمّا هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع،**
**لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه". [٤١]**

ظن أعضاء المجمع أن الرسل لن يعودوا للظهور أمام الشعب بعد أن حلّ بهم عار الجلد، وأنهم يصيروا في خزي. فقد كان الجلد يمثل عارًا وامتهانا لآدمية الإنسان، أما بالنسبة للرسل فحسبوه كرامة ومجدًا، لأن فيه شركة في آلام السيد المسيح وصلبه. كان الدم المتفجر من أجسامهم متعة الاصطباغ، حتى يترنموا: "من أجلك نُمات كل النهار" (رو ٨: ٣٦). "**لقد جلدوهم**"، هذه ضريبة هينة للغاية من أجل الشهادة للحق.

[1] *Homilies on Acts, hom. 14.*

تحولت آلام الجلد التي لا تُحتمل إلى فرحٍ وشعورٍ بالكرامة في المسيح يسوع. هذا ليس عملاً بشريًا، إنما هو عمل الروح القدس فيهم الذي يسمح للمؤمنين أن يشربوا من ذات الكأس التي قبلها ربنا يسوع من أبيه!

خرج التلاميذ يكرزون بالفرح الروحي في الرب: "فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق". (رو ١٢: ١٢)

❖ إن كان الطريق ضيقًا وصعبًا فكيف يكون: "نيري هين وحملي خفيف"؟ إنه صعب بسبب طبيعة التجارب، لكنه هين بسبب رضى المسافرين. فإنه يمكن حتى بالنسبة لما هو غير محتمل بالطبيعة أن يصير خفيفًا عندما نتقبله بشغف. تذكروا أن الرسل الذين جُلدوا رجعوا فرحين أنهم حسبوا أهلًا أن يهانوا من أجل اسم الرب[1].

**القديس يوحنا ذهبي الفم**

**لماذا لا يزال يُهان الرسل؟**

١. لأن يسوع المسيح موضوع كرازتهم هو نفسه مُحتقر ومرذول.

٢. وصاياه تُقاوِم الملذّات العالميّة والرجاسات.

٣. يظن البعض أن دعوة ربّنا يسوع المسيح السماوي ترفع القلب والفكر إلى السماء، فيعيش الإنسان كغريبٍ على الأرض، لا يمارس الحياة العمليّة الواقعيّة، ممّا يسبب له فشلاً.

٤. روح الإيمان من حب وتواضع ووداعة وبذل وعطاء يناقض روح العالم من اعتداد بالذات وحب السلطة والانتقام.

٥. الإيمان المسيحي دعوة للحياة الجادّة، خاصة في العبادة من حملٍ للصليب وأصوامٍ ومطانيات وأسهار.

**لماذا فرح الرسل؟**

١. صاروا على شبه ربنا يسوع الذي جُلد وأُهين من أجل المحبة (في١٠:٣؛ كو ١:

[1] *On Lazarus and the Rich Man, 3.*

٤٢٤ ١ بط ٤: ١٣). إنهم شركاء السيد المسيح في آلامه.

٢. حسبوا الآلام شهادة حية أنهم صاروا تلاميذ المسيح وأتباعه ومحبيه الأعزاء لديه، يشاركونه أتعابه.

٣. تحقق فيهم ما سبق فوعدهم به السيد نفسه.

٤. إنها آلام خفيفة، لا تقارن بالمجد العتيد أن يُستعلن (مر ١٠: ٣٠).

٥. إنه ليس من أمرٍ يخجل الإنسان ويجعله في عار سوى الخطية.

**"وكانوا لا يزالون كل يوم في الهيكل وفي البيوت،**
**معلِّمين ومبشرين بيسوع المسيح". [٤٢]**

حوّل الروح القدس الآلام إلى فرحٍ في الرب، هذا الذي قيل عنه: "فرح الرب هو قوتكم" (نح ٨: ١٠). نالوا قوة وشجاعة للشهادة للحق كل يوم في الهيكل كما في البيوت. صارت حياتهم رحلة مستمرة للتعليم والتبشير بيسوع المسيح.

اهتموا بالتعليم حيث كُتبت أسفار العهد الجديد بإعلان الروح القدس، ونظمت العبادة والتدبير الكنسي، فظهرت بعض الكتابات التي ترجع إلي عصر الرسل مثل الديداكية وقد سبق لي ترجمتها والتعليق عليها.

**من وحي أعمال الرسل ٥**

**لتكرس قلبي كله لك!**

❖ ترتعب نفسي في داخلي، لئلا أحمل روح حنانيا وسفيرة.
باعا ملكًا لهما، لكي يُقدما كل الثمن لك.
لم تكن محتاجًا إلى مالهما،
لكنك حسبت ما قدماه قدسًا لك.
اعتديا على المال، فاعتديا على المقدسات.
فجأة ماتا جسديًا، إعلانًا عن موتهما داخليًا!

- ها أنا أكرس حياتي كلها لك!
نفسي وجسدي بكل طاقاتهما!
مواهبي ووقتي وكل ما لي هو لك.
هب لي أن أكون أمينًا،
فلا أعتدي على مقدساتك!
ليكن حتى أكلي وشربي ونومي لمجدك!
لأحمل رائحتك الزكية،
فلا يكون للدنس موضع فيّ!
قدسني بالتمام، وكرّس قلبي كله لك، يا أيها القدوس.

- ليمت حنانيا وسفيرة اللذان في قلبي!
ولتسمر خوفك المقدس في أعماقي،
فأصير شاهدًا لك أمام الجميع!

- هب لي روحك القدوس يحول كياني إلى عجبٍ!
فيتقدس كياني كله،
وأصير آلة برّ لحساب ملكوتك.

- ليهج الأشرار العاملون لحساب مملكة الظلمة.
فالفساد يتبدد أمام عدم الفساد،
والظلمة لا وجود لها في ظهور النور!

- ترسل لي ملائكتك لحراستي،
وتفجر متاريس السجن والهاوية.
تقيمني في كل يومٍ كما من القبر.
تهبني روح القوة، فأتمم إرادتك.
تحول ضيقاتي إلى مصدر فرح وبهجة.
وتتحول حياتي كلها إلى شهادة لعملك الإلهي!

## الأصحاح السادس

# انتخاب سبعة شمامسة

قدمت لنا الإصحاحات الخمسة الأولى صورة حية عن كنيسة العهد الجديد في بدء انطلاقها، كيف قادها روح الله القدوس في أورشليم وسط ضيقات واضطهادات مستمرة، لتنمو وتتوسع بلا توقف. الآن وقد ازداد عدد المؤمنين جدًا وُجد فريقين، فريق من أصل يهودي يحمل في داخله تقديرًا خاصًا بالناموس والهيكل والطقوس اليهودية، وفريق آخر ناطق باليونانية يميل إلي التحرر من حرفية الناموس وعدم الخضوع للطقوس اليهودية. لكن لا يعني هذا انفصال الفريقين في العبادة، ولا وجود انشقاق، إذ كان الكل علي اتصال ببعضهم البعض، لهم الروح الواحد حتى وإن تعبّد كل منهم بلغته.

مع تزايد العدد واتساع الخدمة ظهرت مشاكل داخلية والتزامات يصعب أن يقوم بها الرسل الذين كان يشغلهم أولاً وقبل كل شيء خدمة الكرازة. من هنا ظهرت الحاجة إلي سيامة أول مجموعة من الشمامسة. ربما يتساءل البعض. لماذا لم تتم سيامة الشمامسة بعد يوم الخمسين مباشرة؟ نجيب على ذلك بأن تعداد المؤمنين كان قليلاً، وكان من السهل على الرسل والتلاميذ أن يسدوا احتياجات الشعب المادية من التقدمات التي جاء بها المؤمنون. أما وقد تكاثر العدد فصارت الحاجة ملحة أن يتفرغ الرسل لخدمة الكلمة. تزايد العدد فدخلت الكنيسة في التزامات الرعاية ومسئولياتها. ولم يكن ممكنًا للتلاميذ أن يلتزموا بهذه المسئوليات على حساب الكرازة والشهادة للسيد المسيح.

١. تذمر اليونانيين على العبرانيين ١-٤.
٢. انتخاب سبعة شمامسة ٥-٨.
٣. خدمة رئيس الشمامسة ٩-١٠.
٤. استفانوس أمام المجمع ١١-١٥.

## ١. تذمر اليونانيين على العبرانيين

**"وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ،**

**حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين،**

**أن أراملهم كنّ يغفل عنهن في الخدمة اليومية". [١]**

ازداد عدد التلاميذ جدًا، وهنا يقصد الإنجيلي لوقا بالتلاميذ المؤمنين، وليس الاثني عشر تلميذًا أو السبعين رسولاً.

**من هم هؤلاء اليونانيين؟** اختلفت الآراء في تحديد هذه الفئة، هل هم اليهود الذين عاشوا بين الأمم زمانًا طويلاً ثم عادوا وقد نسوا لغتهم عبر الأجيال؛ أم هم من أصل أممي وقد قبلوا الإيمان اليهودي (الدخلاء)، ثم آمنوا فيما بعد بالسيد المسيح؛ أم هم أمميون قبلوا الإيمان المسيحي مباشرة دون دخولهم في اليهودية. أغلب الدارسين يرون أنهم الفئة الأولى، أو على الأقل غالبيتهم من الفئة الأولي. هم اليهود الذين عاشوا في بلاد تتحدث باليونانية، ومع طول بقائهم لأجيال كثيرة كانوا يتكلمون باليونانية. وربما كان من بينهم أيضا أمميون قبلوا الإيمان المسيحي مباشرة، أو تهودوا أولاً، ثم آمنوا بالسيد المسيح فيما بعد، مثل نيقولاوس الدخيل الأنطاكي (أع ٦: ٥).

يُفهم من ذلك أن الكنيسة في أورشليم كانت تضم مسيحيين من أصل يهودي يتكلمون العبرانية أو الآرادية، كما وُجد أعضاء كانوا قادمين من بلاد ثقافتها يونانية ويتحدثون اليونانية، وغالبًا ما كانوا يجهلون الآرامية. لكل فريق ثقافته الخاصة وفكره وعاداته وطباعه وسلوكه. الأولون يتميزون بالتفوق الديني الوطني، والآخرون بالتفوق الثقافي. الأولون أغلبهم أصحاب أعمال ومهن ولهم ممتلكات وعقارات، أي أغنياء إلى حد ما، أما اليونانيون فغالبًا ما كانوا نازحين من الشتات، ويعيشون في أورشليم كغرباء. ولعله إذ كان القائمون بخدمة الأرامل والمحتاجين عبرانيين، حدث تمييز في التعامل بين العائلات العبرانية واليونانية، مما تسبب في تذمر اليونانيين على العبرانيين. لم يكن لدى الرسل الوقت لبحث هذه الأمور المادية، من هنا ظهرت الحاجة إلى سيامة الشمامسة (الدياكونية).

حتمًا لم يكن لدي الرسل محاباة، وغالبًا حتى العاملون في الخدمة، لكن ربما

كان العبرانيون وهم سكان أورشليم في غيرتهم علي إخوتهم الفقراء يبذلون جهدًا أعظم واهتمامًا خاصًا بإخواتهم الفقراء. ويرى بعض الدارسين أنه لم يكن يوجد تمييز بين فقراء الفريقين؛ وإنما هو شعور داخلي خاطئ ظهر خلال غيرة اليونانيين من اليهود المسيحيين، لأن الآخرين كانوا يشعرون بامتياز خاص بهم حتى بعد قبولهم الإيمان المسيحي، بسبب نسبهم للآباء والأنبياء، وإمكانية دخولهم الهيكل للعبادة.

واضح أن التوزيع على العائلات كان يوميًا، لذلك دعي هذا العمل بالخدمة اليومية. وكانت خدمة الأرامل تحتل مركزًا خاصًا منذ بداية الكنيسة.

**"فدعا الإثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا:**

**لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد". [٢]**

شعر التلاميذ أنه **ليس حسنًا لهم أن يرتبكوا بالأمور المادية، حتى وإن كانت لخدمة الأرامل والفقراء،** فإن مسرتهم هي في نشر الكلمة والصلاة.

إن كانت الجلدات والمحاكمات والسجون لا تستطيع أن تحرمهم من التكريس لخدمة كلمة الله والشهادة لإنجيل المسيح، إلا أنهم خشوا أن تحرمهم خدمة الموائد من ذلك. فالكرازة هي العمل الأساسي للرسل، لن يسمحوا لتدبير شئون الكنيسة الإدارية أو المالية أن تسحب قلوبهم أو وقتهم عن هذا العمل.

لقد حسب التلاميذ كل المهام المالية الخاصة بالكنيسة خدمة موائد، مع ما لها من أهمية فهي ليست من اختصاص الرسل.

❖ لقد اهتموا بسيامة الشمامسة حتى لا ينسحب (الرسل) من الالتزام بالكرازة بالكلمة[1].

**القديس أغسطينوس**

**الكرازة وخدمة الموائد**

هنا يلزمنا أن نوضح العلاقة بين خدمة الكلمة (والصلاة) بخدمة الموائد. فالرسل وأن كانوا قد خشوا من أن تسحب هذه الخدمة أوقاتهم وفكرهم عن خدمة

[1] *In Ioan., tr., 109:5.*

الكلمة، لكن لا يعني هذا استخفافهم بخدمة الموائد، فالرسولان بطرس ويوحنا اهتما بشفاء الأعرج من بطن أمه، وقدما له اسم يسوع لشفائه، إذ لم يحملا شيئًا من الأموال التي وضعها المؤمنون عن أقدامهم (أع ٣). والرسول بولس كان مهتمًا بالجمع للفقراء القديسين في أورشليم في كنائس كثيرة، بل وحمل هذه الصدقات بنفسه إلي أورشليم وفي نفس الوقت نجد رئيس الشمامسة استفانوس أحد السبعة المختارين لخدمة الموائد كان يكرز بالكلمة ويحاور في مجامع اليهود [٩-١٠]، ولم يكف عن الكرازة بالكلمة حتى لحظات رجمه.

ليس فقط الشمامسة بل والشعب نفسه، إذ تشتتوا بسبب الضيق "جالوا مبشرين بالكلمة" (٨: ٤).

بمعني أخر لا تنفصل خدمة الكلمة والكرازة عن خدمة الموائد؛ فالكرازة تحمل حب الإنسان لله المخلص كما العالم موضوع الخلاص، وهكذا في خدمة الموائد يحمل الإنسان حبًا لأخيه المتألم أو المحتاج مع شهادة حية لحب خلاصه ومجده الأبدي.

المؤمن، كاهنًا أو أحد أفراد الشعب، يتسع قلبه بالحب للشهادة والكرازة بأسلوب أو آخر مع اتساعه بالحب نحو إخوته المحتاجين.

في مقال عن رسالة المسيحي وجه القديس يوحنا الذهبي الفم حديثه للشعب:

[يا لها من خسارة عظيمة في الإخوة! إن قليلين هم الذين يهتمون بالأمور الخاصة بالخلاص.

يا له من جزء كبير من جسد الكنيسة يشبه الميت الذي بلا حراك!!

تقولون: وماذا يخصنا نحن في هذا؟

إن لديكم إمكانية عظمى بخصوص إخوتكم. فإنكم مسئولون إن كنتم لا تنصحوهم، وتصدون عنهم الشر، وتجذبونهم إلى هنا بقوة، وتسحبونهم من تراخيهم الشديد. لأنه هل يليق بالإنسان أن يكون نافعًا لنفسه وحده، بل ولكثيرين أيضًا.

ولقد أوضح السيد المسيح ذلك عندما دعانا "ملحًا" (مت ٥: ١٣)، و"خميرة" (مت ١٣: ٣٣)، و"نورًا" (مت ٥: ١٤)، لأن هذه الأشياء مفيدة للغير ونافعة لهم.

فالمصباح لا يضيء لذاته بل للجالسين في الظلمة. وأنت مصباح، لا لتتمتع وحدك، إنما لترد إنسانًا ضل، لأنه أي نفع لمسيحي لا يفيد غيره؟! ولا يرد أحدًا إلي الفضيلة؟!

مرة أخرى الملح لا يُصلح نفسه بل يُصلح الطعام لئلا يفسد ويهلك... هكذا جعلك الله ملحًا روحيًا، لتربط الأعضاء الفاسدة أي الإخوة المتكاسلين المتراخين، وتشددهم وتنقذهم من الكسل كما من الفساد، وتربطهم مع بقية جسد الكنيسة.

وهذا هو السبب الذي لأجله دعانا الرب "خميرًا"، لأن الخميرة أيضًا لا تخمر ذاتها، لكن بالرغم من صغرها فإنها تخمر العجين كله مهما بلغ حجمه. هكذا افعلوا أنتم أيضًا. فإنكم وإن كنتم قليلين من جهة العدد، لكن كونوا كثيرين وأقوياء في الإيمان والغيرة نحو الله. وكما أن الخميرة ليست ضعيفة بالنسبة لصغرها، إذ لها قوة وإمكانية من جهة طبيعتها... هكذا يمكنكم إن أردتم أن تجتذبوا أعدادًا أكثر منكم ويكون لهم نفس المستوى من جهة الغيرة.]

"فانتخبوا أيها الاخوة سبعة رجال منكم:

مشهودًا لهم،

ومملوءين من الروح القدس وحكمة،

فنقيمهم على هذه الحاجة". [٣]

أعطى التلاميذ الشعب كله "جمهور التلاميذ" حق الانتخاب دون تدخل من جانبهم، فالشعب ينتخب بكامل حريته على أن يكونوا من المشهود لهم ومملوءين من الروح القدس وحكمة، وعلى التلاميذ أن يقيموهم أو يقوموا بسيامتهم.

**شروط السيامة:**

١- **تقوم الجماعة كلها بالانتخاب [٢].** يرى بعض الدارسين أنه غالبًا ما يُقصد بالجمهور الرجال والنساء معًا، فكان الكل على مستوى المسئولية، وإدراك كل ما يدور في الكنيسة. فإن تحديد فئة معينة للانتخاب، علامة نقص في الرعاية بسبب عجز الشعب عن اختيار الخدام على مستوى الشمامسة أو الكهنة أو الأساقفة، فاللوم يقع على الرعاة أكثر منه على الشعب.

كما يقصد بجمهور التلاميذ أن يكون الاختيار بلا تحيز لليهود أو لليونانيين، بل من الشعب ككلٍ بلا تفرقة. هنا يؤكد الرسل أنهم يريدون أن يكونوا فوق أية شبهه، فإنهم لم يتدخلوا في الانتخاب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٢- **عددهم سبعة،** ليخدم الشمامسة على الأرض كل أيام الزمن (٧ أيام الأسبوع) حتى يأتي السيد المسيح في اليوم الثامن لينطلق بكنيسته إلى الأبدية.

٣- **مشهود لهم من الجماعة كلها،** لأنهم يعملون وسط العائلات والأرامل. شهادة الشعب للمرشح للعمل الكهنوتي غالبًا ما تكون أدق من شهادة رجال الكهنوت أنفسهم، لأن البعض يحملون وجهين واحد أمام رجال الكهنوت فيه صورة التقوى والورع وتكريس القلب للعبادة والخدمة، والوجه الآخر وسط الشعب حيث تظهر أعماقه في سلوكه اليومي خارج الكنيسة، أو في المناسبات كالإفراح أو الأحزان، أو في معاملاته المادية. لهذا قدم الرسل هذا المبدأ الكنسي الهام، وهو اختيار الشعب للخدام أو الراعي أيا كانت درجته أو رتبته الكنسية.

٤- **مملؤون من الروح القدس،** ليعمل بهم، فيحوّل خدمة الموائد إلى خدمة روحية، إذ يليق أن تكون كل أعمالهم مقدسة.

٥- **مملؤون من الحكمة،** فيسلكون بحكمة، يتجنبون التبذير، وفي نفس الوقت لا يكونوا مقطرين في العطاء.

لا يعني الملء من الروح القدس أن يكونوا أصحاب موهبة صنع معجزات أو التكلم بألسنة، لأن خدمتهم وسط المؤمنين لا تستوجب مثل هذه المواهب، إنما تحتاج إلى أناسٍ أتقياء يسلكون بروح الرب.

"الحكمة" سمة لازمة لكل مسيحي لتدبير أموره الروحية والمادية، ولازمة للشمامسة ليدبروا احتياجات العائلات بحكمة دون مبالغة سواء في العطاء أو في الاقتصاد.

❖ حقًا يلزم أن يقوم (الشعب) بالاختيار بأنفسهم كما يحركهم الروح القدس، بل وأيضًا يحتاجون إلى شهادة الشعب. أما تحديد العدد والسيامة بالنسبة لهذه المهمة

فهي من اختصاصهم، ولكن اختيار الرجال جعلوها للشعب، حتى لا يكون اختيارهم فيه انحيازًا وتفضيلاً. تمامًا كما ترك الله لموسى أن يختار الشيوخ حسب معرفته هو (عد ١١: ١٦).

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ أفرزوهم من الجماعة؛ الشعب هو الذي انتخبهم وقدمهم وليس الرسل. أنظر كيف يتحاشى الكاتب الإضافات التي ليست في الموضوع، إذ يقول مباشرة أنهم ساموهم (شرطنة χειροτονια) بالصلاة، لأنه هذا هو معني الشرطونية، أي وضع اليد، أو السيامة.

توضع يد الإنسان فوق (الشخص)، لكن العمل كله من الله، لأن يده هي التي تلمس من يُسام، إن كانت سيامته صحيحة.

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

وضع الاثنا عشر شرطًا هامًا للشعب في اختيار السبعة شمامسة، وهو أن يكونوا **"مملوءين من الروح القدس وحكمة"**، ليقوم هؤلاء بخدمة الموائد اليوميّة، أي خدمة الأرامل والمحتاجين. هنا نعود إلى عصر موسى النبي الذي أمره الرب أن يقيم له خيمة اجتماع على شبه المثال الذي يظهره له على الجبل (خر ٢٥: ٤٠)، أي تكون ظلاً للمسكن السماوي. وقد دعا الرب بصلئيل بن أوري من سبط يهوذا باسمه وملأه من روح اللّه بالحكمة والفهم والمعرفة (خر ٣١: ١-٢).

ما فعله الرب في القديم كان رمزًا لما يلزم أن يتحقق في كنيسة العهد الجديد، فيليق بالشمامسة كما بالكهنة والأساقفة وكل الخدّام أن يقبلوا الدعوة من اللّه شخصيًا وأن ينحنوا أمامه ليملأهم بالحكمة والفهم والمعرفة، لكي **يقيموا خيمة اجتماع، لا بل هيكلاً سماويًا، مقام لا من ذهب وفضّة ونحاس وأرجوان الخ.، وإنّما من نفوس المؤمنين**. وكما يقول الرسول: "كونوا أنتم أيضًا مبنيين كحجارة حية بيتًا روحيًا كهنوتًا مقدسًا، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح" (١ بط ٢: ٥).

عمل الشمّاس المؤتمن على خدمة الموائد في الكنيسة، لا أن يقف عند إشباع احتياجاتهم الماديّة والنفسيّة والاجتماعيّة، بل أن يقيم من الفقراء والمحتاجين هيكل

الرب السماوي الذي يسكنه الثالوث القدّوس. لا يقف عمله أن يأخذ من عند أدام الرسل المال ويقدمه للمحتاجين، بل أن يغرف من غنى نعمة الله فيه ويسكب في القلوب بروح الله الساكن فيه، وبالسيد المسيح نفسه، حكمة الله.

إن كان هذا هو عمل الشمّاس في خدمة الدياكونيّة، فماذا يكون عمل الكاهن أو الأسقف. فإنّه يليق به كملاك الرب، يحمل شركة في الطبيعة الإلهية، ويجلس مع الرسول بولس في السماويّات، أن يرتفع بقلوب المخدومين إلى السماء عينها، لتصير الكنيسة بحق "بيت الملائكة" كما نترنّم في التسبحة، قائلين: "السلام للكنيسة بيت الملائكة".

هذا هو العمل الجوهري ليس فقط لكل قائدٍ روحيٍ كنسيٍ، بل ولكل عضو في جسد المسيح، أن يحمل السمات السماويّة، لكي يجتذب كل نفس إلى السماء عينها.

لقد خدم الشمامسة الأرامل، وها هو العالم مليء بأرامل، نفوس فقدت عريسها السماوي، فصارت في حالة ترمّل روحي، من يقدر أن يخدمها إلا من يمتلئ بروح الله القدّوس، القادر وحده أن ينزع حالة الترمّل بتجلّي العريس، حكمة الله، وسكناه في النفس واتّحادها معه على مستوى أبديّ.

**"وأمّا نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة". [٤]**

يود الرسل ألا ينحرفوا عن غايتهم وهي تكريس كل حياتهم للعبادة والكرازة معًا، سواء العبادة الخاصة أو الكنسية (العامة). وقد وضع الرسل الصلاة أولاً، لأن بدونها لن تتم كرازة ما.

❖ إنه يليق بهم لا أن يمارسوا الأعمال فحسب، بل بكل طريقة يستمروا في ممارستها[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

يقدم لنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** دور الشعب ودور الرسل كما أيضًا دور الله في سيامة الشمامسة.

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 14.*

❖ لقد تكرسوا من (انفصلوا عن) الشعب، وقد قام الشعب باختيارهم وليس الرسل هم الذين يقودوهم. لاحظ كيف يتجنب الحديث عما هو زائد، إذ لم يخبر كيف تمت السيامة، بل سيموا بالصلاة، فإن هذا هو معنى وضع اليد (شرطونية) أو السيامة، توضع اليد على الشخص، لكن العمل كله هو عمل الله. يده هي التي تمس رأس المُسام، إن كان مؤهلاً لذلك[1].

❖ يقول القديس بطرس: أما نحن فنكرس أنفسنا للصلاة وخدمة الكلمة باستمرار. هكذا يظهر الرسل كمن يتوسلون في البداية والنهاية: "**نعطي أنفسنا بصورة مستمرة للصلاة**"، إذ يليق بهم بالفعل ليس ممارسة الصلاة حينما تحين الفرص (في مواعيد معينة) بل بصورة مستمرة ودائمة.

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

إذ يكرس الإنسان حياته للسيد المسيح يصير بكليته مطّوبًا، تصير نفسه وكل أعضاء جسمه مع قلبه وفكره وكل طاقاته مقدسة، تعمل لحساب ملكوت الله. هذا بالنسبة لكل مؤمن، فكم بالأكثر رسله وتلاميذه الذين ينالون مواهب خاصة بالخدمة، لهذا لا نعجب إن استخدم الرب أيادي الرسل في سيامة الشمامسة.

❖ الآن العيون مطوّبة (لو ١٠: ٢٣-٢٤). لكنني أظن أنه بالتبعية منطقيًا بقية الأعضاء الجسدية التي للقديسين مطوّبة أيضًا، كما جاء: "**طوبى للبطن الذي حملك، وللثديين اللذين أرضعتاك**" (لو ١١: ٢٧).

وكيف أن الأقدام... يُرحب بها هذه التي للذين يبشرون بالأخبار السارة (إش ٥٢: ٧؛ رو ١٠: ٧٢).

وطوبى للأيادي المرتفعة كذبيحة مسائية (مز ١٤١: ٢)، والتي ارتفاعها يعني نصرة إسرائيل وهزيمة عماليق (خر ١٧: ١١).

وطوبى للقلب الذي منه تفيض أنهار مياه تنبع لحياة أبدية (يو ٧: ٣٨).

وطوبى للركب المنحنية لاسم يسوع (في ٢: ١٠).

أيضًا طوبى للسان الذي يعترف أن يسوع المسيح رب المجد الله الآب (في

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 14.*

٢: ١١).

وطوبى للفم الذي يخدم كلمة الله (أع ٦: ٤).

وطوبى للأنف التي من أجلها يقال: نجرى وراءك لنشتم أطيابك[1].

**العلامة أوريجينوس**

❖ يعلم الروح القدس الإنسان أن يحفظ جسده كله - من الرأس إلى القدمين - في تناسق:

فيحفظ **العينين** لتنظرا بنقاوة.

ويحفظ **الأذنين** لتصغيا في سلام، أو تنصتا إلى الأمور الخاصة بالسلام دون أن تتلذذا بالأحاديث عن الآخرين والافتراءات وذم الغير.

ويحفظ **اللسان** لينطق بالصلاح فقط، معطيًا وزنًا لكل كلمة، فلا يسمح لشيءٍ دنسٍ أو شهوانيٍ أن يختلط بحديثه.

ويحفظ **اليدين** لتتحركا طبيعيًا فترتفعان للصلاة ولصنع الرحمة والكرم.

ويحفظ **المعدة** ليكون لها حدود مناسبة للأكل والشراب، وذلك حسب القدر الكافي لقوت الجسد، فلا يترك الشهوة أو النهم ينحرفا بها فتتعدى حدودها.

ويحفظ **القدمين** ليسلكا ببر حسب إرادة اللّه، بهدف القيام بالأعمال الصالحة.

بهذا يكون **الجسد كله** قد اعتاد على كل عمل صالح، وصار خاضعًا لسلطان الروح القدس، فيتغير شيئًا فشيئًا حتى يشارك - إلى حد ما - في النهاية في صفات الجسد الروحي الذي يناله في القيامة العادلة[2].

**القديس أنطونيوس الكبير**

## ٢. انتخاب سبعة شمامسة

**"فحسن هذا القول أمام كل الجمهور،**

**فاختاروا استفانوس رجلاً مملوءًا من الإيمان والروح القدس،**

**وفيلبس وبروخورس ونيكانور وتيمون وبرميناس**

---

[1] *Fragment 165 on Luke 10:23-24.*

[2] رسالة ١.

**ونيقولاوس دخيلاً أنطاكيا". [٥]**

❖ ما هي درجة هؤلاء السبعة ومقامهم؟ وما هي وظيفتهم رسميًا التي قبلوها من الرسل؟ هذا ما نريد أن نعرفه؟ هل كانوا شمامسة؟ لكن هذا اللقب لم يكن موجودًا بعد في الكنيسة. هل تُحسب خدمتهم ما يخص الكهنة؟ ولكن حتى ذلك الوقت لم يكن يوجد أساقفة بل رسل فقط. إذا بحسب ظني فإنه واضح أنهم لم يكونوا شمامسة ولا كهنة بحسب درجتهم، لكنهم سيموا وعينوا لهذه الخدمة الخاصة فقط، أي خدمة حاجات الكنيسة، ولم تُسلم لهم هذه المهمة إلا بعد إقامة صلوات رسمية في الكنيسة، لأن الرسل صلوا عليهم حتى ينالوا قوة.

❖ لم يكونوا فقط مجرد رجال روحيين بل كانوا "**مملوئين من الروح القدس وحكمة**"، لأن خدمتهم تحتاج إلى مستوى عالٍ من التصرف بتعقل حتى يتحملوا شكاوى الأرامل. لأنه ما الفائدة أن يكون الخادم رجلاً أمينًا لا يسرق ومن ناحية أخرى يبدد الأموال أو يتعامل بفظاظة ويسهل إثارته؟

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

قدم لنا الإنجيلي لوقا قائمة بأسماء الشمامسة، فبدأ بالقديس استفانوس الذي بحسب التقليد الكنسي رئيس الشمامسة وأول الشهداء، وقد قدم لنا القديس لوقا صورة حية، لا عن خدمته للموائد، بل عن شهادته النارية لإنجيل المسيح أمام المجامع وأمام مجمع السنهدرين.

اسم "**استفانوس**" يوناني معناه "إكليل من زهور"، ويرجح أنه يهودي ثقافته يونانية. نترك الحديث عنه إلي تكملة هذا الأصحاح والأصحاح التالي.

والثاني في القائمة **فيلبس**، وهو اسم يوناني معناه "محب للخيل"، وهو غير فيلبس أحد الرسل الاثني عشر (مت ١٠: ٣). دُعي القديس فيلبس الشمامسة بالمبشر، كرز بالإنجيل في السامرة بنجاح عظيم (أع ٨: ١-٨؛ ٢١: ٨). آمن علي يديه سيمون الساحر (أع ٨: ٩-٢٥). وقاده الروح إلي الطريق المنحدرة من أورشليم نحو غزة فالتقي بالخصي الأثيوبي وزير لكنداكة، بشره وعمده (أع ٨: ٢٦-٣٩). ثم خطفه

الروح وانطلق به إلي أشدود، وكان في طريقه يبشر جميع المدن حتى جاء إلي قيصرية (أع ٨: ٣٩-٤٠). وبعد سنوات استضاف القديس بولس وهو في طريقه إلي روما. وكان له أربع بنات عذارى يتنبأن (أع ٢١: ٨-٩). سيم أسقفًا علي ترالس.

أما الأخير في قائمة الرسل فهو **نيقولاوس**. اسم يوناني معناه "المنتصر علي الشعب".

يرى البعض مثل **القديسين ايريناؤس وأبيفانيوس** أن **بدعة النيقولاويين** (رؤ ٢: ٦، ١٥) تنسب إلى الشماس نيقولاوس:

١. يقول **القديس ايريناؤس**[1] [النيقولاويون هم أتباع نيقولا أحد الشمامسة السبع (أع ٦:٥)، وهؤلاء يسلكون في الملذات بلا ضابط ويعلمون بأمور مختلفة كإباحة الزنا وأكل المذبوح للأوثان.]

٢. يرى **القديسان إكليمنضس الإسكندري وأغسطينوس** نيقولاوس من البدعة وينسبانها لأتباعه. ويعلل البعض نسبة هذه الهرطقة إليه ترجع إلي تأويل كلماته، فقد قال بأن الذين لهم زوجات كأنه ليس لهم، أي يحيا مع زوجته بالروح ينشغلان بالأكثر بخلاصهما ونموهما الروحي والشهادة لإنجيل الخلاص. لكن بعض أتباعه قاموا بتأويل كلمته، ظانين أنه نادى بأن من له زوجة فليهجرها ويصير كمن بلا زوجة، ويسمح إن تكون مشاعًا.

٣. يرى **العلامة ترتليان والقديس جيروم** أنه لما أختير للشموسية امتنع عن الاتصال بزوجته، وبسبب جمالها عاد إليها. ولما وبَّخوه على ذلك انحرف في البدعة إذ أباح الزنا. جاء رد الفعل في كتابات **العلامة ترتليان** حيث قال: "كل الأشياء مشترك بيننا فيما عدا زوجتنا"[2] *Omnia indiscreta apud nos praeter upores.*

❖ نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة، والذي في فسقه لم يعرف الراحة ليلاً أو نهارًا،

---

[1] *St. Iraenaeus: Against Heresies, 26:2.*

راجع أيضًا أقوال الأب هيبوليتس في رده على الهرطقات.

[1] *Apology, ch. 39.*

انغمس في أحلامه الدنسة[1].

**القديس جيروم**

٤. يرى آخرون أنه كان يغير على زوجته جدًا بسبب جمالها، فلما ذمَّه البعض بسبب شدة تعلقه بها أراد أن يظهر العكس فأباح لمن يريد أن يأخذها، فسقط في هذه البدعة.

لا تسقط مسؤليته انحراف نيقولاوس على الرسل القديسين. في رسالة وجهها القديس جيروم إلى الشماس سابينيانوس Sabinianus يدعوه إلى التوبة وألا يتكل على أن الذي سامه أنه أسقف قديس:

❖ أتوسل إليك أن ترحم نفسك.

تذكر أن حكم الله سيحل عليك يومًا ما.

تذكر أي أسقف هذا الذي سامك. لقد أخطأ هذا القديس في اختياره لك، لكنه سيكون بريئًا (ربما لأنه ندم على سيامته)، والله نفسه ندم أنه سمح شاول ملكًا (١ صم ١٥: ١١).

وُجد حتى بين الاثنى عشر رسولاً يهوذا خائنًا. ووُجد نيقولاوس الأنطاكي شماسًا مثلك (أع ٦: ٥)، نشر الهرطقة النيقولاوية وكل وسيلة للدنس (رؤ ٢: ٦، ١٥)[2].

**القديس جيروم**

يلاحظ أن السبعة يحملون أسماء يونانية، ولعلهم أقيموا لخدمة المتذمرين من اليونانيين بشيء من التعاطف معهم، ولم يكن من بينهم شخص واحد يهودي بالمولد.

لقد كان الاثنا عشر تلميذًا عبرانيين، لذلك اُختير السبعة من اليونانيين لتحقيق شيء من المساواة والشعور بالتزام الكل بالعمل.

واضح أن عمل السبعة لم يدم كثيرًا، فقد استشهد استفانوس ثم حدث ضيق شديد على الكنيسة، وتشتت الشعب خارج أورشليم يكرزون بالكلمة، بينما بقي الرسل

---

[1] *Dialogue Against Luciferiaus, 23.*
[2] *Letter 147 to Sabinianus,4.*

في أورشليم.

"الذين أقاموهم أمام الرسل،

فصلوا ووضعوا عليهم الأيادي". [٦]

صلى الرسل من أجل هؤلاء المختارين لكي يتأهلوا بالروح القدس للعمل المنوط إليهم، ويكونوا ناجحين فيه حسب فكر الله، وليس حسب الفكر البشري. وإذ صلوا وضعوا الأيادي عليهم، أي تحققت السيامة بالصلاة مع وضع اليد.

"وضع اليد (الشرطونية)": يدعى "سميخا Semukhah"، ربما تعني "المختار" من أصل عبري. في طقس الذبائح كان الخاطي يضع يده على رأس الذبيحة قبل أن تُذبح لتنتقل خطاياه إلى الذبيحة. وفي سرّ الاعتراف يضع الكاهن يده على رأس الخاطئ ليقدم له البركة وعمل الروح القدس خلال يد المسيح نفسه. وعندما التقى القديس بولس بوالد بوبليوس المُصاب بالحمى "صلى ووضع يديه عليه فشفاه". (أع ٢٨: ٨)

يرى القديس يوحنا ذهبي الفم أن وضع اليد هنا لكي يعمل رأس الكنيسة المجيد فيهم، ويفيض عليهم بمواهب الروح القدس لتحقيق رسالتهم.

❖ كل المعجزات التي صنعوها، صنعها هو فيهم، وكانت "يد الرب معهم" (أع ١١: ٢١)[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وكانت كلمة الله تنمو،

وعدد التلاميذ يتكاثر جدًا في أورشليم،

وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان". [٧]

يا لها من صورة رائعة لصلاح الفائق الذي يحول الضيقات الخارجية والمتاعب الداخلية لنمو الكنيسة وبنيانها المستمر. فتذمر اليونانيين علي العبرانيين لم يحطم نفسية الرسل ولا دفعهم للانشغال بحل المشكلة علي حساب التفرغ للصلاة وكلمة

---

[1] *Homilies on St. John , hom. 74:2.*

الله، بل دفعهم لسيامة الشمامسة السبعة وهذا بدوره أعطي الفرصة لنمو الكنيسة.

هذا هو صلاح الله العامل في حياتنا ليحول المرارة إلي عذوبة والجفاء إلي حلاوة.

أما من جانبنا فإذ يملك الحب والحكمة مع الإخلاص والهدف الواضح علي حياتنا لا تستطيع المشاكل والعقبات أن تعثر طريقنا، ولا أن تؤذينا، بل تتحول إلي تمتع بخيراتٍ رائعةٍ، وتلامس مع عمل الله الفائق.

هذا ولا نقدر أن نتجاهل هذا المجتمع الكنسي الروحي الذي حوَّل تذمر اليونانيين علي العبرانيين، لا إلي تمسك كل فريق بوجهة نظره، بل إلي العمل الروحي الجاد والحكيم فاختار المسيحيون اليهود الشمامسة من فريق اليونانيين لأجل راحتهم، ولكن ليس علي حساب الخدمة إذ اختاروا قامات روحية عالية. هكذا تبقي هذه المشكلة الواردة في هذا الأصحاح وطريق علاجها مثلاً حيًا لكيفية علاج المشاكل الكنسية بروح الحب والحكمة والحق.

قدم القديس لوقا هذه الوقفة بعد سيامة السبعة، ليوضح أن هذه السيامة أعطت فرصة للإثني عشر للعمل الكرازي المرتبط بالصلاة، دون الانشغال بالأمور المالية والإدارية مما أعطي الكنيسة نموًا متزايدًا. وقد انجذبت جماعات عظيمة من كهنة اليهود للإيمان المسيحي بروح الخضوع والطاعة.

هكذا خلال عمل الروح القدس نجح التلاميذ في غزو قلب الهيكل نفسه حيث دخلوا إلى قلوب الكهنة ليقيم الروح مملكة المسيح فيها. قبول كثير من الكهنة الإيمان المسيحي يكشف عن قوة الإنجيل وقدرته على جذب النفوس حتى المقاومة له. فهو قادر أن يخضع النفوس لطاعة الإيمان. لم يشغل الكهنة الجادون في البحث عن خلاصهم مراكزهم ككهنة لهم تقديرهم في الأوساط اليهودية، مفضلين أن يكونوا من عامة الشعب المسيحي البسيط مع تمتعهم بغنى نعمة الله عن ممارستهم للأعمال الكهنوتية وتمتعهم بالكرامة الزمنية.

❖ في أورشليم تزايد الشعب، يا للدهشة حيث قُتل يسوع هناك تزايدت الكرازة...

يليق بي الإشارة إلى الملاحظة تحت أية ظروف تزايد الشعب: بعد المحاكمات تزايد الشعب وليس قبلها. لاحظوا كم هي عظمة رحمة الله[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ لنتمثل به أيضًا، فقد قبل (صالبيه) ولم يرفضهم. هكذا لنسأل من أجل أعدائنا الذين صنعوا معنا شرورًا كثيرة. كل ما نناله من خيرات لنهبه لهم؛ ليتنا لا نتجاهلهم في أعمال احساناتنا. فإنه يليق بنا باحتمالنا للشر أن نهدئ سخطهم، وبالأكثر إذ نصنع معهم خيرًا... هذه هي كرامة تلاميذ المسيح.

أتوسل إليكم أن تقتدوا بالمسيح في هذا الأمر (محبته لصالبيه)، فإنه يمكننا أن نتمثل به. هذا يجعل الإنسان متشبهًا بالله، إنه أمر يفوق البشرية.

لنتمسك بالرحمة، فهي المربية والمعلم لهذه الحكمة العلوية[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

يحذر **القديس** إكليمنضس السكندري رجال الكهنوت، أساقفة أو كهنة أو شمامسة من الاتكال على سيامتهم ونوالهم درجات كهنوتية كمصدرٍ لتبرير أنفسهم.

❖ مثل هذا يكون بالحقيقة كاهن الكنيسة أنه خادم حقيقي لإرادة الله، إن كان يعمل ويعلم ما هو للرب، ليس لأنه سيم من الناس، ولا يحسب بارًا لأنه كاهن بل يُدرج في القسيسية لأنه بار. ومع أنه هنا على الأرض لا يُكرم بكرسي للرئاسة، فسيجلس على الأربعة وعشرين عرشًا يدين الناس كما قال يوحنا في الرؤيا[3].

**القديس إكليمنضس السكندري**

**لا يفوتنا هنا أن انتشار الكلمة وتكاثر عدد المؤمنين جدًا لم يقم علي صنع الآيات والعجائب، وإنما علي تمتع الكنيسة بروح الحب والحكمة والتقدير المتبادل، ليس فقط بين العبرانيين واليونانيين، بل وبين الرسل والشعب أيضًا. فليس من مجالٍ لعمل نعمة الله في حياة المؤمن كما في حياة الكنيسة مثل مجال الحب المتبادل والمشترك بين**

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 14.*
[2] *Hom. on Acts, hom. 14.*
[3] *Stromata 6:13.*

كل الأعضاء.

**"وأمّا استفانوس، فإذ كان مملوءًا إيمانًا وقوة،**
**كان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب". [٨]**

**"كان مملوء إيمانًا"**، أي كان مملوء بالثقة في وعود الله الصادقة. وإذ كان مملوءً إيمانًا، كان أيضًا مملوءً قوةً، لأن الإيمان هو تمتعنا بقوة الله العاملة فينا. فبالإيمان نبذل ذواتنا أو نخلي أنفسنا، ويحل المسيح فينا.

إذ استراح الروح القدس في استفانوس استخدمه بكل وسيلة لجذب النفوس للإيمان. لقد اُختير هذا العظيم في الشمامسة لخدمة الموائد، لكن بقي دوره الرئيسي في هذه الخدمة هو خلاص النفوس. وهبه الروح إيمانًا وقوة ليصنع آيات وعجائب عظيمة، فيصطاد النفوس إلى المائدة السماوية. وكما سنرى أن القديس فيلبس الشماس والمبشر شارك القديس استفانوس ذات الروح، حيث كان مهتمًا بخلاص الكثيرين.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن استفانوس تخصّص في خدمة الكلمة بينما خصّص بعض زملائه في خدمة الأرامل والمحتاجين، وذلك لتنوّع المواهب[١].

❖ تطلعوا، إنه بيد السبعة وُجد من هو الأسمى، وقد نال المكافأة الأولى. فمع أن السيامة له ولغيره عامة، لكنه اقتنى لنفسه نعمة أعظم. ولتلاحظوا أنه لم يصنع آيات وعجائب قبل ذلك، وإنما فقط عندما عُرف علنًا، ليظهر أن النعمة وحدها لا تكفي إنما تلزم أيضًا السيامة لكي ما يكون النمو في الروح إلى حد أبعد[٢].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

## ٣. خدمة رئيس الشمامسة

**"نهض قوم من المجمع الذي يقال له مجمع الليبرتينيّين،**
**والقيراوانيّين والإسكندريين ومِن الذين من كيليكية وآسيا،**
**يحاورون استفانوس". [٩]**

---

[1] *Hom. On Romans, hom.2.*
[2] *Hom. on Acts, hom. 15.*

لا نعجب أن الذين بدأوا بالثورة ضد استفانوس هم اليهود اليونانيين أو الذين لهم ثقافة يونانية، قاموا بعد ذلك بإثارة مجمع السنهدرين عليه. فقد كان استفانوس عضوًا في إحدى هذه المجامع، والآن لم يصر الآن مؤمنًا فحسب، بل وقائدًا عاملاً لحساب كنيسة المسيح، فلم يحتملوا هذا. ولعل القديس استفانوس كصاحب ثقافة يونانية قد بدأ يلتقي ببعض الأشخاص من هذه المجامع، بحكم ثقافته وصداقته القديمة وعضويته، مما أثار المجامع فالتقي قوم من كل مجمع معًا واتحدوا لمحاورة القديس

مجمع هنا بالعبرية *beth-keneseth* أي بيت الكنيسة أو بيت الاجتماع، وبالآرامية ***kenishta*** أو الكنيسة بكونها موضع الاجتماع للعبادة المحلية ماعدا تقديم الذبائح، إذ تقتصر العبادة فيه على قراءة التوارة وشرحه والتعليم، وقد صار هذا نواة لكنيسة العهد الجديد التي ورثت عنه حتى الاسم.

توجد أراء متباينة عن كلمة الليبرتيين، أهمها:

١. كلمة لاتينية ربما تعني "إنسان نال حرية Freedman، أي عُتق من العبودية. يرى كثيرون أنهم كانوا مُستعبدين من أصل روماني وتحرروا، وصاروا دخلاء في الدين اليهودي، صار لهم مجمع في أورشليم. يذكر تاكيتوس[1] Tacitus أنه وُجد كثيرون في روما حالهم هكذا. يقول أن ٤٠٠٠ دخيلاً يهوديًا هم عبيد رومانيون تحرروا وأرسلوا دفعة واحدة إلى ساردينيا Sardinia.

٢. كانوا يهودًا بالميلاد، أسرهم الرومان، وبعد ذلك حرروهم، ولهذا دعوا الليبرتينين، وبلاشك كان كثير من اليهود هذا حالهم. فعندما اخضع بومباي اليهودية أرسل أعدادًا ضخمة من اليهود إلى روما[2]. هؤلاء نالوا حرية واختاروا مكانًا وراء التيبر ليقيموا معًا فيه. أيضا كثير من اليهود أرسلهم بطليموس الأول Ptolemy I إلى مصر وأقاموا هناك.

٣. أن هذا الاسم أُخذ عن موضع معين له هذا الاسم، ويبرر أصحاب هذا الرأي أن بقية المجامع المذكورة في نفس العبارة تُنسب لأسماء مدن معينة مثل قيروان

---

[1] *Ann, lib. 2:2:85*

[2] *Philo: In Legat at Caium.*

والإسكندرية وكيليكية الخ. وقد جاء في إحدى كتابات الآباء: "فيكتور أسقف الكنيسة الجامعة في ليبرتينا Libertina ، وهي مدينة ليست ببعيدة عن قرطاجنة القديمة بشمال غرب أفريقيا.

بدأ ظهور هذه المجامع منذ السبى البابلى حتى لا يُحرم الشعب من قراءة التوارة والاستماع إليه، وإلى تفسيره، كما إلى التعليم. انتشرت المجامع في البلاد، وقد جاء في التلمود أن عدد هده المجامع في أورشليم وحدها بلغ ٤٨٠ مجمعًا وذلك قبيل هدم الهيكل وإخلاء أورشليم. كانت المجامع تُدعى حسب أسماء البلاد التي كون فيها اليهود رابطة، وكانوا يعبدون باللغة التي يتكلمون بها.

كان **مجمع الليبرتينيين** من أكبر المجامع وأهمها، وكانت العبادة فيه باللغة اللاتينية. أما **مجمع القيراوانيين** فيضم القادمين من قيروان بليبيا.

يرى البعض أن استفانوس كان عضوًا **في مجمع الإسكندريين** بسبب الحكمة التي وُصف بها، مثله مثل أبلوس اليهودي السكندري الجنس. يقول يوسيفوس[1] أن الاسكندر الأكبر نفسه خصص حيًا بالإسكندرية لليهود، ووهبهم ذات الامتيازات التي لليونانيين. ويؤكد فيلون أنه من بين خمسة أحياء بالإسكندرية كان اثنان منهما مخصصان لليهود، بهذا يكون عدد اليهود في مصر لا يقل عن مليون نسمة.

كانت كيليكية مقاطعة بآسيا الصغرى على ساحل البحر، شمال قبرص، عاصمتها طرسوس. وكان شاول عضوًا في **المجمع الخاص بالقادمين من كيليكيا**، إذ جاء من طرسوس عاصمة كيليكيا. وربما كان شاول المحاور الأول لاستفانوس (أع ٧: ٥٨).

كلمة "**يحاور**" هنا لا تشير إلى جدالٍ مثيرٍ بغضبٍ إنما إلى حوار وبحث عن الحقيقة. كان موضوع الحوار: هل يسوع هو المسيح المنتظر؟ ربما تحول هذا الحوار الودي إلى عنف من جانب المجامع حيث أفحمهم استفانوس.

استثار استفانوس بحواره المملوء قوة وحكمة هذه المجامع جميعها، وأفحمهم

[1] *Antiq. 12:7,2; Against Apion 2:4.*

إذ أراد لهم أن يستنيروا بالروح، ويدركوا حقيقة الإيمان بالسيد المسيح.

**"ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به". [١٠]**

كان حديثه مملوء نعمة وحكمة بالروح القدس، لذا لم يكونوا قادرين علي المقاومة. إن سأل ليس لديهم إجابة، وإن سألوا وجدوا في إجابته روح الحق الذي لا يُقاوم. فمع رفضهم للإيمان شعروا بالضعف والهزيمة. كانوا يظنون بتحالفهم معًا وقدراتهم ومواهبهم ومعرفتهم أنهم قادرون علي الغلبة عليه، ولم يدركوا أنهم لا يحاورون استفانوس بشخصه، بل روح الله فيه، فليس من تعادل بين الكفتين أو الطرفين.

كلمة "الروح" هنا تشير إلى القوة أو الطاقة أو الغيرة والحماس الذي اتسم به استفانوس.

إذ كان استفانوس يهوديًا تربي خارج اليهودية، وتثقف باليونانية فكان فيلسوفًا مملوء حكمة. تقدست هذه الحكمة بقوة الروح القدس، فصار قوي الحجة ومملوء نعمة، مع هدوء الروح وصنع العجائب والآيات العظيمة. لهذا لم تستطع هذه المجامع أن تقاوم الحكمة والروح الذي كان يتكلم به.

## ٤. استفانوس أمام المجمع

**"حينئذ دسّوا رجال يقولون:**

**إننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله". [١١]**

أدركوا ما لكرازة القديس استفانوس من خطورة علي الناموس، حيث كان يهيئ المؤمنين للتحرر من حرف الناموس وممارسته روحيًا. هذا في نظرهم يُحسب تجديفًا علي الناموس، متطلعين أنه حتمًا ستنتهي الطقوس الناموسية في حرفيتها.

أما اتهامهم له بالتجديف علي الله، فيقوم علي كرازته بشخص يسوع المصلوب أنه كلمة الله الواحد والمساوي مع الله الآب. هذا في نظرهم تجديف.

**"وهيّجوا الشعب والشيوخ والكتبة،**

**فقاموا وخطفوه،**

**وأتوا به إلى المجمع". [١٢]**

عندما كان اليهود يشعرون بالعجز عن مقاومة الحق يلجأون إلى دس شهود زور يدعون أن المتكلم يجدف على موسى أو الناموس وعلى الله والهيكل لكي يُحكم عليه بالقطع من شعب الله (عد ١٥: ٣٠-١)، ويستوجب الرجم.

أتهم السيد المسيح نفسه بالتجديف، وها هو استفانوس، وأيضًا بولس الرسول (أع ١: ٢٧-٢٨).

**لماذا ثاروا على استفانوس دون الرسل؟**

١. يظن البعض إنهم استخفوا بالرسل كجليليين أميين، فكانوا يحسبون أنهم أعظم من أن يدخلوا في حوار معهم، أما استفانوس فكان شخصًا متعلمًا.

٢. يرى آخرون أنهم كانوا يخشون الرسل خاصة بعدما حدث مع حنانيا وسفيرة، وأيضًا أخرجهم ملاك الرب من السجن.

٣. يرى فريق ثالث أن الرسل اهتموا بنشر كلمة الخلاص في بساطة، وانتدبوا استفانوس كرجلٍ متعلمٍ للدخول في الحوار مع المقاومة، فهو يجيد ذلك، خاصة وأن البعض يدعى بأنه تتلمذ عند قدمي غمالائيل مثل شاول الطرسوسي، له القدرة على الجدال بنفس أسلوبهم.

٤. كان الرسل يتحدثون عن موسى والناموس والهيكل بكل وقارٍ، وكانوا يشتركون مع اليهود في عبادتهم داخل الهيكل وفي أعيادهم، دون تقديم ذبائح دموية. لهذا كان الشعب يكرمهم، ووجدوا "نعمة لدي جميع الشعب" (أع ٢: ٤٧). كان لا بد من ظهور استفانوس في أورشليم ليعلن بقوة الروح الانطلاق من الحرف القاتل والمفاهيم اليهودية الضيقة حتى تجتاز كنيسة العهد الجديد الانطلاق تدريجيًا إلى الحرية التي لأولاد الله، ولكي ينفتح باب الإيمان أمام الأمم، فلا يلتزموا بنير الناموس. وكما قال رسول الختان في مجمع أورشليم الأول: "فالآن لماذا تجربون الله بوضع نيرٍ على عنق التلاميذ، لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله؟ (أع ١٥: ١٠)

لعل الرسول بطرس كان يصارع بين التزامه بالخضوع لنير الناموس حتى يكسب اليهود للإيمان وبين رغبته في التحرر منه ليكسب الأمم. وكما كتب الرسول بولس: "ولكن لما أتى بطرس إلى إنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملومًا. لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب (كنيسة أورشليم) كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر نفسه خائفًا من الذين هم من أهل الختان ورأى معه باقي اليهود أيضًا". (غل ٢: ١١-١٣)

**"وأقاموا شهودًا كذبة يقولون:**
**هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم كلامًا تجديفًا،**
**ضد هذا الموضع المقدس والناموس". [١٣]**

ليس من وسيلة لرجم استفانوس سوى إثارة الشعب بأنه يهدد بدمار الهيكل، رمز الأمة كلها ومجدها والمعبر عن تراث الشعب منذ خروجهم من مصر. إنه إحدى عجائب الدنيا، وهو في نظرهم أقدس موضع في العالم كله، يمثل السماء عينها.

جاء خطاب استفانوس يشهد لمجد الله وعمله في حياة أب الآباء إبراهيم وموسى النبي، وفيه تكريم للهيكل الذي التمس داود النبي والملك أن يبنيه، فبناه ابنه سليمان، هذا احتالوا ضده بشهود زور للخلاص منه.

ثار الشعب على هيكلهم ومعهم الشيوخ كرؤساء والكتبة كمسئولين عن حفظ التراث في حرفية جامدة. شعر الكل أن وجود استفانوس يمثل دمارًا للأمة بهيكلها وتراثها.

لم يدرك هؤلاء الحرفيون الحق، ولا تلامسوا مع قوة الروح، ليروا أن ما يكرز به استفانوس هو غاية موسى والناموس، وأن ما يُقام في داخل النفس هو هيكل الروح القدس، وأن الصليب قد تمم ما كانت تهدف إليه الذبائح الحيوانية في رمزٍ مؤقتٍ، وأن العماد هو ختان الروح والقلب لا الجسد، وأن حضور المسيح وسط كنيسته هو العيد غير المنقطع.

**"لأننا سمعناه يقول:**

**إن يسوع الناصري هذا سينقض هذا الموضع،**
**ويغيّر العوائد التي سلمنا إيّاها موسى". [١٤]**

جاء الاتهام خطيرًا، لأنه يحمل جزءً من الصحة وجزء من المغالطة، بهذا يكون الدفاع صعبًا. سبق أن وُجه ذات الاتهام للسيد المسيح أثناء محاكمته فلم يجب (مر ١٤: ٥٦-٦٠)، ليس عجزًا عن الرد، ولكن لأنه اتهام مزيف، إذ لم يقل السيد أنه ينقض الهيكل، بل قال: "انقضوا (أنتم)". فإنه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمله، وما جاء لينقض الهيكل، بل إذ ينقضوه بالحكم عليه بالموت (ينقضوا هيكل جسده) يقيمه بسلطانه الإلهي.

حقًا، لقد أعلن حتى عن خراب الهيكل، وأنه لا يبقى حجر على حجر، لكنه لم يقل أنه هو الذي يقوم بتدميره، إنما إذ يرفضوا الإيمان به يصير بيتهم خرابًا.

❖ هنا نجد شعبًا كثيرًا. لاحظوا الفرق في شكل الاتهام الموجه ضده، فحيث أوقفهم غمالائيل عن إيجاد خطأ في المحاكمة السابقة قدموا اتهامًا آخر[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فشخص إليه جميع الجالسين في المجمع،**
**ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك". [١٥]**

إذ ركز استفانوس على شخص السيد المسيح، ولم يعط بالاً لمقاومة الأشرار، انعكس بهاء السيد عليه، فصار وجهه كأنه وجه ملاك. عندما نزل موسى من جبل سيناء صار وجهه يلمع حتى خشي بنو إسرائيل من الاقتراب منه (خر ٣٤: ٢٩-٣٠؛ ٢ كو ٣: ٧، ١٣). فالمؤمن الجاد في حياته الروحية، إذ يتمتع بنعمةٍ فوق نعمةٍ، وإذ يحمل ثمر الروح من محبة وفرح وسلام الخ. تحمل ملامحه صورة حية لهدوء الروح فيه، فيترنم مع الرسول: "أجلسنا مع في السماوات في المسيح يسوع" (أف ٢: ٦).

شهد استفانوس بسيرته كما بكلماته، وأخيرًا بإشراق مجد الرب عليه. وكما يقول القديس بولس: "ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغير إلى تلك

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 15.*

الصورة عينها" (٢ كو ٣: ١٨).

لقد شاهد كل الحاضرين بما فيهم رئيس الكهنة ومن معه هذا المنظر الرائع، لكن انطمست عيون قلوبهم عن رؤية الحق، وأفسدت محبة المجد الباطل والمال بصيرتهم، فصار وجه استفانوس المشرق شاهدًا عليهم!

يرى **القديس جيروم** أن بهاء وجه استفانوس هو نوع من عربون المجد الأبدي الذي ينمو فيه المؤمن هنا فيتمتع بمجد فمجدٍ (٢ كو ٣: ١٨).

❖ هذا يشير إلى المجد الذي يعلن عندئذ (١ بط ٥: ١) لقديسيه، كما نقرأ في موضع آخر الكلمات: "من مجدٍ إلى مجدٍ" (٢ كو ٣: ١٨)، هذا المجد الذي يتمتع به القديسون في هذا العالم كعربونٍ ونصيبٍ بسيطٍ.

على رأس القديسين موسى الذي كان وجهه يشرق جدًا كبهاء الشمس (خر ٣٤: ٢٠ الخ.، ٢ كو ٣: ٧)، يليه إيليا الذي أُختطف إلى السماء في مركبة نارية (٢ مل ٢: ١١)، ولم يؤثر فيه اللهيب.

أيضًا استفانوس عندما رُجم كان وجهه كوجه ملاك يتطلع إليه الكل (أع ٦: ١٥)[1].

**القديس جيروم**

إذ وُجه إليه الاتهام أنه يجدف على الناموس والعوائد التي استلموها من موسى، وهم يعتزون بموسى الذي كان جلد وجهه يلمع كما جاء في سفر الخروج (خر ٣٤: ٣٥) علامة نعمة الله الحالة عليه، فإن الله نفسه الذي وهب موسى هذه النعمة قدمها لاستفانوس إذ تطلعوا إلى وجهه فرأوه مشرقًا كوجه ملاك، لو أنه يجدف على موسى لما وهبه الله ذات العطية.

❖ نعم توجد وجوه مُنعمة تمامًا بنعمة روحية، بهجة للذين يحبونها، ومرهبة لمبغضيها ولأعدائها[2].

---

[1] *St. Jerome: Letter 58 to Paulinus of Nola, 1.*
[2] *Hom. on Acts, hom. 15.*

❖ أُتهم هذا الرجل باطلاً لذلك صارت ملامحه تدافع عنه أمام الجميع[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

في حديثه عن الجسد المُقام يقول العلامة ترتليان[2] أن تغيير الشيء لا يعني هلاك كيانه، وذلك مثل وجه موسى الذي كان يضيء (خر ٣٤: ٢٩، ٣٥)، فقد بقي وجه موسى كما هو بالرغم من بهائه وعدم قدرة أحد على رؤيته. هكذا صار أيضًا مظهر استفانوس كملاكٍ بالرغم من كونه هو كما هو، فقد سقط استفانوس تحت الرجم.

هكذا قدم القديس استفانوس بملامحه السماوية فكرًا أنجيليًا كنسيًا لشاول، إذ كرز له بالحق إن الإيمان بالسيد المسيح دعوة صادقة للتمتع بالحياة الملوكية السماوية. هذا الدرس صار خطًا رئيسيًا في حياة الرسول بولس وكتاباته، تلمسه من وراء السطور.

❖ أريدكم أن تحفظوا أذهانكم في هذه الأمور على الدوام (كو٣:١). **فإن اهتمامنا بها يحررنا من الأرض وينقلنا إلى السماء**[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ لا دخول إلى ذلك البلد (بلد نور الأنوار وعالم أبد الآبدين) لمن لم يختبره منذ الآن.

فلا يقدر أن يرتاد ذاك البلد من لم يرتاده من هنا، إذ تعاني عين بصيرته من الغشاوة حينذاك بأشعة نور الغمام الخارج من هناك ليتنعم به، فإنه حالما تغرب عن عينه شمس العالم، يقسّم ميراثه ويرحل لملاقاة الشمس العظيمة، نور العوالم العلوية[4].

**الشيخ الروحاني (يوحنا الدّلياتي)**

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 15.*

[2] *On the Resurrection of the Flesh, 55.*

[3] *Baptismal Instructions, 7:14*

[4] الشيخ الروحاني: رسالة ٣:١. راجع ترجمة الأب سليم دكاش اليسوعي للناشر دار الشروق ببيروت، وكتاب الشيخ الروحاني، دار النشر القبطية عام ١٩٥٢ – عن مخطوط بدير المحرق).

## من وحي أعمال الرسل ٦

### قدس يا رب خدمة الموائد!

❖ عجيب أنت في حبك،
يا مشبع النفوس والأجساد.
لم ترد أن تصرف الجموع جائعة،
بل مددت يدك، ليقدم تلاميذك فيضًا من الطعام!
شبِعَ الكل، وبقيت كسر بفيضٍ زائدٍ.

❖ هوذا تلاميذك يحملون روحك،
وكنيستك تهتم باحتياجات أولادك!
تفرَّغ الرسل للصلاة وللكلمة،
وأقاموا شمامسة لخدمة الموائد!

❖ هب لكهنتك روح الأبوة الفائقة،
مع كرازة الكلمة يقدمون كرازة الحب العملي.
ومع شوقهم لخلاص كل نفس،
يشتاقون لبنيان كل إنسان روحيًا وجسديًا واجتماعيًا.

❖ هب لشعبك أيضًا روح الشهادة لإنجيلك.
مع محبتهم لسد احتياجات المعوزين،
لن يكفوا عن الصلاة والجهاد لخلاص العالم!
ليشهد كل مؤمن لإنجيلك المفرح،
ويشتهي بنيان العالم كله بروحك القدوس.

❖ يا للعجب! خدام الموائد مملؤون من الروح القدس والحكمة.
رئيس الشمامسة لن يفتر عن الشهادة لك.
بكل شجاعة دخل المجامع، ليحاورهم بالحب.

وقف أمام قوات الظلمة في شجاعة.
ملامح وجهه أبكمت ألسنة المتهمين له.
أشرق وجهه ببهاءٍ عجيبٍ.
رآه الجميع، وكأنه وجه ملاك!

❖ يا للعجب! قدم للجائعين طعامًا،
وقدم لغير المؤمنين كلمة الحق،
وقدم لرجال الظلمة نورًا سماويًا.

❖ لأتشبّه بشمامستك المملوئين بالروح والحكمة،
لأقتنيك يا حكمة الله،
فلا أعاني من مرارة الترمّل الداخلي.
بل أنعم دومًا بعرسٍ روحيٍ سماويٍ لا ينقطع!
ليكمل فرحي، إذ تجتذب الكثيرين إليك.
فلا توجد أرملة واحدة،
إذ يتحد الكل بك.
أنت وحدك تعمل فيّ وبي،
من أجل تمتّع البشريَّة بالعرس الأبدي!

# الإصحاح السابع

# خطاب استفانوس

جاء خطاب القديس استفانوس ليس دفاعًا عن نفسه، ولا عن الإيمان المسيحي، وإنما وجد الفرصة سانحة أن يقف أمام رئيس الكهنة وبعض الرؤساء والقيادات اليهودية ليقدم لهم دعوة كتابية صادقة للتمتع بالإيمان الحي. كان يتحدث معهم كتابيًا كما لو كان الكتاب المقدس مفتوحًا أمامه، ينطق بالروح القدس، ليعطي مفاهيم كتابية جديدة تخص شعب الله. بكونه يهوديًا هيلينيًا، اقتبس عبارات الكتاب المقدس من الترجمة السبعينية. خطابه كرازي من الدرجة الأولى.

وضع القديس استفانوس الأساس الروحي اللاهوتي الحي للمدافعين الكنسيين فيما بعد. فإن ما يشغل المدافع ليس الدفاع عن السيد المسيح وكنيسته، فالسيد قادر أن يدافع عن نفسه وعن كنيسته، لكنه يحمل قلبًا متسعًا ليكشف عن الحق الإنجيلي للمقاومين، فيقتنعوا معه بعمل الخلاص المجيد.

قدم القديس استفانوس عرضًا رائعًا للعهد القديم ككلٍ، ليبرز أن الإيمان بالسيد المسيح هو غاية الناموس والأنبياء وكل أسفار العهد القديم.

كان القديس يتكلم لا كمتهمٍ يدافع عن نفسه، بل كمن في مركز القوة، ليراجع الحاضرون أنفسهم ومفاهيمهم وقسوة قلوبهم وغرلة آذانهم، حتى لا يوجدوا بعد مقاومين للروح القدس كآبائهم (أع ٧: ٥١).

دعاهم أن يرتفعوا معه كما إلى السماء ليروا بمنظارٍ روحي الناموس والأنبياء والهيكل وكل طقوس العبادة، يرون في يسوع المسيح أصل التاريخ ومصدر الخلاص، فلا يكملوا مكيال آبائهم المقاومين للحق الإلهي.

إن كان هذا الخطاب موجه إلى القيادات اليهودية المملوءة حقدًا ضد رب المجد يسوع وكنيسته، فإنه كان أيضًا موجهًا بطريقة غير مباشرة للمؤمنين الذين من أصلٍ يهودي، وكانوا لا يزالوا عاجزين عن التحرر من حرف الناموس والطقوس

اليهودية. إنه خطاب ألقاه في آخر لحظات وجوده على الأرض ليصحح مسار كنيسة أهل الختان، إن صح التعبير، فلا تنشغل بحرف الناموس، ولا ترتبط بهيكل أورشليم.

| | |
|---|---|
| **١. ظهور إله المجد لإبراهيم في أرضٍ وثنية** | ١-١٠. |
| **٢. نزول يعقوب أب الأسباط إلى مصر** | ١١-١٩. |
| **٣. تربية موسى في قصر فرعون** | ٢٠-٢٩. |
| **٤. العليقة والأرض المقدسة** | ٣٠-٣٦. |
| **٥. مقاومة آبائهم لموسى** | ٣٧-٤٣. |
| **٦. خيمة الشهادة في البرية** | ٤٤-٤٥. |
| **٧. لا يسكن الله في مصنوعات الأيادي** | ٤٦-٥٠. |
| **٨. اضطهد آباؤهم الأنبياء ولم يحفظوا الناموس** | ٥١-٥٣. |
| **٩. السماء المفتوحة** | ٥٤-٥٦. |
| **١٠. استشهاد استفانوس** | ٥٧-٦٠. |

## ١. ظهور إله المجد لإبراهيم في أرضٍ وثنية

**"فقال رئيس الكهنة:**

**أترى هذه الأمور هكذا هي؟" [١]**

أظهر رئيس الكهنة نوعًا من استخدام العدالة إذ أعطى الفرصة للقدّيس استفانوس أن يدافع عن نفسه ويردّ على الاتّهامات الموجّهة ضدّه، ولعلّ رئيس الكهنة كان يتوقّع أن القدّيس يستغل الفرصة للرجوع عن أفكاره حتى لا يتعرّض للموت رجمًا.

سأل قيافا رئيس الكهنة كرئيس للمجمع بخصوص الاتهامات الموجهة إلى استفانوس، الخاصة بنقض الهيكل ومقاومة الناموس. ولعله كان يود أن يقتنص من فمه كلمة تبرر مجمع السنهدرين في محاكمته ليسوع وصدور الحكم بضرورة قتله. أراد أن يعطي للشعب فرصة ألا يثوروا على صلب يسوع ورجم استفانوس.

جاء سؤال رئيس الكهنة يعني: لقد سمعت الاتهامات الموجّهة ضدّك، فماذا تقول: مذنب أم غير مذنب؟ وقد قدّم القدّيس استفانوس دفاعًا مطوّلاً يتّسم بالآتي:

**أولاً:** جاءت إجابته موجّهة مباشرة إلى نقاط الاتّهامات بطريقة واضحة.

**ثانيًا:** كشف دفاعه عن استعداده الكتابي العميق وقدرته في الأسفار المقدّسة والتقليد اليهودي.

**ثالثًا:** أن ما يؤمن به ويكرز به إنّما هو امتداد حيّ وروحي لطريق الآباء، بل ولتاريخ الخلاص الذي يسير حسب خطّة الله المعلنة بواسطة الآباء والأنبياء.

**رابعًا:** إذ أراد الردّ على الاتّهامات استعرض القدّيس تاريخهم منذ البداية، مظهرًا عظمة حنوّ الله الفائق في علاقته بشعبه، وكيف قابل الشعب هذه المحبّة الإلهيَّة بجحودٍ وتذمّرٍ مستمرٍ عبر الأجيال، وأنّه قد امتلأ كأس شرّهم وفاض، فأسقطوا أنفسهم تحت ثمر عصيانهم وحرموا أنفسهم من مراحم الله.

**خامسًا:** أوضح خلال الأسفار المقدّسة أن كنيسة الله أو شعب الله لم يبدأ بالعبرانيّين ولا بأرض كنعان، بل كان له مؤمنون أمناء في مناطق أخرى، قبل بناء الهيكل، فليس بالأمر الغريب أن يطلب له شعبًا في العالم كلّه.

**"فقال أيها الرجال الإخوة والآباء، اسمعوا:**
**ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو في ما بين النهرين،**
**قبلما سكن في حاران". [٢]**

مع ما حملوه من كراهية وبغضة أظهر لهم استفانوس كل مودة، فتحدث معهم بأسلوبٍ فيه توقير واحترامٍ دون مداهنة، تحدث إليهم بكونه واحدًا منهم، فدعاهم **"إخوة وآباء"**.

جاء خطاب القديس استفانوس سردًا تاريخيًا بمفهوم لاهوتي عميق يحمل شهادة للسيد المسيح ولإنجيله، وليس دفاعًا عن نفسه. وقد قسم خطابه إلى ثلاث مراحل:

**المرحلة الأولى:** زمن الآباء البطاركة [٢-١٦].

**المرحلة الثانية:** زمن موسى والأنبياء [١٧: ٤٣].

**المرحلة الثالثة:** بين الخيمة والهيكل [٤٤-٥٠].

**أظهر في هذا العرض الحقائق التالية:**

**أولاً:** بارك الله آباءهم وهم لم يكونوا في فلسطين أو كنعان، وعلى رأسهم إبراهيم واسحق ويعقوب.

**ثانيًا:** لم يرتبط شعب إسرائيل خلال التاريخ بالعبادة في الهيكل حتى عصر سليمان.

**ثالثًا:** حتى عندما بُني الهيكل، فإن الهيكل لم يحفظ إسرائيل من عصيانه وتمرده على الله.

كأن استفانوس أراد تأكيد أنه يوجد ما هو أعظم من كنعان الأرضية، والهيكل في أورشليم، وهو التمتع بالمصالحة مع الله خلال المسيا الموعود به.

"**أيها الرجال الإخوة والآباء**": وجه حديثه إلى شيوخ الشعب كإخوة، والكهنة ورئيس الكهنة كآباء.

"**اسمعوا**": يتكلم بروح القوة، بكونه يعلن كلمة الله التي يجب الاستماع لها.

"**إله المجد**" دعا الله "**إله المجد**" ليؤكد أنه لن يجدف على الله كما ادعوا عليه.

بدأ بدعوة إبراهيم للخروج من أور الكلدانيين لكي يتكرس لله، ويتأهل لنوال الوعود الإلهية، ويصير أبا لرجال العهد القديم. "**وهو في ما بين النهرين، قبلما سكن في حاران**" وكأن الله يود أن يلتقي بالمؤمنين أينما وجدوا، فلم يظهر لإبراهيم في أورشليم ولا في خيمة الاجتماع أو الهيكل، وإنما في ما بين النهرين، في أور الكلدانيين (تك ١٥: ٧؛ نح ٩: ٧، تك ١١: ٣١-٣٢).

هنا يدعو الله "**إله المجد**"، فإن كان وجه موسى قد صار لامعًا بانعكاس مجد الله عليه، فإن إله المجد أشرق على إبراهيم أب الآباء، قبل استلام الناموس، في أرض وثنية، "**ما بين النهرين**"، إن صح التعبير. أشرق بمجده على إبراهيم، كما على وجه موسى مستلم الناموس، وها هو مشرق على استفانوس نفسه في عهد النعمة. الله هو هو أمس واليوم وإلى الأبد، يشتهي أن يُشرق بمجده في كل العصور على كل البشر،

ولا يحدّ نفسه بمكانٍ معينٍ وشعبٍ معينٍ.

❖ لم يكن الهيكل موجودًا (في ذلك الحين)، ولا (طقوس) الذبيحة، ومع ذلك وُهب لإبراهيم رؤية الله... وكان في بلدٍ غريبةٍ. وقد أجاد (القديس استفانوس) في أنه يبدأ حديثه بدعوة الله "**إله المجد**"، متطلعًا إلى أن الله يجعل الذين بلا كرامة ممجدين، إذ يقول: "إنه هو الذي جعلهم ممجدين، سيجْعلنا نحن أيضًا ممجدين". لاحظوا كيف يقودهم من المثل الأول بعيدًا عنَ أمور الجسد. يقول "**إله المجد**"، ملمحًا إلى أنه لا يحتاج إلى المجد الذي نقدمه له، الله لا يصدر مجده عن الهيكل، بل هو نفسه ينبوع المجد. لا تظنوا أنه يقول هذا لكي يمجده[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

جاءت دعوة الله لإبراهيم وهو بين الوثنيين في أور الكلدانيين، ولم يكن بعد ذهب إلى أرض الموعد. وجاءت الدعوة أن يذهب أولاً إلى حاران، حيث قطن فيها بعض الوقت، وبعد ذلك ذهب إلى كنعان أو فلسطين.

لم يقل: "وقد جاء إلى الأرض التي أنتم ساكون فيها"، وإنما قال: "هناك نقله"، وكأن الله قد حمله على ذراعيه، وانطلق به من حاران إلى أرض الموضع. مجيئه إلى أرض الموعد هو عطية إلهية ووعد إلهي، قام الرب نفسه بتنفيذه.

الله الذي حمل إبراهيم إلى هذه الأرض بسبب إيمانه العملي وطاعته، هو الذي يطرد بنيه خلال عدم الإيمان والتمرد. استفانوس كابن إبراهيم، بالإيمان يتمتع بكنعان السماوية، أما المقاومون للإيمان فسيُطردون من كنعان الأرضية كما السماوية، حتى وإن ظنوا أنهم ذرية إبراهيم.

**"وقال له: أخرج من أرضك،**
**ومن عشيرتك،**
**وهلمّ إلى الأرض التي أريك". [٣]**

قدم إبراهيم أقوى مثل في الإيمان (عب ١١: ٨-٩)، صورة حية لبساطة

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 15.*

**الثقة في الله.** إن كان إبراهيم قد ترك بالإيمان أرضه وعشيرته وبيت أبيه لينطلق إلى حيث لا يعلم، فإنه يليق بأبناء إبراهيم ألا يرتبطوا بأمرٍ زمنيٍ بطريقةٍ حرفيةٍ كالإنتساب الجسدي لإبراهيم أو ممارسة العوائد اليهودية أو الافتخار بمبنى الهيكل.

خرج إبراهيم ليزحف إلى بلاد لا يعرف طبيعتها ولا سمات سكانها، وليس له جيش أو أسلحة ليغزو المناطق، كل سلاحه وإمكانياته هو "الوعد الإلهي".

جاءت دعوة الله لإبراهيم بالطاعة له، بالخروج من أرضه ومن عشيرته وبيت أبيه. وكأنه يقول لهم: أنتم لستم مثل أبيكم إبراهيم، لأنكم عوض الطاعة **"دائمًا تقاومون الروح القدس"** [٥١].

**"فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين،**
**وسكن في حاران،**
**ومن هناك نقله بعدما مات أبوه إلى هذه الأرض،**
**التي أنتم الآن ساكنون فيها". [٤]**

إن كان اللَّه قد دعا إبراهيم أب المؤمنين ليتحرك من أرض الكلدانيّين "ما بين النهرين" إلى حاران، ثم إلى كنعان؛ وكان إبراهيم مطيعًا للدعوة، لذا يليق بنا ألا نتشبّت بأرض معيّنة، بل نخضع لخطة اللَّه قائدنا، ليحركّنا كيفما يشاء وليس حسب فكرنا البشري.

يليق بنا كأبناء لإبراهيم أن ندخل مع اللَّه في عهدٍ، فنرتفع معه فوق العالم، ونحيا بالإيمان في طاعة للَّه، فنتمتّع باللقاء مع إله المجد.

أبرز القدّيس أن إبراهيم لم يتحرك إلى أرض الموعد إلا **بعد موت أبيه في** حاران، وكأن **تحركات إبراهيم لم تكن حسب تحركات أسرته، بل حسب خطّة اللَّه بالنسبة له شخصيًا.** وكأنّه يدعوهم أن يتحرّكوا هم أيضًا ليست حسب ما نال آباؤهم، أي الارتباط بكنعان، بل حسب خطّة اللَّه للخلاص في العالم كلّه.

كان إبراهيم أداة طيعة في يد الله، وقد نقله إلى **"هذه الأرض التي أنتم الآن ساكنون فيها"**. لم يقل الأرض التي امتلكتموها أو ورثتموها، فقد قتلوا ابن صاحب

الكرم الوريث الحقيقي والوحيد، وصاروا سكانًا مُعرضين للطرد، إذ يُنزع عنهم الكرم ليُسلم لمؤمني العهد الجديد، كما سبق فأعلن السيد المسيح نفسه.

**"ولم يعطه فيها ميراثًا، ولا وطأة قدم،**
**ولكن وعد أن يعطيها ملكًا له ولنسله من بعده،**
**ولم يكن له بعد ولد". [٥]**

لا يُحسب تجديفًا إن كان السيّد المسيح يعلن عن نقض هذا الموضع لكي يقودنا إلى كنعان السماويّة، إنّما هذه حركة إلهيّة تكملة لخطته في تحرّك إبراهيم من كور الكلدانيّين إلى حاران ثم إلى كنعان، واستعباد نسله في مصر ودعوتهم للخروج إلى كنعان. الآن يطلب المخلّص الخروج من الارتباط الحرفي بكنعان للعبور إلى كنعان السماويّة.

عاش إبراهيم متجولاً كمن ليس له موضع إقامة دائم يستقر فيه. كل ما امتلكه المقبرة التي أصر أن يدفع ثمنها، ليدفن فيها زوجته سارة (تك ٢٣). هذه اشتراها بماله ولم ينلها وعدًا من الله، لكن الله وهبه نعمة في أعين بني حث.

إذ ورثها أبناؤه حُسبت الأرض ملكًا له، فما يناله الابن يحسب الأب المحب أنه قد تمتع هو به.

نال الوعد بأن يرثها أبناؤه حين كان شيخًا وزوجته عاقرًا، لكنه آمن بالوعد الذي تحقق تمامًا.

كانت بركة إبراهيم تكمن، لا في الأرض التي وُعد أن يرثها أبناؤه، وإنما في الوعد الإلهي نفسه. لم ينل إبراهيم وطأة قدم في كنعان، بل نال وعدًا أن يملكها ولنسله من بعده. ملكها إبراهيم بالإيمان، وأعطاها لنسله اسحق الذي قدمه محرقة. فالميراث مشروط بالإيمان، كإيمان إبراهيم، والطاعة الباذلة لله، كطاعة اسحق. إنه ميراث مشروط: "إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف، لأن الرب تكلم " (إش ١: ٢٠).

❖ أنظروا كيف يرفع أفكارهم بعيدًا عن (امتلاكهم) للأرض... فقد جاء (لإبراهيم)

وترك كلاً من أقربائه والأرض. لماذا لم يعطه الأرض؟ حقًا كانت رمزًا لأرضٍ أخرى[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"وتكلم اللَّه هكذا أن يكون نسله متغربًا في أرض غريبة،**
**فيستعبدوه، ويسيئوا إليه، أربعمائة سنة"". [٦]**

لكي يتمتع نسل إبراهيم بالميراث يلزمه أولاً أن يتحمل الغربة، ويختبر العبودية، فيتوق إلى الحرية، ويقدّر قيمة الميراث المجاني.

يذكرهم القديس استفانوس بتغرب أبناء إبراهيم أربعة قرون في مصر قبل خروجهم إلي البرية ليدخلوا أرض الوعد. وقد ذكر ٤٠٠ سنة كرقمٍ تقريبيٍ لرقم ٤٣٠ كما جاء في غل ٣: ١٧. تبدو خطّة اللَّه للخلاص بطيئة بلا تسرّع، إذْ ترك نسل يعقوب أربعمائة عام في الغربة بمصر، لكنّها محكمة وآمنة ويقينيّة.

يرى **العلامة ترتليان** أن الناموس الذي سُلم لموسى هو ناموس الله القائم قبل موسى، وأن هذا الناموس يفتح باب الإيمان للأمم، إذ يتنبأ عن ذلك.

❖ نحن نفهم أن ناموس الله سابق حتى لموسى، لم يُعط أولاً في حوريب، ولا في سيناء، ولا في البرية، بل هو أقدم من هذا بكثير، إذ وجد أولاً في الفردوس، وأعيد تشكيله بعد ذلك من أجل الآباء البطاركة، ثم أُعيد مّرة أخرى لليهود في أوقات أخرى[2].

**العلامة ترتليان**

**"والأمة التي يستعبدون لها،**
**سأدينها أنا يقول اللَّه،**
**وبعد ذلك يخرجون،**
**ويعبدونني في هذا المكان". [٧]**

إن كان الله يسمح باستعباد نسل إبراهيم إلى حين ليتمتعوا بالميراث فإن

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 15.*
[2] *Answer to the Jews, 2.*

فرعون وجيشه الذي يتشامخ على الله وعلى شعبه يسقط تحت الدينونة والهلاك، بينما يخرج الشعب ليعبد الله.

❖ ذاك الذي وعد بأن يهب الأرض هو نفسه سمح بالشرور (الضيقات). الآن أيضًا يعد بالملكوت، ومع هذا يسمح لنا أن نُختبر بالتجارب. إن كان في ذلك الوقت لم تُعط الحرية إلاَّ بعد أربعمائة سنة فأي عجب (إن سمح بالضيقات) من أجل الملكوت؟ مع هذا حقق وعده؛ انتظار الوقت لم يبطل كلمته[١].

❖ الله غنيُ في طرقه ووسائله ليخرجنا من الضيقات. لقد أظهر فوق كل شيء أن الأمة تزايدت جدًا بالمقاومة ضدها، بينما أُستبعدت وأُسيء معاملتها لكي تفنى. وهذا هو عظمة الوعد. فلو أنها نمت في أرضها لم يكن الأمر عجيبًا. ولم يكن هذا لفترة قصيرة حين كانت في أرضٍ غريبة، بل لمدة أربعمائة عام. هنا نتعلم درسًا عظيمًا لفلسفة الاحتمال. لم يعاملهم كسادةٍ بل كعبيدٍ. بل وكأعداء وطغاة، وقد سبق فأخبرهم أنهم ينالون حرية عظيمة، هذا ما يعنيه بالقول: "يخرجون ويعبدونني في هذا المكان" [٧] في حصانةٍ[٢].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"وأعطاه عهد الختان،**
**وهكذا ولد اسحق،**
**وختنه في اليوم الثامن،**
**واسحق ولد يعقوب،**
**ويعقوب ولد رؤساء الآباء الاثنى عشر". [٨]**

إن كان اليهود يتهمون القديس استفانوس بالتجديف على الله وعلي موسى وأنه سيغير عوائدهم، فإن إبراهيم أباهم نال الوعد الإلهي قبلما ينال الوصية بالختان، التي يحسبها اليهود صلب العوائد اليهودية وعمودها الفقري. لقد تبرر إبراهيم بالإيمان قبل أن يُختتن. لم يقدم الله لإبراهيم وصية أخرى سوى "عهد الختان"، فلم نسمع عن

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 16.*
[2] *Hom. on Acts, hom. 16.*

وصية حفظ السبت، ولا طقوس للتطهيرات، ولا إقامة بيت خاص بالله (خيمة الاجتماع أو الهيكل). ومع هذا حُسب إبراهيم واسحق ويعقوب محبوبي الرب، وظل اسم الله بعد موتهم يُدعى: "إله إبراهيم وإله اسحق، وإله يعقوب".

هكذا يود القديس استفانوس أن يسحب قلوبهم إلى الوصية الإلهية أو العهد الإلهي، ألا وهو ختان القلب والآذان.

**"ورؤساء الآباء حسدوا يوسف،**
**وباعوه إلى مصر،**
**وكان الله معه". [٩]**

يوضح لهم القديس استفانوس أن ما يعانون به من غيرة شريرة وحسد ليس بالأمر الجديد، بل هو قديم قدم الإنسان نفسه. في بدء خلقة الإنسان تسلل الموت إلى آدم وحواء بحسد إبليس، وها هو في بدء تكوين شعب الله سلم رؤساء الآباء (أبناء يعقوب) أخاهم يوسف خلال الحسد. وعندما جاء ربنا يسوع المسيح سلمه الرؤساء للموت بحسدهم له. والآن يقف استفانوس في المجمع ليحاكم لحسدهم إياه. فالذين يطلبون قتله الآن هم حفدة رؤساء الآباء الذين باعوا أخاهم عبدًا بحسدهم له.

❖ أيها الأخ المحبوب إن حسدك لما هو خير، وغيرتك ممن هم أفضل منك يبدوان في نظر البعض كما لو كانا خطأ تافهًا وطفيفًا. وإذ يُنظر إليه (الحسد) كما لو كانا تافهًا وليس ذا قيمة لا يُخشى منه. وإذ لا يُخشى منه يُستهان به. وإذ يُستهان به يصعب تحاشيه. ولهذا فإن الحسد ضرر مظلم وخفي. فإذ لا ندرك أنه ينبغي على الحكيم أن يتحاشاه، يتسرب خفية إلى العقل غير الحذر ويجعله مضطربًا.

أضف إلى هذا، أمرنا الرب أن نكون حكماء، وأوصانا أن نلاحظ باهتمام بالغ لئلا يتسرب ذلك العدو، الذي يقف متربصًا دائمًا، فيزحف خفية إلى صدورنا، ويشعل من الشرارات لهيبها، ويضخم الأمور الصغيرة. وهكذا بينما نستنشق الهواء اللطيف والنسيم الناعم بلا حذر، إذ بالعواصف والزوابع تهب، فتعمل على إفساد الإيمان، وتدمير الخلاص والحياة.

لهذا ينبغي علينا أيها الأخ الحبيب، أن نكون حذرين متسلّحين بكل القوة،

مراقبين بدقة كاملة، حتى نطرد العدو الثائر الذي يصوب أسهمه إلى كل جزء من أجزاء جسدنا الذي يمكن أن يضرب أو يجرح، وذلك كما يحذرنا الرسول بطرس، ويعلمنا في رسالته قائلاً: اصحوا واسهروا، لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسًا من يبتلعه هو" (١ بط ٥:٨).

في كل الأمثلة الذي أصيب بالضرر الحاسد نفسه، أما الذي حسده فكان الرب معه، لا يقدر الحسد أن يبث سمومه فيه.

❖ لو نظر أي إنسان بدقة إلى (سهام الحسد)، فسيجد بأنه ليس هناك ما ينبغي أن يُحذر منه ويراعيه أكثر من أن يؤخذ أسيرًا بواسطة الحسد والحقد. فليس أحد يسقط في الأشراك الخفية للعدو الخبيث بحيث يرتد من الحسد إلى الكراهية، إلا ويَهلك بسيفه هو شخصيًا دون أن يعلم.

❖ يكون الضرر تافهًا والخطر بسيطًا عندما تُجرح الأطراف بسيفٍ، فيكون الشفاء هيّنًا مادام الجرح واضحًا، ويُستخدم الدواء. فالقرحة التي تُرى يمكن علاجها بسهولة. أما جراحات الحاسدين فهي مخفيّة وسرّية، ولا تقبل علاجًا لشفائها، فتغلق على نفسها آلامًا مخفية داخل مكامن الضمير.

❖ منذ بداية العالم كان الشيطان هو أول من أهلك نفسه ودمّر الآخرين. لقد انكسر بالغيرة مع الحسد المملوء ضغينة ذاك الذي كان في العظمة الملائكية، مقبولاً أمام الله ومحبوبًا عنده.

إنه لم يرشق الآخرين بغريزة الغيرة قبل أن يرشق نفسه بها، ولا بالأسر قبل أن يؤسر هو، ولا بالدمار قبل أن يهلك. وفي إغرائه بالغيرة، أفقد الإنسان نعمة الخلود الموهوبة له، وهو نفسه فقد تلك التي كانت له سابقًا.

يا لها من شرور عظيمة أيها الأخوة الأحباء، فقد أسقط الحسد الملاك، وأزال مجد عظيم وبهي، فذاك التي خدع به الآخرين هو نفسه خُدع به.

الشهيد كبريانوس

"وأنقذه من جميع ضيقاته،

وأعطاه نعمة وحكمة أمام فرعون ملك مصر،

**فأقامه مدبرًا على مصر،**

**وعلى كل بيته". [١٠]**

بينما يبيع رؤساء الأسباط أخاهم عبدًا ليتخلصوا منه، إذا بالله ينقذه من جميع ضيقاته ويعطيه نعمة وحكمة ويهبه مجدًا في أرض مصر. فمقاومة الرؤساء لم تهز شخصية يوسف، بل تحولت لمجده. وكأنه يحذرهم من مقاومته له في الحق الإلهي، فسيؤول هذا حتمًا لمجد الله، ومجد خادمه الأمين.

❖ يُظهر أن القديسين غير مستثنيين من التجربة، لكنهم ينالون عونًا في ذات التجارب... فالتجارب جعلت يوسف أكثر مجدًا، وكما فعل الملك مع موسى بأمره قتل الأطفال لكي يُقتل موسى. فلو لم يصدر الأمر هكذا لما انسحب موسى إلى البرية وتمتع بالرؤيا وتأهل لها. هكذا الذي بيع كعبدٍ جعله الله ملكًا هناك بينما ظنوا أنه عبد. هكذا فعل المسيح في موته مؤكدًا سلطانه، فإنه يملك كملكٍ حيث هم باعوه[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

ما تمتع به يوسف لم يكن إلا نعمة مجانية لله، إذ وهبه نعمة في أعين الكثيرين، كما وهبه حكمة، ففسر الأحلام في السجن كما بالنسبة لفرعون (تك ٤١).

## ٢. نزول يعقوب أب الأسباط إلى مصر

**"ثم أتى جوع على كل أرض مصر وكنعان،**

**وضيق عظيم،**

**فكان آباؤنا لا يجدون قوتًا". [١١]**

حلت المجاعة على أرض مصر (تك ٤١: ٥٤) كما على كنعان، وإذ كان يعقوب والإحدى عشر ابنًا وعائلاتهم في كنعان لم ينقذهم المكان "**كنعان**" بل أنقذهم الله خلال يوسف الذي كان في مصر.

**"ولما سمع يعقوب أن في مصر قمحًا،**

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 16.*

**أرسل آباءنا أول مرة". [١٢]**

لاحظ حكمة القديس استفانوس، فهو يدعو أبناء موسى العشرة الذين أرسلهم يعقوب "**آباءنا**"، فيحسب آباء الأسباط آباء المؤمنين المسيحيين. ومن جانب آخر إذ يروي تاريخًا أورده موسى النبي في أسفار الشريعة يؤكد قبوله لأسفار الشريعة وثقته فيما كتبه موسى النبي بالوحي الإلهي.

**"وفي المرة الثانية، استعرف يوسف إلى إخوته،**
**واستعلنت عشيرة يوسف لفرعون". [١٣]**

في المرة الثانية كشف يوسف عن شخصيته لإخوته (تك ٤٥: ٤)، وقدمهم لفرعون (تك ٤٥: ١٦).

**"فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته،**
**خمسة وسبعين نفسًا". [١٤]**

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن ما فعله آباؤهم رؤساء الأسباط بأخيهم يوسف كان نبوة رمزية لما تحقق بالنسبة للسيد المسيح، وقد قام مجمع السنهدرين بتحقيق النبوة. لقد حمل لهم يوسف صداقة واهتمامًا، وحتى بعد حسدهم له وبيعه عبدًا لم يتخلَ عنهم، بل قدمهم لفرعون وأعانهم. صورة رائعة للحب الخالص يكشفها لنا القديس استفانوس، وكأنه يعلن لمقاوميه أنهم مع كل ما فعلوه بالسيد المسيح وما يفعلونه برسله بعد صعوده يبقى السيد وكنيسته يحملان كل حبٍ لهم، ويقدمان لهما الحياة الأفضل.

لم يكن يوسف في أرض الموعد بل في مصر، مع هذا كان الله معه وأنقذه من جميع ضيقاته" [١٠-١١]. لم ينقذه من كل متاعبه فحسب، وإنما حول الضيقاتِ لمجده، فجعله المدبر على كل أرض مصر وعلى بيت فرعون. أنقذه من العبودية التي نال ثمنها اخوته، ووهبه حرية ومجدًا على أعلى مستوى.

اتبع استفانوس الترجمة السبعينية حيث ذكر العدد ٧٥ نفسًا بينما جاء في الأصل العبري سبعين نسمة (تك ٤٦: ٢٦ ؛ خر ١: ٥؛ تث ١٠: ٢٢). يرى البعض أن عائلة يعقوب كانت قادمة عددها ٦٦ (تك ٤٦: ٢٦) مضافًا إليهم عائلة يوسف ٩

أفراد (تك ٤٦: ٢٧).

❖ لنتعلم إذن أن الكتاب المقدس يستخدم الجزء عن الكل. فإن الذي قال: "يأتي أمامك كل جسدٍ" (مز ٢٥: ٢) لا يعني أن تُحضر الأجساد أمام الديان منفصلة عن النفوس. وعندما نقرأ في التاريخ المقدس أن يعقوب نزل إلى مصر مع ٧٥ نفسًا (أع ٧: ١٤) نفهم أنه يقصد بأن الأجساد مرتبطة بالنفوس. هكذا أيضًا قيل أن الكلمة صار جسدًا (يو ٢: ١٩)، آخذًا مع الجسد كل الطبيعة البشرية[1].

**القديس غريغوريوس النيسي**

**"فنزل يعقوب إلى مصر،**
**ومات هو وآباؤنا". [١٥]**

عاش الاسرائيليون ٢١٥ عامًا في مصر، فمات كل أبناء يعقوب قبل خروج إسرائيل من مصر، منطلقين نحو أرض كنعان.

**"ونقلوا إلى شكيم،**
**ووضعوا في القبر الذي اشتراه إبراهيم بثمن فضة،**
**من بني حَمور أبي شكيم". [١٦]**

دُفن يعقوب في حقل مكفيلة بواسطة يوسف وإخوته. أما عظام يوسف فحملها الإسرائيليون إلى أرض كنعان حسب وصيته، ودُفن في شكيم (يش٢٤: ٣٢؛ تك ٥٠: ٢٥). لم يشر العهد القديم قط إلى نقل عظام أي أب آخر غير يوسف، لكن الاحتمال وارد وكبير أن الإسرائيليين حملوا عظام آبائهم. فكما حمل نسل يوسف عظام أبيهم، يحتمل أن قام نسل الآباء الآخرين بذات العمل.

يقول المؤرخ يوسيفوس[2] أن أبناء هؤلاء الرجال (إخوة يوسف) ونسلهم، حملوا أجسادهم بعد حين ودفنوها في حبرون، أما عظام يوسف فحملوها بعد ذلك إلى أرض كنعان. عندما خرج اليهود من مصر. أخذ بهذا الرأي كثير من الكتَّاب اليهود، أن الآباء رؤساء الأسباط قد دُفنوا في حبرون، غير أن بعض اليهود يعتقدون أنهم

---

[1] *Against Eunomius, 2:13.*
[2] *Antiq. 2:8:2.*

دفنوا في شكيم. على أي الأحوال فإن العهد القديم لم يُشر إلى ما يخالف قول القديس استفانوس. كانت شكيم في أيام القديس استفانوس تحت أيدي السامريين، ولعله لهذا السبب أشار كثير من الكتّاب اليهود إلى أن عظام آبائهم في حبرون، حتى لا يعتز السامريون بأنها تحت أيديهم. مع هذا لم يعترض السامعون على كلمات القديس استفانوس.

**شكيم**: مدينة أو قرية بالقرب من السامرة، كانت تُدعى سوخار (يو ٤: ٥)، شيخيم Shechem وسيكيم Sychem. الآن تُدعى نابولس Napolose أو نابلس Naplous، تبعد حوالي عشرة أميال من شيلوه Shiloh و ٤٠ ميلاً من أورشليم ناحية الشمال.

كل ما ناله إبراهيم أب الآباء أو يعقوب (إسرائيل) أب الأسباط قطعة أرض صغيرة كمدفن، ولم يرتبط قلب أحدهما بميراث الأرض المتّسعة الخصبة.

## من الذي اشترى الأرض التي في شكيم؟

جاء في تك ٣٣: ١٩، ويش ٢٤: ٣٢ أن يعقوب وليس إبراهيم هو الذي اشترى هذه الأرض من بنى حمور أولاد شكيم، أما إبراهيم فاشترى الأرض التي في مكفيلة من بنى حث في حبرون (تك ٢٣). يرى البعض أن الأصل هو "اشتراه أبونا"، وفي النساخة ظن النساخ أنه يقصد بأبينا "إبراهيم"، فكتبوا إبراهيم عوض كلمة "أبونا".

**"وكما كان يقرب وقت الموعد الذي أقسم اللَّه عليه لإبراهيم،**
**كان ينمو الشعب،**
**ويكثر في مصر". [١٧]**

إذ حلّ وقت الخلاص سمح اللَّه لشعبه أن ينشأ وينمو وسط الضيق في مصر. فلم تكن تلك السنوات وقتًا ضائعًا، ولا عقبة في تحقيق الوعد الإلهي، بل كان الضيق هو الجو اللائق للخروج، والتمتّع بالوعد الإلهي. هكذا يرتبط تحقيق الوعود بأزمنة الضيق. هنا يعلن القدّيس استفانوس عن نظرته الكتابيّة الصادقة أن ما تعانيه كنيسة العهد الجديد من اليهود إنّما هو الجو الصحّي لنموّها وازدهارها روحيًا وعدديًا.

بقي رعاة الماشية في أرض جاسان شرق الدلتا، لأن مراعيها كانت جيدة، ومعروف أن فروع نهر النيل في هذه المنطقة كانت متعددة جدًا. أما بقية شعب إسرائيل فانتشروا في مصر كلها، واختلطوا بكل مراكز الأعمال والمهن، وأتقنوا كل صنعة وشربوا أسرارها. عاشوا أربعة قرون في وسط أعلى حضارات العالم آنذاك، بل وربما لا تدانيها حضارة اليوم. درسوا العلوم والآداب والحكمة والاقتصاد والطب والفلك والهندسة واللغة الخ.

لقد نموا جدًا وازدادوا حتى حسبوا مصرَ وطنًا لهم. وحتى عندما إستعبدهم فرعون رفضوا الخروج من مصر تحت قيادة موسى. وبعد الخروج حاولوا الرجوع إليها عدة مرات. وفي أيام ارميا النبي حملوه قسرًا معهم وذهبوا إلى مصر.

أظهر القديس استفانوس عمل الله العجيب الذي حوّل في فترة صغيرة الأسرة المكونة من ٧٥ نسمة إلى أمة عظيمة هذا تعدادها. في فترة ٢١٥ سنة صار عدد رجال الحرب ٦٠٠ الف محارب، فقد حقق الله وعده لإبراهيم.

**"إلى أن قام ملك آخر،**

**لم يكن يعرف يوسف". [١٨]**

إذ تزايد عدد الإسرائيليون جدًا وقووا، لم يفكروا في الخروج من مصر، بل كانوا يشعرون بالاستقرار فيها، لهذا سمح الله بظهور ملك آخر في مصر لم يسِر على منهج الملوك سلفائه، هؤلاء الذين كانوا يحسنون التعامل معهم. سمح به الله لكي لا يشعروا بالاستقرار، بل يخرجوا إلى الأرض التي وعد الله بها إبراهيم أن يرثها نسله. وقد حان وقت إتمام الوعد الإلهي.

يرى البعض أن فرعون هذا هو رمسيس، الملك الخامس من الأسرة الثامنة عشر، وأن هذا تم حوالي عام ١٥٥٩ ق.م. يظن م. شامبليون[1] M. Champollion أن اسم الملك هو ماندوني Mandonei الذى بدأ ملكه عام ١٥٨٥ ق.م حتى ١٥٦٥ ق.م. ويرى ج ولكنسون[2] G. Wilkinson أنه أول ملك في الأسرة الثامنة عشر

---

[1] *Essay on Hieroglyphic System.*
[2] *Manners and Customs of the Ancient Egyptians, vol. 1, p, 42, 2nd edition.*

ويُدعى عموسيس Amosis أو عامس Ames ويرى هاكت Prof. Hackett أن معرفتنا بتاريخ مصر القديمة إلى الآن ليست دقيقة تمامًا، لذا يصعب تحديد الزمن بدقة[1].

**"فاحتال هذا على جنسنا،**

**وأساء إلى آبائنا،**

**حتى جعلوا أطفالهم منبوذين لكي لا يعيشوا". [١٩]**

سمح الله بقيام ملك آخر (رمسيس الثاني ١٢٩٢-١٢٢٥ ق.م.) الذي اضطهد العبرانيين لكي يحرمهم من قدور اللحوم وملذات مصر وأطايبها، إذ كانوا قد بدأوا ينهبون خيرات مصر، وكان الله يعد لهم الخلاص والتمتع بأرض الموعد. وقد تم الخروج في عهد فرعون ممبتاح Memoptah (١٢٢٥-١٢١٥ ق.م).

إذ لاحظ المصريون تزايد عددهم كانوا يضيفون عليهم الأثقال، حيث يلاحظ القديس استفانوس هنا ثلاثة أمور:

١. جحودهم الدنيء، إذ لم يراعِ الملك الجديد خدمات يوسف لهذه الأمة.
٢. سياستهم الشيطانية وفكرهم الجهنمي "**فاحتال على بني جنسنا**". لم يسلكوا بحكمة لنفع أنفسهم، بل ما كان يشغلهم هو الاحتيال والسلوك بعنفٍ في غير رحمةٍ بإخوتهم.
٣. تصرفهم معهم على مستوي مؤلم، حيث خططوا لقتل كل الأطفال الذكور الصغار.

في هذا كله يود القديس استفانوس أن يبرز لهم أن دخولهم أرض الموعد لا فضل لهم أو لآبائهم فيه، إنما هو عطية مجانية، وهبة من الله صانع المستحيلات، الذي عمل حسب غنى نعمته، وليس حسب استحقاقهم. ولعله أراد أن يوضح لهم أن التاريخ يعيد نفسه، فما فعله بهم المصريون، وما خططوا لتدميرهم فشل تمامًا، وتمتع إسرائيل بالحرية وورث أرض الموعد. الآن ها هم أنفسهم يمارسون ما فعله المصريون وبذات الروح، ويظنوا أنهم قادرون على تحطيم كنيسة المسيح، لكن يبقى الله، إله

[1] *Barnes Notes on Acts 7:18.*

المستحيلات، عاملاً في وسط المؤمنين ليهبهم الميراث الأبدي، كنعان السماوية.

### ٣. تربية موسى في قصر فرعون

**"وفي ذلك الوقت وُلد موسى،**

**وكان جميلاً جدًا،**

**فرُبِّيَ هذا ثلاثة أشهر في بيت أبيه". [٢٠]**

إذ بلغ الاضطهاد ذروته وُلد موسى، وكان هو نفسه في خطرٍ، معرضًا لقتله وهو بعد حديث الولادة؛ أرسله الله مخلصًا عندما بلغت الظلمة الذروة، وصارت الكارثة كما بلا حل. وُلد وسط هذه الظلمة الدامسة، وإذا بوجهه الجميل جدًا يشرق كما بنورٍ. لقد قدسه الله وهو بعد في الرحم، فوُلد جميلاً جدًا في عيني الله، بل وحتى في عيني ابنة فرعون.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** عجز الإنسان عن العمل، حتى وإن كان أبًا أو أمًا للشخص. لقد احتفظ الوالدان بموسى، ولكن إلى ثلاثة أشهر فقط، وألقياه في النهر.

❖ إذ صار عون الإنسان ميئوسًا منه فألقياه، عندئذ أشرق إحسان الله في روعةٍ[1].

❖ هذا هو العجب، أن ذاك الذي يكون لهم نصيرًا وُلد وسط العاصفة، لا قبل ولا بعد ذلك الوقت[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"ولما نُبذ اتخذته ابنة فرعون،**

**وربّته لنفسها ابنًا". [٢١]**

نجحت خطة فرعون، فقد اعتادت الأمهات المملوءات حنوًا على أطفالهن أن يلقين بهم إلى الموت، كما فعلت والدة موسى النبي.

تعهده الله وهو في رحم أمه فوهبه جمالاً رائعًا، وتعهده وهو رضيع برعاية

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 16.*

[2] *Hom. on Acts, hom. 16.*

والديه لمدة ثلاثة اشهر، وإذ توقفت أذرع الوالدين، تعهده في بيت فرعون نفسه المقاوم لله ولشعبه.

"**وكان جميلاً جدًا**"، وبحسب الأصل اليوناني "**جميلاً أمام الله**" أو "**جميلاً بالله**". وهو تعبير عبراني يعني أنه هيئته لها مسحة إلهية سرية جعلت أبويه لا يخشيان أمر الملك (عب ١١: ٢٣). يصفه المؤرخ يوسيفوس: "كان طفلاً شكله إلهيًا[1]". ووصفه فيلون: "لما وُلد الصبي للوقت ظهر بوجه أكثر جمالاً من عامة الناس[2]"، وبسبب جماله إذ التقطته ابنة فرعون من الماء اتخذته ابنًا لها.

❖ إذ كانت كل هذه العناية الإلهية ترافق (الطفل موسى) لم تُذكر كلمة "هيكل" ولا "ذبيحة"، بل تربى في بيت بربري[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

في كتابه "**حياة موسى**" يقدّم لنا **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** شخصيّة موسى النبي وحياته وأعماله كرمز لعمل السيّد المسيح في النفس البشريّة وتمتّعها بخلاصه العجيب.

يرى **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** في ابنة فرعون المتعلّمة الوثنيّة والعاقر رمزًا للفلسفات الزمنيّة والفلاسفة الذين يبذلون جهدًا عظيمًا كمن هم في حالة طلق، لكنهم يحبلون ريحًا ولا ينجبون قط، إنّهم كالأميرة العاقر! إنّها دومًا تجهض، فلا تنجب نور معرفة اللّه. تربّى موسى في قصر فرعون كابن لابنة فرعون، لكنّه رضع اللبن من أمّه، أي من لبن الكنيسة [بهذا تنتعش النفس وتنضج وتتمتّع بالوسائط للصعود إلى الأعالي[4].]

"**فتهذّب موسى بكل حكمة المصريين،**
**وكان مقتدرًا في الأقوال والأعمال". [٢٢]**

كان تعليم المصريين يركز على علم الفلك وتفسير الأحلام والطب

---

[1] *Antiq. 2:9:7.*
[2] *Vita Moys. 1:9.*
[3] *Hom. on Acts, hom. 16.*
[4] *Vita Moys., 12.*

والرياضيات والعلوم الدينية. كان العالم القديم ينهل من معرفة قدماء المصريين وحكمتهم وفلسفتهم. فمن المعروف أن العلم انتقل من مصر إلى فينيقية ثم إلى اليونان، وقد جاء عدد ليس بقليلٍ من الفلاسفة اليونان إلى مصر من أجل المعرفة[1].

"**مقتدرًا في الأقوال**": يعترف موسى النبي أمام الله أنه ثقيل اللسان، وبطيء في الحديث". لهذا فإن اقتداره في الأقوال تعني قدرته على الاتصال بفرعون. هذا واضح عندما كان هرون يود أن يبلغ فرعون رسالة كان يقدمها خلال أخيه موسى (خر٤: ١١-١٦).

لم ترد عبارة "**مقتدرًا في الأقوال**" في أسفار العهد القديم، اقتبسها استفانوس عن التقليد اليهودي، وهي تعبر عما تمتع به موسى في قصر فرعون طوال ٤٠ عامًا. وكأن الله قد هيأه للقيادة بروح المعرفة والعلم، وربما خلال هذه المعرفة العلمية استطاع أن يكون له دوره الفعال في إنشاء خيمة الاجتماع بما تحمله من إبداع. هذا وقد تزينت معرفته بعمل الله في حياته ليكون "حليمًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢: ٣). وقاده الرب إلى البرية ليتعلم روح الرعاية الحانية في وسط القفر. خلال حكمة المصريين تعلم الكتابة، فسجل الأسفار الخمسة كما تعلم حفظ الورق أو المخطوطات من التلف. يؤكد علماء كثيرون أن موسى النبي هو الذي اخترع الخط العبري بقواعده. ويرى البعض من جهة اقتداره في العمل أنه قاد حملة مصرية ضد أثيوبيا، ونال نصرة باهرة وعاد بالأسرى، وقد صار أغنية بين أبطال الحرب والسلم.

لم ينسَ موسى إله آبائه إذ، لذلك وقد صار دارسًا عظيمًا لم ينقد إلى سحر مصر، بل أدرك خداع لشيطان للسحرة، وخداعهم للآخرين.

"**مقتدرًا في الأقوال والأعمال**": ربما تعني أنه صار أشبه برئيس وزراء مصر، يتكلم بسلطانٍ وينفذ ما يقوله.

ولعله كان في ذهن القديس استفانوس أن ما تمتع به موسى هو بتخطيطٍ

---

[1] *Barnes' on Acts 7:22; Rawlinson' Herodotus, vol. 2, p, 80-81; Herodotus, 2, p. 50-51.*

إلهي، فصار بالله قادرًا، صاحب سلطان. هكذا استفانوس نفسه، إذ يتمتع بالروح القدس الساكن فيه يشعر أنه صاحب سلطان.

❖ تربّى في غنى الملوك وبهائهم ومجدهم، وتعلّم "**بكل حكمة المصريّين**" [٢٢]. ولما بلغ سن الرجولة، وصار عظيمًا، رفض كل تلك الأشياء، مفضّلاً بالأحرى شدائد المسيح وعاره، كما يقول الرسول: "علي أن يكون له تمتّع وقتي بالخطيّة" (عب ١١: ٢٥)[١].

**القديس مقاريوس الكبير**

❖ عندما بلغ (موسى) السن المناسب علّموه الحساب والهندسة والشعر والتوافق الموسيقي، بالإضافة إلى الطب والموسيقى، على أيدي المعلّمين النابغين في هذا العلوم والفنون من المصريّين. كذلك تعلّم الفلسفة، تلك التي تدل عليها الرموز في اللغة الهيروغليفية، كذلك قام اليونانيّون بتعليمه المواد الدراسيّة، وتنشئته كطفل ملكي، وذلك حسبما ذكر فيلون في سرده لحياة موسى. درس موسى إلى جانب ذلك آداب المصريّين، وعلم الأجرام السماويّة على أيدي الكلدانيّين والمصريّين، كما يذكر إيبوليموس Eupolemus في كتابه عن ملوكَ اليهوديّة. كان موسى أول الرجال الحكماء، وأول من علّم اليهود علم النحو والصرف، وهو ما تلقّاه الفينيقيّون من اليهود فيما بعد، ثم أخذه اليونانيّون عن الفينيقيّين[٢].

**القديس إكليمنضس السكندري**

❖ تعلم موسى كل حكمة المصريين... وإذ تركها بحث عن الله بكل رغبة قلبه، وهكذا رأى الله وسأله وسمع له عندما تكلم (خر ٣: ٤)[٣].

**القديس أمبروسيوس**

❖ يلزمنا أن نتعلم من الله ما نفكر فيه عن الله، فليس لنا مصدر للمعرفة سواه. قد تتدرب بكل حذاقة كما تشاء في الفلسفة العلمانية، ربما تسلك حياة بارة. هذا كله

---

[١] عظة ٩: ٤.

[2] *Stromata 1 :23..*

[3] *Duties of the Clergy, 1:26.*

يساهم في الشبع الفكري، لكنه لا يعينك على معرفة الله. لقد تبنت ابنة فرعون موسى، فتعلم كل حكمة المصريين، بالإضافة إلى ذلك كان له ولاؤه لجنسه، فانتقم لما أصاب العبراني بقتل المصري، ومع هذا فلم يعرف الله الذي بارك آبائه[1].

**القديس هيلاري أسقف بواتييه**

**"ولمّا كمُلت له مدة أربعين سنة،**

**خطر على باله أن يفتقد إخوته بني إسرائيل". [٢٣]**

لم يُذكر عمره في العهد القديم حين فكر موسى في انقاذ اخوته، لكن القديس استفانوس اقتبس هذا عن التقليد اليهودي.

شبّ موسى مقتدرًا في الكلام والعمل، وظن أن بقدراته ومواهبه يستطيع أن يفتقد اخوته في مذلتهم. وربما كان في ذهنه أن يقود حملة عسكرية لمقاومة مضطهدي شعبه، ولتثبيت حقوقهم بالقوة. لكن هل كان يظن أنه قادر أن يثبت وجود شعبه بالسيف داخل أرض مصر، أم انه يقود الشعب إلى فلسطين؟

يرى البعض إن فرعون طلب أن يقتل موسى ليس لمجرد قتله للمصري، وإنما جاء هذا الحدث لتأكيد في ذهن فرعون أن موسى قد بدأ حركة تنظيم سري لحساب العبرانيين، فشعر بخطورته. فإبلاغ فرعون بحدث قتل مصري وهو أمر يُحسب تافهًا بالنسبة لفرعون، إنما يكشف أن شكًا قد سرى في أوساط القصر الملكي بتخطيط خفي لموسى ضد المصريين.

عاش موسى في قصر فرعون كمصري في بيت فرعون، ولم يكن له اتصال بشعبه، لكن قلبه وفكره وكل أعماقه كانت مرتبطة بشعبه، يئن مع أنينهم، ويشتهي أن يراهم في كمال الحرية.

**"وإذ رأى واحدًا مظلومًا،**

**حامى عنه وأنصف المغلوب،**

**إذ قتل المصري". [٢٤]**

---

[1] *On the Trinity, 5:21.*

الظلم الذي حل على اليهودي من المصري هو أنه كان يضربه بعنف يمكن أن يؤدي إلى قتله.

يرى **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** في المصري الوثني رمزًا للتعاليم الفلسفيّة الفاسدة واليهودي المتديّن رمزًا لتعاليم الآباء، حيث توجد خصومة بينهما. يقول أيضًا: [حرب المصري ضدّ العبراني تشبه حرب الوثنيّة ضدّ الدين الحقيقي، والخلاعة ضدّ البرّ، والعجرفة ضدّ التواضع، وكل شيء ضدّ ما هو عكسه. يعلّمنا موسى بمثاله أن نقف في صف الفضيلة كما في صف قريب لنا، وأن نقتل عدوّ الفضيلة (الشرّ). فنصرة الابن الحقيقي هو موت للوثنيّة ودمار لها. وهكذا البرّ يقتل الظلم، والتواضع يذبح التشامخ[1].]

**"فظن أن إخوته يفهمون أن الله على يده يعطيهم نجاة،**
**وأمّا هم فلم يفهموا". [٢٥]**

لم يرد هذا في أسفار العهد القديم. لكن ما ذكره القديس استفانوس هو أمر مقبول. عندما وقف موسى في صف العبراني وكان يقاوم المصري بمفرده، حسب أن ما قد فعله هو بتوجيه الله نفسه لكي يخلص شعبه، وظن أنه كان يليق بالشعب أن يفهم ذلك، مدركًا أنه وإن تربى في قصر فرعون لكنه إسرائيلي.

**"وفي اليوم الثاني ظهر لهم وهم يتخاصمون،**
**فساقهم إلى السلامة، قائلاً:**
**أيها الرجال أنتم إخوة، لماذا تظلمون بعضكم بعضًا". [٢٦]**

ظهر في اليوم التالي (خر ٢: ١٣) فجأة وبطريقة غير متوقعة لإثنين عبرانيين يتخاصمان، وقد حثهما على المصالحة وإيجاد سلام بينهما. وجه حديثه نحو الشخص المخطئ مؤكدا أن الذي يصارع ضده هو أخوه.

**"فالذي كان يظلم قريبه دفعه، قائلاً:**
**من أقامك رئيسًا وقاضيًا علينا؟" [٢٧]**

إذ طلب موسى من الظالم أن يضع في اعتباره أخوة أخيه له رفض

---

1 *Vita Moys., 14,15.*

المصالحة، بل وهدد موسى، فإنه ما أصعب على المخطئ الجاهل أن يراجع نفسه في هدوء ويعترف بخطأه. هذا ما دفع الله نفسه أن يبادر بالحب ويتمم الخلاص ببذل ابنه الوحيد لعل الخطاة يتلامسوا مع الحب الإلهي. فإنهم من جانبهم لا يطلبون المصالحة مع الله.

ليس عجيبًا أن يقاوم الظالم موسى، قائلاً: "**من أقامك رئيسًا وقاضيًا علينا؟**" هذه هي التحية الطبيعية التي تصدر عن قلب الإنسان الشرير وفكره نحو من يحثه على المصالحة والسلام.

"**أتريد أن تقتلني كما قتلت أمس المصري؟" [٢٨]**

من أخبره بما حدث في اليوم السابق. غالبًا ما أخبر الإنسان الذي أنقذه موسى أقرباءه بما فعله. وعوض تقديم كلمة شكر أو تشجيع لمن يطلب خلاصهم، وجد موسى مقاومة وتهديدًا.

ليته لا يترقب أحد كلمة مديح أو تشجيع ممن يخدمهم، بل يعمل لحساب ملكوت الله دون ترقب أية مكافأة زمنية كبرت أو صغرت.

❖ يظهر كيف كان (آباؤهم) جاحدين للمحسنين إليهم، كما في المثال السابق، فقد خلصوا بواسطة يوسف الذي ألحقوا به ضررًا، هكذا مرة أخرى خلصوا بشخصٍ آخرٍ ناله ضرر، أعني موسى... بالنية قتلوه كما فعل الآخرون في المثل السابق.

إنهم باعوا من لهم في أرض غريبة، وهنا طردوا شخصًا من أرضٍ غريبة (مصر) إلى أرض أخرى غريبة (البرية).

في المثال السابق قدم لهم الشخص (يوسف) طعامًا، وهنا يقدم لهم (موسى) مشورة صالحة!...

انظروا كيف تحولت الخطط التي للمقاومة مصادر خلاص للذين يدبرون الخطط ضدهم.

كان الشعب الذي يخطط ضد نفسه والذي كان الغير يخططون ضدهم ومع هذا كله خلصوا. لم تهلكهم المجاعة، لم يحدث هذا قط، إذ خلصهم ذات الشخص الذين أرادوا هلاكه بطريقهم.

القرار الملكي (لفرعون) لم يبددهم، بل بالأحرى كانوا ينمون بالأكثر عندما مات ذاك الذي عرفهم. لقد أرادوا قتل مخلصهم، وهم بلا سلطان أن يفعلوا ذلك. ألا ترون كيف أنه بذات الوسائل التي أراد الشيطان أن يبطل وعد الله تحقق الوعد[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فهرب موسى بسبب هذه الكلمة،**
**وصار غريبًا في أرض مديان حيث ولد ابنين". [٢٩]**

ما توقعه موسى لم يكن غير حقيقي، فقد توقع أن الخبر يبلغ إلى مسامع فرعون فيطلب رأسه. وقد حدث، إذ صار فرعون يطلب قتله. هرب موسى في أرض مديان، وهي منطقة صحراوية في شمال غرب العربية. هناك تزوج صفورة ابنة راعوئيل (خر٢: ١٨) أو يثرون (عد ١٠: ٢٩؛ خر ٣: ١)، كاهن مديان. انجبت صفورة ابنين هما جرشوم واليعازر (خر ١٨: ٣-٤).

يركز القديس استفانوس على "الغربة"، فذكرها عندما تحدث عن إبراهيم وقيل أن نسله يكون متغربًا. وهنا يعيش موسى متغربًا في أرض مديان، وقد أثر ذلك على نفسه، فدعى ابنه جرشوم "لأنه قال كنت نزيلاً في أرض غريبة" (خر ٢: ٢١-٢٢).

كان شعور الغربة ملازمًا موسى كل أيام حياته، وُلد في مصر غريبًا عن وطنه الأصلي "كنعان"، وتربى في قصر فرعون غريبًا عن والديه، وهرب إلى مديان لتتضاعف غربته، وأخيرًا انطلق إلى البرية بالشعب متغربًا، ولم يدخل أرض الموعد.

## ٤. العليقة والأرض المقدسة

**"ولما كملت أربعون سنة،**
**في لهيب نار عُلّيقة". [٣٠]**

الآن تبدأ قصة الخروج وموسى في أضعف حالاته كغريبٍ هاربٍ من وجه

[1] *Hom. on Acts, hom. 16.*

فرعون. هنا أعلنت السماء تحركها للخلاص، فقد ظهر يهوه على شكل نارٍ متقدة في عليقه، ينزل ليقدس الأرض، ويقود شعبه إلى كنعان. إنها قصة التجسد الإلهي حيث تحمل العذراء مريم في أحشائها جمر اللاهوت، ويقود السيد المسيح البشرية إلى كنعان السماوية، محررًا إياهم من عبودية إبليس.

هنا للمرة الثانية يوضح استفانوس أن ظهور الله لمؤمنيه غير مرتبطٍ بأورشليم؛ ظهر لإبراهيم فيما بين النهرين، وظهر لموسى النبي على جبل سيناء. تقدست الأرض بحلول الله، ليس في هيكل سليمان ولا في قدس الأقداس، وإنما على جبل سيناء... بهذا يدفع استفانوس السامعين إلى عدم التعصب لأرض الموعد ومدينة أورشليم والهيكل، فإن الله يود أن يقدس العالم كله!

❖ قطن موسى في البرية؛ فبعد أن أكمل ٤٠ عامًا من عمره هرب من مصر، ولمدة أربعين عامًا رعى قطعان يثرون، أما يوحنا فجاء إلى البرية منذ ولادته. "الأعظم بين مواليد النساء" (مت ١١: ١١)، كان بالحق مستحقًا أن يتمتع بتربيةٍ أعظم. يقول النبي عنه: "ها أنا أرسل ملاكي أمام وجهك" (ملا ٣: ١؛ مت ١١: ١٠)[1].

**العلامة أوريجينوس**

❖ أزال عنه كرامة الملوكيّة بإرادته (إذ ترك قصر فرعون) كأنّها تراب ينفضه بإزالته من قدميه (عب ١١: ٢٤-٢٦). عزل نفسه عن المجتمع البشري لمدّة أربعين عامًا، وعاش منفردًا مركّزًا نظره بثبات على العزلة والتأمّل في غير المنظورات (عب ١١: ٢٧). بعد هذا استنار بنورٍ لا يعبّر عنه، وحرّر الأجزاء السفليّة التي لنفسه من الثوب الميّت المصنوع من الجلد[2].

**القدّيس غريغوريوس النيسي**

يرى **القدّيس غريغوريوس النيسي** في انطلاق موسى النبي إلى البرّيّة ليعيش فيها أربعين عامًا راعيًا للغنم، رمزًا لانطلاق النفس إلى حياة السكون، ترعى حركاتها الداخليَّة كقطيع، كما كان موسى يرعى الغنم هناك. [بنفس الطريقة سنحيا حياة توحد،

[1] *Homilies on Luke, hom. 10:7.*
[2] *On the Inscriptions of the Psalms, 1:7:52.*

فلا نعود نسقط في أشراك أعداء ولا أن نوجد في وسطهم، بل سنحيا بين الذين هم مثلنا في ميولنا وفكرنا التي نقوتها، فترعى كل حركات نفوسنا مثل غنم وتتغذى على الإرادة التي للفكر المُهتدى[1].]

**"فلما رأى موسى ذلك تعجب من المنظر،**
**وفيما هو يتقدم ليتطلع،**
**صار إليه صوت الرب". [٣١]**

ما أدهش موسى النبي هو منظر العليقة التي بها لهيب نار ولم تحترق. إنه منظر عجيب يحمل صورة حية لكلمة الله المتجسد، فقد تجسد ولم يحترق الناسوت بنار اللاهوت الذي لا يُمكن الاقتراب إليه.

يمثل هذا المنظر أيضًا كنيسة الله سواء في العهد القديم أو الجديد؛ فقد كان إسرائيل وسط نار الاضطهاد في مصر ولم يحترق، لأن الله نفسه أرسل لهم موسى، رمز السيد لمسيح، مخلصًا. وتبقى الكنيسة في العهد الجديد وسط نيران الضيقات التي تعجز عن أن تحرقها.

يشير هذا المنظر أيضًا إلى القديسة مريم بكونها حملت كلمة الله في أحشائها، هذا الذي يُدعى نارًا آكله، لكنها لم تحترق، إذ قدسها روحه القدوس، وهيأها لحلول الكلمة فيها وقبول جسدٍ منها.

لم يرَ موسى النبي الجوهر الإلهي، لكنه رأى العليقة الملتهبة نارًا بكونها رمزًا للتجسد الإلهي، لكنه سمع صوت الرب وتعّرف عليه.

**"أنا إله آبائك،**
**إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب،**
**فإرتعد موسى،**
**ولم يجسر أن يتطلع". [٣٢]**

يتحدث الله مع موسى النبي معلنًا: "أنا إله آبائك، إله إبراهيم وإله اسحق

[1] *Vits Moys., 18.*

وإله **يعقوب**". وكأنه يرجع بذاكرة موسى إلي الوعد الإلهي لهؤلاء الآباء المحبوبين لديه! وقف موسى في رعدة، لا يجسر أن يرفع عينيه ليرى وجه الرب.

كأن الله يعلن لموسى النبي: "أنا هو إله آبائك، إله إبراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب؛ كما إني أنا هو إلههم واهب الوعود ومقيم العهد معهم، أنا هو إلهك الذي يقيم معك العهد. موت إبراهيم واسحق ويعقوب لم يعطل العهد، لأنه وإن مات هؤلاء فأنا حي أهبهم الحياة. إنهم في عيني ليسوا أمواتًا بل أحياء".

صارت الأرض مقدسة، مؤهلة للسجود عليها لله، وليس للدوس عليها بالنعلين. تمتع موسى بالسجود بالروح والحق، وليس في حرفية العبادة وشكلياتها.

ارتعد موسى، ولم يجسر أن يتطلع إلى المنظر، فقد أدرك أن المتحدث هو صوت الرب واهب الوعود لآبائه إبراهيم واسحق ويعقوب. تمتع موسى النبي بصوت الرب، وأدرك ان خلاله يحقق الله إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب وعوده.

لقد أُتهم القديس استفانوس أنه يجدف على الله وعلى موسى (٦: ١١) وقد كاد اليهود أن يؤلهوا موسى النبي، لهذا مع تقديم القديس استفانوس كل توقيرٍ واحترام لموسى النبي، يكشف هنا أنه إنسان مجرد، عاجز عن التطلع حتى إلى العليقة الملتهبة نارًا، ويرتعد حين يسمع الصوت الإلهي، إنه يخضع للآلام، خاصة للخوف عندما يتجلى مجد الله وينكشف جلاله أمامه.

يرى **القدّيس غريغوريوس النيسي** في العلّيقة المتّقدة بلهيب نار إشراق النور الإلهي علينا خلال تجسّد الكلمة. فقد صار جسدًا لكي يلقي بنوره على البشر. يقول أيضًا: [لئلاّ يظن أحد أن البهاء لم يصدر عن مادة، لم يشرق النور من نجمٍ من بين الكواكب، بل صدر عن علّيقة أرضيّة، فاق في بهائه كل الكواكب السماويّة. نتعلّم من هذا أيضًا سرّ العذراء: النور الإلهي الذي أشرق منها خلال الميلاد على الحياة البشريَّة لم يحرق العلّيقة الملتهبة، كما أن بتوليّتها لم تتحطّم بإنجابها[1].]

"**فقال له الرب:**

---

[1] *Vita Moys., 20,21.*

**اخلع نعل رجليك،**

**لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة". [٣٣]**

خلع الحذاء يحمل معنى رمزيًا سبق لنا الحديث عنه في دراستنا لسفر الخروج (ص ٣) وفي سفر التثنية (٢٥: ٧-١٠). إذ يرى **العلامة أوريجينوس** في هذا إشارة إلى **التخلي عن محبة الأمور الزمنية الميتة**، لأن الأحذية كانت تصنع من جلود الحيوانات بعد ذبحها، **وخلع محبة الظهور**، لأن الجلد يُستخدم في الطبول التي تعطي أصواتًا عالية بلا عمل إشارة إلى حب المظاهر.

أيضًا جاء في الشريعة أنه إن رفض إنسان الزواج بأرملة أخيه ليقيم له منها نسلاً يخلع حذاءه ويسمى "بيت مخلوع النعلين" (تث ٢٥:٥-١٠)، وكأن موسى عند خلعه الحذاء أعلن أنه ليس بعريس الكنيسة، وهكذا الأسقف أو الكاهن أو الشماس يخلعون أحذيتهم عند دخولهم الهيكل ليؤكدوا أن المسيح وحده هو عريس الكنيسة.

❖ لم تُذكر كلمة "هيكل"، ومع ذلك فالموضع مقدس بظهور المسيح وعمله. فإن الموضع أكثر دهشة من قدس الأقداس، إذ لم يُذكر في موضع آخر أن الله ظهر هكذا، ولا قيل أن موسى ارتعد إلاً في هذا الموضع.

لقد ظهرت عظمة حنو رعايته...

انظروا كيف يُظهر أن الله بحنوه كما بتأديباته وبمعجزاته قد يقرّبهم إليه، لكنهم بقوا كما هم. الله حاضر في كل موضع، هذا ما يجب أن يتعلموه! إذ نسمع هذه الأمور ليتنا نهرب إليه في ضيقاتنا.

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ يعلّمنا النور ما ينبغي علينا أن نفعله حتى نقف داخل أشعّة النور الحقيقي: فإنّه لا يمكن للأقدام المنتعلة (بنعلين جلديين) أن تصعد إلى ذلك العلوّ الذي فيه يُرى نور الحق. لهذا وجب خلع أغطية الجلد الميّتة والأرضيّة عن النفس، هذه التي التحفت بها طبيعتنا في البداية عندما وُجدنا عراة بسبب عصياننا للإرادة الإلهيّة. عندما نفعل هذا تثمر معرفة الحق وتعلن عن ذاتها[1].

---

[1] *Vita Moys., 22.*

**القدّيس غريغوريوس النيسي**

**"إني لقد رأيت مشقّة شعبي الذين في مصر،**
**وسمعت أنينهم،**
**ونزلت لأنقذهم،**
**فهلُم الآن أرسلك إلى مصر". [٣٤]**

يعتزّ اليهود بموسى النبي جدًا، بكونه القائد العظيم الذي خلّص آباءهم من عبوديّة فرعون لينطلق بهم إلى البرّيّة حتى يرثوا أرض الموعد. الآن يكشف ما وراء حب موسى لشعبه ورعايته وقوّته، إنّها حب اللّه نفسه الذي نزل بنفسه إليهم إذ رأى وسمع، رأى مشقّتهم، وسمع أنينهم، أمّا موسى فهو مُرسل كأداة في يد اللّه: "**فهلمّ الآن أرسلك إلى مصر**" [٣٤]. الذي أرسله وهبه نصرت متوالية ونجاحًا في تحقيق رسالته.

يقدم القديس استفانوس ملخصًا لما سجله موسى النبي بالتفصيل في خروج ٣: ٧-١٠. أرسله الله إلى مصر، ليصارع فرعون، لا بقدراته وقوته، وإنما بعمل الله فيه. أرسله بعد أن عانى الشعب المشقة، وارتفع أنينهم إلى السماء، حتى يخرج بهم إلى البرية ليعيشوا قرابة أربعين سنة، فيفنى الجيل الذي حمل أوثان مصر في قلبه، ويدخل بجيلٍ جديدٍ إلى ارض الموعد.

يتسى الإنسان الله ويتجاهله، لكن الله لا ينسى الإنسان اينما وجد. لقد نزل إليهم ليسمع أنينهم وينقذهم، منفذًا وعوده ومخلصًا إياهم.

❖ من البداية قال لآدم: "بعرق جبينك تأكل خبزك" (تك ٣: ١٩). أيضًا لكي يخرجوا من الألم الشديد إلى الراحة، كان يلزمهم أن يشكروا الله. اسمعوا ما يقوله النبي: "خير لي أنك أذللتني" (مز ١١٩: ٧١). فإن كان الضيق نافع جدًا للعظماء المشهورين، فكم بالأكثر بالنسبة لنا[1].

❖ لنخضع نحن أنفسنا للصلاة. إنها سلاح قدير إن قُدمت بغيرةٍ، إن كانت بدون عجبٍ، إن كانت بذهنٍ مُخلصٍ. إنها تصد حروبًا، وتفيد الأمة كلها مع عدم

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 16.*

استحقاقها. يقول: "سمعت أنينهم ونزلت لأنقذهم" [٣٤]. إنها هي عينها دواء منقذ، له قوة لمنع الخطايا وشفاء الأفعال الشريرة[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"هذا موسى الذي أنكروه قائلين:**
**من أقامك رئيسًا وقاضيًا؟**
**هذا أرسله اللَّه رئيسًا وفاديًا،**
**بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة". [٣٥]**

كان الاتّهام الموجّه ضد القدّيس استفانوس أنّه يجدّف على موسى، الآن يعلن لهم القدّيس بأن اللَّه كرّم موسى إذ أرسله، وقد جاءت المقاومة المستمرّة والخطيرة من جانب آبائهم، الذين رفضوا رئاسته وحكمه كقاضٍ عليهم. في قسوة قلب وغلاظة رقبة كانوا دائمي التذمّر عليه، بل وحاولوا قتله أكثر من مرّة. فالقدّيس استفانوس لا يجدّف على موسى، بل يكرمه ويعجب منه كيف احتمل مقاومة شعبه له، دون أن يتخلّى عنهم أو يقاومهم.

حين قدم موسى نفسه لشعبه، ومد يده للعمل، انكشف حال الشعب، إذ رفض موسى كقائدٍ أو رئيسٍ أو قاضٍ، لكن حين أعلن الله عن حضوره الناري وهب موسى عمل الرئاسة والخلاص بكونه رمزًا للمخلص الحقيقي، ملك الملوك. فقد كان الشعب غليظ الرقبة ومتمردًا منذ عصر موسى؛ فما يفعله اليهود في أيام الرسل ليس بالأمر الغريب عن طبيعتهم. كان موسى رمزًا للسيد المسيح الذي رفضه البناءون فصار حجر الزاوية (أع ٤: ٢١).

ما فعله آباؤهم بموسى النبي فعله الرؤساء بيسوع المسيح. لقد أنكروا العليقة المتقدة نارًا، ورفضوا قيادة موسى وعمله كقاضٍ وفادٍ من عبودية فرعون. الآن يرفض أبناؤهم الصليب المشرق بنوره، ويجحدون تجسد الكلمة الإلهي، ولا يقبلون يسوع ملكًا وفاديًا لنفوسهم. إنهم مقاومون أبناء مقاومين.

---

[1] *Homilies on Hebrews, hom. 27:9.*

❖ إنه لأمر معتاد لدى اليهود أن يخطئوا للمحسنين إليهم، حتى وهم يقدمون لهم الإحسان[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"هذا أخرجهم، صانعًا عجائب وآيات في أرض مصر،**
**وفي البحر الأحمر،**
**وفي البرية أربعين سنة". [٣٦]**

نزل الله لإنقاذ شعبه وهم في مصر، ورافقتهم العناية الإلهية أثناء عبورهم بحر سوف وفي داخل البرية، ولم ينتظر ولا سألهم أن يذهبوا أولاً إلى أورشليم ويقيموا الهيكل وعندئذ يحل في وسطهم ويعمل فيهم.

لقد رافقتهم الآيات والعجائب الإلهية، ففي مصر أرسل الضربات العشرة ليخلصهم بيدٍ قويةٍ، وذراعٍ رفيعة (خر٤- ١٢)، وفي البحر الأحمر شقه لكي يعبر الشعب بسلامٍ، بينما هلك فيه فرعون وكل جنوده (خر١٤، ١٥). وفي البرية خلال الأربعين عامًا كان يقدم لهم المن من السماء والماء من الصخرة (خر ١٦، ١٧ الخ).

لم يستخدم موسى خبراته العسكرية القديمة، لكن وهبه الله العجائب والآيات حتى يُرعب قلب فرعون وقلوب المصريين (خر ٣: ١٩-٢١). وبقي هذا السلاح الإلهي في يد موسى ليعبر بالشعب بحر سوف، ويسير بهم في وسط البرية أربعين عامًا.

## ٥. مقاومة آبائهم لموسى

**"هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل:**
**نبيًا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم،**
**له تسمعون". [٣٧]**

هكذا بلغ القديس استفانوس إلى ما يبغيه أن موسى المرفوض من آبائهم هو القائد المدعو من الله، والمسنود بالآيات والعجائب. ما حدث مع موسى يحدث مع

[1] *Hom. on Acts, hom. 16.*

يسوع المسيح مخلص العالم، الذي جاء إلى خاصته، وخاصته لم تقبله.

إذ كشف القديس استفانوس أنه لن يجدف على موسى النبي، بل ينتقد رافضي قيادته، ويظهر ما صنعه الله على يديهم، يعود فيوضح أن موسى نفسه الذي يفتخرون به ويثقون الآن فيه قد وعد بمجيء المسيح (تث ١٨: ١٥؛ ١٨)، فيلزمهم الاستماع له وطاعته بقبول من تنبأ عنه. لقد أعلن السيد المسيح نفسه أنهم إن كانوا يؤمنون بموسى يلزمهم أن يؤمنوا به (يو ٥: ٤٦). وقد سبق لنا الحديث عن هذه النبوة أثناء دراستنا لسفر التثنية.

❖ دعا ابن الله ملاكًا كما دعاه أيضًا إنسانًا. لقد ظهر له في البرية وليس في هيكلٍ. انظروا كل من العجائب تحدث ولا تُذكر كلمة "هيكل" أو "ذبيحة". هذا ليس فقط في البرية بل وفي العليقة.

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ لنترك الآن كلمة "مثلي" إلى حين لبحثها في موضعها. ولكن متى يأتي هذا النبي المنتظر؟

أنظر ما كتبه وابحث بتدقيق نبوة يعقوب الموجهة إلى يهوذا: "إياك يحمدك اخوتك". ثم يقول: "لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب" (تك ٤٩ :٨، ١٠) لا من اليهود. بهذا أعطى علامة لمجيء المسيح، هو انقطاع الحكم من اليهود فلو لم يكونوا تحت حكم الرومان لما كان المسيح قد جاء بعد. لو كان لليهود ملك من يهوذا من نسل اليهود لما جاء المسيح بعد...

إنه المنتظر من جميع الشعوب.

وما هو علامته؟ "رابطًا بالكرمة جحشه" (تك ٤٩ :١١). لاحظ الجحش الذي يعلنه زكريا بصراحة[1].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

[1] مقالات لطالبي العماد ١٢: ١٧.

❖ كان رب الأنبياء، ومحقق النبوات، ومقدس الأنبياء، ومع هذا فهو نبي أيضًا... إنه مثل (موسي) حسب الجسد وليس حسب العظمة[1].

❖ إنه يشبهه، بمعنى من جهة الجسد، وليس من جهة سمو العظمة. لذلك دعي الرب يسوع "النبي"[2].

**القديس أغسطينوس**

❖ يتحدث موسى النبي عن المسيح قائلاً: "يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلي، له تسمعون" [١٥]. لهذا فمن لا يطيعه يعصى الناموس[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"هذا هو الذي كان في الكنيسة في البرية،**
**مع الملاك الذي كان يكلمه في جبل سيناء ومع آبائنا،**
**الذي قبل أقوالاً حيّة ليعطينا إيّاها". [٣٨]**

يشير القديس استفانوس هنا إلى الاجتماع الكنسي الذي صنعه موسى النبي بأمر الله مع جميع الشعب وآباء الأسباط في حوريب، حين ظهر لهم الرب وأعطاهم الناموس. تقبل موسى الناموس، واستعفي الشعب من سماع صوت الله (تث ١٨: ١٥-١٦). إنه اجتماع كنسي تحقق على جبل حوريب، كنيسة بلا أعمدة ولا سقف ولا أروقة ولا هياكل؛ كنيسة حيّة بحلول الله في وسط شعبه، وهي كنيسة غريبة في وسط القفر.

هكذا يود القديس استفانوس أن يسحب قلوب الرؤساء إلى جوهر الكنيسة التي تقوم على حضرة الله. أما غاية الاجتماع الكنسي، فهو التمتع بأقوال الله الحية.

تمتع الشعب في البرية بأقوال الله أو الشريعة الموسوية التي تسلمها موسى خلال خدمة الملائكة (أع ٧: ٥٣؛ عب ٢: ٢)، وهي أقوال حية. تمتعوا بهذه البركات الإلهية الفائقة في البرية خارج أرض الموعد وبدون وجود هيكل.

---

[1] *In Ioan., tr., 24:7.*
[2] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tract. 15:23.*
[3] *Commentary on Galat. 2.*

**"الذي لم يشأ آباؤنا أن يكونوا طائعين له،**

**بل دفعوه، ورجعوا بقلوبهم إلى مصر". [٣٩]**

لم يقل "آباؤكم" بل "آباؤنا"، الذين اتسموا بالعصيان والتمرد على الله وعلى موسى، فرفضوا القيادة الإلهية ورجعوا إلى مصر بقلوبهم. لقد "قال بعضهم لبعض: نقيم رئيسًا، ونرجع إلى مصر... ولكن قال كل الجماعة أن يُرجما (موسى وهرون) بالحجارة" (عد ١٤: ٤، ١٠).

هذا هو القرار الذي اتخذه الآباء في أيام موسى، وقد جاء قرار السنهدرين ضد يسوع المسيح مطابقًا لقرار آبائهم. لم يستطع الآباء أن يرجموا موسى وهرون، أما مجمع السنهدرين فحقق عمليًا ما في قلوبهم بصلب السيد المسيح.

❖ إن كنا نتوق إلى بلوغ الكمال الحقيقي، يلزمنا أن نتطلع إلى الأبديات. فإن كنّا حسب الخارج لنا جسد، (لهذا ننشغل بآبائنا ومنازلنا وجاهنا ومباهج هذه الحياة)، لنترك بقلوبنا من الداخل هذه الأمور ولا نعود نشتاق إلى ما قد تركناه، فلا نصير كأولئك الذين قادهم موسى. لأن هؤلاء إن لم يرتدّوا بالجسد (حرفيًا)، غير أن قلوبهم قد ارتدت إلى مصر، وذلك بتركهم الله الذي قادهم بعلامات قوية، وعودتهم إلى عبادة أصنام مصر التي حسبوا أنهم قد احتقروها. ويقول الكتاب: "ورجعوا بقلوبهم إلى مصر، قائلين لهرون: اعمل لنا آلهة تتقدّم أمامنا" (أع ٧:٣٩-٤٠). وهكذا نسقط في نفس اللعنة التي سقطوا فيها في البرية بعدما أكلوا المَنّ النازل من السماء، مشتهين طعام الخطية النجس، أو بالأحرى راغبين في الانحطاط، متذمرين معًا في نفس الطريق (عد ١١:٥، ١٨؛ خر ١٦:٣)...

**ويحدث معنا نفس الأمر في سلوكنا وحياتنا، فالبعض بعدما يترك هذا العالم يعود مرة أخرى إلى شهواته الأولى، متحولاً إلى ميوله السابقة الكائنة في قلبه، صانعًا ما صنعه أولئك[1].**

**الأب بفنوتيوس**

لقد ندموا على خروجهم من مصر، وارتبطت بطونهم بالطعام المصري،

[1] *St. John Cassian, 3:7.*

حتى وإن كان مجرد رائحة القدور، كما ارتبطت أعماقهم بالعبادة المصرية، كأن يسجدوا لعجل أبيس، وارتبط سلوكهم بالعادات والأخلاقيات التي كانت للمصريين.

**"قائلين لهرون:**
**اعمل لنا آلهة تتقدم أمامنا،**
**لأن هذا موسى الذي أخرجنا من أرض مصر،**
**لا نعلم ماذا أصابه". [٤٠]**

**"فعملوا عجلاً في تلك الأيام،**
**وأصعدوا ذبيحة للصنم،**
**وفرحوا بأعمال أيديهم". [٤١]**

بالرغم من كل هذه البركات التي تسلمها آباؤهم من يد الله خلال موسى، إلا أنهم رفضوا الله ونبيه موسى. اشتهوا الرجوع إلى مصر، إذ طلب الشعب من هرون أن يصنع لهم تمثالاً ذهبيًا لعجل أبيس معبود المصريين (خر٣٢: ١٦، ١٨). وقد برروا تصرفهم بأن موسى قد اختفى عنهم، ولا يعلمون شيئًا عن مصيره.

في أيام موسى صنع الشعب عجلاً من ذهب ليعبدوه، ويقدموا ذبيحة للصنم بفرح، وفي أيام السيد المسيح طلبوا قيصر ملكًا، ورفضوا مملكة المسيح الروحية.

كأنه يوبخهم: من الذي جدف على الله وعلى موسى؟ هل أنا الذي قبلت من تنبأ عنه موسى، ومن كان هو نفسه رمزًا له، أم آباؤكم الذين رفضوا قيادة موسى، وندموا على خروجهم من مصر، واشتهوا الطعام المصري الذي كانوا يقدمونه للعبيد (رائحة القدور)، ويتعبدون للعجل، وكسروا الناموس وقاوموا أقوال الله الحية؟

**"فرجع الله وأسلمهم ليعبدوا جند السماء،**
**كما هو مكتوب في كتاب الأنبياء:**
**هل قرّبتم لي ذبائح وقرابين أربعين سنة في البريّة يا بيت إسرائيل؟" [٤٢]**

اقتبس القدّيس استفانوس هذه النبوّة من عاموس ٥: ٢٥، ليكشف لهم عن انحرافهم من أقوال الأنبياء أنفسهم.

أعطاهم الله سؤل قلبهم، فقد اشتهوا الرجوع عن الله، والارتداد إلى مصر حيث حياة العبودية. وهبهم طلبتهم فرجع عنهم وسلمهم لشهوة قلوبهم.

**"بل حملتم خيمة مولوك،**
**ونجم إلهكم رمفان التماثيل التي صنعتموها،**
**لتسجدوا لها،**
**فأنقلكم إلى ما وراء بابل". [٤٣]**

ارتبطت عبادة كواكب السماء بعبادة الإلهين مولوك ورمفان.

**مولوك:** مقتبسه من العبرية كما من العربية ومعناها "ملك". وهو إله العمونيين، حيث كانوا يقدمون له ذبائح بشرية. وقد حذر موسى النبي الشعب في مواضع مختلفة من تقديم أطفالهم ذبائح للإله مولوك، حيث كانوا يجيزوهم في النار (لا ١٨: ٢١؛ ٢٠: ٢-٥).

عبد الإسرائيليون مولوك بعد دخولهم أرض الموعد؛ فبنى سليمان هيكلاً له على جبل الزيتون (١ مل ١١: ٧)؛ وأجاز منسى ابنه في النار تكريمًا لهذا التمثال (٢ مل ٢١: ٣، ٦). وكان تمثال هذا الإله مصنوعً من النحاس، ويداه ممتدتين كما لو كانتا تطلبان أن تحتضنا الطفل المُقدم ذبيحة. كانوا يوقدون نارًا في التمثال النحاسي حتى يحمر تمامًا، ويضعون الطفل على الذراعين المحميتين بين دقات الطبول والرقص، فيحترق الطفل تمامًا. يظن البعض أن هذا كان يتم تكريمًا لكوكب؛ زحل ساتورن وهو إله الزراعة عند الرومان، والبعض يحسبونه تكريمًا للشمس، والبعض كوكب عطارد (رسول الآلهة، وإله التجارة والفصاحة والمكر واللصوصية عند الرومان). والبعض كوكب الزهرة، فينوس، إلهة الحب والجمال عند الرومان الخ.

**"نجم إلهكم رفعان":** اقتبسها القديّس إستفانوس عن الترجمة السبعينية. تطلق كلمة رفعان في القبطية على كوكب زحل.

إذ بلغوا أقصى حدود التمرد حيث فضلوا العبادة للأوثان عن عبادة الله الحي، أعطاهم سؤل قلوبهم، فنقلهم بالسبي إلى بابل، حيث العبادة الوثنية التي طالما

ارتدوا إليها. سلمهم الله لفكر قلوبهم (عا ٥: ٢٥-٢٧).

### ٦. خيمة الشهادة في البرية

بعد هذا العرض التاريخي المؤلم الذي يكشف عن إصرار آبائهم على التمرد على الله، مع وجود قلة أمينة مقدسة للرب لا ترتبط بالحرف القاتل، بل بالإيمان الحي العملي، مثل إبراهيم واسحق ويعقوب وموسى النبي والأنبياء، الآن يتحدث عن الخيمة والهيكل.

تسلل هذا الاتجاه لعبادة الأصنام إلى العبرانيين عبر كل تاريخهم، وبلغ القمة أثناء السبي البابلي. اعتادوا الإقتداء بجيرانهم المحيطين بهم، فكانوا يؤلهون كواكب السماء ويعبدونها (تث ٤: ١٩؛ ١٧: ٣؛ ٢ مل ٢١: ٣، ٥؛٢٣: ٤-٥؛ إر ٨: ٢؛ ١٩: ١٣؛ صف ١: ٥)

**"وأمّا خيمة الشهادة، فكانت مع آبائنا في البرية،**
**كما أمر الذي كلم موسى أن يعملها،**
**على المثال الذي كان قد رآه". [٤٤]**

كان من عادة الوثنيين أن يأخذوا آلهتهم معهم أينما ذهبوا، فيضعون التمثال الصغير في هيكل صغير أو خيمة صغيرة. ولكي يحفظ الله شعبه من عبادة الأوثان أظهر لموسى المثال السماوي الذي بناء عليه يصنع خيمة الاجتماع التي كان فيها تابوت العهد، تُحمل الخيمة في مسيرة الشعب في البرية، وتُنصب أينما حلوا، علامة الحضرة الإلهية (خر ٢٥: ٩، ٤٠؛ ٢٦: ٣٠؛ ٢٧: ٨).

**"التي أدخلها أيضًا آباؤنا،**
**إذ تخلفوا عليها مع يشوع في مُلك الأمم،**
**الذين طردهم اللّه من وجه آبائنا إلى أيام داود". [٤٥]**

أحضر الآباء خيمة الاجتماع معهم في أرض الموعد تحت قيادة يشوع بن نون، حتى متى طرد أمامهم الأمم الوثنية، وجب تطهير كنعان من كل أثرٍ وثني لتبقى الحضرة الإلهية وحدها علامة اتحادهم بالله، وقبوله ملكًا يشبع أعماقهم ويدير أمورهم.

حقًا، لقد صنع موسى خيمة الاجتماع، سرّ قوتها إنها "**على المثال الذي كان قد رآه**"، أي تحمل ظل السماويات. رأى موسى ما هو غير مصنوع بأيدٍ بشرية، وقدم ظلاً لذلك على الأرض، لكي يختبر المؤمنون ظل السماويات.

كان القديس استفانوس يحدثهم عن خيمة الاجتماع لكي يسحب قلوب الرؤساء المجتمعين إلى الفكر السماوي، أما هم فأقاموا خيمة مولوك في قلوبهم.

## ٧. لا يسكن الله في مصنوعات الأيادي

**"الذي وجد نعمة أمام اللَّه،**

**والتمس أن يجد مسكنًا لإله يعقوب". [٤٦]**

وجد داود النبي نعمة لدى الله الذي أغدق عليه بالبركات، ووهبه نصرة على الأعداء، أما رد فعل داود النبي فهو التهاب قلبه بأن يقيم هيكلاً دائمًا يُوضع فيه تابوت العهد، رمز الحضرة الإلهية (٢ صم ٧: ١، أي ٢٢: ٧).

**"ولكن سليمان بنى له بيتًا". [٤٧]**

كان داود الملك يشتهي أن يبني لله بيتًا (٢ صم ٢:٣-٧)، وإذ وجد نعمة في عيني الله، سمح لابنه سليمان أن يبني الهيكل.

❖ لقد ظنوا أن سليمان كان عظيمًا (لأنه بني الهيكل)، لكنه لم يكن أفضل من أبيه، ولا حتى على مستوى أبيه، هذا أمر واضح... فإن حتى (هذه الأبنية) لا تليق بالله، إذ هي أمور مصنوعة، متطلعًا إلى أن هذه مخلوقات هي من صنع يديه[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"لكن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي،**

**كما يقول النبي". [٤٨]**

أزال القديس استفانوس الاتهام الموجه ضده أنه يتحدث ضد الهيكل، فقد أظهر أن هذا الهيكل كان موضوع شهوة قلب الملك البار داود، وأنه بُني بأمرٍ إلهي. وفي نفس الوقت يؤكد أن الله لا يحد نفسه بهذا الهيكل المصنوع بالأيادي. إنه ليس في

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 17.*

حاجة إليه، فعرشه هو السماء، فمع تقدير القديس استفانوس للهيكل في أورشليم، لكن ما يشغل قلب الله أن يقبل جميع الأمم الإيمان الحي، فلا يحد العبادة بمدينة أورشليم وبهيكل سليمان.

❖ [بمناسبة الاحتفال بعيد لتدشين كنيسة:]

كلنا أيها الأحباء كنا هياكل للشيطان قبل العماد، وتأهلنا بعد العماد أن نصير هياكل المسيح. إن تأملنا إلى حدٍ ما بدقة في خلاص نفوسنا، ندرك أننا هيكل الله الحي. الله ليس فقط يسكن في مبانٍ مصنوعة بأيدٍ بشرية، أو منشأة من خشب وحجارة، وإنما فوق الكل يسكن في النفس التي خُلقت على صورة الله، وتشكّلت بيد الخالق نفسه. لذلك يقول الرسول الطوباوي بولس: "هيكل الله مقدس، الذي أنتم هو" (كو ٣: ١٧).

❖ هذه الهياكل مصنوعة من خشب وحجارة لكي ما تجتمع هياكل الله الحية فيه، وتصير معًا هيكل الله. المسيحي المنفرد هو هيكل الله، والمسيحيون الكثيرون هم هياكل الله.

لاحظوا أيضًا أيها الإخوة، يا لجمال الهيكل الذي تتشكل من الهياكل؛ وذلك مثل أعضاء كثيرة تكّون جسدًا واحدًا، هكذا هياكل كثيرة تكّون هيكلاً واحدًا.

الآن تلك الهياكل التي لـ [illegible] نفوس المسيحيين التقية مبعثرة في العالم، ولكن إذ يحل يوم الدينونة، يجتمعون معًا، ويكّونون هيكلاً واحدًا في حياة أبدية...

لنفرح أننا تأهلنا أن نكون هيكل الله، لكن لنخشى لئلا نفسد هيكل الله بأعمال شريرة. لنخشى ما يقوله الرسول: "إن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله" (١ كو ٣: ١٧).

إن الذي استطاع دون صعوبة أن يشكّل السماء والأرض بقوة كلمته، رسم أن يسكن فيكم، لذا وجب أن تعملوا بطريقة بها لا تضادون مثل هذا الساكن.

ليت الله لا يجد فيكم، أي في هيكله، شيئًا دنسًا أو مظلمًا أو متشامخًا. فإن عانى هناك من مضايقة ينسحب سريعًا، وإذ يفارقه المخلص للحال يقترب الشيطان، كم تكون حالة النفس التعيسة حينما يفارقها الله ويمتلكها الشيطان؟ مثل

هذه النفس تُحرم من النور، وتمتلئ ظلمة، تفقد العذوبة، وتمتلئ مرارة. إنها تحطم الحياة، وتجد الموت. إنها تنال عقوبة، وتفقد الفردوس[1].

**الأب قيصريوس أسقف آرل**

**"السماء كرسي لي،**
**والأرض موطئ لقدمي،**
**أي بيت تبنون لي؟ يقول الرب،**
**وأي هو مكان راحتي؟" [٤٩]**

**"أليست يدي صنعت هذه الأشياء كلها؟" [٥٠]**

إن كان الله في تنازله سمح بإقامة خيمة الاجتماع، ثم ببناء الهيكل، فإن راحته ليس في موضع معين، بل في حضوره وسط شعبه، الذي يحمل شعبه إلى العلى، ويرتفع بهم إلى ما فوق الحرف والمادة ليتمتعوا بالروح والسماء!

## ٨. اضطهد آباؤهم الأنبياء ولم يحفظوا الناموس

**"يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان،**
**أنتم دائمًا تقاومون الروح القدس،**
**كما كان آباؤكم كذلك أنتم". [٥١]**

إن كان الهيكل كمبنى ليس موضوع سرور الله، ولا كل المتعبدين فيه هم أبرار في عيني الله، فإن القديس استفانوس من هذا المنطلق يتهم المتعبدين في الهيكل في حرفيةٍ بغير روحٍ أنهم قساة الرقاب وغير مختوني القلوب والآذان؛ إذ يقاومون الروح القدس، ويضطهدون القدوس، متشبهين بآبائهم المتمردين.

اتهموا القديس استفانوس بأنه يجدف على ناموس موسى. وقد جاءت إجابته أنه ليس هو المرتكب هذه الخطية، بل اليهود الذين لم يؤمنوا بما هيأ لهم الناموس، هؤلاء الذين منذ أيام موسى وهم يعصون كلمة الله. أُتهم بالتجديف على الله بتجاهله للهيكل، وجاءت إجابته أن تاريخ إسرائيل نفسه يؤكد أن الهيكل مؤسسة وقتية ليست

---

[1] *Sermon 229:1-2.*

جوهرية في العبادة الصادقة لله.

**"يا قساة الرقاب"**، اتسم هذا الشعب بهذا اللقب منذ البداية، وقد وجهه الله نفسه لهم خلال موسى النبي مرارًا وتكرارًا (خر ٣٢: ٩؛ ٣٣: ٣، ٥؛ ٣٤: ٩؛ تث ٩: ٦، ١٣)، أُستخدم عن الشعب اليهودي في تمردهم على الله، وعدم رغبتهم في الالتزام بحدود الوصية الإلهية، وهو تعبير رمزي يشير إلى الثيران التي تقاوم ولا تريد الانصياع للنير الموضوع على أعناقها.

**"وغير المختونين بالقلوب والآذان"**، كان الختان هو العلامة التي تميز اليهودي الذي يخضع لسلطان الناموس من أجل تمتعه بالوعد الإلهي. كان إشارة إلى النقاوة الداخلية ورفض كل دنس أو رجاسة. عدم ختان القلب يشير إلى رفض الإنسان الخضوع الداخلي للناموس وعدم اكتراثه بالتمتع بالوعود الإلهية. طالبهم الرب بختان القلب والأذن (تث ١٠: ١٦؛ إر ٤: ٤؛ ٩: ٢٦). فأغلف القلب أو الأذنين هو ذاك الذي لا يتمتع بالعهد مع الله، فيكون كمن ينتسب للأمم، ولم يصر إسرائيليًا بالروح.

**"غير المختونين بالآذان"** يعني عدم رغبة الإنسان إلى الاستماع لصوت الله (لا ٢٦: ٤١؛ إر ٩: ٢٦).

**"وأنتم دائما تقاومون الروح القدس"**: يقابلون حب الله ومراحمه بالمقاومة. "في كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلصهم"، بمحبته ورأفته هو حلهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة، ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه، فتحول لهم كأنه عدو يحاربهم (إش ٦٣: ٩-١٠).

إنّهم كآبائهم يهتمّون بختان الجسد، ولا يهتمّون بختان القلب والأذن الروحي، لهذا تمتلئ قلوبهم كراهيّة وبغضة للروح القدس، تتحوّل إلى سلوك خطير، حيث قتل آباؤهم الأنبياء العامل فيهم الروح، وها هم يكملون مكيال آبائهم فيقاومون الروح القدس العامل في رسل المسيح وخدّامه. لا، بل ازدادوا شرّا عن آبائهم إذ خانوا البار وقتلوه! هنا يقدّم ضدّهم أخطر جريمة وأبشع ما فعله الإنسان منذ خلقته إلى انقضاء الدهر، وهي جريمة ثابتة لا يستطيعون إنكارها.

إذ لمس القديس استفانوس عدم اكتراث الرؤساء بالحقائق الكتابية، وانحصار فكرهم في أمرٍ واحدٍ، وهو الخلاص من اسم يسوع، وتبرئة أنفسهم في قرارهم بصلب يسوع، تحول من الدفاع إلى الهجوم، فكشف لهم أن السنهدرين الذي حكم على السيد المسيح بالصلب يحمل نفس روح التمرد اذي كان في الشعب منذ خروجه من مصر.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنهم كآبائهم دائمًا يقاومون الروح. فعندما كان يُطلب منهم تقديم ذبائح حيوانية لم يقدموا، وحين يريدهم ألاّ يقدموا ذبائح دموية لأن ذبيحة المسيح قد حققت الهدف يريدون أن يقدموا ذبائح. وحينما طالبهم بعبادته في الهيكل عبدوا الأوثان مع الأمم، وحين طالبهم ألاّ ينشغلوا بالهيكل بل أن يعبدوا بالروح والحق انشغلوا بالهيكل[1].

❖ هكذا كانت جسارة إنسان حاملٍ للصليب في الحديث. ليتنا نحن أيضًا نتمثل به، فإنه وإن كان الوقت ليس زمن حرب (اضطهاد)، إلاّ أنه دائمًا وقت للجسارة في الحديث (شهادة عن المسيح). يقول أحدهم: "أنطق بشهاداتك أمام الملوك ولا أخجل" (مز ١١٩: ٤٦). إن كانت لنا فرصة أن نكون بين وثنيين فلنُبكم أفواههم، لا بالسخط ولا بالعنف... فإن الجسارة هي نجاح، وأما الغضب فهو فشل. فإن كانت لنا جسارة يلزمنا أن نتطهر من الغضب. فلا ينسب أحد كلماتنا للغضب.

ليس من المهم الكلمات التي تنطقون بها عندما تغضبون، فإنكم بالغضب تحطمون كل شيء... انظروا إلى هذا الإنسان، كيف كان متحررًا من الأهواء وهو يخاطبهم. فإنه لم يتهمهم، إنما ذكّرهم بكلمات الأنبياء.

ولكي أظهر لكم أنه لم يكن في غضبٍ في اللحظات التي فيها قاسى شرورًا على أيديهم، صلى لأجلهم: "لا تقم لهم هذه الخطية" [٦٠]. كان أبعد من أن ينطق هذه الكلمات بغضبٍ، لا بل كان يتكلم في حزنٍ وأسى عليهم[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ لقد أظهر (بولس) أن اليهود أيضًا مذنبون. بينما يظهرون أنّهم يعيشون تحت

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 17.*
[2] *Hom. on Acts, hom. 17.*

ناموس اللّه، ويدافعون عن امتيازهم الذي باستحقاق أسلافهم، بالحقيقة أساءوا سمعة نعمة اللّه إذ استخفّوا بالوعد الذي قُدّم لأسلافهم[1].

**أمبروسياستر**

❖ إن كنّا جميعًا نخلص بالنعمة، قد يحتجّ البعض: لماذا لا يخلص كل أحد؟ لأنّهم لا يريدون أن يتجاوبوا. فإن النعمة، مع أنّها نعمة لكنّها تخلّص الذين يريدونها وليس الذين يرفضونها ويهربون منها[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ تُعطى النعمة ليس لأنّنا نصنع أمورًا صالحة، وإنّما لكي ننال قوّة لصنعها، وليس لأنّنا نتمّم الناموس، وإنّما لكي تكون لنا القدرة على تحقيقه[3].

**القديس أغسطينوس**

**"أيّ الأنبياء لم يضطهده آباؤكم؟**
**وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار،**
**الذي أنتم الآن صرتم مسلّميه وقاتليه؟" [٥٢]**

جاء التعبير حازمًا وقاطعًا، أنه لم يوجد نبي واحد لم يضطهده اليهود، وكأن اضطهاد الأنبياء قد صار في طبيعة الشعب عبر الأجيال، يسري في دمهم.

لقد قتل آباؤهم الأنبياء الذين كانت رسالتهم الرئيسية هي الإعلان عن مجيء المسيا مخلص العالم. لقد تفاقمت معاصيهم للغاية، إذ قتلوا رسل الله الذين تنبأوا عن أعظم البركات التي تتمتع بها الأمة، بل وتعم على العالم.

إن كان هذا ما فعله آباؤهم، فإن أبناءهم تعدوا جرائم آبائهم، إذ قتلوا المسيا نفسه.

تكلم هنا معهم بكلمات جريئة وصريحة، إذ يتهمهم بأنهم أبناء قتلة الأنبياء الذين سبقوا فتنبأوا عن يسوع البار، وها هم قد شاركوا آباءهم في سفك دم الأنبياء، بل

---

[1] *Comm. On Paul's Epistles (Rom. 3:2).*
[2] *Hom. On Rom., hom. 18.*
[3] *The spirit and the Letter, 16.*

وأكملوا الكيل، إذ سلموا ذاك الذي هو موضوع شهوة الأنبياء. لقد وجه إليهم ذات الاتهام الذي وجهه إليهم السيد المسيح نفسه (مت ٢٣: ٢٩-٣٤).

لم يخشاهم القديس استفانوس، إذ حسب ذلك تكريمًا له أن يفعلوا به ما فعله آباؤهم بالأنبياء، وأن يشارك السيد المسيح البار آلامه.

❖ قتلوا الأنبياء القدّيسين، وهم مذنبون بدم كثير من الأبرار، لذلك قيل لهم بوضوح: "أي الأنبياء لم يقتله آباؤكم؟!" وأيضًا: "يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرّة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا" (لو ١٣: ٣٤-٣٥). لكن أعمالهم الشرّيرة لم تمتد فقط إلى الأنبياء القدّيسين، بل تصاعدت حتى إلى ذاك الذي هو رب الأنبياء، أي المسيح. وإذ هم متغطرسون، كما لو كانوا يتشامخون برقابهم المتعجرفة، لم يعطوا أي اهتمام للالتزام بالإيمان به، بل قاوموا تعليمه الجهاري بخبثٍ، ووبّخوا الذين أرادوا أن يكونوا معه على الدوام، الذين تعطّشوا لتعليمه...[1].

❖ لم تمتد أعمالهم الشرّيرة فقط إلى الأنبياء القدّيسين، بل تصاعدت حتى إلى ذاك الذي هو رب الأنبياء، أي المسيح... لذلك لم يُعطَ لهم أن يعرفوا أسرار ملكوت السموات، بل بالأحرى أُعطي لنا نحن الذين أكثر استعدادًا لقبول الإيمان[2].

**القديس كيرلس الكبير**

**"الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه". [٥٣]**

تُستخدم كلمة *diatages* "ترتيب" في التنظيم العسكري في الجيش، يعرف كل شخصٍ رتبته بما لها من سلطة ومدى حدودها. وكأن الملائكة، كل في رتبته، وقفوا في دهشة أمام حب الله للإنسان وهو يسلمهم الشريعة التي هي كلمته الحية. إنهم شهود لهذا العمل الإلهي الممتع. يرى البعض أن الملائكة في خدمتهم لله محب البشر تسلموا

---

[1] *Comm. On St. Lukes hom. 41.*

راجع ترجمة مركز دراسات الآباء بالقاهرة.

[2] *Comm. on Luke, Sermon 41.*

الشريعة، وقدموها للإنسان ليشاركهم تسابيحهم، ويشاركونه عبادته الروحية.

ولما كانت كلمة "ملائكة" معناها "رسل"، لهذا يرى البعض أنه يعنى هنا الذين أرسلهم الله وعهد إليهم كلمته ليعلونها لشعبه عبر الأجيال. ويرى آخرون أن استلام الشريعة صاحبه بروق ورعود ودخان وزلازل... هذه كلها أرسلها الله لكي يتلامس الشعب مع مهابة الوصية. هذه تسمى ملائكة أو رسل لله.

أخيرًا إذ يملأون مكيال آبائهم بسفك الدماء البريئة، يكسرون الناموس الذي تسلموه بترتيب ملائكة. ولعل تسليم الناموس بترتيب ملائكة هو تقليد يهودي يعتمد على ما ورد في تث ٣٣: ١-٤ (الترجمة السبعينية). وقد أخذ القديس بولس بهذا التقليد (غل ٣: ١٩؛ عب ٢:٢).

❖ أعطي كل تدبير العهد القديم خلال ملائكة... يعملون أحيانًا شخصيًا، وأحيانًا بشخص الله[1].

**القديس أغسطينوس**

❖ يقصد بالملائكة رسل الله، أي موسى، وابن نون، وغيرهما من الأنبياء حتى يوحنا المعمدان. خلال هؤلاء أُقيم ورُتّب الناموس والأنبياء بواسطة الله بيد المخلّص أي بقوته. فإنّه هو الوسيط، ومصالح الله مع البشريَّة، لكي يخلّص من يريد من الذين تسلّموا الناموس من الملائكة[2].

**أمبروسياستر**

❖ في كل موضع يقول إن كلمة الله أعطيت بواسطة ملائكة (عب ٢: ٢؛ غل ٣: ١٩؛ أع ٧: ٥٣). حقًا يقول البعض أنه يعني هنا بهم موسى، لكن دون سبب مقبول. فإنه يذكر الملائكة بصيغة الجمع، والملائكة الذين يتحدث عنهم هنا هم الذين في السماء[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

---

[1] *Epistle of Galatians, 24:3:19-20.*
[2] *Ep. to Gal. 3:19:2.*
[3] *Homilies on Hebrews, hom. 3:6.*

## ٩. السماء المفتوحة

**"فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم،**

**وصروا بأسنانهم عليه". [٥٤]**

إذ أتهمهم القديس استفانوس بالتجديف لم يستطيعوا أن يجيبوه، لأن حديثه كله كتابي. لم يستطيعوا أن يضبطوا حقدهم وثورتهم، فأصروا بأسنانهم عليه، حملوا له كل مرارة.

جاءت الكلمة اليونانيّة المترجمة "حنقوا" *deprionto* هي بعينها المترجمة نشروا في عب١١: ٣٧. فإن الشرّ الذي فيهم ليس فقط بعث روح العداوة وألهب فيهم الغضب، إنّما مزّق قلوبهم وقتلها كما بمنشار. فعدم الإيمان مع الحسد يهلك القلب، بينما الإيمان العامل بالمحبّة يشفي القلب ويهبه سلامًا في الرب.

"وصرّوا بأسنانهم عليه" علامة عجزهم تمامًا عن الاستماع إليه. صاروا يصرّون بأسنانهم كوحوش مفترسة تود أن تفتك بمن هم أمامها، متعطّشة لسفك الدم.

لم يشغلهم وجهه المشرق كوجه ملاكٍ، لكنهم حسبوا خطابه هجومًا على الديانة اليهودية منذ بدء نشأتها، إذ حسب آباءهم قتلة الأنبياء، وتحدث عن الهيكل أن الله لا يسكن في بيت مصنوع بأيدٍ بشريةٍ، حسبوا هذا أقسى أنواع الإهانات، إذ يسيء إلى الهيكل أعظم فخر للأمة كلها، لذا سدوا آذانهم، وحنقوا بقلوبهم، وصروا بأسنانهم، حيث وجب رجمه قبل أن تصدر المحكمة بالحكم. فقد اندفع الكل في غيرة بشرية للتنفيذ، وانقضوا عليه، حاسبين أنه لا يوجد وقت لإصدار الحكم عليه.

**"وأمّا هو فشخص إلى السماء،**

**وهو ممتلئ من الروح القدس،**

**فرأى مجد اللَّه،**

**ويسوع قائمًا عن يمين اللَّه". [٥٥]**

بينما كانت قلوبهم قد امتلأت بالبغضة ارتفع قلبه بالحب للناس وللبشرية حتى لمضطهديه. تطلع أيضًا بعينيه نحو السماء ليرى مجد الله ويسوع قائمًا عن يمين العظمة.

لماذا رفع عينيه نحو السماء؟ حتمًا إذ أصروا بأسنانهم، وظهرت عليهم نية القتل، سحب الرب قلبه كما نظره نحو المجد السماوي. الضيق هو المجال الخصب الذي فيه يطمئن الله على المؤمن ليعاين رؤى وأمجاد سماوية دون أن يسقط في كبرياء أو اعتداد بالذات.

"**يمين الآب**": لا يعني أن للآب يمين أو يسار، إنما يشير تعبير "**اليمين**" إلى القوة والمجد، لهذا يُصور السيد المسيح أنه عن يمين الآب (مز ١١٠: ١؛ عب١: ١٣).

إذ كان القديس استفانوس ممتلئًا من الروح القدس تركزت أنظاره لا على مقاومة الرؤساء له، ولا على ملامحهم المملوءة شراسة، ولا على الحجارة التي حملوها ليرجموه بها، وإنما على السماء المفتوحة، ليرى مجد الله وقد أشرق عليه، ويسوع قائمًا عن يمين الله، كمن يقدم قوته الإلهية للشهيد حتى يعبر به إلى الفردوس.

في دراستنا لسير الشهداء ندرك حقيقة هامة وهي أنه في عصور الاستشهاد، خاصة في الليالي السابقة لتنفيذ الأحكام كثيرًا ما يشرق نور الله علانية في السجون، ويتمتع المُقدمون للاستشهاد برؤى وأحلام إلهية، ويظهر أحيانًا السيد المسيح نفسه لهم. لهذا يقال إنه يُوهب للشهيد أن يرى السيد المسيح قادمًا إليه عند انتقاله، ولهذا يُدعى شهيدًا، فهو يشهد للحق، ويشاهد المسيح الحق، كما يشهد له المسيح أمام الآب، وأمام كل السمائيين.

❖ باقتفاء الشهيد استفانوس أثر معلمه في أفعاله وأقواله لم ينقصه شيء، فقد أبان تسليم أمره لله ونضوج صبره أهّله للمعاينة الإلهية. لقد كتب: "**شخص إلى السماء، فرأى مجد الله، ويسوع قائمًا عن يمين الله**" (أع ٧ :٥٥).

**هذا هو المجد الذي قدمه المخلص للشهيد: أنه يُكرم فوق الملائكة أنفسهم...** فإنه رأى "موضوع" حبه عينه، حيث تخشى الملائكة أن تطلع عليه (١ بط ١: ١٢). فقد شخص الشهيد إلى حيث "يستر الشاروبيم وجوههم" (إش ٦ :٢). إنه يعاين ما لا يجسر السيرافيم على التطلع إليه. لقد ارتقى بعينيه إلى علو لا حد له. وبدا هكذا أعلى من الملائكة، وأسمى من الرئاسات، متخطيًا العروش. لأن صوت المعلم هو الذي استماله، بوعده إياه: "حيث أكون، هناك أيضًا يكون خادمي" (يو

١٢ : ٢٦ ).

لقد كان أول خادم... لذا هتف قبل بولس: "كونوا متمثلين بي، كما أنا أيضًا بالمسيح" (١ كو ١١ : ١ )... أنا أول من جاهد مع المعلم، وأول من رأى الخفيات في السماء. لأني رأيت، نعم رأيت الابن قائمًا عن يمين الآب. عاينت حقيقة ما قيل: "قال الرب لربي: اجلس عن يميني، حتى أجعل أعداءك موطئًا لقدميك" (مز ١٠٩ : ؛ مت ٢٢ : ٤٤، مر ١٢ : ٣٦؛ لو ٢٠ : ٤٢-٤٤؛ أع ٢ : ٣٤ – ٣٥؛عب ١ : ١٣)[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ على ما أظن أن القيام والجلوس يدلان على الثبات في الطبيعة والاستمرار المطلق كما قال باروخ، دالاً على عدم الحركة (التغيير) والتنقل في تصرف الله: "إنك أنت تجلس إلى الأبد، أما نحن فنهلك إلى الأبد" (باروخ ٣: ٣). فمن الواضح إذن أن الجهة "**اليمنى**" تعني أن الرتبة متساوية في الكرامة[2].

**القديس باسيليوس الكبير**

عادة كان الأنبياء متى رأوا مجد الرب ارتبط المنظر برؤية ملائكة أو إحدى الطغمات السماويّة مثل الشاروبيم أو السيرافيم، أمّا هنا فلم يرَ القدّيس استفانوس الملائكة ولا أيّة طغمة سماويّة، ربّما لأن تطلّعه إلى بهاء السيّد المسيح ونوره الفائق جعل كل كيانه منشغلاً به دون المحيطين به. أو لأن ربّنا يسوع المسيح أراد أن يؤكّد لاستفانوس أن لحظات رجمه هي لحظات مجدٍ عظيمٍ، شغلت السيّد المسيح الذي قام لمساندته والترحيب به دون أن ينشغل بخدّامه السمائيّين.

**"فقال: ها أنا انظر السماوات مفتوحة،**

**وابن الإنسان قائمًا عن يمين الله". [٥٦]**

رفع استفانوس عينيه إلى السماء لينظر السموات مفتوحة، وابن الإنسان قائمًا عن يمين الله. فمن يفتح قلبه بالحب العملي الباذل من أجل إيمانه بمسيحه

---

[1] *PG 59 : 701, 702.*

[2] *On the Holy Spirit, 8:15.* ترجمة الأرشمندريت أدريانوس شكور

المحبوب، يجد أبواب السماء مفتوحة له، وابن الإنسان مشغولاً به.

من أخبر الإنجيلي لوقا بما رآه الشهيد استفانوس في لحظاته الأخيرة؟ بلاشك أن صوته الهادئ الوديع اخترق قلوب كثير من الواقفين، خاصة شاول الطرسوسي الذي كان راضيًا بقتله. ولعل بعض الحاضرين الأتقياء قد هالهم منظر وجه استفانوس الملائكي، واشتركوا معه في الرؤيا، فشاهدوا ما شاهده. وكأن القديس استفانوس شهد لقيامة السيد المسيح حتى اللحظات الأخيرة من عبوره من العالم إلى الفردوس.

ما رآه دانيال النبي في القرن السادس ق.م (دا ٧: ١٣-١٤) شاهده استفانوس في النصف الأول من القرن الأول الميلادي. فالقرون الطويلة لن تفصل قديسي الله، ولا تغير الحق الإلهي العجيب.

كما وهب الروح القدس القديس استفانوس قوة للشهادة بالكلمة، واستنارة للحديث عما تنبأ به الأنبياء، قدم له البصيرة المفتوحة ليرى الحق السماوي بعينيه، ليشهد أمام راجميه أن المسيح المرفوض هو قائم في السماء، موضوع تهليل الأنبياء والسمائيين!

اتهمه الرؤساء بأنه مستحق للرجم، لأنه أهان الهيكل، وإذا بهم يسمعونه أنه يرى الله إله آبائهم قد فتح له هيكل السماء ليرى المسيا واقفًا عن يمين العظمة، ينتظر اللقاء معه وجهًا لوجه. إنها شهادة سماوية حية وجرئية بأن مجد الله قد فارق الهيكل، وها هو يملأ نفوس المؤمنين ببهائه، ويقيم بروحه القدوس هيكله داخلهم.

❖ يجلس (السيد المسيح) كديان للأحياء والأموات، ويقوم كمحامٍ عن شعبه. لقد وقف إذن ككاهن بينما كان يقدم لأبيه ذبيحة شماس صالح. لقد وقف كمن يفصل في الأمر لكي يهب جائزة. كما لو كان للمصارع الصالح جائزة على صراعه القدير[1].

❖ ليته يقوم في وسطكم لكي ما تعلن السماوات مجد الله (مز ١٩: ١)، تُفتح لكم فتتممون إرادته، وتمارسون عمله[2].

---

[1] *Of the Christian Faith, 3:17 (137).*
[2] *Epistles, 63:5.*

❖ كان يسوع قائمًا كمدافعٍ عنه. كان واقفًا كمن هو متحفز، لكي يعين مصارعه استفانوس في جهاده. كان قائمًا كمن يستعد ليكلل شهيده[1].

❖ ليكن قائمًا من أجلكم، كي لا تخافوا من جلوسه، إذ يجلس لكي يدين كقول دانيال (دا ٧: ٩-١١)[2].

**القديس أمبروسيوس**

❖ [في تعزية أوستوخيوم لنياحة والدتها]

إذ صوب الألم سهمه إليها فاحتملته بصبرٍ عجيبٍ، هكذا كمن قد رأت السماوات مفتوحة وهي تقول: "آه يا ليت لي جناحين كحمامة فأطير، وأصير في راحة" (مز ٥٥: ٦)[3].

**القديس جيروم**

### ١٠. استشهاد استفانوس

**"فصاحوا بصوت عظيم،**

**وسدوا آذانهم،**

**وهجموا عليه بنفسٍ واحدةٍ". [٥٧]**

صاحوا بصوتٍ عظيم لكي يطغوا على صوته، وسدّوا آذانهم لئلاّ تتنجّس بتجاديفه.

ظهرت علامات الغضب على أعضاء المجمع، فأثاروا الشعب ليصرخوا ويتحركوا للقتل دون إصدار قرار من مجمع السنهدرين، فقد أخذ الشعب النور الأخضر للتحرك. فما فعله الشعب، إنما هو تحقيق لما في قلوب أعضاء المجمع.

لقد اتهمه المجمع بالتجديف، وأشاروا بطريق أو آخر أن ما ينطق به استفانوس هو تأكيد وشهادة حية لصدق الاتهام.

"سدوا آذانهم": كمن لا يريدون أن يسمعوا تجديفًا أكثر حتى لا تتدنس آذانهم.

---

[1] *Epistles, 63:5.*
[2] *Epistles, 63:6.*
[3] *Letter 108 to Eustochium, 1.*

**"وأخرجوه خارج المدينة ورجموه،**

**والشهود خلعوا ثيابهم عند رجليّ شاب يقال له شاول". [٥٨]**

تحول المجمع إلى حالة هياجٍ شديدٍ وصياحٍ، وحسبوا ما نطق به القديس استفانوس تجديفًا لن يسمحوا له بالدخول إلى آذانهم لئلا تتنجس. تحوّل المجمع من محكمة عليا للعدالة تصدر الحكم بعد المداولة إلى هيئة تنفيذية للرجم دون صدور حكم رسمي به.

كان الرجم هو عقوبة التجديف (لا ٢٤: ١٦). بحسب الشريعة يقوم الشهود بالبدء في الرجم. أما سحْبه خارج المدينة فهو أمر طبيعي، إذ جاء في لاويين ٢٤: ١٤، أن يسحب من كان تحت اللعنة خارج المحلة.

كان شاول يتطلع إلى رجم استفانوس بكونهِ حلم حياته، فهو يود الخلاص من ذاك الذى كان يجادله ويفحمه، حاسبًا في هذا العمل خدمة لله، وتطهيرًا للشعب من روح التجديف على الله وعلى الشريعة وموسى والهيكل!

**لكن كيف رجموه دون الالتجاء إلى الحاكم الروماني، إذ قالوا لبيلاطس أثناء محاكمة يسوع المسيح: "لا يجوز لنا أن نقتل أحدًا" (يو ٨: ٣١)؟** قيل أن رجم استفانوس تم في غيبة بيلاطس عن البلاد.

خلع الشهود ثيابهم، ووضعوها عند رجلي شاول الطرسوسي لكي يلقوا بأول حجرٍ على الشخص إثباتا أنهم مسئولون عن صدق شهادتهم. وقد تم ذلك عند رجلي شاول الذي دخل في حوار مع القديس استفانوس مرات ومرات بكونه أحد أعضاء مجمع الكيليكيين (أع ٦: ٩).

ولعله كانت شهوة قلب شاول أن يختفي استفانوس عن الوجود، لأنه أفحم الكثيرين في المجامع. ويرى البعض أن قرار شاول كان له اليد الأولى لرجم استفانوس، لهذا سمع الصوت الإلهي: " لماذا تضطهدني؟" (أع ٩: ٦) وقد بقيت صورة وجه استفانوس الملائكي لا تفارق عيني شاول الطرسوسي أو بولس الرسول، وصارت أحاديثه منهجًا لاهوتيًا له. إنه يعترف "وحين سُفك دم استفانوس شهيدك كنت

أنا واقفًا وراضيًا بقتله، وحافظًا ثياب الذين قتلوه" (أع ٢٢: ٢٠)، أي كان مشتركًا في الحكم عليه ومسرورًا بقتله.

**"فكانوا يرجمون إستفانوس وهو يدعو ويقول:**

**أيها الرب يسوع اقبل روحي". [٥٩]**

القديس استفانوس الممتلئ بالروح القدس حياته صلاة دائمة، فإنه وإن كان لم يخدم لسنوات، وإنما لأشهر قليلة أو أسابيع معدودة، لكنه عاش رجل صلاة حتى في لحظات رجمه، فجاء ثمر الروح فيه متكاثرا، ويكفي انه باستشهاده سحب قلب شاول الطرسوسي للبحث عن الحق.

❖ لقد سمعتم كيف كان استفانوس قاسيًا [٥١-٥٢]، الآن اسمعوا كيف قد أحب! لقد قاوم الذين كان ينتهرهم ورُجم بواسطتهم... كان آخر صلاته هي من أجل أعدائه. علّموا هنا أن يكون لكم ثوب العرس (الحب حتى للأعداء)[١].

**القديس أغسطينوس**

❖ يا لسعادة ذاك الذي يواجه عنف الشيطان بالاجتهاد بكل أنواع أطايب الاحتمال![٢]

**العلامة ترتليان**

**"ثم جثا على ركبتيه،**

**وصرخ بصوت عظيم:**

**يا رب لا تُقم لهم هذه الخطية.**

**وإذ قال هذا رقد". [٦٠]**

ختم القديس استفانوس حياته بصلاة وداعية فائقة، إذ قدم شفاعة لدي الله من أجل مضطهديه.

إذ واجه القديس استفانوس الموت شهد للسيد المسيح أنه واحد مع الآب في يديه، يستودعه روحه. لقد تشبّه بسيده في لحظات صلبه. "ونادي يسوع بصوتٍ عظيمٍ وقال: يا أبتاه في يديك استودع روحي" (لو ٢٣: ٤٦). لقد سبق فصرخ المرتل:

---

[1] *Sermons on N.T. Lessons, 40:9.*

[2] *On Patience, 14.*

"أخرجني من الشبكة التي خبأوها لي، لأنك أنت حصني، في يدك استودع روحي" (مز ٣١: ٥)

تحت قيادة الروح القدس جثا بركبتيه لكي يستشهد وهو في حالة صلاة. وقد وهبه الروح قوة ليصرخ بصوت عظيم، بينما كان الجسد ضعيفًا للغاية تحت ضربات الحجارة القاسية. كما كشف الروح عن قلبه المتسع بالحب، فتشبه بسيده على الصليب: "لا تقم لهم هذه الخطية".

أخيرًا: "لما قال هذا رقد"، إنه لم يمت، لكنه رقد في ليل هذا العالم ليستيقظ على نور نهار الله الذي يمسح كل دمعة، ويدخل به إلى فرح سيده ويشارك السمائيين تهليلهم وبهجتهم!

❖ إذ قال هذا رقد في موته. يا له من نومٍ طوباوي، وراحة حقيقية! انظروا ماذا يعني أنه يستريح سعيدًا: أن يصلي من أجل أعدائه[1].

❖ يحبك لإنسان هو عدوك تصير صديقًا لله؛ في الحقيقة ليس صديقه فقط بل وابنه، كما يقول الرب نفسه: "أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، هذا يبرهن أنكم أبناء أبيكم السماوي" (راجع مت ٥: ٤٤-٤٥)[2].

❖ لنجاهد أن نعمل كأطباء نحو كل الأشرار. لنكره أعمالهم الشريرة، لا الناس أنفسهم. لنصلي من أجل كل الصالحين لكي ما يرتفعون دومًا إلى حياة أفضل، ومن أجل الأشرار لكي ما يتمتعون سريعًا بحياة صالحة خلال أدوية التوبة. عندما نصلي من أجل هذا، فإنه يهبنا نحن ذلك[3].

❖ حزن (استفانوس) بالأكثر على خطاياهم أكثر من حزنه على جراحاته. حزن على شرورهم أكثر من حزنه على موته. تصرف بحق؛ بالتأكيد يوجد في تصرفهم الشرير ما يلزم النوح عليه، بينما لم يوجد شيء في موته ليحزن عليه. الموت الأبدي تبع شرهم بينما الحياة التي بلا نهاية تبعت موته... ليتنا نحب اخوتنا في

---

[1] *Sermon 220:2.*
[2] *Sermon 219:3.*
[3] *Sermon 219:3.*

الكنيسة بذات الروح التي بها أحب استفانوس أعداءه[1].

❖ إن كان القديس استفانوس قد سيم شماسًا بواسطة الرسل، فقد سبق الرسل أنفسهم بموته المنتصر المبارك. الذي كان أقل في الرتبة صار الأول في الألم؛ والذي كان تلميذًا صار معلمًا باستشهاده متممًا ما قاله النبي الطوباوي في المزمور: "ماذا أرد للرب من أجل كل إحساناته عليَّ؟" (مز ١١٦: ٢)[2].

**الأب قيصريوس أسقف آرل**

❖ كان سلوك المسيح نفسه فوق كل الآخرين، وذلك كمثالٍ لنا. لأنّه بينما كان لايزال معلّقًا على الصليب الثمين، وجموع اليهود يهزأون به، قدّم لله الآب صلوات لحسابهم، قائلاً: "اغفر لهم، لأنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو٢٣: ٣٤). وأيضًا الطوباوي استفانوس بينما كان يُرجم بالحجارة، جثا على ركبتيه، قائلاً: "يا ربّ لا تقم لهم هذه الخطية". وبولس الطوباوي أيضًا يقول: "نُشتم فنبارك، يُفترى علينا فنعظ" (١ كو ٤: ١٢)[3].

**القديس كيرلس الكبير**

❖ إن كان ربّكم مثالاً عاليًا جدًا عليكم أن تحوّلوا أفكاركم نحو زميلكم الخادم. فقد كان القّديس استفانوس يُرجم، وإذ كانوا يرجمونه كان يصلّي بركبٍ منحنية لأجل أعدائه، قائلاً: "يا رب لا تقم لهم هذه الخطية" [٦٠]. لقد كانوا يقذفونه بالحجارة ولم يكونوا طالبين العفو، ومع ذلك صلّى لأجلهم. أريد أن تكونوا مثله. فلتتقدّموا إلى الأمام بالنسبة لأعدائكم. إن لم تستطيعوا أن تحبّونهم أثناء قسوتهم، فلتحبّونهم على الأقل عندما يسألونكم العفو[4].

**القديس أغسطينوس**

❖ أنه لم يقف عند عدم قذف جالديه باللعنات، بل وصلى من أجلهم، وأنتم لا تكتفون بعدم الصلاة من أجل أعدائكم، بل تلعنوهم. بقدر ما كان استفانوس جديرًا

---

[1] *Sermon 219:1-2.*
[2] *Sermon 219:1.*
[3] *Comm. On St. Luke, hom. 29.*
[4] *Sermons on N.T. Lessons, 6:16.*

بالإعجاب، بنفس القدر أنت بائس... أية عقوبة نحن لا نستحقها؟ قد تظنون أنكم تجرحون عدوكم، في الحقيقة أنتم تصوبون السلاح ضد أنفسكم. إذ لا تعطون فرصة للديان أن يكون رحيمًا من جهة خطاياكم، وذلك بإثارته ضد خطايا الغير. "لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم" (مت ٧: ٢). لنكن رحماء، فننال الرحمة من قبل الرب[١].

❖ لن يسكن الروح القدس حيث يوجد الغضب، بل ملعونون هم الغضبى. لا يمكن أن يحل الأمان قط حيث يوجد الغضب. إنما كعاصفة في البحر، اضطراب عظيم، صخب شديد، لا مجال قط لتعلم دروس الحكمة، هكذا عندما يوجد السخط[٢].

❖ عندما صمت صوت استفانوس، صار صوت بولس المبوّق يدوي[٣].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ هكذا كان سلوك المسيح نفسه فوق كل الآخرين، وذلك كمثالٍ لنا، لأنه بينما كان لايزال معلقًا على الصليب الثمين، وبينما كان الشعب اليهودي يهزأون به، قدّم لله الآب صلوات من أجلهم، قائلاً: "اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو ٢٣: ٣٤).

وأيضًا استفانوس الطوباوي بينما كان يُرجم بالحجارة، جثا على ركبتيه، قائلاً: "يا رب الذي تُقم لهم هذه الخطية" (أع ٧: ٦٠).

وبولس الطوباوي أيضًا يقول: "نُشتم فنبارِك، يُفترى علينا فنعظ" (١ كو ٤: ١٢)...

لكن ربّما تعترضون قائلين في داخلكم: المسيح هو اللّه، أمّا أنا فإنسان ضعيف، وليس لي إلا عقل ضعيف عاجز عن أن يُقاوم هجمات الشهوة والألم. إنك تتكلّم بالصواب، لأن عقل الإنسان ينزلق بسهولة إلى الخطأ، ومع ذلك أقول أن الرب لم يتركك محرومًا من رحمته، فأنت مقتنيه في داخلك بواسطة الروح

---

[1] *Hom. On 1 Tim., hom. 6.* ترجمة سعاد سوريال

[2] *Hom. on Acts, hom. 17.*

[3] *Homm. De Covers, Sancti Pauli*

القدس، لأننا نحن مسكنه، وهو يسكن في نفوس الذين يحبّونه. إنه يعطيك قوّة لكي تحتمل بنبلٍ كل ما يحلّ بك، وأن تقاوم برجولة هجمات التجارب. لذلك "لا يغلبنّك الشر، بل اغلب الشرّ بالخير" (رو ١٢: ٢١)[١].

**القديس كيرلس الكبير**

❖ إذ تمثّل التلاميذ أيضًا بالسيد المسيح، عندما كانوا يسقطون تحت الآلام بنفس الطريقة، صلوا من أجل قاتليهم[٢].

**المعارف**

❖ يليق بشهيد المسيح الأول أن يكون هكذا، هذا الذي هو سابق للشهداء يتبع المسيح في موته المجيد، لا يكرز فقط بآلام المسيح، بل ويقتدي أيضًا بصبره الفائق المملوء لطفًا[٣].

**الشهيد كبريانوس**

❖ تفوق شريعة الرب ناموس الطبيعة والناموس الذي أعلنه موسى. لأن غير المستطاع عند البشر مُستطاع عند اللّه (لو١٨: ٢٧). لكن المسيح لم يشترع المستحيلات، فإن استفانوس أظهر ذلك في وقت آلامه، عندما أحنى ركبتيه وصلّى من أجل الذين كانوا يرجمونه. بنفس الطريقة، فإن بولس الذي عانى الكثير من أيدي اليهود صلّى أيضًا لأجلهم. فإن ندرة حدوث هذه الأمور لا يُظهر أنّها مستحيلة. لأن أغلب الشعب يظنّون أنّها أمور يصعب تنفيذها، وذلك بسبب عدم الرغبة في الصراع للبلوغ إلى قمّة الفضيلة[٤].

**ثيؤدور أسقف هيراقليا**

اختار القديس استفانوس حتى في لحظات رجمه أن يركع ليصلي. لذا جثا على ركبتيه غير متطلع إلى الحجارة التي تنهال عليه بل إلى خلاص مضطهديه.

رقد القديس استفانوس بقلبٍ مملوءٍ حبًا ونفسٍ مملوءةٍ سلامًا فائقًا. لم يشغله

[1] *Comm. on Luke, Sermon 29.*
[2] *Recognitions of Clement, 6:5.*
[3] *Treatise 9 On the Advantage of Patience, 16.*
[4] *Theodore of Heraclea: Fragment, (c. 355) 40.*

خروج نفسه من جسده، ولم يفكر فيما يعانيه جسده من الآم أثناء الرجم، لكن وقد اختبر الحياة السماوية، لم يكن ممكنًا للموت ولا لقوةٍ ما، أن تفقده سلامه حتى تسليم النفس الأخير.

شتان ما بين موت الأشرار ورقاد القديسين! فالأشرار يرتعبون في لحظات الموت لدخولهم إلى ما هو مجهول، أما القديسون فيتهللون عند رقادهم لأنهم طالما اشتاقت نفوسهم إلى تلك اللحظات السعيدة!

**من وحي أعمال الرسل ٧**

**أينما حللت أرّاك في داخلي،**
**تسكب بهاءك عليَّ!**

❖ لقيك مفرح يا إله المجد.
أعلنت مجدك لأبي إبراهيم،
لا ليمجدك، بل لكي يتمتع ببهاء مجدك!
لم يرك في أورشليم، ولا في الهيكل،
لكنه تمتع بك في كور الكلدانيين الوثنيين!

❖ وعدته بأرض الموعد، لكنك لم تعطه وطأة قدم فيها.
لكي يطلب الأرض الجديدة والسماء الجديدة!
وعدته أن ينعم نسله بأرض الموعد،
لكنه لن يدخلها ما لم يُستعبد أبعمائة عام.
هل لي أن أحتمل كل ألم وتجربة،
فأدخل لا أرض الموعد، بل كنعان السماوية؟

❖ هب لي مع يوسف البار القلب المتسع لمبغضيَّ.
مؤمنًا أنهم وإن باعوني عبدًا،
فذلك لمجدي ولخلاصهم!
ليغلقوا أبواب قلوبهم،

أما قلبي فدومًا متسع لهم.
ليدبروا الشر،
فأنت تقيم من شرهم خيرًا لي ولهم.
لترسلني إلى مصر عبدًا،
هناك أراك يا خالق الكل، قد صرت عبدًا لأجلي!

❖ ما كان لوالديّ موسى أن يحتفظا به سوى ثلاثة شهور.
عجزت أياديهما البشرية، فامتدت يدك لخلاصه.
كنت ترعاه في قصر فرعون،
ولم تفارقه قوتك!
قدمت له لبن كنيستك المقدسة غير الغاش،
إذ رعته أمه وسط الجو الوثني.
تدرب على حكمة العالم وفلسفته،
لكنه استهان بكل مجدٍ وعلمٍ ملوكي،
من أجل عار صليبك.

❖ رفضه شعبه، فهرب إلى البرية،
هناك نسي العالم ومباهجه وحكمته،
هناك اختلى بك يا أيها القدوس،
هناك رعى حواسه ومشاعره وكل طاقاته كقطيعك المقدس.
في سكون برية نفسه،
رآك في العليقة الملتهبة نارًا.
ما لم يره نبي أو رئيس كهنة في الهيكل،
رآه نبيك في سكون البرية.
خلع حذائه لأنه صار واقفًا فيما هو أعظم من قدس الأقداس!
هب لي بروحك القدوس أن أخلع كل ما هو ميت فيّ،
فيؤهلني للتمتع بنور أسرارك.

❖ قاومه الشعب وحاولوا قتله،
حتى في لحظات إحساناته عليهم كقائدٍ يعمل بقوتك!
بقي قلبه مفتوحًا لمقاوميه حتى آخر نسمة في حياته!
أقام لك **سليمان** هيكلاً،
مع كل المجد الذي ناله، هل صار في مرتبة داود أبيه؟
بنى لك هيكلاً، أما قلب داود فكان على مثال قلبك!

❖ هب لي أن أراك في داخلي،
تسكب بهاء حبك ومجدك في أعماقي!
أتمتع بالأرض الجديدة مع أبي إبراهيم،
والقلب المتسع مع يوسف البار،
وإدراك أسرارك مع موسى النبي،
ونقاوة القلب مع داود الملك!

# الباب الثالث

# في اليهودية والسامرة

## ص ٨- ص ٩

# الأصحاح الثامن

# شاول يضطهد الكنيسة

كان استشهاد القديس استفانوس بداية لحركة اضطهاد قاسية على الكنيسة، دفعت كثير من المؤمنين إلى ترك أورشليم وتشتيتهم. فتح هذا التشتيت الباب للخدمة بكل قوة خارج أورشليم، في اليهودية والسامرة.

**١. اضطهاد عظيم على الكنيسة ١-٣.**
**٢. خدمة فيلبس في السامرة ٤-٨.**
**٣. إيمان سيمون الساحر ٩-١٣.**
**٤: بدء فكرة السيمونية ١٤-٢٥.**
**٥. إيمان الوزير الأثيوبي ٢٦-٣٥.**
**٦. عماد الوزير الأثيوبي ٣٦-٣٨.**
**٧. القديس فيلبس في أشدود ٣٩-٤٠.**

## ١. اضطهاد عظيم على الكنيسة

**"وكان شاول راضيًا بقتله،**
**وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة**
**التي في أورشليم،**
**فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة، ماعدا الرسل". [١]**

أعلن السيد المسيح لتلاميذه وهو في طريقه للصليب "العالم يفرح، وأنتم تحزنون" (يو ١٦: ٢٠). الآن إذ رُجم القديس استفانوس حزن كثير من المؤمنين عليه، بينما فرح شاول الطرسوسي، لأنه تخلص منه، وقد ظن أن هذه بداية نهاية التلاميذ والكنيسة وذِكرْ اسم يسوع المصلوب في العالم. فقد جاءت كلمة "راضيًا" تحمل الرضا القلبي مع البهجة، إذ وجد مسرته في ذلك. ولعل بولس الرسول اعترف بذلك أمام كثيرين من بينهم القديس لوقا، تبكيتًا لنفسه، وشهادة حية لنعمة الله الغنية التي حولته

عن البهجة بقتل الكارزين، ليجد لذته في احتماله اليومي للموت من أجل الكرازة باسم يسوع المصلوب. كان بولس الرسول يشعر بالذنب والندم على تلك الأيام التي كان يُسر فيها باضطهاد المسيحيين، حيث كان يود أن يشبع مشاعره الداخلية أنه يقدم خدمة لله.

لم يكن في ذهن المؤمنين بعد فكرة الكرازة بين الأمم، فقد كانت أفكارهم محصورة في الكنيسة داخل أورشليم. ولعل التلاميذ والرسل أنفسهم وقد سمعوا الوصية المتكررة من فم السيد المسيح حتى قبيل صعوده أن يشهدوا له في كل العالم لم يعرفوا كيف يبدأون الخدمة خارج أورشليم.

استشهاد استفانوس وتفجير حركة اضطهاد ضد الكنيسة في أورشليم دفع المؤمنين للهجرة خارجًا، فكانوا أشبه بالبذار التي غُرست في بلاد كثيرة لنشأة كنائس هناك.

١. استشهاد القديس استفانوس فجَّر اضطهادًا عظيمًا على الكنيسة التي في أورشليم، فما سرّه؟

يصعب جدًا تبرير بقاء الرسل في أورشليم بينما تشتّت الشعب خارجها، إنَما يمكن القول أولاً وآخرًا أن هذه هي مسرّة السيّد المسيح رأس الكنيسة، الذي أراد أن يبقى الرسل في أورشليم للعمل في الكنيسة الناشئة حديثًا، لكي تكون مركز قوّة روحيّة تسند الكنائس التي تنشأ بواسطة الذين تشتّتوا، وأيضًا الرسل فيما بعد. أراد السيّد المسيح أن يعلن خطّته، أن المدينة التي قاومته وصلبته تبقى مركزًا حيًا للعمل الروحي بواسطة رسله القدّيسين.

٢. إلى ذلك الحين كان اليهود والرومان يحسبون المسيحيين طائفة يهودية ملتزمة بالاشتراك في عبادة الهيكل، ولم تكن القيادات اليهودية، حتّى مجمع السنهدرين، تدرك الموقف الحقيقي للإيمان المسيحي. لكن حديث القديس استفانوس الصريح وتأكيده لما سبق فأعلنه السيد المسيح أن الهيكل سيُنقض، وأن العادات اليهودية ستتغير، مثل ختان الجسد وحفظ السبت وقوانين التطهيرات، أثار اليهود للخلاص نهائيًا من أتباع يسوع، لأن وجودهم، خاصة في أورشليم، حيث الهيكل وطقوس الأعياد يمثل خطرًا

فادحًا.

٣. امتلأت القيادات اليهودية مرارة إذ أدركوا في خطاب القديس استفانوس اتهامًا علنيًا بأن مجمع السنهدرين قد ارتكب جريمة قتلٍ ليسوع البار. لقد خشوا من نشر هذا الاتهام على مستوى شعبي، حتى بين اليهود غير المؤمنين بيسوع، فيهز صورة قدسية المجمع وربما سلطانه. لذا وجب الخلاص من أتباع المصلوب بأسرع ما يمكن.

٤. يُدعى سافكو الدماء في الكتاب المقدس "عطشى لسفك الدماء"، فيظن المحب لسفك الدماء أنه إذ يمارس الجريمة تشبع أعماقه فيستريح. لكن حينما يسفك الشخص دم أخيه يزداد ظمأ نحو سفك الدم، وهذا بدوره يولد رغبة أحر نحو سفك دمٍ آخر، وذلك كما يولد الغضب ثورة في النفس أكثر، فيزداد الغضوب حدةً وكراهية.

٥. لعل استشهاد القديس استفانوس بروح الحب والقوة وهب حتى الضعفاء من المؤمنين قوة للشهادة ليسوع المسيح، فتحول كثيرون بسبب ذلك إلى الشهادة للسيد علانية، ودخل كثيرون في حوار مع اليهود، مما ألهب الموقف جدًا في أورشليم.

٦. كان لا بد أن تُطرد الكنيسة خارج أورشليم لتحمل مع سيدها عار الصليب خارج المحلة.

٧. الآن تخلص شاول الطرسوسي من القديس استفانوس الذي كان يفحمه، لكنه خشي أن يظهر استفانوس آخر يحمل ذات الأفكار، لذلك كرّس شاول طاقاته لمقاومة الكنيسة وتبديدها تمامًا.

٧. لقد ظن شاول أن بموت استفانوس يتنسم الحياة من جديدٍ بلا مقاومة روحية لاهوتية وفكرية، ولم يدرك أن موت استفانوس كان بداية انطلاقة ثورة فكرية في داخله، ليبدأ حياة جديدة على ذات الخط الذي عاش فيه استفانوس. وأن انطلاق استفانوس السريع إلي الفردوس صار سندًا لتحول شاول إلى الإيمان، وقبوله بفرحٍ الآلام والاضطهادات، بل والموت اليومي من أجل اسم يسوع المسيح. هنا يربط القديس لوقا بين استشهاد القديس استفانوس ودخول شاول الطرسوسي في إنجيل

الكنيسة، حيث يبدأ الفصل الأول من هذا السفر العملي كأعنف مضطهدٍ للكنيسة، الذي يدفع بالمؤمنين إلى تشتتهم في كور اليهودية والسامرة. لم يدرك أن الروح القدس يستخدم حتى عنفه الشديد لكي ينطلق المؤمنون بعيدًا عن الهيكل بكل طقوسه واجتماعاته اليومية، فينفتح باب الإيمان للأمم.

لقد بقي الرسل في أورشليم، ربما لأن جميعهم عبرانيون فلم يخش مجمع السنهدرين من أن يغيّروا العوائد اليهودية، لكن المجمع لم يحتمل بقاء مؤمنٍ واحدٍ يهودي يوناني متنصر، لئلا يظهر استفانوس جديد يقاوم الهيكل والعوائد. ولعل الرسل بقوا هناك، لأنهم شعروا من واجبهم أن يحثوا الشعب علي الهروب من الاضطهاد، حتى لا يسقط أحد الضعفاء في إنكار الإيمان، ولكي يشهدوا ليسوع خارج أورشليم. أما هم ففي شجاعة يواجهوا أول حلقة من حلقات الاضطهاد.

**"وحمل رجال أتقياء استفانوس،**

**وعملوا عليه مناحة عظيمة". [٢]**

يرى البعض أن "**الأتقياء**" هنا يُقصد بهم الدخلاء الذين بروح التقوى تركوا الوثنية وقبلوا اليهودية، ربما كان استفانوس نفسه واحدًا منهم. بينما يرى آخرون أنها تحمل معنى أوسع، وهم المؤمنون بالسيد المسيح أيا كان أصلهم، وقد كانوا مملوءين بروح التقوى والغيرة؛ هؤلاء اهتموا بالجثمان الذي تحطم بالحجارة وتهرأ، ليقوموا بدفنه.

يرى آخرون أنه يمكن أن يعني الأتقياء سواء من المسيحيين واليهود أيضًا الذين مع عدم قبولهم الإيمان المسيحي، لكنهم لم يحملوا روح عداوة ضد يسوع المسيح، ولا ضد تلاميذه وأتباعه، وربما اقتنعوا داخليًا بالإيمان المسيحي لكنهم لم يقدروا أن يجاهروا به بعد. هؤلاء لم يستريحوا لرجم القديس استفانوس. وربما شعروا بالظلم، إذ رأوا وجهه كوجه ملاكٍ حتى اللحظة الأخيرة من انتقاله، وسمعوا كلماته الخاصة بانفتاح السماء، وأيضًا طلب المغفرة لراجميه.

يرى البعض أن كلمة "**مناحة**" في اليونانية كوبتون κοπετον معناها الضرب على الصدر؛ ومنها جاءت كلمة "اجيتو" أو "قبطي"، حيث كانت عادة

المصريين الدق على الصدر في النواح. وقد تعلم اليهود ذلك منهم، كما حدث في دفن يعقوب حيث "ناحوا نوحًا (ضرب الصدور) عظيمًا وشديدًا جدًا، وصنع لأبيه مناحة (الضرب على الصدور)..." (تك ٥٠: ٧، ١٠، ١١).

بحسب المشناة[1] لا تُعمل مناحة لمن صدر عليهم حكم بسبب خروجهم على الناموس. لكن يبدو أن كثير من الفريسيين رأوا في رجم استفانوس خروجًا عن القانون، لذلك سمحوا بعمل مناحة عظيمة.

ربما يتعجب البعض متسائلين: لماذا صُنعت مناحة عظيمة لشهيدٍ رأى السماوات مفتوحة، ويسوع قائمًا عن يمين الله، وقد صار وجه استفانوس قبل استشهاده كوجه ملاك؟

سألت القديسة باولا Paula **القديس جيروم**: لماذا لا أبكي على بلاسيلا Blaesilla التي تنيحت خلال ثلاثة شهور من قبولها الإيمان؟ أجابها: [لا نتعجب عندما نقرأ عن موسى وهرون أنه قد عُملت عليهما مناحة حسب العادة القديمة، فإنه حتى في أعمال الرسل، في كمال بهاء الإنجيل، نرى الإخوة في أورشليم قد عملوا مناحة عظيمة على استفانوس. لا تشير هذه المناحة العظيمة إلى الحزانى، **وإنما إلى موكب الجنازة والجمهور الذي رافقها**. هذا ما يقوله الكتاب المقدس عن يعقوب: "فصعد يوسف ليدفن أباه وصعد معه **جميع عبيد فرعون شيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر**، وكل بيت يوسف واخوته وبيت أبيه" (تك ٥٠: ٧-٨). وبعد أسطر قليلة أكمل: "وصعد معه مركبات وفرسان، فكان الجيش كثيرًا جدًا"، وأخيرًا "ناحوا هناك نوحًا عظيمًا وشديدًا جدًا" (تك ٥٠: ١٠). لم تفرض هذه المناحة المهوبة على المصرين أن يستمروا في بكائهم، إنما تصف مراسيم الجنازة. ففي يسوع، أي في إنجيل المسيح الذي فتح لنا باب الفردوس، صار الموت يصحبه الفرح لا الحزن[2].]

أقيمت هذه الجنازة الفخمة للتعبير عن الآتي:

أ. أراد هؤلاء الأتقياء تكريم ذاك الذي رُجم ظلمًا.

---

[1] *Mishnah: Senh 6:6.*

[2] *Letter 39:4.*

ب. عبَّر المسيحيون عن عدم خجلهم من العلة التي بسببها رُجم القديس استفانوس، وأنهم لن يخشوا غضب مجمع السنهدرين أو غيرهم ممن يحملون عداوة نحو المؤمنين.

ج. إذ كان القديس استفانوس أول شهيد على اسم السيد المسيح بعد حلول روحه القدوس على الكنيسة، أعلنت الكنيسة اعتزازها بهذا الاستشهاد، بكونه ثمينًا في عيني الله وعيني الكنيسة، علامة كرامة ونصرة. إنهم يكرمون ذاك الذي يكرمه الله نفسه. أرادوا تقديم شهادة عملية لإيمانهم بالقيامة من الأموات وحياة الدهر الآتي.

الكلمة المترجمة "**حمل**" ترجمتها "جمع"، كما يُجمع محصول الفاكهة. لعل جثمان القديس قد تهرأ، فجمعوه ولفوه في أكفان، ووضعوا عليه أطياب. إنه بالحق أشبه بفاكهة سماوية، جُمعت من حديقة الحب الإلهي، ليجد فيها السمائيون نسمات المسيح الزكية ورائحة الحب الفائق.

**"وأمّا شاول فكان يسطو على الكنيسة،**
**وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء،**
**ويسلِّمهم إلى السجن". [٣]**

الكلمة اليونانية *elumaineto* المترجمة "**يسطو**" في الأصل اليوناني تُستخدم لسطو الوحوش المفترسة على الإنسان لتمزقه، وهي قريبة من الكلمة التي استخدمها الرسول نفسه عندما اعترف: "كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها" (غل ١: ١٣). هكذا كان شاول كوحشٍ مفترسٍ "لم يزل ينفث تهددًا وقتلاً" (أع ٩: ١).

في أكثر من موقفٍ يصف الرسول بولس نفسه كيف كان يضطهد الكنيسة بسلطان من قِبَل رئيس الكهنة، مستخدمًا كل وحشية (أع ٢٢: ٤-٥، ١٩؛ ٢٦: ٩-١١؛ ١ تي ١: ١٣). وقد نتج عن هذا الاضطهاد قتل بعض المؤمنين كما شهد الرسول بولس عن نفسه (أع ٢١: ٤؛ ٢٦: ١٠).

كان السنهدرين يصادر ممتلكات المسيحيين، وكان اليهود ينهبون ثرواتهم، وكما يقول الرسول بولس عن خبرة عاشها: "قبلتم سلب أموالكم بفرحٍ، عالمين في

أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السماوات وباقيًا" (عب ١٠: ٣٤).

كان بسلطانٍ يقتحم كل بيتٍ به شخص مسيحي أو أكثر، ليلاً أو نهارًا، يكسر الأبواب بالقوة. يقيد الرجال والنساء، ويجرهم في الشوارع، غير مبالٍ بمريضٍ أو شيخٍ أو سيدةٍ، مقتادًا الكل إلى السجن، حتى يصدر الحكم عليهم بالقتل، اللهم إلا إذا أنكروا الإيمان، وجدفوا على اسم يسوع المسيح، وقد ألزم البعض على ذلك (أع ٢٦: ١١).

كان في سلطان مجمع السنهدرين أن يسجن من يراهم مجرمين ضد الدين، لكن ليس من حقهم الحكم برجمهم أو قتلهم بدون إذن السلطات الرومانية.

كان شاول الفريسي الشاب المملوء غيرة على تقليدات آبائه أفضل أداة في نظر رئيس الكهنة لتحقيق هدفه، وأفضل رسول لمجمع السنهدرين لإتمام رسالته. وكان شاول مقتنعًا بما يفعله. ففي نظره كيف يمكن لمجرمٍ مصلوبٍ أن يدعي بأنه المسيا، وقد شهد الكتاب المقدس أنه ملعون من علق على خشبة. لهذا كان في نظر نفسه رجلاً مؤمنًا كتابيًا يتطلع إلى يسوع أنه مخادع، وإلى هذه الحركة الجديدة إنها تجديف على الله وعلي ناموسه وهيكله، كما على الأمة اليهودية كلها.

## ٢. خدمة فيلبس في السامرة

**"فالذين تشتّتوا، جالوا مبشرين بالكلمة". [٤]**

تحقق قول السيّد المسيح: "جئت لأُلقي نارًا، فماذا أريد لو اضطربت؟" (لو١٢: ٤٩). فقد شعرت القيادات اليهوديّة بأن نار الكرازة بالمسيح المخلّص قد التهبت في أورشليم، وإذ أرادوا إخمادها صبّوا غضبهم وأثاروا الاضطهاد على من التهبت نفوسهم بنار الروح القدس. تشتّت المؤمنون خارج أورشليم، لكن لم يكن ممكنًا لقوّات الظلمة أن تطفئ نار الروح، بل التهبت النيران في المناطق المحيطة.

أرادوا طردهم من مدينة اللَّه أورشليم، فإذا باللَّه يقيم له مدنًا وقلوبًا يسكن فيها في مواضع كثيرة، بلغت إلى السامرة التي يكنّ اليهود لها كل عداوة.

تشتت المّضطهدون، فجالوا يبشرون بالكلمة. وجاءت الكلمة اليونانية للتشتت تشير إلى نثر البذور. فقد أثمرت دماء الشهداء، وقدم الاضطهاد نموًا في حياة الكنيسة،

فلم تحل بالكنيسة حالة من الإحباط والشكوى والتذمر والضيق، بل على العكس جال المُضطهدون ينثرون بذار الإيمان في بلادٍ كثيرةٍ، فلم يعد الإيمان حبيس مدينة أورشليم.

ليس من دليلٍ على أن الذين تشتتوا كانوا مُسامين للعمل الكرازي، بل كانوا من الشعب، فحيث يمتلئ القلب بالحب يفيض الفم بالحديث عن المخلص. ليس شيء أحب لدى المسيحي من الاهتمام بخلاص كل نفس، والعمل لحساب ملكوت الله كي يتمتع كل إنسان بعمل الله الفائق[1].

الكرازة أو الشهادة لإنجيل الخلاص **هي عمل جوهري يمارسه كل مؤمن**، سواء كان كاهنًا أو من الشعب، رجلاً أو امرأة، صاحب ثقافة عالية أو أميًا. بدون روح الكرازة يفقد المؤمن سمته كإنسانٍ مسيحيٍ. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [أي نفع لمصباحٍ بلا نورٍ، وأي نفعٍ للمسيحي بدون المحبة (حبه لخلاص إخوته).]

**في مقال عن رسالة المسيحي وجه القديس يوحنا الذهبي الفم حديثه للشعب، قائلاً:**

**[يا لها من خسارة عظيمة في الإخوة! قليلون هم الذين يهتمون بالأمور الخاصة بالخلاص.**

**يا له من جزء كبير من جسد الكنيسة يشبه الميت الذي بلا حراك!!**

**تقولون: وماذا يخصنا نحن في هذا؟**

**إن لديكم إمكانية عظمى بخصوص إخوتكم. فإنكم مسئولون إن كنتم لا تنصحوهم، وتصدون عنهم الشر، وتجذبونهم إلى هنا بقوة، وتسحبوهم من تراخيهم الشديد. لأنه هل يليق بالإنسان أن يكون نافعًا لنفسه وحده، بل يلزم أن يكون نافعًا لكثيرين أيضًا.**

**ولقد أوضح السيد المسيح ذلك عندما دعانا "ملحًا" (مت ١٣:٥)، و"خميرة" (مت ٣٣:١٣)، و"نورًا" (مت ١٤:٥)، لأن هذه الأشياء مفيدة للغير ونافعة لهم.**

---

[1] *Cf. Barne's Notes on Acts 8:4.*

فالمصباح لا يضيء لذاته، بل للجالسين في الظلمة. وأنت مصباح، لا لتتمتع وحدك بالنور، إنما لترد إنسانًا ضل، **لأنه أي نفع لمسيحي لا يفيد غيره؟! ولا يرد أحدًا إلي الفضيلة؟!**

مرة أخرى لا يُصلح المِلح نفسه، بل يصلح الطعام لئلا يفسد ويهلك... هكذا جعلك الله ملحًا روحيًا، لتربط الأعضاء الفاسدة أي الإخوة المتكاسلين المتراخين، وتشددهم وتنقذهم من الكسل كما من الفساد، وتربطهم مع بقية جسد الكنيسة.

هذا هو السبب الذي لأجله دعانا الرب "خميرة"، لأن الخميرة أيضًا لا تخمر ذاتها، لكن بالرغم من صغرها تخمر العجين كله مهما بلغ حجمه. هكذا افعلوا أنتم أيضًا. فإنكم وإن كنتم قليلين من جهة العدد، لكن كونوا كثيرين وأقوياء في الإيمان والغيرة نحو الله. وكما أن الخميرة ليست ضعيفة بالنسبة لصغرها، إذ لها قوة وإمكانية من جهة طبيعتها... هكذا يمكنكم إن أردتم أن تجتذبوا أعدادًا أكثر منكم، ويكون لهم نفس المستوى من جهة الغيرة.]

**"فانحدر فيلبس إلى مدينة من السامرة،**

**وكان يكرز لهم بالمسيح". [٥]**

إذ كانت اليهوديّة تخشى ظهور استفانوس آخر يحاجج بروح القوّة، غالبًا ما تطلّعت إلى الرجل الثاني بعد استفانوس مباشرة وهو الشمّاس فيلبّس. هنا في طاعة لوصيّة السيّد المسيح ترك المدينة وهرب إلى مدينة أخرى (مت ١٠: ٢٣). اضطرّ إلى ترك أورشليم والهروب إلى السامرة، لا خوفًا على حياته، وإنّما للكرازة بإنجيل الخلاص. لقد سمح اللَّه له بالضيق لكي ينطلق للعمل خارج أورشليم، فتتحقّق خطّة اللَّه. فقد صار نجاح الخدمة في السامرة جسرًا للعبور بالإنجيل إلى الأمم. لأن السامريّين هم شعب مهجّن من اليهود والأمم.

ليس من الواضح إن كان يتحدث عن مدينة السامرة أم يقصد الإقليم ككل، فكلمة "السامرة" في العهد الجديد غالبًا ما يُقصد بها الإقليم لا المدينة. هنا تحقق لغز شمشون: "يخرج من الآكل أكلاً، ومن الجافي حلاوة"، فقد أخرج الاضطهاد نموًا للكنيسة واتساعًا لها. إذ لم يهرب المُضطهدون خوفًا من الضيق والألم، بل في طاعة

لوصية سيدهم أنهم متى اضطهدوهم يهربون إلى مدينة أخرى، لا في رعبٍ وخوفٍ، بل للشهادة في موقعٍ جديدٍ يقبل الكلمة. إنه هروب لأجل انتشار الكرازة ولتنصير العالم.

**مدينة السامرة**: يظن البعض أنها هي بعينها شكيم أو سوخار، مدينة المرأة السامرية التي التقت مع السيد المسيح (يو ٤: ٢٥). كانت مدينة السامرة القديمة عاصمة إقليم السامرة، قام بتدميرها هركانوس Hyrcanus تدميرًا كاملاً حتى لم يبقَ لها أثر. وكما يقول المؤرخ يوسيفوس أنه نزع عنها العلامات ذاتها التي تدل على وجود مدينة هناك[1]. قام هيرودس الكبير فيما بعد ببنائها ودعاها سبسطية Sebaste التي تعني أوغسطا Augusta، تكريما للإمبراطور أوغطس[2] Augustus. ولعلها كانت مدينة السامرة، ويرى البعض أن المدينة هي جت Gitta.

انطلق الشماس التالي للقديس استفانوس، وكان مملوءً من الروح القدس للخدمة الإنجيلية لأهل السامرة، الذين وجد بينهم من سبقوا فاعترفوا: "نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم" (يو ٤: ٤٢).

"انحدر" وهو تعبير يطلق على كل من نزل من أورشليم بكونها مرتفعة على الجبل.

حُسب ذهاب القديس فيلبس إلى السامرة لتبشيرها خطوة شجاعة وجريئة، حيث يكرز رجل عبراني بين السامريين، بالرغم مما كان يحمله اليهود من عداوة للسامريين. غير أننا نقرأ في قصة المرأة السامرية (يو ٤: ٢٥) كيف كان السامريون يترقبون مجيء المسيا بكل شوقٍ وغيرةٍ.

سلك على منوال القديس استفانوس الذي كشف عن جوهر الإيمان المسيحي والتحرر من الطقوس اليهودية الحرفية، وكأنه كان تلميذًا له. وفيً نفس الوقت فتح الباب أمام بولس الرسول ليكرز بين الأمم. وكان القديس فيلبس مع القديس استفانوس يمثلان حلقة الوصل بين بطرس الرسول رسول الختان وبولس الرسول رسول الأمم،

[1] *Antiq. 13:10:3.*
[2] *Antiq. 15:8:5.*

أو بين كنيسة أورشليم وكنيسة الأمم.

جاءت كلمة "**يكرز**" تحمل معنى الإعلان عن ظهور ملكٍ. جاء القديس فيلبس يعلنْ لهم أنه قد جاء المسيا المنتظر لكي يملك. لم يكن الكارزون يبشرون بشيء آخر سوى تحقق النبوات والوعود الإلهية بمجيء يسوع المسيح مخلص العالم ليملك على القلوب.

**"وكان الجموع يصغون بنفسٍ واحدةٍ إلى ما يقوله فيلبس،**
**عند استماعهم،**
**ونظرهم الآيات التي صنعها". [٦]**

دهشت المرأة السامريّة حين تحدّث معها يسوع المسيح طالبًا منها أن يشرب، ولم تصدّق نفسها، قائلة: "كيف تطلب منّي لتشرب، وأنت يهودي، وأنا امرأة سامريّة؟" (يو٤: ٩). الآن هوذا قادم السيّد المسيح في القدّيس فيلبّس المبّشر ليذبح العداوة، ويهبهم روح الحب حتى فيما بينهم، فكانت الجموع تصغي بنفسٍ واحدةٍ. قدّمت كلمة الإنجيل مصالحة بين النفس والجسد في الرب، ومصالحة بين السامريّين وبعضهم البعض ليحملوا النفس الواحدة، ومصالحة مع اليهود الذين قبلوا الإيمان، وحتى مع أعدائهم... هذا كلّه خلال مصالحتهم مع الله واهب الحب والسلام.

شتان ما بين موقف اليهود وموقف السامريين، فاليهود كجماعة كانوا يقاومون الحق في أيام خدمة السيد المسيح كما في عصر الرسل، فكانوا يتحركون وراء القديس بولس ليفسدوا عمله في كل مدينة، لكن وُجد قلة قليلة قبلت الإيمان، أما السامريون ففي أيام خدمة السيد المسيح جاءت مدينة سوخار بأكملها لمجرد شهادة امرأة سامرية أنها وجدت من قال لها كل ما قد فعلته (يو٤: ٣٩-٤٢)، وها هم في عصر الرسل قد أنصتوا للقديس فيلبس بنفسٍ واحدةٍ. تحركوا كجماعةٍ معًا لقبول الإيمان.

**"لأن كثيرين من الذين بهم أرواح نجسة،**
**كانت تخرج صارخة بصوتٍ عظيمٍ،**
**وكثيرون من المفلوجين والعُرج شُفوا". [٧]**

إذ كان السامريون يتلهفون على مجيء المسيا، كانوا يصغون بنفسٍ واحدةٍ

إلى ما يقوله فيلبس، وقد أيده الروح القدس بكلمات الحكمة واخراج شياطين وعمل أشفية، فتحولت المدينة إلى فرحٍ عظيم، أو إلى عرسٍ سماوي.

كلما انتشرت كلمة الكرازة بالإنجيل انهارت مملكة إبليس، ولم يعد لعدو الخير بجنوده موضع في المؤمنين، ولا أن يجدوا راحة في عقولهم، لأنها صارت في حيازة المخلص، يقيم مملكته فيهم. إذ يدخل القدوس الإنسان الداخلي، ويتجلى داخل النفس، لا يمكن للأرواح النجسة أن تبقى فيها، ولا للظلمة أن تسيطر عليه.

**"فكان فرح عظيم في تلك المدينة". [٨]**

كان القدّيس استفانوس قد صار موضوع سرور السماء، لأنّه تشبّه بمخلّصه حتى في لحظات رجمه، وحمل على ملامح وجهه سمات ملائكيّة، وصار الشهيد الأول والمثل الرائع للمؤمن شريك المسيح في صلبه. الآن زميله أو تلميذه فيلبّس موضوع سرور السامرة، عاصمة السامريّين، يفرحون لأنّهم اكتشفوا أنّهم موضوع حب الله الفائق، وأن أبواب السماء مفتوحة أمامهم، وحضن الله ينتظرهم. صار فيلبّس المبّشر الأول خارج أورشليم.

تهلّلت مدينة السامرة، فقد دخل إليها السيّد المسيح ليسكن في قلوب المؤمنين، محطمًا العداوة القديمة بينهم وبين الله، وبينهم وبين اخوتهم اليهود، فقد جمع السيد اليهود والأمم معًا أعضاء في جسده المقّدس، الذي هو الكنيسة.

قبول الإنجيل أو البشارة المفرحة بالخلاص يرد النفس كما الجماعة إلى بهجة الخلاص. فتسمع هنا عن الفرح العظيم الذي عمّ مدينة السامرة. سرّه حلول السيد المسيح مصدر الفرح في أعماقهم وفي وسطهم. كما تهللوا حين رأوا مملكة إبليس تنهار تحت أقدامهم، ولم يعد للأرواح الشريرة سلطان عليهم. لقد شُفيت نفوسهم، كما رأوا المرضى جسديًا ينالون الصحة. أخيرًا، إذ صار لهم الروح الواحد، عمّ فيهم الفرح المشترك حيث يفرح كل عضو لفرح الأعضاء الأخرى ونموها.

البشارة بالخلاص أو بالإنجيل "الأخبار السارة" تنزع عن البشريَّة روح الكآبة التي ملكت عليهم بالخطيّة، لتقيمَ ملكوت الله المفرح في أعماق النفس. فالمسيحيَّة دعوة

لخبرة الحياة السماويّة المتهلّلة في الداخل.

### ٣. إيمان سيمون الساحر

**"وكان قبلاً في المدينة رجل اسمه سيمون،**
**يستعمل السحر،**
**ويُدهش شعب السامرة،**
**قائلاً أنه شيء عظيم". [٩]**

كان استخدام السحر أمرًا شائعًا في العالم القديم. في البداية كان السحرة يدرسون الفلسفة وعلم التنجيم والأفلاك والطب الخ. لكن صار اسم "السحرة" يشير إلى الذين يستخدمون معرفة الفنون بغرض التعرف على المستقبل، بدعوى أن ذلك يتحقق خلال تحركات الكواكب، ويشفون المرضى بالتعاويذ السحرية (إش ٢: ٦؛ دا ١: ٢٠؛ ٢: ٢). وقد حرّمت الشريعة ذلك (لا ١٩: ٣١؛ ٢٠: ٦).

**"وكان الجميع يتبعونه،**
**من الصغير إلى الكبير،**
**قائلين: هذا هو قوة الله العظيمة". [١٠]**

يرى بعض الدارسين أن سيمون هذا هو الذي أشار إليه المؤرخ يوسيفوس[1]، الذي وُلد في قبرص، وكان ساحرًا. استخدمه فيلكس الوالي لكي يغوي دروسللا Drusilla أن تترك زوجها عزيزوس Azizus وتتزوجه. لكن رفض بعض الدارسين ذلك، لأن سيمون هنا غالبًا ما كان يهوديًا أو سامريًا، كرّس حياته لدراسة فنون السحر. درس الفلسفة في الإسكندرية[2]، وعاش بعد ذلك في السامرة.

ادعي أنه المسيح، ورفض ناموس موسى، وكان عدوًا للمسيحية، وإن كان قد اقتبس بعض تعاليمها لكي يجتذب بها البعض.

**"وكانوا يتبعونه**
**لكونهم قد اندهشوا زمانًا طويلاً بسحره". [١١]**

---

[1] *Antiqu. 20:7:2.*
[2] *Mosheim, vol. 1, p. 113-114. (Murdock's translation).*

إذ رأى عدو الخير كلمة الله يتجسد، وربما أدرك أن مملكته تنهار، بذل كل الجهد لإقامة العقبات في كل موضع، فحث سيمون على عمل السحر زمانًا طويلاً، وخدع الجميع من الصغير إلى الكبير.

كان سيمون الساحر (ماجوس) شخصية خطيرة، لها سمعتها في الأوساط التاريخية والعلمية، استخدم وسائل شيطانية كثيرة، وحسبه الجميع قوة الله العظيمة. وبحسب **القديس إيريناوس**[1] كان يجول بامرأة تدعى هيلانة، تُدعي أنها من تجسد سابق من إله العقل، أو من فكر الإدراك الإلهي الذي خرجت منه كل القوة الملائكية والمادية. ويقدم **القديس هيبوليتس**[2] تقريرًا شاملاً لمنهجه القائم على أساس غنوسي، دعاه "الكشف الأعظم".

ويروي **الشهيد يوستين**[3] كيف استطاع هذا الساحر أن يجتذب أشخاصًا يكرسون حياتهم لنظامه بواسطة قوة السحر، ليس فقط في السامرة، بل وفي إنطاكية أيضًا وروما. وقد عُمل له تمثال في روما نُقش عليه: "تذكار لسمعان الإله المقدس". وقد أثار الحكام في روما ضد المسيحيين. ويُقال أنه دخل في صراعٍ مريرٍ مع القديس بطرس انتهي بدحره. وبتقرير **العلامة أوريجينوس**[4] بقت جماعة السيمونيين تخرب في الكنيسة حتى منتصف القرن الثالث.

**"قوة الله العظيمة"**، وتعني: "الله القوي" أو "يهوه الجبار". جاء في كتاب اليوبيل (أبوكريفا يهودي) أن الشعب في مصر كان يخرج وراء يوسف ويصيحون El- El wa abir El، ومعناه "الله والقوة الذي من الله". ويرى البعض أن الترجمة الدقيقة لعبارة **"قوة الله العظيمة"** هي: **"هذا هو قوة الله، الإله الذي يُدعى العظيم"**.

تسبب سيمون في عزل بيلاطس بنطس، فقد أعلن أنه سيذهب إلى جبل جرزيم، ويستخرج من تحت أنقاض هيكل جرزيم الآنية التي كان يستخدمها موسى نفسه. فانطلقت وراءه الجماهير، مما اضطر بيلاطس أن يرسل حملة من الجنود

---

[1] *Adv. Haer. 1.23.*

[2] دحض كل الهرطقات ٦: ٢-٥.

[3] ***Apology 1:26.***

[4] ***Against Celsus, 1:57.***

فحدثت مذابح رهيبة. اشتكى السامريون للحاكم الروماني في سوريا، فأبلغ روما التي استدعت بيلاطس بلا عودة.

يروي **هيبوليتس** أنه في استعراض له بروما طلب أن يدفنوه حيًا، مدعيًا أنه سيقوم في اليوم الثالث، فدُفن ولم يقم.

**"ولكن لمّا صدقوا فيلبس،**
**وهو يبشّر بالأمور المختصّة بملكوت الله،**
**وباسم يسوع المسيح،**
**اعتمدوا رجالاً ونساء". [١٢]**

يقول لوقا البشير: "**ولكن لما صدقوا فيلبس**" [١٢]، وكأنهم قارنوا بين الحق الذي شهد له فيلبس الرسول، والسحر والأعمال المبهرة التي مارسها سيمون، فأعطى الروح القدس قوة لكرازة فيلبس حطمت أباطيل إبليس وجنوده.

يقرن القديس فيلبس ملكوت السماوات بالعماد باسم يسوع المسيح.

في عرضٍ رائعٍ، يقدم لنا **الشهيد كبريانوس** خبرته بخصوص معموديته، قائلاً:

[إنني مثلك، ظننت مرة إنني كنت حرًا، مع إنني كنت أسيرًا، مقيدًا في ظلمة روحية.

نعم كنت حرًا، أحيا كيفما أشاء. ولكنني كنت في فراغ إلي زمنٍ طويلٍ. كنت أبحث على الدوام عن شيءٍ أؤمن به. مع تظاهري بأنني واثق من نفسي، كنت كموجة تلطمها الريح. كنت أيضًا أنجذب إلي كل أمور هذه الحياة معتزًا بالممتلكات والسلطة. بينما كنت أعرف في قلبي أن كل هذه الأمور ليست إلا كفقاعة علي البحر، تظهر الآن ثم تنفجر لتزول إلي الأبد. مع تظاهري باليقين الخارجي، كنت أعرف أنني مجرد تائه في الحياة، ليس لي خطة أسلكها، ولا مسكن تستقر فيه نفسي.

يمكنك أن ترى إنني لم أعرف شيئًا عن الحياة الحقيقية، الحياة الجديدة المقدمة لنا من فوق. لأنني كنت أبحث عن الحق خلال خبراتي الذاتية، معتمدًا علي طرق منطقي الذاتي، لذا بقي الحق مراوغًا. وإذ اعتمدت علي فهمي الخاص، كان نور

الحضرة الحقيقية لله مجرد إشراقة بعيدة.

سَمعْت أن رجالاً ونساءً يمكنهم أن يُولدوا من جديد، وأن الله نفسه أعلن طريق تحقيق هذا الميلاد الجديد بالنسبة لنا، وذلك لمحبته للخليقة التائهة مثلي.

في البداية ظننت أن هذا مستحيل. كيف يمكن لشخص مثلي عالمي وعنيف أن يتغير ويصير خليقة جديدة؟ كيف يمكن لمن هو مثلي أن يعبر من تحت المياه ويعلن أنه قد وُلد من جديد؟ هذا بالنسبة لي أمر غير معقول، أن أبقى كما أنا جسمانيًا، بينما يتغير صُلب كياني ذاته، وأصير كأنني إنسان جديد.

لم أرد أن أترك عدم إيماني، ومقاومتي لهذه الفكرة بأنني أولد من فوق. لقد اعترضت: "نحن من لحمٍ ودمٍ، مسالكنا طبيعية، غريزية، مغروسة بحق في أجسامنا. إننا بالطبيعة نقدم أنفسنا على الغير، ونسيطر ونتحكم ونصارع لكي نغلب الآخرين مهما كانت التكلفة. توجد بعد ذلك عادات اقتنيناها حتى وإن كانت تضرنا، صارت هذه العادات جزءًا منا، كأنها أجسامنا وعظامنا. كيف يُمكن لشخصٍ أحب الشرب والولائم أن يصير ضابطًا لنفسه ومعتدلاً؟ كيف يمكنك أن تستيقظ صباحًا ما وبمسرةٍ ترتدي ثوبًا بسيطًا وقد اعتدت علي الملابس الفاخرة وما تجلبه من الأنظار والتعليقات؟ كيف يمكنك أن تحيا ككائنٍ متواضعٍ بينما قد نلت كرامة في أعين الجماعة؟...

هكذا كان تفكيري الطبيعي، إذ كنت في عبودية لأخطاء لا حصر لها تسكن في جسدي. بالحقيقة يئست من إمكانية التغيير. فقد تكون تلك العادات ضارة لي، لكنها كانت جزءً مني. لذلك كان التغير مستحيلاً، فلماذا أصارع؟ فإنني كنت أشبع رغباتي بتدليلٍ.

ولكن... في يومٍ أخذت خطوة وحيدة بسيطة وضرورية متجهًا نحو الله. تواضعت أمامه وكطفل قلت: "أؤمن". نزلت تحت المياه المباركة... فغسلت مياه الروح الداخلية وسخ الماضي، وكأن بقعة قذرة قد أُزيلت من كتانٍ فاخرٍ، بل وحدث ما هو أكثر.

أشرق نور عليَّ كما من فوق. اغتسلت في سلامٍ لطيفٍ. تطهرت في الحال. قلبي المظلم يتشبع بحضرته، وعرفت... عرفت... أن الحاجز الروحي القائم بيني وبين الله قد زال. تصالح قلبي وقلبه. أدركت الروح، نسمة الآب، قد حلّ فيّ من هو

فوق هذا العالم. وفي تلك اللحظة صرت إنسانًا جديدًا.

منذ ذلك الحين وأنا أنمو في معرفة كيف أحيا بطريقٍ ينعش حياتي الجديدة المعطاة لي ويعينها. ما كنت أتشكك فيه صار لازمًا أن أتعامل معه بكونه الحق واليقين. ما كنت أخفيه يلزم أن يخرج إلي النور. بهذا ما كنت أسيء فهمه بخصوص الله والعالم الروحي بدأ يصير واضحًا.

وأما عن عاداتي الخاصة بإنساني القديم، فقد تعلمت حسنًا كيف تتغير... حيث تُعاد خلقة هذا الجسد الأرضي بواسطة الله. في كل يوم أنمو علي الدوام، صرت أكثر قوة، وحيوية في روح القداسة.

الآن أخبرك ببساطة الخطوة الأولي في طريق الروح: **قف أمام الله كل يومٍ بوقارٍ مقدسٍ، كطفلٍ بريءٍ ثق فيه. هذا الاتجاه يحمي نفسك. يحفظك من أن تصير مثل الذين ظنوا أنهم متأكدون أنهم يخلصون، فصاروا مهملين. بهذا فإن عدونا القديم، الذي يتربص دومًا، أسرهم من جديد.**

لتبدأ اليوم أن تسير في طريق البراءة، الذي هو طريق الحياة المستقيمة أمام الله والإنسان. لتسر بخطوة ثابتة. أقصد بهذا أنك تعتمد علي الله بكل قلبك وقوتك.

ألا تشعر به، الآب، إذ هو موجود حولك؟ إنه يود أن يفيض عليك... فقط اذهب إليه وأنت متعطش للحياة الجديدة... افتح الآن نفسكَ واختبر نعمته، التي هي الحرية والحب والقوة، تنسكب عليك من أعلى، تملأك وتفيض.

افتح نفسك أمامه الآن، هذا الذي هو أبوك وخالقك. كن مستعدًا أن تنال الحياة الجديدة وتمتلئ بها... هذه التي هي الله نفسه[1].]

**"وسيمون أيضًا نفسه آمن،**
**ولمّا اعتمد كان يلازم فيلبس،**
**وإذ رأى آيات وقوات عظيمة تُجرى اندهش". [١٣]**

استطاع سيمون في البداية أن يميز بين الحق والباطل، وما هو من الله وما هو من الشيطان، فآمن وصار مرافقًا لفيلبس الرسول. لقد أبهرته الآيات والقوات

[1] *Epistles, 1. (David Hazard: You Give Me New Life, 1995, ch. 1.)*

العظيمة، وللأسف اندهش فاشتهاها، وصمم أن يشتريها بالمال.

❖ عندما نسمع: "من آمن واعتمد خلص" (مر ١٦: ١٦)، فبالطبع لا نفهم ذلك على من يؤمن بأيّة طريقة، فالشياطين يؤمنون ويقشعرّون (يع ٢: ١٩). كما لا نفهم ذلك على من يتقبّلون المعموديّة بأيّة طريقة كسيمون الساحر الذي بالرغم من نواله العماد إلا أنه لم يكن له أن يخلص. إذن عندما قال: "من آمن واعتمد خلص" لم يقصد جميع الذين يؤمنون ويعتمدون بل بعضًا فقط، هؤلاء الذين يشهد لهم أنهم راسخون في ذلك الإيمان الذي يوضّحه الرسول: "العامل بالمحبّة" (غل ٥: ٦)[1].

**القديس أغسطينوس**

❖ حتى سيمون الساحر جاء يومًا إلى الجرن (أع ١٣:٨) واعتمد دون أن يستنير، فمع أنه غطس بجسمه في الماء، لكن قلبه لم يستنر بالروح. لقد نزل بجسمه وصعد، أما نفسه فلم تُدفن مع المسيح ولا قامت معه ( رو ٦: ٤، كو ١٢:٢).

ها أنا أقدم لكم مثالاً لساقطٍ حتى لا تسقطوا أنتم. فإن ما حدث كان عبرة لأجل تعليم المتقرّبين لهذا اليوم (يوم العماد).

إذن ليته لا يكون بينكم من يجرب نعمة اللَّه، لئلا ينبع فيه أصل مرارة ويصنع انزعاجًا (عب ١٥:١٢)!

ليته لا يدخل أحدكم وهو يقول: لأنظر ماذا يعمل المؤمنون! لأدخل وأرى حتى أعرف ماذا يحدث؟! (أي يدخل لمجرد حب الاستطلاع).

أتظن أنك ترى الآخرين وأنت (في نيتك أن) لا ترى؟! أما تعلم إنك وأنت تفحص ما يحدث معهم، يفحص اللَّه قلبك؟![2]

**القديس كيرلس الأورشليمي**

## ٤. بدء فكرة السيمونية Simony

**"ولما سمع الرسل الذين في أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة اللَّه، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا". [١٤]**

---

[1] *Sermons on N.T. Lessons, 21:16:.*

[2] مقال افتتاحي ٢.

القديس يوحنا الذي سبق فطلب مع أخيه يعقوب من رب المجد يسوع أن يرسل نارًا ليحرق قرية سامرية (لو ٩: ٢٥ الخ)، هو نفسه الآن ينطلق مع القديس بطرس، منتدبين من الكنيسة في أورشليم، لمساندة القديس فيلبس في خدمته في السامرة. ذهبا الآن لكي تنزل نار الروح القدس الذي يجدد القلوب ويسكب المحبة الإلهية فيها، ويشكّل النفوس لتصير العروس المقدسة للسيد المسيح.

إذ قبل السامريون الكلمة بأعداد كبيرة صار العمل يحتاج إلى أيدٍ أخرى للعمل بجانب القديس فيلبس. إنها أول حركة كنسية جريئة من أورشليم، أن تبعث رسولين إلى خارج اليهودية لخدمة السامريين، لينضم سامريون إلى العضوية الكنسية.

إرسال بطرس ويوحنا إلى السامرة من قبل الكنيسة في أورشليم يؤكد العمل الكنسي الجماعي، ودور الكنيسة في أورشليم القيادي، وأنه لم يكن بين الرسل رئيس، بل كان الكل متساوين في السلطان الرسولي. لا يحمل القديس بطرس رئاسة ليرسل رسلاً، بل في تواضعٍ وحبٍ وشركةٍ أطاع صوت جماعة الرسل الذين أرسلوه مع القديس يوحنا للعمل بحكمة. اختار الرسل القديس بطرس المعروف بغيرته واندفاعه ومعه القديس يوحنا المعروف بهدوئه ورقته؛ وقد حدث انسجام بينهما مع اختلاف سماتهما، إذ شعر كل منهما محتاجًا للآخر. فاختلاف السمات أو المواهب علامة صحية للكنيسة مادام الحب مع التواضع يعملان في حياة الجماعة.

**"اللذين لمّا نزلا صلّيا لأجلهم،**
**لكي يقبلوا الروح القدس". [١٥]**

**"لأنه لم يكن قد حلّ بعد على أحدٍ منهم،**
**غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع". [١٦]**

**"حينئذ وضعا الأيادي عليهم،**
**فقبلوا الروح القدس". [١٧]**

كان المؤمنون قد نالوا سرّ العماد، الآن وضع الرسولان بطرس ويوحنا الأيادي ليحل الروح القدس عليهم. وقد تسلم الأساقفة هذا التقليد أو التسليم: **"وضع**

**الأيادي"، وقد دُعي سرّ المسحة" أو "سرّ الميرون"** حيث يسكن الروح القدس في أعماق النفس، ويقدس حياة المؤمن، ويقوده لكي يحمل أيقونة المسيح، وسأتحدث عنه في ملحقٍ خاص به في نهاية الحديث عن هذا الإصحاح.

لقد سبق فأوصى تلاميذه ألا يدخلوا مدينة للسامريين (مت ١٠: ٥)، الآن بعد صعوده وإرسال روحه القدوس فتح أبوابها لهم ليكرزوا ويعمدوا.

قام القديس فيلبس بتعميدهم باسم الرب يسوع، فلماذا لم يضع يده عليهم ليحل عليهم الروح القدس؟ يرى البعض أن موضوع قبول الأمم للإيمان ونوالهم سرّ العماد وحلول الروح القدس كان أمرًا غاية في الخطورة، لم يكن ممكنًا لليهود المتنصرين في البداية أن يقبلوه. فلو تم ذلك خلال فيلبس وحده لأخذ اليهود المتنصرين منه موقفًا متشددًا، وربما حسبوا عمله باطلاً. لهذا قام بالكرازة والعماد، وجاءت كنيسة الختان ممثلة في شخصي بطرس ويوحنا تثبت صحة العمل بوضع الأيادي ليقبلوا الروح القدس. فما فعله الرسولان لا يقلل من شأن القديس فيلبس، ولا يضعه في موقف العجز عن وضع اليد لقبول الروح القدس، إنما كان بخطة إلهية لتأكيد وحدة العمل جميعًا في فتح باب الإيمان للأمم.

كان قبول الروح القدس في بداية الكرازة يختلف من حالة إلي أخرى حسب ما يراه الروح من أجل ظروف الكنيسة.

❖ في أيام موسى كان الروح يُعطي بوضع الأيدي (عد ١١: ٢٩)، وبوضع الأيدي يعطي بطرس الروح[1].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

**"ولما رأى سيمون أنه بوضع أيدي الرسل يُعطى الروح القدس، قدّم لهما دراهم". [١٨]**

ظن سيمون أنه قادر أن ينال سلطان الرسل في صنع الآيات والعجائب بدفع دراهم للرسل، ولم يدرك أن الرسل أنفسهم تمتعوا بها كنعمةٍ مجانيةٍ، مُقدمة لهم من الله

---

[1] *Lect. Catech., 16:26.*

نفسه؛ وأن هؤلاء الرسل قد باعوا كل ما لهم ليتبعوا المصلوب. فما أراد أن يقدمه لهم سيمون ليس له موضع في قلوبهم ولا في فكرهم.

مع أن سيمون قد قبل الإيمان المسيحي، لكن قلبه كان لا يزال أسيرًا لعمل أمور فائقة خلال السحر، ولعله ظن في السلطان الرسولي أنه نوع من السحر، ولكن بطبيعة أخرى غير التي مارسه قبل الإيمان.

إنه مثل بلعام، قدم مالاً ليقتنى الموهبة، فكانت غايته نوال مكاسب مادية وراء هذا العمل.

أخيرًا فإن تصرف سيمون يكشف عما في قلبه من كبرياء واعتداد بالذات.

❖ أحب سيمون الساحر سلطان المسيحيين أكثر من البرّ[1].

**القديس أغسطينوس**

**"قائلاً: أعطياني أنا أيضًا هذا السلطان،**

**حتى أي من وضعت عليه يدي يقبل الروح القدس". [١٩]**

يرى **القديس ايريناؤس**[2] أن سيمون الساحر ظن أن ما يمارسه الرسل من عجائب هو عن معرفة أعظم للسحر وليس بقوة الله، لذلك أراد اقتناء هذه الموهبة بدراهم، لكشف السرّ له: لقد أظهر رغبته في التعرف على أسرار أعظم للسحر عوض إيمانه بالله وتوبته.

❖ لا يقدر أن يرجو ملكوت السماوات من يفسد السماء بإصبعه وعصاته السحرية (أي باستخدامه النجوم في السحر)[3].

**العلامة ترتليان**

❖ إذ تقبلت الكنيسة العطايا مجانًا من الله تخدم الآخرين مجانًا[4].

**القديس إيريناؤس**

---

[1] *In Ioan., tr., 6:18.*
[2] *Cf. Adv. Haer. 1:23:1.*
[3] *On Idolatry, 9.*
[4] *Adv. Haer. 2:32:4.*

❖ لم يقل: "أعطياني أنا أيضًا شركة الروح القدس" بل قال: "هذا السلطان"... لقد قدم مالاً لمن ليس لهم مقتنيات، مع أنه رأى الناس يقدمون ثمن الأشياء المُباعة ويضعونها عند أرجل الرسل[1].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

❖ عندما رأى سيمون ذلك ظن أن هذه القوّة هي من البشر، فأراد أن تكون له هو أيضًا. ما ظنّه أنه من البشر، أراد أن يشتريه من بشر[2].

**القديس أغسطينوس**

**"فقال له بطرس:**

**لتكن فضتك معك للّهلاك،**

**لأنك ظننت أن تقتني موهبة اللّه بدراهم". [٢٠]**

كشف له القديس بطرس عن جريمته، وهي اعتقاده أنه قادر أن يقتني المواهب الإلهية التي لا تُقدر بثمن بدفع دراهم.

يؤمن القديس بطرس أن محبة المال مدمرة للنفس، فإن كان قلب سيمون مرتبطًا بهذه الرذيلة إنما يهلك مع ما لديه من فضة، التي حتمًا تزول وتتبدد، بل والأرض كلها تزول. لقد ربط نفسه بما هو زائل فينحدر مع ما ارتبط به.

ظن سيمون أنه قادر أن يشتري من الله إحساناته الإلهية وعطاياه السماوية بالمال؛ وهو بهذا يهين الله الكلي الحنو.

**"ليس لك نصيب ولا قرعة في هذا الأمر،**

**لأن قلبك ليس مستقيمًا أمام اللّه". [٢١]**

**"نصيب"**: تستخدم في توزيع الميراث حيث ينال كل شخص نصيبه منه. فإذ كان قلب سيمون غير مستقيم لم يعد يُحسب ابنا لله القدوس، وبالتالي ليس من حقه أي نصيب في الميراث. وكأن ما يشغل ذهن المسيحي ليس نواله النصيب من الميراث، مهما بلغت قيمته، وإنما التمتع بالبنوة لله، والثبات فيها، عندئذ ما يناله من مواهب في

---

[1] *Lect. Catech., 16:10.*
[2] *Sermons on N.T. Lessons, 49:10.*

هذا العالم، أو من ميراث في الحياة الأبدية، هو ثمر طبيعي للبنوة الفائقة.

"قرعة": كانت تستخدم حين تتحقق نصرة جيشٍ ما، فيجمع الغنائم وتُستخدم القرعة في توزيعهما. ليس من حق سيمون أن يتمتع بالقرعة، لأنه عزل نفسه عن جيش الله، ولم يعد بالجندي الصالح الذي يهدم حصون إبليس ويسحقه بالنعمة تحت قدميه، فأي قرعة تعمل لحسابه؟

أخيرًا، فإن علاج الموقف ليس مجرد التراجع عن طلب الموهبة بدراهمٍ، بل التحول من الاعوجاج أو عدم استقامة قلبه إلى الاستقامة والقداسة والإخلاص في محبته لله.

لقد آمن سيمون واعتمد، لكنه أصر على الاعوجاج وعدم التمتع بالحياة الجديدة التي في المسيح يسوع. فالله يراه حسبما يكون قلبه عليه، لأنه فاحص القلوب والكلي.

تُنسب السيمونية لسيمون الساحر الذي ظن أنه قادر أن يقتني مواهب الروح القدس بدراهمٍ، إما لمكسبٍ مادي أو لنوال كرامةٍ زمنيةٍ. تناقض السيمونية عمل الروح، لأن مواهب الروح تقدم لمن باعوا العالم وصلبوا الذات مع الشهوات من أجل المجد السماوي. فمن كان نصيبه السماء لا ينتظر مكاسب مادية أو مجدًا زمنيًا.

جاء في إبيفان Epiphan [قال سيمون عن نفسه أنه الابن، وأنه لم يتألم حقيقة، بل بدا لهم هكذا.] [وأنه جاء بنفسه بين اليهود بكونه الابن، وبين السامريين الآب، ولبقية الأمم بكونه الروح القدس[1].]

في دفاعه الموجه إلى أنطونيوس بيوس كتب **الشهيد يوستينوس**[2] [كان يوجد سيمون السامري من قرية تدعى Gitton في أيام حكم كلاديوس قيصر في روما مدينتكم الملكية، هذا صنع أعمالاً وسحرًا، وذلك بواسطة الشياطين العاملة فيه. لقد حسبوه إلهًا وكُرم بينكم بعمل تمثال له، حيث أُقيم في نهر التيبر بين جسرين، وحمل

---

[1] *St. Irenaeus: Adv. Haer. 1:23:1.*
[2] *Apology, 13.*

هذا النقش "Simoni Deo Sanceto" الذي هو "سيمون، اللّه القدوس."] وذكر **القديس إيريناؤس والعلامة ترتليان** ذات القصة.

❖ سيمون الساحر هو مصدر كل هرطقة[1]، هذا الذي جاء عنه في سفر أعمال الرسل أنه فكّر أن يشتري بمالٍ نعمة الروح القدس، فسمع القول: "ليس لك نصيب في هذا الأمر" الخ.، وعنه أيضًا كُتب: "منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا" (١ يو ٢: ١٩).

هذا الإنسان بعدما طرده الرسل جاء إلى روما، حيث استمال إليه زانية تدعى هيلين Helene. وقد تجاسر بفمه المملوء تجديفًا أن يُدعي أنه هو الذي ظهر على جبل سيناء كالآب، وظهر كيسوع المسيح بين اليهود، ليس في جسدٍ حقيقيٍ بل كان يبدو هكذا، وبعد ذلك كالروح القدس الذي وعد المسيح أن يرسله كمعزٍ.

لقد خدع مدينة روما حتى أقام له كلوديوس تمثالاً نقش عليه من أسفل بلغة الرومان: Simoni Deo Sancto، وهي تعني "إلى سيمون اللّه القدوس"[2].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

❖ اشترى سيمون من صور، وهي مدينة فينيقية، زانية معينة تدعى هيلين، اعتاد أن يأخذها معه، معلنًا أن هذه السيدة هي أول إدراكات ذهنية، وأنها أم الجميع، بواسطتها أدرك منذ البداية خلقة الملائكة ورؤساء الملائكة[3].

**القديس ايريناؤس**

كشف له الرسول عن سمات شخصيته الخفية وهي "عدم استقامة قلبه"؛ فجريمته تكمن في أعماقه، ولا تقف عند ما نطق به أو سلك به. فهو في حاجة إلى تجديدٍ داخليٍ للقلب. إنه يحمل فكرًا عالميًا ماديًا، أو طبيعيًا، لا يقبل ما لروح الله، فكيف ينال مواهب الروح؟

---

[1] نادى القديس ايريناؤس بهذا الرأي (١: ٢٣، ٢).

[2] مقالات لطالبي العماد ٦: ١٤.

[3] *Adv. Haer. 2:32:2.*

**"فتبْ من شرك هذا،**

**وأطلب إلى اللّه،**

**عسى أن يغفر لك فكر قلبك". [٢٢]**

قدم له الرسول العلاج وهو "التوبة"، فقد آمن واعتمد، لكن لم يرجع إلى الله بالتوبة... متى قدم توبة يمكنه أن يرفع عينيه إلى الله، فيراه غافر الخطايا، مهما كان جرمها. فالصلوات والطلبات والتضرعات لن تُقبل بدون التوبة.

**"فكر قلبك"**: إنك محتاج ليس فقط إلى التوبة عن تصرفك بطلب مواهب الله المجانية بدراهم، وإنما أيضًا عن فكر قلبك الذي تخفيه في داخلك، لكنه ظاهر أمام الله.

طالبه أن يحول نظره عن المال الذي بين يديه، أو الذي يتوقع نواله، كما يحوله عن حب السلطة والكرامة، ليتطلع إلى أعماقه ويكتشف ما بلغه قلبه من فسادٍ ونجاسةٍ ويصرخ إلى الله مخلصه ليغفر له خطاياه.

مع قوله: "لتكن فضتك معك للهلاك"، بمعنى دعْ سيدك في جيبك لدمارك، يفتح له باب التوبة: **"تب من شرك هذا"** [٢٢].

**"لأني أراك في مرارة المرْ، ورباط الظلم". [٢٣]**

**"مرارة"**: تشير الكلمة هنا إلى السائل الأخضر باصفرار الذي يوجد خفية في الكبد، فإن الخطية تفيض في داخل النفس سائلاً مرًا، يُفقد القلب سلامه، والنفس فرحها، ليعيش الإنسان مرّ النفس، أحيانًا بلا سبب خارجي.

نال سيمون شهرة عظيمة، حسده الكثيرون عليها، وظنه الكثيرون من أسعد الناس وأقواهم، أما القديس بطرس فرأى مرارته الداخلية، وقيود نفسه التي تكبله وتحبسه داخل الظلمة.

**"لأني أراك في مرارة المر ورباط الظلم"** [٢٣]. أدرك القديس بطرس كيف دخل الشيطان بسيمون إلى الكنيسة ليفسدها، فقد كان لعمله هذا أثره على الشرق والغرب إلى قرابة ثلاثة قرون. بل ولازال عدو الخير يبذل كل الجهد لإفساد كنيسة الله بالسيمونية. إنه لا يزال يثمر سيمون علقمًا وأفسنتينًا (تث ٢٩: ١٨).

يفضل البعض ترجمتها: "مرًا وأفسنتينا".

"رباط الظلم" الأصل اليوناني معناه "قيود الشر". كان الرسول بولس يطالبه بالتوبة والرجوع إلى الله، وهو يراه مقيدًا بقيود الشر.

❖ لماذا لم يضرباه بالموت كما حدث مع حنانيا وسفيرة؟ فإنه حتى في الأوقات القديمة الذي جمع الحطب في يوم السبت قُتل (رجمًا) ليكون عبرة للآخرين (عد ١٥: ٣٢)، ولم يحدث هذا بعد في الأمثلة التي بعد ذلك، هكذا في المناسبة الحاضرة[1].

❖ هذه كلمات تحمل سخطًا شديدًا. لكنه لم يعاقبه، حتى لا يكون الإيمان بالإكراه، ولكي لا يبدو الأمر فيه قسوة، لكي يفتح باب التوبة، فإنه يكفي لإصلاح أمره أن يقنعه ويخبره بما في قلبه حتى يجتذبه إلى الاعتراف بخطئه. فإن قوله: "أطلبا أنتما إلى الرب من أجلي" هو اعتراف أنه ارتكب خطأ[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

تُمثل الخطية هنا بالمرارة، السم القاتل، الحرمان من الفرح، هذه كلها من عمل الخطية بكونها مدمرة لكل ما هو صالح، كما تُمثل أيضًا بقيود العبودية والحرمان من حرية الحركة والعمل، والتمتع بالبرّ الإلهي (مز ١١٦: ١٦؛ أم ٥: ٢٢؛ رو ٧: ٢٣- ٢٤).

**"فأجاب سيمون وقال:**
**أطلبا أنتما إلى الرب من أجلي،**
**لكي لا يأتي عليّ شيء مما ذكرتما". [٢٤]**

اظهر سيمون انزعاجًا شديدًا بسبب اللعنة التي حلت عليه، لكن يبدو أنه لم يكن جادًا في توبته. لقد طلب الرسول بطرس منه أن يتوب وأن يصلي، لكي ما يكشف الله عن خطاياه كما يكشف له عن نعمة الخلاص، حيث ينال مغفرة خطاياه ويتمتع بالبركات الأبدية، أما سيمون فيبدو أنه لم يكن يشغله خلاص نفسه، بل يشغله ما تحل به من إهانات وفقدان للكرامة، أي عقوبة الخطية. لهذا لم يطلب من الرسولين أن

[1] *Hom. on Acts, hom. 18.*
[2] *Hom. on Acts, hom. 18.*

يستنداه بصلواتهما لأجل توبته، بل لكي لا تحل به العقوبة. حسن أن نطلب صلوات الآخرين عنا، على أن تكون سندًا لنا في صلواتنا؛ نطلبها في شعورٍ حقيقي بالحاجة إلي التوبة، لا بالخوف من العقوبة الإلهية أمام الناس.

لقد تمثل سيمون بفرعون في طلبه من موسى الصلاة عنه (خر ٨: ٢٨، ٣٢)، وأيضا يربعام (١ مل ١٣: ٦). هكذا يطلب أحيانًا الأشرار الصلاة من أجلهم، مع تشبثهم وإصرارهم على ممارسة الشر.

**"ثم أنهما بعدما شهدا وتكلّما بكلمة الرب،**
**رجعا إلى أورشليم،**
**وبشّرا قُرى كثيرة للسامريّين". [٢٥]**

إذ نجح الرسولان في مهمتهما عادا إلى أورشليم، وفي طريقهما كانا يبشران في القرى السامرية التي في الطريق. هكذا مع كل تحرك كان الرسل يهتمون بالشهادة للسيد المسيح والكرازة بالإنجيل.

لماذا عادا إلى أورشليم؟ يرى بعض الدارسين أن الرسل اهتموا بالخدمة في أورشليم حيث صُلب السيد وقام من الأموات، حتى متى آمن به من صلبوه يمكن الكرازة في كثير من البلاد بسهولة، لأن الصالبين آمنوا بقيامته.

"**رجعا إلى أورشليم**"، لم يستخدم الأصل اليوناني صيغة المثنى مما يدل على أن الرسول فيلبس رجع معهما إلى أورشليم حيث قاده الروح القدس إلى غزة.

## ٥. إيمان الوزير الأثيوبي

**ثم أن ملاك الرب كلم فيلبس قائلاً:**
**قم واذهب نحو الجنوب على الطريق المنحدرة من أورشليم،**
**إلى غزة التي هي بريّة". [٢٦]**

جاءت كلمة "**ملاك**" في الكتاب المقدس تحمل معانٍ كثيرةٍ. ولعل ملاك الرب هنا يشير إلى رسول سماوي من قبل الله، ظهر له إما في حلم أثناء نومه، أو في يقظته شاهد رؤيا سماوية.

لم يُعهد العمل الكرازي للملائكة بين البشر، لكنه يُعهد لهم تبليغ رسائل إلهية خاصة لرجال الله سواء في العهد القديم أو الجديد، لتشجيعهم وللكشف عن إرادة الله وخطته، خاصة فيما لا يتوقعه رجل الله.

ظهر له ملاك الرب ودعاه للذهاب في الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة، أما كيف ذهب، وكيف عرف موضع المركبة، وكيف لحق بها، فهذا كان من عمل الروح القدس قائد الكنيسة في طريق الملكوت.

كان هذا الوزير يسير في طريقه بمركبته التي تجرها الخيول السريعة، فكيف لحق به الرسول فيلبس؟ حتمًا نقله الروح القدس بطريقةٍ أو أخرى.

❖ انظروا، فإن الملائكة تساعد في الكرازة، لكنهم لا يقومون بالكرازة نفسها، إنما يدعو (البشر) للعمل[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ إننا نعلم أن الخصي الذي كان يقرأ إشعياء النبي ولم يفهم ما كان يقرأه، لم يُرسل إليه ملاك كرسول، ولم يقم ملاك يشرح ما لم يفهمه، ولا استنار داخليًا بنعمة الله دون تدخل إنسانٍ، بل على العكس بناء على مشورة الله جاء إليه فيلبس هذا الذي فهم النبي، وجلس معه، وبكلمات بشرية، ولسان إنساني، شرح له الكتب المقدسة[2].

**القديس أغسطينوس**

يا لها من صورة رائعة وحية عن اهتمام الله بنفسٍ واحدةٍ تشتاق إلى معرفة الحق. فإن الله نفسه يعمل، ويحرك أحد السمائيين للعمل، ويبعث أحد خدامه (القديس فيلبس) ليلحق به بوسيلةٍ أو أخرى. إنه لا يكف عن العمل من أجل كل نفس!

غزة أو عزة (تك ١٠: ١٩)، وهي إحدى مدن الفلسطينيين، وهبها يشوع ليهوذا (يش ١٥: ٤٧؛ ١ صم ٦: ١٧)؛ وهي إحدى المدن الخمس الرئيسية للفلسطينيين، تبعد حوالي ٦٠ ميلاً جنوب غرب أورشليم.

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 19.*
[2] *On the Christian Doctrines, Pref., 7.*

توجد مدينتان تحملان ذات الاسم، غزة القديمة، وغزه الجديدة. تنبأ النبي صفنيا عن هجر غزة أي دمارها. وقد قام الاسكندر الأكبر بإعادة بناء جزء منها[1]. بنيت مدينة أخرى فيما بعد حملت ذات الإسم تبعد قليلاً عن غزة القديمة التي هُجرت تمامًا.

توجد طرق كثيرة بين غزة وأورشليم. الطريق المشهور حاليًا وهو أطول الطرق، هو خلال رملة.

"**التي هي برية**": هنا يشير إما إلى الطريق إليها بكونه طريق صحراوي أو إلى الموضع نفسه.

**"فقام وذهب،**
**وإذا رجل حبشي خصي وزير لكنداكة ملكة الحبشة،**
**كان على جميع خزائنها،**
**فهذا كان قد جاء إلى أورشليم ليسجد". [٢٧]**

❖ يوجد خصيان كثيرون يظنون في أنفسهم أنهم أشجار جافة... اسمع فم إشعياء القائل أنه يوجد مكان مُعد لهم في السماء ولأبناءٍ وبناتٍ لهم (إش ٥٦: ٣). رمزهم هو عبد ملك الخصي المذكور في ارميا (إر ٣٨: ٧)، والخصي للملكة كنداكة في سفر أعمال الرسل (٨: ٢٧) الذي بسبب قوة إيمانه اقتنى اسم "**رجل**" هؤلاء هم الذين كتب لهم إكليمنضس خلف الرسول بولس والذي أشار إليه الرسول رسائل موجهًا كل حديثه تقريبًا إلى طهارة البتولية[2].

**القديس جيروم**

❖ من هو هذا إذن؟.. يقول النبي بوضوح فيما بعد: "لأني حينئذ أقدم للشعوب لغة" (صف ٣:٩)[3]. إذ بعد القيامة أرسل الروح القدس وأعطيت موهبة الألسن "ليعبدوه بكتفٍ (نير) واحدٍ".

---

[1] *Josephus: Antiq. 11:8:3-4; 13:13:3.*
[2] *Against Jovinianus, Book 1:12.*

[3] الترجمة السبعينية " لأني حينئذ أحوال الشعوب إلى شفة نقية ".

كذلك تنبأ النبي نفسه قائلاً: "ليعبدوه بكتف واحد، ومن عبر أنهار كوش يقدمون تقدمتي" (صف ٣: ١٠).

إنكم تعلمون ما جاء في سفر الأعمال حينما جاء الخصي الحبشي عبر أنهار أثيوبيا "كوش"[1].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

لم يخبره ملاك الرب عن سبب دعوته للسير في هذا الطريق، ولم يطلب القديس فيلبس أيضًا توضيحًا للموقف، لكنه في طاعةٍ كاملةٍ لخطة الله قام ينفذ ما قيل له.

**"خصي"**: كان الخصيان قديمًا يحتلون مراكز سامية في القصور الملوكية في الشرق، ربما لأنهم كانوا على اتصال بنساء الملك وسراريه، وقد صارت كلمة "خصي" لا تعني بالضرورة أن الشخص مخصي جسديًا، وإنما صاحب مركز سامٍ يأتمنه الملك (أو الملكة) على أسراره ويستشيره في أمور الدولة.

**كنداكة:** ليس اسم الملكة، بل هو لقب. يرى البعض أن هذا الخصي كان يهوديًا يعمل في قصر الملكة، كما كان دانيال في بابل، ويوسف في مصر، وربما كان دخيلاً إلى الديانة اليهودية.

**"وكان راجعًا،**
**وجالسًا على مركبته،**
**وهو يقرأ النبي إشعياء". [٢٨]**

قيل إنه يُقصد بإثيوبيا في ذلك الوقت منطقة النوبة، تمتد من الشلال الأول بأسوان حتى الخرطوم، وأن مدنها الكبرى هي ميروي Meroe العاصمة، ونباتا Napata، وأن ملك إثيوبيا يُقدس كإله "ابن الشمس"، له مهابته الدينية، لا يليق به أن يهتم بأمور الدولة المدنية لأنه شخص روحي، والذي يحكم البلاد الملكة الأم، تلقب دومًا كنداكة Candace،Candake .

---

[1] مقالات لطالبي العماد ١٤: ٧.

كان هذا الخصي متدينًا متعلمًا، سافر إلى أورشليم ليسجد في الهيكل؛ كان ضليعًا في قراءة الترجمة السبعينية للعهد القديم. كان في رحلته يقرأ في سفر إشعياء، وقد انشغل قلبه بالبحث عمن يشير إليه هذا النبي.

يقدم لنا **القديس ايريناؤس** هذا الخصي مثلاً لتأكيد أهمية دراسة الأنبياء، فالكرازة معه لم تأخذ جهدًا من فيلبس بسبب إيمان الخصي بالأنبياء.

❖ في الحال عندما عمده (فيلبس) فارقه، لأنه لم يعد محتاجًا إلى شيء، إذ كان مهيئًا خلال تعليم الأنبياء. لم يكن يجهل الله الآب، ولا أحكام طريقة الحياة (اللائقة)، إنما كان يجهل مجيء ابن الله. وإذ تعرف عليه ففي وقت قصير من الزمن ذهب في طريقه فرحًا ليكون مبشرًا في إثيوبيا بمجيء المسيح. لذلك لم يجد فيلبس تعبًا عظيمًا أن يدخل إلى حياة هذا الرجل، لأنه كان معدًا في خوف الله بواسطة الأنبياء[١].

**القديس ايريناؤس**

❖ بقراءة النبي صار خصي كنداكة ملكة أثيوبيا مستعدًا لنوال معمودية المسيح[٢].

**القديس جيروم**

❖ رافق الروح فيلبس وهو يسلك هذا الطريق. لم يكن الخصي نفسه متراخيًا، ولم تحل به الغيرة فجأة لكي يعتمد، وإنما بعد صعوده إلى الهيكل ليصلي انشغل بالكتاب المقدس[٣].

**العلامة ترتليان**

تعتبر شخصية هذا الخصي مثلاً رائعًا في التزام الإنسان أن يجاهد في قراءة الكتاب المقدس بمثابرة، طالبًا أن يتفهم الحكمة، ليس فقط من كتب الفلاسفة، وإنما بالأكثر من رجال الله القديسين. كتب **القديس جيروم** إلى بولينوس أسقف نولا:

❖ ظهر في سفر الرؤيا سفر مختوم بسبعة ختوم، هذا الذي إذا تسلمه شخص متعلم

---

1 *Adv. Haer. 4:23:2.*
2 *Letter 69 to Oceanus, 6.*
3 *On Baptism, 18.*

ويُقال له: اقرأ. هذا يجيب: "لا أقدر لأنه مختوم". كم من كثيرين اليوم يتباهون بأنفسهم أنهم متعلمون، مع أن الكتاب المقدس بالنسبة لهم مختوم. إنهم لا يقدرون أن يفتحوه إلا بذاك الذي له مفتاح داود، "الذي يفتح ولا أحد يغلق، ويغلق ولا أحد يفتح". فإن الخصي في أعمال الرسل عندما قرأ إشعياء سأله فيلبس: **"ألعلك تفهم ما أنت تقرأ؟"** [٣٠]، أجاب: **"كيف يمكنني إن لم يرشدني أحد؟"** [٣١]...

إنني لست أقدس من هذا الخصي، ولا أكثر منه مثابرة، هذا الذي جاء من أثيوبيا، أي من أقصى العالم إلى الهيكل، تاركًا قصر الملكة، وبحبٍ عظيمٍ للناموس والمعرفة الإلهية كان يقرأ الكتب المقدسة حتى وهو في المركبة. ومع أن الكتاب كان في يده وفي ذهنه كلمات الرب، لا بل وكانت على لسانه تنطق بها شفتاه، مع هذا لم يعرفه، لم يعرف ذاك الذي يتعبد له في الكتاب. عندئذ جاء فيلبس وأظهر له يسوع الذي كان مخفيًا وراء الحرف.

يا له من معلمٍ رائعٍ عجيبٍ!

في نفس اللحظة آمن الخصي واعتمد؛ صار أحد المؤمنين وصار قديسًا. لم يعد تلميذاً بل صار معلمًا، ووجد في جرن معمودية الكنيسة وهو في البرية أكثر مما وجده في هيكل المجمع المطلي بالذهب[1].

**القديس جيروم**

كان من عادة القدماء أن يقرأوا بصوتٍ عالٍ، فسمعه القديس فيلبس وهو يقرأ في اشعياء من الترجمة السبعينية للعهد القديم، التي تمت في عهد بطليموس لكي تودع في مكتبة الإسكندرية.

لم يتوقع الخصي أنه يتمتع بفهمٍ لما يقرأه بما حدث معه. لكن لأنه كان محبًا للكلمة، لم يرجع من العيد ليحمل ذاكرة عن الأعداد الضخمة للمشتركين في العيد، ولا انشغل بمدح العاملين في الهيكل أو ذمهم، إنما ألهب العيد قلبه للتمتع بكلمة الرب، مشتاقًا أن يتعرف على أسرارها. **هكذا يليق بنا بعد عودتنا من العبادة الجماعية أن يكون إنجيلنا رفيقًا لنا.** نقرأ الكتاب أينما وجدنا، حتى وإن كنا في رحلة، حتى يحفظ

---

[1] *Letter 53 to Paulinus of Nola, 5.*

قلوبنا من الاهتمامات الزمنية، ويشغلها بالحب الإلهي. لنقرأ الكتاب كلما وُجدت فرصة، واثقين في عمل روح الله القدوس الذي ينير عقولنا وقلوبنا للتلامس مع الكلمة بطريقٍ أو آخر.

**"فقال الروح لفيلبس:**

**تقدّم ورافق هذه المركبة". [٢٩]**

هنا كشف الروح القدس عن غاية الرؤيا، إنه قد أرسله لا ليعظ في مجمع، ولا ليتحدث في بيت مع جماعة كبيرة أو صغيرة، أو حتى مع أسرة، وإنما أرسله ليكرز لفردٍ واحدٍ في الطريق.

لا يخفي الله أسراره عمن يطلبها بتواضعٍ واخلاصٍ. وقد اتسم هذا الخصي بهاتين السمتين كما يظهر من حديثه مع الرسول فيلبس. لهذا في غير محاباة أرسل له الله فيلبس الرسول في لحظاتٍ معينة وبخطةٍ إلهيةٍ فائقة.

بدأ القديس فيلبس يشرح له سرّ الحمل الذبيح، المخفي منذ الدهور. ما كان لغزًا بالنسبة له قبل تعرفه على المصلوب صار بسيطًا وسهلاً، بل وموضع عذوبة بعد أن اكتشف سرّ الصليب. لا يعوقه الجسد عن الحركة السريعة، وكأنه قد حمل نصيبًا من سمة الجسد المقام.

**"فبادر إليه فيلبس،**

**وسمعه يقرأ النبي إشعياء فقال:**

**ألعلّك تفهم ما أنت تقرأ". [٣٠]**

في غيرةٍ متقدةٍ وشوقٍ حقيقيٍ لخلاص كل نفس أطاع القديس فيلبس دعوة الروح القدس، فبادر أو جرى مسرعًا نحو المركبة دون تردد أو تفكير في العقبات التي قد تمنعه عن العمل. فمن المعروف أن الحوار مع العظماء والأغنياء فيما يخص الإيمان غالبًا ما يكون صعبًا. هذا والقديسً فيلبس كان يسير على قدميه بينما الخصي كان في مركبة تقودها خيول سريعة وقوية، فكيف يلحق بها، وكيف يطلب أن يصعد إلى المركبة ليتحدث معه.

كان الخصي يقرأ بصوتٍ عالٍ، فتجاسر القديس وسأله: "**ألعلك تفهم ما أنت تقرأ؟**"

لعل من أهم السمات التى اتصف بها هذا الخصي جديته في الإهتمام بخلاص نفسه، فلم ينشغل في مثل هذه الرحلة الشاقة بتسليةٍ ما أو قراءة بعض القصص الهزلية أو قراءة في السياسة، بل في التمتع بكلمة الله. إنه كقائدٍ في الدولة شعر أن مسئوليته مضاعفة، ليس فقط من أجل نفسه، بل ومن أجل الآخرين، يلتزم أن يختبر الحياة التقوية القائمة على كلمة الله. وأن كثرة مشغولياته تضاعف إحتياجاته للحياة المقدسة.

يدرك هذا الخصي قيمة الوقت، فلا يفسد منه أي نصيب، ولا يعطي عذرًا أنه على سفر في رحلة شاقة.

❖ لم يخجل من أن يعترف بجهله، وتوسل أن يتعلم، لذلك أعطي لذاك الذي صار معلمًا له عطية الروح[1].

**البابا أثناسيوس الرسولي**

**"فقال: كيف يمكنني إن لم يرشدني أحد،**

**وطلب إلى فيلبس أن يصعد ويجلس معه". [٣١]**

في تواضعٍ لم يستخف الخصي بالمتحدث، بل طلب منه أن يصعد ويجلس معه في المركبة، ويفسر له ما ورد في السفر.

بلا شك أدرك الخصي من نبرات صوت القديس أنه لم يحمل السؤال نوعًا من الكبرياء أو التشامخ عليه، بل لمس فيه الروحانية المتسمة بالتواضع مع المحبة لذلك كان رد الفعل هو شعور الخصي بالحاجة الى من يعينه. كشف عن شوقه الحقيقي والملتهب نحو المعرفة، يتقبلها ولو عن طريق شخصٍ غريبٍ لم يسبق له أن تعرَّف عليه.

❖ حسنًا، لم يتطلع الخصي إلى المظهر الخارجي للرجل، ولم يقل له: "من أنت؟" لم يوبخه ولا أوقفه عن الكلام، ولا قال أنه يعرف؛ بل على العكس اعترف بجهله

---

[1] *Epistles, 19:5.*

لذلك تعلم. لقد أظهر جرحه للطبيب... انظروا كيف كان متحررًا من التشامخ... كان راغبًا في التعلم، منصتًا باهتمامٍ لكلماته، فتحقق فيه القول: "من يطلب يجد" (مت ٧: ٨)[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"وأمّا فصل الكتاب الذي كان يقرأه فكان هذا:**
**مثل شاةٍ سيق إلى الذبح،**
**ومثل خروفٍ صامتٍ أمام الذي يجزّه،**
**هكذا لم يفتح فاه". [٣٢]**

هذا النص مقتبس من الترجمة السبعينية (إش ٥٣: ٧-٨). ولعله سمع هذا الفصل أثناء عبادته في أورشليم، فعاد في مركبته يقرأ ما سمعه ويتأمل فيه.

❖ يُدعى "الحمل" (يو ١: ٢٩؛ إش ٥٣: ٧، ٨؛ أع ٨: ٣٢) لا كغير عاقلٍ، بل لأن بدمه الثمين يطهر العالم من خطاياه، ويقف صامتًا أمام جازيه. هذا الحمل دُعي مرة بـ "الراعي" إذ يقول: "أنا هو الراعي الصالح" (لو ١٠: ١١) هو حمل من جهة ناسوته، وراعٍ بالحب المترفق الذي للاهوته. هل تريد أن تعرف حملان عاقلة؟! اسمع المخلص يقول للرسل: "ها أنا أرسلكم كحملانٍ بين ذئابٍ" (مت ١٠: ١٠، ١٦)[2].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

**"في تواضعه أُنتزع قضاؤه،**
**وجيله من يخبر به؟**
**لأن حياته تنتزع من الأرض". [٣٣]**

جاءت ترجمة النص العبري: "أخذ من الحبس، ومن الحكم" وقد وردت كلمة "الحبس" هنا أو "السجن" بمعنى أنه تحت الحفظ، فقد قُيدت يدا السيد، واقتيد تحت الحفظ للمحاكمة.

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 19.*

[2] مقالات لطالبي العماد ١٠: ٣.

**"فأجاب الخصي فيلبس، وقال:**
**أطلب إليك عن منْ يقول النبي هذا؟**
**عن نفسه؟ أم عن واحدٍ آخر؟" [٣٤]**

تساءل الخصي: عن من يقول النبي هذا، عن نفسه أم عن واحدِ آخر؟" بلا شك تطلع إشعياء إلى هذا السرّ بروح النبوة كما من خلال الظل، ولم يكن ممكنًا له ولا للأنبياء جميعًا ولا للسمائيين إدراك كمال هذا السرّ حتى رُفع السيد المسيح على الصليب.

قبل مجيء ربنا يسوع كان اليهود يحسبون أن ما ورد هنا يشير إلى شخص المسيا، وأن الحديث عن آلام العبد إنما هو نبوة عن آلام المسيا. لكن بعد رفضهم يسوع المصلوب بدأوا يفسرون النص أنه خاص بآلام النبي نفسه، ويفسره البعض أنها آلام شعب إسرائيل.

بدأ القديس فيلبس يوضح للخصي أنها نبوة مسيانية، وأنها تحققت في شخص ربنا يسوع المسيح.

**"ففتح فيلبس فاه، وابتدأ من هذا الكتاب،**
**فبشّره بيسوع". [٣٥]**

بلا شك كان حديث القديس فيلبس معه مطولاً، فتعرض للكشف عن شخص السيد المسيح من خلال النبوات كما تحدث عن عمله الخلاصي، وأيضًا عن الحاجة الى العماد للتمتع بالميلاد الثاني. الآن الروح القدس الذي أملى على إشعياء النبي بالنبوة هو بعينه كشف عن عيني الخصي ليدرك غنى هذا السرّ.

❖ لقد عاد إلى الملكة ليس كوزيرٍ لخزائنها المادية، وإنما وزير كنوز الروح القدس والحكمة الإلهية والحياة الأبدية. لاحظوا حديثه، كان أبعد ما يكون عن الجفاف (الخشونة) أو التملق، بل بالأحرى كان صادرًا عن شخص لطيفٍ يحمل صداقة[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 19.*

### ٦. عماد الوزير الأثيوبي

**"وفيما هما سائران في الطريق أقبلا على ماء،**

**فقال الخصي:**

**هوذا ماء ماذا يمنع أن اعتمد؟" [٣٦]**

يوجد في شمال شرقي غزة وادي حيث فيه ماء جاري، وقد جاء في الديداكية (٧: ١-٣) التي ترجع إلى القرن الأول وبدء القرن الثاني أن العماد يتم في ماءٍ جارٍ إن أمكن.

❖ أما عن العماد، فعمدوا هكذا:

بعدما تعلمون كل ما تقدم،

عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس[١] بماء جار (حيّ).

فإذا لم يكن هناك ماء جار فعمد بماءٍ آخر.

إذا لم تستطع أن تعمد بماء بارد فعمد بماء دافيء.

إذا كنت لا تملك كليهما فاسكب الماء[٢] فوق الرأس ثلاثًا،

باسم الآب والابن والروح القدس.

**الديداكية**

لا يوجد في هذه المنطقة نهر، لكن غالبًا ما كان هذا مجرى ماء أو ينبوع ماء.

**"فقال فيلبس: إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز،**

**فأجاب وقال:**

**أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن اللَّه". [٣٧]**

تطلع الخصي إلى نبع في وادي الحسي Wadi El Hessi في شمال شرقي غزة برية، فتهللت نفسه، وطلب نوال سرّ المعمودية، فتمتع بهذا الكنز المفرح.

---

[١] مت ٢٨: ١٩.

[٢] هنا سكب الماء على الرأس جائز عند ندرة وجود الماء، سمحت به الكنيسة فيما بعد في حالة المرض الشديد، حيث يعجز المريض عن النزول إلى المعمودية، يسميه البعض *Clinical Baptism*.

**"فأمر أن تقف المركبة،**

**فنزلا كلاهما إلى الماء: فيلبس والخصي، فعمّده". [٣٨]**

## ٧. القديس فيلبس في أشدود

**"ولما صعدا من الماء**

**خطف روح الرب فيلبس،**

**فلم يبصره الخصي أيضًا،**

**وذهب في طريقه فرحًا". [٣٩]**

في فترة قصيرة للغاية تتلمذ الخصي على يديّ القدّيس فيلبّس المبّشر، وفتح الرب عينيه ليّدرك سرّ خلاصه. لكنّه ما أن نال العماد حتى خطف روح الرب فيلبّس فلم يره الخصي. لقد فقد معلّمه في لحظات، لكنّه وجد المسيّا المخلص، نال ما هو أعظم بما لا يُقاس من معلّمه، لقد شعر أنّه قد صار إنسانًا جديدًا قائمًا كما من بين الأموات، ليسلك في النور عوض الظلمة، بل صار بالرب نورًا. قيل أنّه عاد إلى أثيوبيا يكرز بالخلاص، فيُنير الطريق لإخوته.

واضح أن العماد كان يتم بالتغطيس، وإلا كان يمكن عماد الخصي داخل المركبة، ولما قيل: **"ولما صعدا من الماء".**

نال الخصي العماد ليرجع إلى أثيوبيا يكرز ببشارة الخلاص. وخطف روح الرب فيلبس فلم يعد يبصره. ما كان يشغله ليس لقاؤه بفيلبس، بل تمتعه بالمعمودية ونوال فرح الروح القدس، فقد نال ميلادًا جديدًا، وصار خليقة جديدة.

**"وأمّا فيلبس فوُجد في أشدود،**

**وبينما هو مجتاز كان يبشّر جميع المدن حتى جاء إلى قيصرية". [٤٠]**

في لحظة حمله الروح إلى أشدود التي تبعد حوالي ٢٠ ميلاً شمال غزة. صار فيلبس أشبه بروح بلا جسد.

أشدود، وفي اليونانية Azotus، وهي إحدى المدن التي لم يأخذها يشوع بل بقيت في يد الفلسطينيين. في هذه المدينة نقل تابوت العهد عندما أخذه الفلسطينيون من

الإسرائيليين. وفيها سقط تمثال داجون أمام التابوت (١ صم ٥: ٢-٣)، وهي تبعد حوالي ٣٠ ميلاً من غزة، كانت تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بها ميناء ليس له أثر الآن. صارت المدينة الآن على بعد ميلين من البحر، إذ ترسب الرمل على الشاطئ كما انتقلت الرمال من الصحراء خلال الرياح.

عاد فيلبس الرسول يكرز ويعمد، ويحصد الثمر، وأخيرًا استقر في قيصرية. بشر جميع المدن حتى جاء إلى قيصرية؛ هذه المدن هي يافا، وليدة، واسكلون، واريمارها Arimarha الخ.، جميعها تقع على ساحل البحر.

**قيصرية**: كانت قديمًا تدعى برج ستراتو Strato's Tower تقع على ساحل البحر عند فم نهرٍ صغير، وكان بها ميناء جميل يبعد حوالي ٣٦ ميلاً جنوب اقرا Acra وحوالي ٦٢ ميلاً شمال غرب أورشليم، ونفس المسافة تقريبًا شمال شرق أشدود. يرى البعض إنها هي هازر Hazor الواردة في يشوع ١١: ١، أعاد بناؤها هيرودس الكبير، ودعيت قيصرية تكريما لأوغسطس قيصر. صارت مركز الحاكم الروماني عندما كانت اليهودية ولاية رومانية (أع ٢٣: ٣٣).

يقول د. كلارك أنه لا يوجد في التاريخ مثل لمدينة سمت بسرعة فائقة في وقت قصير، وانهارت في وقت قصير مثل قيصرية. لم يعد بها مسكن واحد. قصورها ومعابدها التي كانت غاية في الإبداع والفن يصعب جدًا وجود أثر لها. في خلال عشر سنوات بعد وضع الأساسات صارت من أعظم مدن سوريا كلها، الآن نجد خرابًا تامًا!

# ملحق للأصحاح الثامن

# عن

# حلول الروح القدس ووضع الأيدي

## المسحة المقدّسة والعُرس الأبدي

الأسرار الكنسيَّة في جوهرها هي تمتّع بعمل نعمة اللّه القدّوس في حياة الكنيسة، كما في حياة كل عضوٍ فيها، لكي تتهيّأ للعرس الأبدي. بها تنفتح أبواب السماء أمامه، فيمتلئ المؤمن رجاءً في غنى نعمة اللّه الفائقة، فيعبر قلبه من مجدٍ إلى مجدٍ، حيث يختبر عربون السماء وهو بعد يجاهد على الأرض.

ففي سرّ **العماد** يتمتّع المؤمن بعمل الروح القدس في مياه المعموديّة لينال الميلاد الجديد، ويحمل طبيعة الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه. إنّه يولد كطفلٍ يحتاج أن يرضع من لبن أمّه، الكنيسة، غير الغاش، لكنّه **يبقى محتاجًا إلى النموّ والنضوج** ليتهيّأ بالحق للعرس الأبدي، فتصير نفسه عروسًا تحمل مع كل يوم إشراقات بهاء عريسها، ملك الملوك، وتسمع صوته يناجيها: "جمُلتِ جدًا جدًا، فصلحتِ لمملكة، وخرج لك اسم في الأمم لجمالك لأنّه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليكِ يقول السيد الرب" (حز١٦: ١٣-١٤).

هذا ما تود كلمة اللّه وتعليقات آباء الكنيسة أن نختبره خلال ما يُدعى **"سرّ المسحة"**.

إلهنا الذي يود أن يقيم من شعبه ملكة سماويّة، تحمل أيقونة عريسها ملك الملوك يهبنا خبرة يوميّة لعمل الروح القدس الساكن فينا والذي ننله في سرّ المسحة المقدّسة.

لنرى الآن كيف بدأ هذا السرّ في عصر الرسل **بوضع الأيادي**، ثم لماذا استخدمت الكنيسة المسحة المقدسة مع وضع الأيادي.

## حلول الروح القدس ووضع الأيادي

تقدّم ربّنا يسوع المسيح كنائب عنّا إلى مياه المعموديّة ليعتمد على يد القدّيس يوحنا المعمدان، لكي يهبنا البنوّة للآب فيه. وقد حلّ **الروح القدس بعد نزوله المعموديّة مباشرة** وهو في نهر الأردن (مت ٣: ١٦؛ مر ١: ١٠؛ لو ٣: ٢١-٢٢؛ يو ١: ٣١-٣٤).

وإذ كان الرسل يعمّدون يصلّون طالبين حلول الروح القدس على المعمّدين حديثًا بوضع الأيدي عليهم (أع ٨: ١٤-١٧؛ ١٩: ١-٦). وكان الأساقفة أيضًا يضعون الأيادي على المؤمنين بعد عمادهم مباشرة لنوال عطيَّة الروح القدس. وإذ تزايد عدد الراغبين في الانضمام إلى كنيسة المسيح، وأيضًا المولودين من عائلات مسيحيَّة صار الكاهن يقوم بمسح المعمّد حديثًا بزيت الميرون χpιϭⲙⲁ. وهي كلمة يونانيَّة وقبطيّة معناها "طيب" أو "دهن"، هذا الطيب يُصنع من عقاقير وأطياب كثيرة، يقدّس بكلمة الله والصلاة، يقوم الأساقفة بإعداده؛ يُمسح به المعمّد حديثًا على إشارة الصليب على ستّة وثلاثين عضوًا من أعضاء الجسم ليمتلئ كل كيانه بالروح القدس، ويصير مسيحًا للرب. غير أن هذه المسحة لم تبطل طقس وضع الأيادي بالنسبة للأساقفة.

سرّ الميرون أو المسحة Chrism يُعرف في الغرب بسرّ التثبيت Confirmation. ومنذ بدء انطلاق الكنيسة عُرف باسم "ختم الروح" يُوهب مع العماد.

## بين سرّ العماد وسرّ المسحة

نتمتّع في سرّ العماد بالميلاد الجديد وغفران الخطايا، وفي سرّ المسحة ننال الروح القدس ساكنًا فينا. ولمّا كان السرّان يتمّان غالبًا في وقتٍ واحدٍ، لهذا يتحدّث البعض عن سرّ العماد بمعنى واسع يضمّ معه سرّ المسحة.

وردت عبارة في كتابات **العلامة أوريجينوس** توضّح الاستخدام المحدّد والمتّسع لكلمة "العماد". إذ يقول: [في أعمال الرسل **يُعطى الروح القدس بوضع الأيادي في المعموديّة**[1].] هذا هو المعنى الواسع للعماد، حيث يضم السرين معًا. ويكمل **العلامة أوريجينوس** بعد قليل: [كانت نعمة الروح القدس وإعلانه تُسلَّم **بوضع أيادي الرسل بعد العماد**[2].] هنا المعنى المحدد للعماد. جاءت العبارتان تكمّلان بعضهما البعض، وتوضّح التمييز بين السرّين، مع ارتباطهما معًا.

يميّز **القديس أغسطينوس** بين العماد والمسحة، الأول يدعوه **"ميلادًا بالروح"** والثاني **"قوتًا بالروح"**. بالعماد يولد المؤمن بالروح، فيتقبّل غفران الخطايا. **هذه الهبة** الأولى تهيئ لعطايا أخرى للروح. إنّها تهب قبول الروح نفسه الذي به **نتطهّر** حيث نقبل العفو، ويسكن فينا لعمل البرّ ونموّه وكماله[3].

❖ لسنا نقبل الروح القدس في مياه المعموديّة، بل **نتطهّر في الماء... وبهذا نتهيّأ** لقبول الروح القدس[4].

❖ تُوضع اليد علينا في البركة، داعيًا ومستدعيًا الروح القدس... عندئذ يحلّ الروح الكلي القداسة بإرادته من عند الآب على أجسامنا **التي تطهّرت** وتباركت[5].

**العلامة ترتليان**

❖ لا يولد الإنسان ثانية خلال وضع اليد عندما يقبل **الروح القدس، وإنّما في العماد**، فإذ يكون بالفعل قد وُلد ينال الروح القدس[6].

**الشهيد كبريانوس**

## لن يتم العماد بدون عمل الروح القدس

❖ الماء وحده لا يقدر أن يزيل الخطايا ويقدّس الإنسان، **وإنّما فقط عندما يصاحبه** الروح القدس... ليس من عماد حيث لا يوجد **الروح القدس، فإنّه لا يمكن العماد**

---

[1] *De Principiis 1;2:1.*
[2] *De Principiis 1:2:7.*
[3] *Cf. Sermon 71:19, 33.*
[4] *De Baptism, 6.*
[5] *De Baptism, 8.*
[6] *Ep. 74:4.*

بدون الروح.

**القديس كبريانوس**

## وضع الأيادي

وضع اليد علامة على نقل القوّة، ليس من شخص إلى آخر، وإنّما من الله مصدر كل قوّة ونعمة إلى من تكرّس للعمل الإلهي. كما فعل موسى النبي (عد ٢٧: ١٨)، وكما فعل الرسل ليحلّ الروح القدس على المعمّدين (أع ٨: ١٧-١٨) والتي دُعي بسرّ "**ختم الروح**" أو "**سرّ التثبيت**" أو "**سرّ المسحة**" موضوع حديثنا، وأيضًا في السيامات (أع ٦: ٦؛ ٢ تي ١: ٦؛ ١ تي ٤: ١٤)، وفي طلب الحلّ (١ تي ٥: ٢٢)، وفي مسحة المرضى (مر ١٦: ١٨)، واعتبر القدّيس بولس "**تعليم المعموديّات ووضع الأيادي**" من كلام بداءة المسيح (عب ٦: ١-٢)، أي ألف باء أو أحد الأساسيات في الحياة المسيحيّة.

استخدم الرسول بولس بخصوص مسحة الروح القدس في ٢ كو ١: ٢١-٢٢ أربع كلمات يونانيّة: **التثبيت والمسحة والختم وعربون الروح**. يقول: "ولكن الذي **يثبتنا** معكم في المسيح، وقد **مسحنا** هو الله. الذي **ختمنا** أيضًا وأعطى **عربون الروح** في قلوبنا".

يتحدّث **العلامة ترتليان** في القرن الثاني عن المسحة كعادة مستقرّة في أيّامه، وأنّها مرتبطة بالعماد، مع وضع الأيادي.

❖ بعد الخروج من مكان الغسل (أي من جرن المعموديّة بالتغطيس)، نُدهن بالكامل **بالمسحة الغبوطة**... تجري المسحة على الجسد لكنّها تفيدنا روحيًا. بنفس الطريقة كما أن العماد في ذاته عمل مادي حيث فيه نغطس في الماء، لكن فاعليّته روحيّة، إذ نتحرّر من الخطايا. بعد هذا **توضع اليد** للبركة مستدعيًا وداعيًا الروح القدس (ليحلّ) خلال البركة[1].

**العلامة ترتليان**

---

[1] *De Baptismo, 7-8.*

وكان هذا الطقس قائمًا في أيام **القديس كبريانوس**.

❖ السامريّون الذين عمّدهم فيلبّس الشمّاس الذي أرسله الرسل] نالوا عماد الكنيسة القانوني، ولم يكن لائقًا أن يعمّدوا من جديد، وإنّما ما كان ينقصهم هو ما مارسه بطرس ويوحنا، أعني الصلاة التي قدّموها عنهم **ووضع الأيدي**، لكي يستدعوا الروح القدس وينسكب عليهم. **والآن أيضًا يحدث هذا بيننا**، الذين يعتمدون في الكنيسة يُقدّمون لأساقفة الكنيسة وبالصلاة ووضع الأيادي يقبلون الروح القدس ويكملون بختم الرب[1].

**القديس كبريانوس**

ويتحدّث **القديس أغسطينوس** أيضًا عن وضع الأيادي والمسحة أيضًا في علاقتهما بعطيّة الروح القدس.

❖ صلّى التلاميذ لكي يحلّ الروح القدس على الذين وضعوا عليهم أياديهم؛ لم يعطوا هم الروح القدس. ولاتزال الكنيسة تحافظ على هذه العادة في قادتها الرئيسيين. لذلك عندما قدّم سيمون الساحر مالاً لم يقل: "أعطوني أنا أيضًا هذا السلطان لكي **أعطي الروح القدس**، وإنّما "على من أضع يدي **يقبل الروح القدس**..."، لذلك فإن الرب يسوع المسيح نفسه ليس فقط أعطي الروح القدس بكونه هو الله، وإنّما كإنسان أيضًا قبله. لهذا قيل أنّه كان ممتلئًا بالنعمة والروح القدس (يو ١: ١٤). وبأكثر وضوح في أعمال الرسل قيل أنّه مسحه الله بالروح القدس (أع ١٠: ٣٨)، ليس بمسحة منظورة وإنّما بعطيّة النعمة التي يعني "المسحة المنظورة التي تمسح بها الكنيسة المعمّدين... لقد قبل الروح القدس كإنسانٍ، وبكونه الله سكب الروح القدس (أع ٢: ٣٢). ونحن تبعًا لذلك يمكننا أن نقبل هذه العطيّة حسب قياسنا، أمّا أن نسكبه على الآخرين فهذا خارج قوّتنا. لكي يتم ذلك نصلّي عليهم لله الذي يتمّم ذلك[2].

**القديس أغسطينوس**

وجاء في القانون ٦٠ من القوانين الخاصة بالكنيسة الإنجليزيّة (الأسقفيّة) عام

---

[1] *Epistle 73:8.*
[2] *De Trinitate, 15:26.*

١٦٠٣م أن كل أسقف يتمّ التثبيت عند زيارته للإيبارشيّة كل ثالث سنة. يبدأ القانون هكذا: [كما كانت هناك عادة قديمة مكرّمة لدى كنيسة الله استمرّت منذ عصر الرسل، أنّه يلزم على كل الأساقفة أن يضعوا أياديهم على الأطفال المعمّدين والذين تعلّموا التعليم (كاتكيزم catechism) للدين المسيحي، مصلّين عليهم ومباركين إيّاهم، الذي تدعوه عامة بالتثبيت[1].]

وفي طقس التثبيت في الكنيسة الأسقفية يُقرأ الفصل الخاص بوضع الرسولين بطرس ويوحنّا الأيادي لحلول الروح القدس على السامريّين (أع ٨)[2].

## بين يد القدير واليد البشريّة

يذكر فريدريك أن طقس وضع الأيادي أشير إليه ٢٠ مرّة في صيغة فعل و٤ مرّات في صيغة اسم. هذا الطقس المُستخدم في الشفاء، وفي حلول الروح القدس، وفي السيامات يشير إلى تحالف يد القدير مع العمل البشري[3]. فالله القدير في محبّته للإنسان وتقديره يقدّم إمكانيّاته خلال كنيسته على الأرض، ولا يحتقر اليد البشريّة، وإن كانت العطيّة هي من الله لا من الإنسان.

ولعلّ كثير من اليهود خاصة القادة لاحظوا أن يسوع المسيح اعتاد أن يضع يديه على المرضى عند شفائهم، إذ جاءه يايرس أحد رؤساء المجمع، وقال له وهو ساجد عند قدميه: "ابنتي الصغيرة على آخر نسمة، ليتك تأتي وتضع يدك عليها لتُشفى فتحيا "(مر ٥: ٢٣). والملاحظ أنّه في وصف عمل السيد المسيح هذا أنه كان يضع يديه على كل واحدٍ منهم (لو ٤: ٠)، وليس يده، غالبًا ما يضعهما على شكل صليب.

لقد فنّد القديس أغسطينوس بكل قوّة مقاومًا ايّة فكرة بأن الروح القدس يُوهب خلال طقس سحري، أو يُسلَّم من رسول أو أسقف بذاته. يقول أن هذا الفكر غريب عن الكنيسة، فإن وضع اليد في المسحة كما الماء في المعموديّة وأيضًا وضع اليد في سيامة الكهنة هذه علامات خارجيّة تصحبها الصلوات لنوال مواهب الروح

---

[1] *Rev. Hall: Confirmation, Oxford Library of Practical Theology, 1908, p.13.*
[2] *Order of Confirmation in the American Prayer Book, 1892- (cf. Hall, p. 14).*
[3] *Cf. G. Friedrich: Theological Dictionary of the New Testament, translated by G. W. Bromiley, Michigan 1993. vol. 8, p. 160.*

القدس من عند اللّه، وليس من إنسانٍ ما.

## النمو الروحي الدائم والنضوج

قيل عن ربّنا يسوع: "وكان الصبي ينمو يتقوّى بالروح ممتلئًا حكمة، وكان نعمة اللّه عليه" (لو٢: ٤٠). صار طفلاً لكي يحملنا فيه كأطفالٍ بولادتنا الجديدة في المعموديّة، وإذ كان ينمو ويتقوّى بالروح إنّما لكي بروحه القدّوس ننمو ونتقوّى فيه، فلا نبقى أطفالاً على الدوام، بل نبغي النضوج حتى تكمل أيقونته فينا تمامًا. وكما يقول القدّيس يوحنا: "ولكن نعلم أنّه إذا أُظهر نكون مثله، لأنّنا سنراه كما هو" (١ يو ٣: ٢). هذا هو عمل الروح القدس الدائم فينا، والذي نلناه في سرّ المسحة أو وضع الأيادي بعد العماد. يقول الرسول بولس: "لا بأعمال في برّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس. الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا" ( تي ٣: ٥-٦).

❖ يُطحن الموعوظون كالقمح خلال الصوم ويعجنون بالماء في المعموديّة، ويتشكّلون كجسد المسيح، ويُخبزون بنار الروح القدس في الدهن بالمسحة[1].

**القديس أغسطينوس**

❖ روحك القدّوس يا رب الذي أرسلته على تلاميذك القدّيسين ورسلك المكرّمين في الساعة الثالثة، هذا لا تنزعه منّا أيّها الصالح، لكن جدده في أحشائنا. قلبًا نقيًا اخلق فيّ يا اللّه، وروحًا مستقيمًا جدّده في أحشائي.

**من صلوات الساعة الثالثة**

**الأجبيّة**

## سرّ التثبيت

يقول الرسول بولس: "ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح، وقد مسحنا هو الله. الذي ختمنا أيضًا وأعطى عربون الروح في قلوبنا" (٢ كو ١: ٢١-٢٢). كما يقول القيس يوحنا الحبيب: "ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه وبهذا نعرف انه

---

[1] بتصرّف.

يثبت فينا من الروح الذي أعطانا" (١ يو ٣: ٢٤)

❖ وسمك اللَّه الآب بعلامة المسيح ربّنا وثبّتك، وأعطاك الروح القدس عربون الخلاص كما يُعلّم الرسول[1].

**القديس أمبروسيوس**

❖ كانت سفينة نوح تبشّر بمجيء المزمع أن يقود كنيسته في المياه، وأن يرتدّ أعضاؤها إلى الحرّيّة باسم الثالوث القدّوس (اليهوديّة في المعموديّة). وأما الحمامة فكانت ترمز إلى الروح القدس المزمع أن يصنع مسحة هي سرّ الخلاص[2].

**القدّيس مار أفرآم السرياني**

❖ الذين وضعوا (الرسل) أياديهم عليهم قبلوا الروح القدس الذي هو الطعام القوي للحياة (مقابل اللبن الذي قال القدّيس بولس أنّه أطعمهم به)[3].

**القديس إيريناؤس**

## مسحاء

جاء ذكر "المسحة" في الكتاب المقدّس لأول مرّة عندما رأى يعقوب في حلم سلمًا منصوبًا على الأرض ورأسه يمس السماء، والرب واقف عليه وملائكة اللَّه صاعدين ونازلين، قال: "ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلاّ بيت اللَّه! وهذا باب السماء!" ثم أخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه، وصبّ زيتًا على رأسه (تك ٢٨: ١٢-١٨). جاءت المسحة تعلن تقديس الموضع وتكريسه ليكون "بيت إيل" أو "بيت اللَّه". وأوصت الشريعة الموسويّة بمسح أشخاص (الملوك والكهنة)، وأماكن (الهيكل)، والآنية المكرّسة لخدمة بيت الرب... غاية هذه المسحة أن الشخص أو الشيء يصير مكرّسًا للَّه وحده. كان هذا كلّه عبر الأجيال يشير إلى مجيء المسيح الذي مسحه الآب بزيت البهجة (مز ٤٥: ٧) ليبشّر المساكين (إش ٦١: ١). فهو موضع سرور وبهجة الآب، لأنّه وهو الكلمة الإلهي والابن وحيد الجنس يتجسّد ليصالح البشريّة كلّها مع الآب،

---

[1] *On the Sacraments, 7.*

[2] خطاب ١٩ ضدّ الفاحصين.

[3] *Adv. Haer. 4:63.*

فيبعث بالفرح السماوي على المساكين الذين حرموا من فيض بهجة الحياة السامريّة.

مُسح لكي نمسح نحن فيه، بكوننا أعضاء جسده، فنُحسب مسحاء.

❖ دُعي المسيحيّون بهذا الاسم، لأنّهم ممسوحون بزيت اللّه[1].

**القدّيس ثيؤفيلس الأنطاكي**

❖ من اعتمد يلزم أن يُمسح أيضًا، لكي يصير بواسطة المسحة ممسوحًا للّه ويأخذ نعمة المسيح[2].

❖ الذي يتخلّص من خطاياه في العماد يتقدّس ويتجدّد روحيًّا في إنسانٍ جديد، وبهذا يتهيّأ لقبول الروح القدس[3].

**القديس كبريانوس**

❖ إن اسم المسيح من المسحة، فكل مسيحي يقبل المسحة، إنّما ذلك ليس للدلالة على انّه صار شريكًا في الملكوت فقط، بل صار من المحاربين للشيطان.

**القديس أغسطينوس**

❖ بحق دُعيتم للمسيح، وعنكم قال اللّه: "لا تمسوا مسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي" (مز ١٠٥:١٥).

جُعلتم مسحاء بقبولكم نموذج[4] الروح القدس. وكل الأشياء عُملت فيكم امتثالاً (بالمسيح) لأنكم صورة المسيح. هو اغتسل في نهر الأردن ونشر معرفة ألوهيته في الماء. وصعد منها وأضاء عليه الروح القدس في تمام وجوده وحلّ كذلك عليه. ولكم أنتم فشبه ذلك بعد أن صعدتم من الينابيع المقدسة صار لكم دهن شبه الذي مُسح به المسيح. وهذا هو الروح القدس الذي قال عنه المطوّب إشعياء في نبوته عن شخص الرب: "روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني" (إش ٦١:١).

---

[1] *To Autolycus, 1:12.*

[2] *Letter, 70.*

[3] *Episle 74:6.*

[4] الكلمة اليونانية "نموذج" لا تعني نموذجًا رمزيًا بل كما ورد في عب ٩:٢٤.

لأنه لم يُمسح المسيح بأناسٍ بزيتٍ أو دهنٍ مادي، لكن الآب عيّنه من قبل ليكون مخلصًا للعالم أجمع، كما قال بطرس: "يسوع الذي من الناصرة، كيف مسحه اللّه من الروح القدس" (أع ١٠:٣٨).

صرخ داود النبي أيضًا قائلاً: "كرسيك يا اللّه إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البرّ وأبغضت الإثم لذلك مسحك اللّه إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك" (مز ٤٥:٦، ٧).

وإذ صُلب المسيح ودفن وقام حقًا، أنتم في العماد حُسبتم جديرين أن تصلبوا وتدفنوا وتقوموا معه على مثاله: هكذا في الدهن أيضًا. وكما مسح بزيتٍ مثاليٍ، زيت الابتهاج، لأنه منشئ الفرح الروحي، هكذا أنتم مسحتم بدهن، إذ أصبحتم شركاء للمسيح وأتباعه[1].

❖ لكن احذروا أيضًا لئلا تظنوه دهنًا بسيطًا، لأنه كما في خبز الإفخارستيا بعد حلول الروح القدس لا يصير خبزًا عاديًا بعد بل جسد المسيح، هكذا هذا الدهن لا يكون دهنًا بسيطًا أو عاديًا بعد الصلاة، لكن هي موهبة المسيح بالنعمة وبحلول الروح القدس أصبح لائقًا لعلم طبيعته الإلهية.

الدهن الذي يرمز بالرشم على جبهتك وحواسك الأخرى.

وإذ يُرشم جسدك بالدهن المنظور تطهر نفسك بالروح القدس واهب الحياة.

ورُشمت على الجبهة كأنك تتخلص من العار الذي حمله الإنسان الأول معه في كل مكان، وأنه بوجه مكشوف كما في مرآة ناظرين مجد الرب (٢ كو ٣:١٨). ثم على آذانك حتى تتقبل الآذان سريعًا سماع الأسرار الإلهية التي قال عنها إشعياء النبي: "أعطاني الرب أذنًا للسمع" (إش ٥٠:٤). وقال سيدنا الرب يسوع المسيح: "من له أذنان للسمع فليسمع" (مت ١١:١٥، مت ١٣:٩، ٤٣، مر ٤:٩، ٢٣، ٧:١٦، لو ١٤:٣٥). ثم على الأنف حيث تتقبل الدهن المقدس، فيمكنك أن تقول: "لأننا رائحة المسيح الذكية للّه في الذين يخلصون" (٢ كو ٢:١٥). بعد ذلك على صدرك حيث "قد لبستم درع البر" (أف ٦:١٤)، حتى

[1] مقال ٢١ (الأسرار ٣): ١، ٢.

تقدروا "أن تثبتوا ضد مكايد إبليس" (أف ٦:١١).

لأن المسيح بعد عماده وحلول الروح القدس ذهب وغلب الشرير، هكذا أنتم أيضًا بعد العماد المقدس والمسحة السرية، إذ لبستم كل سلاح الروح القدس، لكي تقفوا ضد قوة الشرير وتقهروه قائلين: "أستطيع كل شي في المسيح الذي يقويني" (في ٤:١٣)[1].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

❖ هكذا أيضًا توضح عبارة داود في مز ٤٤: ٧- ٨ أنه ما كان لنا أن نصير شركاء الروح القدس ولا أن نتقدس لو لم يكن اللوغوس المتجسد، الذي هو واهب الروح قد مسح نفسه بالروح لأجلنا، ولهذا فمن المؤكد أننا كنا نحن الذين قبلنا الروح القدس حينما قيل انه مُسح بالجسد. لأن جسده الخاص هو الذي تقدس أولاً، وإذ قيل عنه كإنسان، إن جسده قد نال هذا (الروح)، فلأجل هذا ننال نحن نعمة الروح آخذين إياها "من ملئه"[2].

**القديس أثناسيوس الرسولي**

❖ كان سكب للروح علينا، أما للرب يسوع الذي كان في شكل إنسانٍ، فالروح استقر عليه... بخصوصنا فإن سخاء المُعطي يعين بفيضٍ، أما بالنسبة له فيسكن فيه كمال الروح أبديًا. يسكب إذن حسبما يكفينا، وما يسكبه لا ينفصل ولا ينقسم، أما ما هو له فهو وحدة الكمال الذي به ينير بصيرة قلوبنا حسب قدرتنا على الاحتمال. أخيرًا نحن نتقبل حسب ما يتطلبه تقدم ذهننا. من أجل كمال نعمة الروح غير منظور، ولكنه يساهم فينا حسب إمكانية طبيعتنا[3].

**القديس أمبروسيوس**

❖ لداود الحق أن يصرخ، كإنسانٍ قد تجدد، "وسآتي إلى مذبح الله، إلى الله الذي يعطي فرحًا لشبابي" (مز ٤٣:٤). كما قال قبلاً إنه شاخ وسط أعدائه... وهو يقول

---

[1] مقال ٢١ (الأسرار ٣): ٣، ٤.

[2] الرسالة ضد الأريوسيين ١:١: ٥٠.

[3] *Of the Holy Spirit 1:8:93.*

هنا إنه قد استعاد الشباب بعد طول شيخوخة وسقوط الإنسان. لأننا قد تجددنا بالتجديد الذي نلناه في **المعمودية**، وتجددنا خلال **سكب الروح القدس**، وسنتجدد أيضا **بالقيامة**، كما يقول في نصٍ آخر: "فيتجدد مثل النسر شبابك" (مز ١٠٣:٥) فاعلموا طريقة تجديدنا: "تنضح عليّ بزوفاك فأطهر، تغسلني فأبيِّض أكثر من الثلج" (مز ٩:٥١) وفي إشعياء: "إن كانت خطاياكم حمراء كالقرمز، تبيض كالثلج" (إش ١٨:١) **ومن يتغير من الظلمة، ظلمة الخطية، إلى نور الفضيلة وإلى النعمة، إنما قد تجدد فعلاً**. لهذا فإن ذاك الذي تلطخ قبلاً بالدنس الأحمق، يشرق الآن بسطوع أكثر بياضًا من الثلج[1].

**القديس أمبروسيوس**

## ختم الله على النفس

"ولا تحزنوا روح الله القدوس، الذي به خُتمتم ليوم الفداء" (أف ٤: ٣٠).

"الذي فيه أيضًا أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضًا إذ آمنتم، خُتمتم بروح الموعد القدوس. الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده" (أف ١: ١٣-١٤).

- كما أن الرسولين بطرس ويوحنا بعد صلاة واحدة استحدرا الروح القدس على سكّان السامرة بوضع الأيادي (أع٨: ١٤-١٧)، هكذا الكنيسة أيضًا منذ ذلك الحين، ينال جميع المعمّدين الروح القدس، ويُختمون بختمه عند دعاء الكهنة ووضع أياديهم[2].

**القديس كبريانوس**

- قد خُتمت جميع قواكم النفسيّة بختم الروح القدس... وقد وضع الملك عليكم رسالته، خاتمًا إيّاها بختم النار لكي لا يقرأها الغرباء ويحرّفوها[3].

**القدّيس مار أفرآم السرياني**

---

[1] *Prayer of David, Book 4:9:35.*
[2] *Letter 73 against Heretics.*

❖ يمسحك الله ويختمك المسيح. كيف ذلك لأنك تُختم برسم صليبه وآلامه[1].

❖ قد قبلت الختم الروحي... حافظ على ما اقتبلت... فقد وسمك الله الآب بعلامة المسيح ربّنا وثبّتك وأعطاك الروح القدس[2].

**القديس أمبروسيوس**

## تدشين النفس وتكريسها

"أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (١ كو ٣: ١٦).

❖ يُغسل الجسد لكي تتطهّر النفس من الدنس (بالمعموديّة)؛ ويُمسح الجسد لكي تتكرّس النفس؛ يُرسم الجسد (بعلامة الصليب) لكي ما تُحفظ النفس؛ يُظلّل الجسد بوضع اليد لكي ما تستنير الروح، يتغذّى الجسد بجسد المسيح ودمّه لكي ما تقتات النفس بالله. لا يمكن فصلهما (الجسد والنفس)... عندما يتّحدا معًا في أعمالهما[3].

**العلامة ترتليان**

## كهنة وملوك وأنبياء

بالخطيّة عزل الإنسان نفسه عن الله واهب المجد، ولم يعد ممكنًا لروح الله أن يستقر في نفسٍ بشريّة، حتى بالنسبة الآباء العظماء والأنبياء. وإذ أراد الرب أن يرد للإنسان مجده وهب شعبه أن يُمسح ملوك بدهن مقدّس كداود الذي مسحه صموئيل النبي، ويُمسح البعض كهنة كهرون، ويُعتبر الملك كما الكاهن مسيح الرب. وكما يقول **العلامة أوريجينوس** أنّه لم يكن ممكنًا أن يوجد إنسان يحمل مجد الملوكيّة والكهنوت معًا. لأن الملوك يُقامون من سبط يهوذا والكهنة من سبط لاوي. أمّا وقد جاء يسوع المسيح ملك الملوك من سبط يهوذا فهو الوحيد الملك والكاهن (على طقس ملكي صادق). خلال مسحة الميرون ترجع إلينا كرامة الكهنوت مع الملوكيّة.

من يقدر أن يعبّر عن مدى حزن حزقيال الكاهن والنبي في أرض بابل وهو يتطلّع في رؤيا مجد الرب يفارق الهيكل (حز ١٠: ١٨)، بهذا فقد إسرائيل الملوك

[1] *Sacraments 6:2:7.*
[2] *Sacraments, 7.*
[3] *De Resurrectione Carnis, 8.*

حيث سقطت خيمة داود وسُبي السبط الملوكي في بابل، وها هو يسقط الكهنة حيث لم يعد مجد الرب موضع في هيكل أورشليم. لكن في ملء الزمان سمعت ابنة إسرائيل الصوت الملوكي المتهلّل يبشّرها: "الروح القدس **يحل عليك** وقوّة العليّ تظلّلك، فلذلك أيضًا القدّوس المولود منك يُدعى ابن اللَّه" (لو ١: ٣٥). لم يرجع مجد الرب إلى هيكل أورشليم، إنّما **بحلول الروح القدس جاء رب المجد**، كلمة اللَّه ليتجسّد في أحشاء البتول، فصارت أمًا لملك الملوك ورئيس الكهنة السماوي الأعظم. صارت ملكة فريدة تجلس عن يمين الملك (مز ٤٥: ٩).

انفتح الباب لكل المؤمنين عبر كلِ العصور ليحلّ الروح القدس (خلال وضع الأيادي أو مسحة الميرون) فيظلّل على النفس البشريّة، ويقيم منها **مريم ثانية**، لا ليتجسّد الكلمة مرّة أخرى، وإنّما ليحل المسيح بالإيمان فيها (أف ٣: ١٧)، فتصير ملكة وكاهنة ونبيّة روحيًا. هكذا في مسحة الميرون نُمسح ملوكًا أصحاب سلاطين حتى على أفكارنا وحواسنا، وكهنة نقدّم تقدمات شكر وذبائح تسابيح للَّه (رو ١٢:١)، وأنبياء ندرك بكل وضوح مستقبلنا في حضن أبينا السماوي.

مسحة الميرون تهبنا اعتزازًا بنعمة الروح القدس العجيب الذي يهبنا مجدًا لا ينقطع!

لقد صارت القدّيسة مريم أمًا لذاك الذي تجسّد منها، أمّا نحن فنحمل ملك الملوك في قلوبنا. وكما يقول الرسول بولس: "يا أولادي الذين أتمخّض بكم أيضًا إلى أن **يتصوّر المسيح فيكم**" (غل ٤: ١٩).

يقول الرسول يوحنا: "وجعلنا **ملوكًا وكهنة** لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين" (رؤ ١: ٦).

❖ انظروا كيف صرتم مشاركي اسم المسيح كهنوتيًا، وكيف أُعطي لكم ختم شركة الروح القدس[1].

**الشهيد كبريانوس**

---

[1] *Sermon 8:33.*

❖ أظن انّه ليس أحد من بين المؤمنين يشك بأن كهنوت اليهود كان رمزًا للكهنوت الملوكي الذي كان يلزم أن يتحقّق بالكهنوت الذي في الكنيسة، حيث يتكرّس الكل، هؤلاء الذين ينتمون إلى جسد المسيح، رئيس الكهنة الأعظم والأسمى. فالآن الكل ممسوحون، بينما في تلك الأيّام كانت المسحة للملوك والكهنة وحدهم. وعندما كتب بطرس إلى الشعب المسيحي تحدّث عن "كهنوت ملوكي"، وأظهر بوضوحٍ أن هذا الشعب يوصف باللقبين معًا هذه التي من أجلها قد تخصّصت المسحة.

**القديس أغسطينوس**

❖ يُمسح كل مؤمن كاهنًا وملكًا، غير أنّه لا يصير ملكًا حقيقيًا ولا كاهنًا حقيقيًا، بل ملكًا روحيًا وكاهنًا روحيًا، يقرّب للّه ذبائح روحيّة وتقدمات الشكر والتسبيح[1].

**القديس أمبروسيوس**

❖ الذين كانوا يُمسحون في العهد القديم هم إمّا كهنة أو أنبياء أو ملوك. أمّا نحن المسيحيّون، أصحاب العهد الجديد، فيلزم أن نُمسح لكي نصير ملوكًا متسلّطين على شهواتنا، وكهنة ذابحين أجسادنا، ومقدّمين إيّاها ذبيحة حيّة مقدّسة مرضيّة عبادتنا العقليّة، وأنبياء لإطلاعنا على أسرارٍ عظيمةٍ جدًا وهامة للغاية.

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

## مسحة ربّانيّة كهنوتيّة

أول ما عُرف عن مسحة الأشخاص في تاريخ الخلاص هو مسحة الكهنة، هرون وبنيه، (خر ٢٩: ٧). وكان هرون كرئيس للكهنة يلتزم أن يضع الصفيحة التي من ذهب نقي ونُقش عليها "قدس للرب" على جبهته دائمًا للرضا عن الشعب أمام الرب (خر ٢٨: ٣٦-٣٨). ونحن إذ صرنا كهنة الرب نحمل هذه الصفيحة على جباهنا وأذهاننا وحواسنا وكل طاقاتنا التي للجسد والنفس والروح.

## مسحة ربّانيّة ملوكيّة

كما مُسح أول رئيس كهنة وبنوه بالدهن المقدّس ليكونوا مقدّسين ومكرّسين

---

[1] *Priesthood, 4.*

للرب، هكذا مُسح أول ملك بالدهن. هذه المسحة قام بها صموئيل النبي، لكنّه قال له: "أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسًا؟!" (١ صم ١٠: ١). وفي عتاب ناثان النبي لداود حين أخطأ قال له: "هكذا قال الرب إله إسرائيل: **أنا مسحتك ملكًا**" (٢ صم ١٢: ٧)، فإن كان النبي قد مارس طقس المسحة بسكب الدهن المقدّس على رأس الملك، **لكن يد الرب الخفيّة هي التي تمتد لتمسح الشخص**، فيتمتّع بمسحة ربّانيّة، بكونه رمزًا للسيّد المسيح القادم لخلاص العالم، وبكونه كملكٍ صار يمثّل كل الشعب في عيني اللّه.

## مسحة زيجيّة مفرحة

والعجيب في المزمور ٤٥ حيث يتغنّى المرتّل بسرّ اتحاد السيّد المسيح بكنيسته أو زواجه بها، يرى اللّه الآب نفسه يقوم بالمسحة الإلهيّة الفريدة غير المنظورة، فيقول: "**مسحك اللّه إلهك** بزيت البهجة" (مز ٤٥: ٧). وقد أخذت الكنيسة القبطيّة عن هذا المزمور المسياني الزيجي طقس دهن العروسين بالزيت أثناء سرّ الزيجة.

## الإنارة العقليّة والتمتّع بالحماية الإلهيّة

"وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو ١٤: ٢٧).

- ❖ إنّك تُحفظ بختمك (أي بالمسحة) من هجمات الشرّير الشرّيرة، هذا الذي بعمادك لم يعد له سلطان عليك.

- ❖ احفظوا هذه المسحة طاهرة، لأنّها تعلم كل شيء إذا لبثت فيكم كما سمعتم أقوال يوحنا الطوباوي (١ يو ٢: ٢٠، ٢٧) الذي نطق بأقوالٍ حكيمة كثيرة في هذه المسحة، لأن الروح القدس حرز للجسد وخلاص للنفس[1].

**القديس كيرلّس الأورشليمي**

- ❖ كيف يدافع عنك الملاك الحارس، كيف يحفظك من العدو، إن لم يكن قادرًا على

[1] *Sacr. 3:7.*

رؤية ختم المسحة؟ ألا تعلم أن المُهلك عبر على بيوت المختومين بالدم في الأيّام الأولى لموسى المنقذ، وقتل أبكار البيوت التي لغير المختومين؟ الكنز غير المختوم يسرقه اللصوص بسهولة، والقطيع الذي لا يحمل علامة يسرق بأمان.

**القديس باسيليوس الكبير**

## التبكيت على الخطية

"ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى برٍّ وعلى دينونة" (يو ١٦: ٨).

## يهب تعزيات روحية

"وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد" (يو ١٤: ١٦).

## يشفع فينا

"وكذلك الروح أيضًا يعين ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأناتٍ لا ينطق بها. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين" (رو ٨: ٢٦-٢٧).

## يعلن لنا الحق الإلهي

"روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يو ١٤: ١٧).

## يقدم مواهب روحية[١]

"ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١ كو ١٢: ١١).

[١] راجع نيافة الأنبا غريغوريوس: القيم الروحية... في سرّ الميرون.

**من وحي أعمال ٨**

**افتح عن بصيرتي يا روح اللّه،**
**وقدني في بهجة القيامة!**

❖ تهلّل السمائيّون بلقائهم بأول شهيد مسيحي!
واضطربت أورشليم، إذ لم تحتمل عملك العجيب!
تهلّل شاول برجم استفانوس،
في نظره المناحة العظيمة على استفانوس غباوة!
شمّر عن ساعديه، ليتحرّك كوحشٍ مفترس.
ظن أن في عنفه خدمة للّه،
وحسب تدميره بناءً للملكوت!

❖ في تشفٍ شاهد شاول أفواج الهاربين من أورشليم.
ظن في نفسه أنّه القدير.
قادر بعنفه أن يطفئ نارك الإلهيّة،
ويمحو اسم يسوع عن الأرض.
تبعثر المؤمنين كفحمٍ ملتهب بنارك.
فاشتعلت نار حبّك الإلهي في مواضعٍ كثيرة!

❖ أغلق اليهود أبواب قلوبهم أمامك،
فانفتحت قلوب السامريّين، لتستقبل الشاهدين لك.
استنارت أعينهم، إذ تجلّى الملكوت-السماوي أمامهم.
وامتلأوا فرحًا، إذ انهارت مملكة إبليس المسيطرة عليهم.
صارت المدينة في عيد عجيبٍ، وفرحٍ عظيمٍ!

❖ رأى سيمون الساحر قوّتك العجيبة،
فظنّ أنّه قادر أن يشتري مواهبك بماله!
قدّم مالاً لعلّه يغري الرسل،
ولم يدرك أن ما اقتنوه مجّانًا لا يبيعونه بمالٍ.

قدّم لهم ما قد صار عند أقدامهم بلا قيمة!

❖ في حركة سريعة كنت تحرك فيلبّس المبّشر.

ألهب السامرة بنارك الإلهيَّة.

وها هو منطلق تحت قيادتك، ليلحق بخصي كنداكة ملكة أثيوبيا.

لم يصنع أمامه عجائب وآيات كما في السامرة.

لكن تحدث معه حديث الروح الجذّاب.

سحبت قلب الخصي، لأنّه جاد في خلاص نفسه.

جاء يطلب تعزية في الهيكل،

وفتح الأسفار المقدّسة في مركبته يطلب معرفة الحق الإلهي.

تطلّعت إلى قلبه المشتاق للحق،

فاجتذبته إلى الصليب، ينعم برؤية حمل اللَّه حامل خطية العالم!

اشتهى أن يُصلب معه ويدفن،

ليقوم، حاملاً سمات القائم من الأموات.

وجد ضالته المنشودة، حين رأى ماءً في الطريق.

غطس ليعتمد، وخرج ليرى ما لا يُرى.

رأى فيلبّس اختفى من أمام وجهه،

لكن يسوع المصلوب يتجلّى أمامه.

رأى النبوّات قد تحقّقت،

ووعود اللَّه الفائقة بين يديه.

صار بالعماد ابنًا للَّه، مصدر كل فرحٍ.

❖ لك المجد يا أيّها الروح الناري!

عجيبة هي أعمالك في كل جيل!

ولتهبنا مسحتك، فنُحسب ملوكًا وكهنة وأنبياء.

هبنا ختمك الإلهي، فتهرب من أمامنا قوّات الظلمة.

هبنا العربون، فنحيا في السماويّات!

# الأصحاح التاسع

# اهتداء شاول

يبدأ هذا الأصحاح بالحديث عن اهتداء شاول الطرسوسى إلى الإيمان المسيحي، وتكريس كل طاقاته لبنيان كنيسة المسيح، بعد أن كانت موجهة بالتمام لاضطهادها ومقاومة الإيمان. بتحوله كرس الرب طاقاته للعمل بين الأمم بقوة الروح القدس، وتأسيس كنائس كثيرة في العالم.

١. اهتداء شاول ١-٩.
٢. لقاء شاول مع حنانيا ١٠-١٩.
٣. انطلاقه للكرازة ٢٠-٢١.
٤. تهريبه من دمشق ٢٣-٢٥.
٥. شاول في أورشليم ٢٦-٣١.
٦. بطرس الرسول في اللد ويافا ٣٢-٤٣.

## ١. اهتداء شاول

كان شاول من مدينة طرسوس في سهول كيليكية جنوب شرقي آسيا الصغرى، كانت تحت الحكم الروماني. وكان أبواه من اليهود المحافظين على التقاليد والعادات اليهودية وهما في الشتات. كان الوالد ذا شخصية ممتازة، أتى بأعمال باهرة، فكافأته الدولة الرومانية بالرعوية الرومانية، فصارت له هو وأهل بيته امتيازات المواطن الروماني. هذا وكان شاول يعتز بأنه عبراني، كما أتقن اليونانية لغة وفلسفة.

كان والده فريسيًا، وهو نفسه كان فريسيًا، أي من أرقى طبقات اليهود، تحيا حياة ناموسية حرفية مدققة للغاية، يحسب نفسه من جهة الناموس بارًا. اتسم شاول بالقلب الملتهب غيرة على تراث آبائه، فكان مستعدًا أن يبذل حياته حتى الموت من أجل أمانته لديانته.

تكشف رسائله عن شخصية رقيقة للغاية، يذرف دموعه بسهولة حبًا وترفقًا بكل أحدٍ. مستعد أن ينفق نفسه، وينفق كل ما لديه. لكنه إذا آمن بمبدأ ما صار كالوحش المفترس من أجل دفاعه عن هذا المبدأ (ذلك قبل قبوله الإيمان المسيحي)، ظانًا أنه يقدم خدمة لله ودفاعًا عن الحق.

يدعو القديس يوحنا ذهبي الفم الرسول بولس: "معلم الكنيسة الجامعة[1]".

**"أمّا شاول فكان لم يزل ينفث تهدُدًا وقتلاً على تلاميذ الرب،**
**فتقدم إلى رئيس الكهنة". [١]**

لم يكن ممكنًا لشاول أن يجد راحة ما دام يوجد مسيحي مستريح. وإذ علم أن المسيحيّين في دمشق في سلام انطلق كالوحش المفترس ينقض عليهم، لعلّه يفقدهم سلامهم وراحتهم.

كان شاول أشبه بحيوانٍ مفترسٍ، يبث سمومه لعله يقتل تلاميذ الرب، فكان ينفث تهددًا، لن يشبع قلبه قط، بل يطلب مزيدًا من سفك الدماء، حاسبًا ذلك عملاً مقدسًا لحساب خدمة الله. إذ ظن أن اسم يسوع يمثل كارثة على الديانة اليهودية انقض على الكنيسة في أورشليم ينفث تهددًا وقتلاً، مستندًا على رسائل رئيس الكهنة.

**"وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات،**
**حتى إذا وجد أناسًا من الطريق رجالاً أو نساء،**
**يسوقهم موثقين إلى أورشليم". [٢]**

لم يكن رئيس الكهنة محتاجًا إلى من يثيره لاضطهاد أتباع يسوع، لكنه وُجد في هذا الشاب الثائر تحت دافع الغيرة على مجد الله وشعبه والناموس والهيكل وتقليدات الآباء ما يلهبه بالأكثر، فيكرس مجمع السنهدرين طاقاته لهذا العمل. وجد رئيس الكهنة فرصته لإبراز بطولته ليس في المقاومة في أورشليم وحدها، بل ولإعلانها خارج أورشليم. أعطي هذا الشاب رسائل يسأل المجامع والمجتمعات وكل يهودي في دمشق لمقاومة كل من يؤمن بيسوع المسيح. كما وجد هذا الشاب في قلب

---

[1] *Baptismal Instructions, 4:7.*

رئيس الكهنة ما يحقق شهوة قلبه، ألا وهو خدمة الله بكل غيرة، ومقاومة ما كان في نظره بدعة خطيرة على مستقبل شعب الله كله.

طلب الرسائل من مجمع السنهدرين، ربما يكشف عن سلطة هذا المجمع في ذلك الوقت على كل المجامع اليهودية في العالم من الجانب الديني. أو لعله وجد المجمع فرصته لتثبيت هذا السلطان بظهوره بالغيرة على مجد الله ومقاومة كل بدعة أينما وجدت.

## دمشق

كانت عاصمة سوريا، تقع في منطقة ممتازة تبعد حوالي ١٢٠ ميلاً شمال شرق أورشليم و١٩٠ ميلاً جنوب شرق إنطاكية. وهي في سهل متسع للغاية محفوف بأشجار السرو والنخيل، وهي أرض خصبة جدًا، يرويها نهر بارادي Barady، كان قبلاً يدعى أبانة (٢ مل ٥: ٢١). على بعد حوالي خمسة أميال من المدينة يوجد موضع يُدعى "ملتقى المياه" حيث يلتحم نهر بارادي بنهر آخر وينقسم إلى عدة مجاري تفيض على السهل. هذه المجاري الستة أو السبعة كفيلة بإرواء الحقول هناك كما تمثل منظرًا طبيعيًا فائقًا. يُعتبر هذا الموقع من أروع مناطق العالم. كان الشرقيون أنفسهم يدعونه: "فردوس الأرض".

أشير إليها في العهد القديم، كانت مدينة في أيام ابراهيم (تك ١٥: ٢)، ولا يُعرف من الذي أسسها. استولى عليها داود (٢ صم ٨: ٦؛ ١ أي ١٨: ٦). يُشار إليها بكونها من المواقع الهامة جدًا في الصراع بين اليهود وسوريا (٢ مل ١٣: ٢٥؛ ١٦: ٥؛ إش ٩: ١١).

استولى عليها الرومان حوالي عام ٦٠ ق.م، واستولى عليها العرب عام ٧١٣م، وفي عام ١٢٥٠م استولى عليها المسيحيون في الحروب الصليبية، وفي عام ١٥١٧م استولى عليها سليم، وصارت تحت حكم العثمانيين.

كانت من أهم المدن التجارية في الإمبراطورية العثمانية، وقد تميزت بالمصانع، خاصة صناعة الحديد، ولهذا دعيت "دمشق الحديد".

## المجامع

إذ انتشر اليهود في كل البقاع المحيطة باليهودية حتمًا كان في دمشق عدد كبير منهم، وكانت لهم مجامع فيها. يؤكد المؤرخ يوسيفوس أن عشرة آلاف شخص ذُبحوا في ساعةٍ واحدةٍ هناك، وفي وقت آخر ١٨٠٠٠ رجلاً مع نسائهم وأطفالهم[١].

لعل البعض منهم قد آمنوا بالسيد المسيح في يوم الخمسين، وإذ رجعوا من أورشليم كرزوا بالإنجيل في سوريا.

انطلق شاول إلى دمشق لكي يقيد المسيحيين ويأتي بهم إلى أورشليم لمحاكمتهم أمام مجمع السنهدرين، الذي يحسب نفسه المسئول الأول عن الأمور الدينية اليهودية، وكان اليهود حتى الغرباء يحترمون سلطانه الديني.

**هذا الطريق:** دعي المؤمنون "أصحاب الطريق"، ربما من اليهود، إذ حسبو م قد سلكوا طريقًا مختلفًا عن الطريق الموسوي، وأنهم انحرفوا عن طريق شعب ا ه والالتزام بالناموس وتقديس الهيكل. ولعل المؤمنون أنفسهم دعوا أنفسهم هكذا بكونهم وجدوا الطريق الحق، وأنهم يسلكون فيه حتى يبلغوا إلى بيتهم الأبدي، ماداموا في العالم فهم في الطريق.

❖ في كل موضع يدعى تدبيرنا "**لطريق**"، وإذ نُوجد في الطريق الذي للصلاة لا نذهب إلى الآب ونحن في غضبٍ[٢].

**العلامة ترتليان**

**"وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق،**
**فبغتةً أبرق حوله نور من السماء". [٣]**

في أحلك لحظات شرّه أشرق نور القدّوس البار عليه، ليفضحه أمام نفسه، فيرجع ويتمتّع بنور البرّ. الله في حبّه للإنسان لا يكف عن الاشتياق للالتقاء مع الإنسان الذي جاء لا للأصحّاء بل للمرضى.

---

[1] *Jewish Wars, 2:20:2; 7:8:7..*
[2] *On Prayer, 11.*

لا يعرف بالضبط أين تم ذلك، فالبعض يرى أنه خارج الباب الشرقي للمدينة، والبعض يرى أنه على بعد ميلٍ واحدٍ من المدينة.

النور الذي أبرق على وجه شاول كان بلا شك هو بهاء مجد السيد المسيح، فقد قال الرسول بولس: "آخر الكل ظهر لي أنا أيضًا" (١ كو ٥: ٨)، كما قال: "ألم أرَ يسوع المسيح ربنا؟" (١كو ٩:١)، كما أعلن برنابا كيف رأى شاول الرب في الطريق (أع ٩: ٢٧).

إعتاد الله أن يظهر لليهود في سحابة، أو عمود دخان أو نار؛ هكذا كان يعلن الله أيضًا عن حضرته في الشكناة على تابوت العهد. هذه العلامات تمثل مجد يهوه (إش ٦: ١-٤؛ خر ١٦: ٧). وعندما تجلى السيد المسيح على جبل تابور أحاط به هذا المجد (مت١٧: ١-٥).

لم تحدث هذه الرؤيا في داخل الهيكل أو في وسط اجتماع المؤمنين مقابل في الهواء الطلق حتى يدرك شاول أن روح الله لا يحد عمله بمكان معين، ولكي لا يظن أحد أن ما حدث كان بخداعٍ من المؤمنين المجتمعين حوله.

لم يحدث هذا في أورشليم، مدينة الله، بل على مقربةٍ من دمشق، فكان يليق بمن يدعى للكرازة بين الأمم أن يهتدي إلى الحق في أرض أممية، حتى لا يرتبط قلبه ويحصر في اليهود أو في أورشليم أو في هيكل سليمان.

لم يظهر له السيد المسيح طوال الطريق، بل انتظر حتى اقترب جدًا من دمشق، ولعله ظهر له في لحظات كانت أفكاره قد بلغت القمة وهو يتصور نفسه راجعًا يقتاد الكثيرين في قيود ليذلهم ويلزمنهم بالتجديف على اسم يسوع الناصري.

هكذا لشراق السيد المسيح بنور مجده على شاول الطرطوسي، وظهوره له في اللحظات العصيبة التي كان فيها شاول متعطشًا إلى محو اسم يسوع عن جهالة، يكشف عن عطش الله إلى النفوس لكي ترتوي من ينابيع حبه وتكتشف خطته لتمجيدها!

❖ كالإيل الذي يشتلق إلى مجاري المياه (مز ٤٢: ٢)، هكذا نزل إلى بولس، فأضاء حوله (أع ٩: ٣)، وقفز فوق كنيسته التي هي بيت إيل، أي بيت الله (مي ٥: ١)،

لأن دعوة بولس هي قوة الكنيسة[1].

**القديس أمبروسيوس**

**"فسقط على الأرض،**
**وسمع صوتًا، قائلاً له:**
**شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟" [٤]**

ما حلّ بشاول الطرسوسي حين أبرق عليه النور يشبه ما حدث مع دانيال النبي عندما شاهد رؤيا، إذ شعر بأن قوته قد فارقته (دا ٨: ١٧؛ ١٠: ٨).

دعوة شاول باسمه، وتكرار الاسم كشف لأعماق شاول اهتمام الله به وحنوّه نحوه شخصيًّا. إعتاد الرب أن يكرر اسم الشخص الذى يدعوه عندما يريد تأكيد الرسالة (لو١٠: ٤١؛ ٢٢: ٣١؛ ٢٣: ٣٧). هذا أسلوب الله في النداء المزدوج: "إبراهيم، إبراهيم"، موسى، موسى"، "صموئيل، صموئيل"، "مرثا، مرثا"، "سمعان، سمعان"، هذا النداء يحمل تحذيرًا مع تشجيع.

بعتابه له: "**لماذا تضطهدني؟**" يذكره بالقول: "ابغضوني بلا سبب".

بلا شك كان كثير من المؤمنين قد علموا أن شاول في طريقه إلى دمشق قادم كذئبٍ مفترسٍ يهاجم الحملان الوديعة، وربما ارتبكوا للخبر، كما يظهر من كلمات حنانيا [١٣-١٤]. لكنهم لم يدركوا أن رب الحملان قادر أن يحول الذئب المفترس إلى حملٍ وديعٍ، يشتهي أن يُذبح من أجل حمل الله، ويتألم من أجل هذه الحملان الوديعة.

امتلأ كأس شاول بالشر، لكنه إذ فعل هذا بجهالة لحقت به مراحم الله في اللحظات الأخيرة قبل دخوله دمشق، لكي تحوله عن شره، وتهبه استنارة وإدراكًا للحق الإلهي. كما أن الشيطان يحل في النفس البشرية خلال الظلمة، فإن رب المجد، نور العالم، يشرق على النفس بنوره لكي تتمتع بشركة مجده، ولكي يجعل من المؤمنين أبناء النور.

غالبًا ما سقط شاول من عن فرسه إلى الأرض؛ ربما لم يحتمل الفرس النور،

[1] *Isaac or the Soul, 3: 31 (translated by Guirguis Kamel Youssef).*

فإرتعب من بهاء النور الذي اشرق فجأة، وبالتالي سقط شاول. لكن الله حفظ عظامه، فلم يصبها كسر ما.

ما كان يمكن لشاول أن يصعد إلى العمل الرسولي بإمكانيات سماوية فائقة ما لم يسقط أولاً على الأرض، وتصاب عيناه بالعمى، ويشعر بحاجته إلى من يقوده في الطريق، بهذا يدرك حقيقة إمكانياته الضعيفة، وعجزه الكامل حتى يتقبل نعمة الله الغنية.

❖ بكلمة واحدة إذ جاءته الدعوة من السماء: "**شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟**" [٤] اسقط الثائر بجنونٍ، وأقامه سليمًا؛ قتل المضطهد، وأحيا الكارز[1].

❖ أنا في السماء وأنت على الأرض، ومع هذا فأنت تضطهدني. إنك تلمس جسدي لكنك تطأ على أعضائي. ماذا تفعل؟ ماذا تربح؟[2]

❖ (يسوع المسيح) هو فوق وتحت في نفس الوقت، فوق بنفسه وتحت في من له. فوق مع الآب، وتحت معنا. لهذا كان أيضًا ذاك الصوت لشاول: "**شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟**" [٤] ما كان يقول: "**شاول، شاول**" لو لم يكن هو فوق، لكن شاول لم يكن يضطهده فوق. إذن ذاك الذي هو فوق ما كان يقول: "**لماذا تضطهدني؟**" ما لم يكن هو أيضًا تحت.

خفْ المسيح الذي هو فوق، وتعرّف عليه تحت.

إذ لك المسيح فوق يهبك خيراته، أعرفه هنا وهو في احتياج.

المسيح هنا فقير، وهناك غني.

بكونه فقيرًا هنا يخبرنا: "كنت جائعًا، كنت عطشانًا، كنت عريانًا، كنت غريبًا، كنت مسجونًا" (راجع مت ٢٥: ٣٥ الخ)...

لكن ذاك المسيح غني، من لا يعرف ذلك؟ من بين الغنى الذي له أنه حوّل الماء خمرًا. فإن كان الذي لديه خمر هو غني، فكم يكون غنيًا من يصنع الخمر؟

فالمسيح غني وفقير، إنه غني بكونه الله، وفقير بكونه إنسانًا.

---

[1] *Sermons on N.T. Lessons, 37:15.*
[2] *Sermons on N.T. Lessons,66:7.*

غني الآن بكونه صعد إلى السماء ويجلس عن يمين الآب، ولكنه لا يزال فقيرًا وجائعًا وعطشانًا وعريانًا هنا[1].

**القديس أغسطينوس**

❖ لاحظوا أن الرب نفسه قال بأنه هو نفسه في السماء (يو ٣: ١٣) وعلى الأرض. نحن نعترف أيها الأحباء الأعزاء أن المسيح الرب هو رأس الكنيسة.

إن كان هذا حقيقي فهو في السماء بكونه الرأس، وهو على الأرض في ما يخص الجسد.

علاوة على هذا عندما كان الرسول الطوباوي بولس يضطهد الكنيسة أعلن المسيح من السماء: "**شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟**" إنه لم يقل: "لماذا تضطهد خدامي؟" ولا قال: "لماذا تضطهد أعضائي؟" بل قال: "**لماذا تضطهدني؟**" الآن اللسان يصرخ إذ يُداس على القدم.

لقد دست عليّ، مع أنه لا يستطيع أحد أن يدوس على اللسان قط، لكن خلال انسجام الحب يصرخ الرأس عن كل الأعضاء[2].

**الأب قيصريوس أسقف آرل**

**"فقال: من أنت يا سيد؟**
**فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده،**
**صعب عليك أن ترفس مناخس".[٥]**

خرج من أورشليم متجهًا إلى دمشق، حاسبًا أنه يتمم رسالة إلهية سامية، ويبيد تجديفًا ضد الله، ولم يعلم أن خططه تتبخر وتتلاشى، ولا يعود ثانية إلى أورشليم يهوديًا فريسيًا. هذا لم يكن ممكنًا أن يخطر على ذهنه.

مع إرهاق الرحلة المضنية كانت أعماله الوحشية ضد المسيحيين تزعجه وتربكه، فهو لن ينسى وجه القديس استفانوس الذي كان له وجه ملاك، ولن يغيب عن ذهنه سلام المسيحيين الداخلي الذي انعكس على تصرفاتهم حتى أثناء اضطهاداتهم.

---

1 *Sermons on N.T. Lessons, 74:4.*
2 *Sermon 87:3.*

وكانت أصواتهم ترن في أذنيه، حين كانوا يشهدون بأنهم يروا السماء مفتوحة، ويتمتعون برؤية يسوع المسيح عن يمين العظمة. هذا كله كان ينخس ضميره، فكان يحاول أن يرفسها ويهدّئ من ضميره، مؤكدًا لنفسه أنه إنما يقدم خدمة لله.

وسط هذه الدوامة أشرق الرّب بوجهه من السماء على شاول الذي لم يستطع أن يتطلع إلى بهاء مجده، فسقط على الأرض كميت. سمع صوته فظنه صوت إنسان عادي، ففوجئ أنه صوت يسوع الحي يوبخه ويحذره.

لم يبلغ شاول إلى معرفة المتكلم، فما كان يتوقع أنه يسوع الذي لم يحفظ الناموس، والذي قال: "انقضوا الهيكل"، والذي تعالى على إبراهيم، فحسب نفسه كائنًا قبله، وتعالى على موسى الذي قدم المن من السماء. لكن سرعان ما عرّفه يسوع بشخصه، فأدرك أنه قد أخطأ الطريق تمامًا، واضطهد كنيسة المسيح، وقاوم الحق الإلهي، وأحزن قلب الله! أدرك أنه ألقى بنفسه في موت أبدي، وهو يظن أنه يخدم العلي.

تحدث معه كمن هو على حافة هوّة عظيمة كاد أن يسقط فيها، وقد تحرك إله السماء نفسه لينقذه منها. يا لغنى حب الله الفائق حتى لمقاوميه من البشر!

**"أنا يسوع"**: واضح من هذا أنه ظهور شخصي للمخلص مُقدم لشاول، لكن هل ظهر له كابن الإنسان في مجده أم ظهر نوره الإلهي فقط، هذا ما لا يمكن تأكيده. أعلن له عن شخصيّته أنه يسوع الذي صُلب منذ فترة قصيرة، وكأنّه يقول له: "لقد صُلبت من أجلك، الآن أود أن أُصلب من خلالك... تشاركني آلام الحب!"

**"الناصري"**: هذا هو اللقب الذي كان به يسخر شاول بالمسيحيين.

لم نسمع من قبل أن يسوع يشتكي لأجل اضطهاد أحد له، إنّها المرّة الأولى التي فيها يعاتب بقوّة، فقد قبل صلبه بفرح، والآن يئن مع أنّات شعبه، يقف ليحوّل مضطهديه إلى كارزين له وشهود لحبّه الإلهي.

**"مناخس"**: الجزء الحديدي في نهاية العصا، الذي به ينخس الشخص الثور أو الحصان ليثيره. قتل شمجر ٦٠٠ رجلاً بمنخس واحد (قض ٣: ٣١).

يستحيل على الإنسان ان يقاوم الله وخطته وناموسه ويبقى سعيدًا.

❖ دُعي (شاول) شابًا فقط في هذه العبارة عندما حفظ ثياب الذين رجموا استفانوس (أع ٧: ٥٨)... مع هذا فقد رآه المسيح عندما أشرق النور حوله (أع ٩: ٣)، لأن الشباب يُدعون من الخطية بالخوف أكثر منه بالإقناع، لذلك استخدم المسيح المنخس وبرحمةٍ دعاه ألا يرفس مناخس[1].

**القديس أمبروسيوس**

**"فقال وهو مرتعد ومتحيّر:**

**يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟**

**فقال له الرب:**

**قم وادخل المدينة،**

**فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل". [٦]**

لم يكن حلمًا وهو نائم، بل رؤيا صادقة، دخل في حوارٍ مع يسوع المسيح، الرب الذي في السماء. رأى نورًا أبهر عينيه، وأسقطه على الأرض، وسمع صوتًا واضحًا، ودخل في حوارٍ وهو في كامل وعيه. ارتعد شاول الطرسوسي وتحيَّر، فهو في نظر نفسه كما في نظر مجمع السنهدرين، بل وفي نظر الله نفسه، كما كان يظن، بار وخادم أمين، باذل حياته وطاقته لحساب مجد الله، فأية جريمة ارتكبها؟ لعله لم يدرك في البداية ما هذا اللقاء الغريب، ومن هو المتحدث معه.

انحنت نفس شاول في انسحاق لتعلن أنها مستعدة أن تتنازل عن كل مفاهيمها ومعرفتها، حتى عن طاعتها لمجمع السنهدرين، لكي تطيع هذا الصوت السماوي. رفض الآن شاول الخضوع لأية سلطة على الأرض، مادام قد أعلن هذا السماوي ذاته له.

وجهه السيد المسيح إلى دمشق ليعرف طريق خلاصه خلال الكنيسة. لقد اهتدى شاول إلى الايمان بعملٍ معجزي فائق، وظهر له المخلص نفسه في مجده، فلن

[1] *Joseph 10: 58.*

يشك بعد في أنه هو المسيا الذي طالما انتظره. أول عمل يلتزم به المؤمن الطاعة لإرادة الله، وأن يلتصق بالله خلال كنيسته المقدسة. لذا صدر له الأمر الإلهي أن يذهب إلى المدينة، وهناك تخبره الكنيسة ماذا يفعل. لم يفكر شاول في سمعته، ولا في خبرته الطويلة، ولا ماذا يقول الناس عنه.

إنها لحظات رهيبة حيث يختار السيد المسيح السماوي إناءً أهان اسم المسيح وكنيسته وجدّف وافترى، ليصير إناءً مختارًا يحمل حبًا للأمم كما لليهود، يتسع قلبه لكل من يلتقي معه، أو يسمع عنه. تمتع شاول الطرسوسي بالسماء المفتوحة والحديث الصريح، إذ لم يتحدث معه خلال ألغاز، كما فعل مع القديس بطرس حين رأى ملاءة نازلة من السماء وصوت يتكلم باللغز.

❖ عندما نادى السيد المسيح بولس ودعاه فتح له طريق الكمال، لكنه استحسن أن يوجهه إلى حنانيا، طالبًا منه أن يتعلم الحق عن طريقه، قائلاً: "...قم وادخل المدينة فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل" (أع ٩:٦).

أرسله إلى رجل شيخ، معتبرًا أن ذلك أفضل من أن يتسلم تعاليمه منه مباشرة. لئلا يصير بولس مثلاً سيئًا في اعتماد الإنسان على ذاته في التعليم، إذ يُقنع كل أحد نفسه أنه هو أيضًا يتعلم أحكام الله وتعاليمه بنفسه دون حاجةٍ إلى طريق تعاليم الآباء. يعلمنا الرسول نفسه عن عدم الاكتفاء الذاتي في التعليم قدر المستطاع، وذلك ليس بالكلام بل بالعمل، فيقول أنه ذهب بمفرده إلى أورشليم لهذا الهدف، أي ذهب إلى مجمع غير رسميٍ يعرض فيه على زملائه الرسل والسابقين عنه الإنجيل الذي يبشر به بين الأمم، ونعمة الروح القدس المصاحبة له بعلامات قوية وعجائب، إذ يقول "...وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين، لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً" (غل ٢:٢).

فمن هو هذا المكتفي بذاته، الأعمى، الذي يتجاسر فيثق في أحكامه الخاصة وتمييزه الشخصي، بينما يعترف الإناء المختار باحتياجه للاجتماع والتشاور مع زملائه الرسل؟!

إذن، رأينا أن الله لم يكشف لأحدٍ طريق الكمال، طالما كانت له فرص للتعلم

من الآباء واختباراتهم، لئلا يصيروا غير مكترثين بمشورة الآباء، لذلك يقول: "اسأل أباك فيخبرك، وشيوخك فيقولوا لك" (تث ٣٢: ٧)[1].

**الأب موسى**

❖ لنحذر من تجارب الكبرياء الخطيرة هكذا. بالأحرى لندرك الحقيقة أن الرسول بولس نفسه مع كونه قد سقط وتعلم بواسطة صوت الله من السماء أُرسل إلى إنسانٍ ليتقبل الأسرار، ولكي يُضم إلى الكنيسة. وكرنيليوس قائد المائة، مع أن ملاكًا قد أعلن له أن صلواته قد سمعت، وصدقاته صارت تذكارًا، لكنه سُلم لبطرس من أجل التعلم، لم يتقبل فقط الأسرار من يدي الرسول بل وتعلم بواسطته الحقائق الصادقة للإيمان والرجاء والمحبة[2].

**القديس أغسطينوس**

يعود القديس أغسطينوس فيكمل بأن هذا التصرف يعطي الإنسان كرامة لأن الله يتكلم خلال هيكله البشري. "لأن هيكل الله مقدس، الذي أنتم هو" (١ كو ٣: ١٧). أضاف أيضًا أن هذا التصرف يربط البشر معًا بالحب [علاوة على هذا فإن الحب نفسه الذي يربط البشر معًا برباط الوحدة لا يكون له وسيلة لسكب النفس في النفس كما لو كان يمزجهما معًا، إن لم يتعلم البشر شيئًا من إخوتهم في البشرية[3].]

**"وأمّا الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين،**
**يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدًا". [٧]**

يبدو أنهم أولاً سقطوا على الأرض (أع ٢٦: ١٤) عندما أبرق النور، ثم قاموا عندما سمعوا الصوت وإن كانوا لم يميزوا الكلمات، فوقفوا في دهشة صامتين. لقد أدركوا أن حوارًا بين شاول والكائن السماوي يحدث، إذ سمعوا صوت شاول وفهموه، لكنهم لم يفهموا الصوت السماوي.

كان شاول منطرحًا على الأرض، عاجزًا عن الحركة، أفقد النور الإلهي

---

[1] *St. John Cassian: Conferences, 2:15.*
[2] *On the Christian Doctrines, Pref., 6.*
[3] *On the Christian Doctrines, Pref., 6.*

البصر الخارجي ليكشف عن اصطدامه بالظلمة التي غشت قلبه وكل كيانه الداخلي. لقد سقط الكل حين أشرق النور، لكن الكل قاموا ماعدا شاول، وسمعوا الصوت، لكن شاول وحده يفسر كل كلمة ويجيب ويتساءل، أما من كانوا حوله فلم يروا وجه السيد ولا فسروا كلماته، إنما وقفوا في صمتٍ لا ينظرون أحدًا. إنه ظهور خاص بشاول وحده. حسب نفسه من الأخصاء الذين اختارهم الرب، وأظهر ذاته لهم، "وآخر الكل، كأنه للسقط ظهر لي أنا" (١ كو ١٥: ٨).

كان لهذا اللقاء له معناه الخاص عند شاول الطرسوسي. حسب هذا اللقاء شهادة عملية لقيامة الرب من بين الأموات، وصعوده إلى السماء. هذا اللقاء دعوة للشهادة للمسيح الحيّ القائم من بين الأموات.

فتح هذا اللقاء عن بصيرة شاول ليدرك خطة الله للخلاص، فيقبل تجسد الكلمة الإلهي، ويعترف بلاهوته، ويؤمن بالصليب كذبيحة فريدة لخلاص العالم، ويتلامس مع قوة المسيح السماوي المحب لكنيسته والمدافع عنها.

**"فنهض شاول عن الأرض،**
**وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحدًا،**
**فاقتادوه بيده،**
**وأدخلوه إلى دمشق". [٨]**

إذ ابرق النور حتمًا أغمض عينيه، ومن الدهشة مع بهاء النور لم يفكر أن يفتح عينيه حتى تم الحوار، وإذ حاول بعد ذلك أن يفتحهما أدرك أنه لم يعد يبصر. هذا العمى أمر طبيعي يحدث من شدة بهاء النور الذي لا تستطيع العينان أن تتطلعان إليه، يدعى هذا المرض *amaurosis* أو *gutta serena* وهو لا يؤذي العينين، بل يجعلهما عاجزين عن الرؤية. هذا المرض يصيب البعض عندما يحملقون في نور الشمس حين تكون في كمال قوتها، خاصة في المناطق الاستوائية، كما يحدث عندما يحملق الإنسان في الشمس أثناء كسوفها.

خارت قوة شاول الجسدية، وفقد بصيرته الخارجية إلى حين حتى يتقبل في أعماقه ما هو فائق للطبيعة، فيتعرف على شخص السيد المسيح مترنمًا: "بنورك يا رب

نعاين النور" (مز ٢٦: ٩ ٤ LXX). كان شاول يظن أنه جبار بأس، يزلزل كنيسة المسيح ويحطمها، وإذا به يتلمس الطريق كأعمى يسنده ويقوده من هم حوله. دخل دمشق لا في تشامخٍ، بل كان صامتًا لا يتكلم، ولا يريد أن يأكل أو يشرب. أدخلوه بيت يهوذا حيث انزوى في ركن يسترجع ما حدث خلال كل حياته، وما حدث معه في الطريق. شعر بالحاجة إلى نعمة الله الغنية، وإرشاد روح الله القدوس، ليبدأ حياة جديدة، ويرافقه في الطريق حتى النهاية. أرعبته الرؤيا وفي نفس الوقت وهبته شوقًا فائقًا لرؤية وجه ربنا يسوع وسماع صوته. لقد اختبر مفهوم التوبة في أروع صورها حيث تنحني النفس لتسمع الصوت الإلهي، وتئن شوقًا نحو اللقاء معه في دائرة الحب.

❖ إن كان بولس الذئب المفترس، بنيامين الصغير قد أُصيب بالعمى مغشيًا عليه، إنما لكي ينال بصيرته، ولكي ما يقوده الرعب المفاجئ الذي للظلمة المحيطة به أن يدعو ذاك الذي كان يضطهده كإنسان ربًا.

**القديس جيروم**

❖ ما كان يمكن لشاول المضطهد أن يموت ما لم يُجرح من السماء (أع ٩:٤)، وما كان يمكن للمبشر أن يقوم إلا بالحياة التي أعطيت له بدم (المسيح)[١].

❖ هُدم شاول، وبُني بولس المبشر...

قيل لإرميا: "قد وكلتك... لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض، وتبني وتغرس" (إر ١٠:١). لهذا فإن هذا هو صوت الرب: "أنا أجرح وأنا أشفي" (تث ٣٢:٣٩). إنه يضرب فساد العمل، ويشفي ألم الجرح. هذا ما يفعله الأطباء حينما يقطعون ويجرحون ويشفون. يمسكون بالسلاح (المشرط) لكي يضربوا، يحملوا حديدًا، ويأتوا لكي يشفوا[٢].

❖ أغلقت عيناه عن أباطيل هذا العالم، لكن بصيرة أخرى استنارت. ما كان إناء للهلاك إلى حين، صار إناء مختارًا[٣].

**القديس أغسطينوس**

---

[1] *St. Augustine: On Ps. 102.*
[2] *St. Augustine: On Ps. 51.*
3 *Fr. Caesarius of Arles: Sermon 226:3.*

"وكان ثلاثة أيام لا يبصر،

**فلم يأكل ولم يشرب". [٩]**

توقف عن الأكل والشرب، ربما لأنه لم يكن يتصور أنه سقط في خطية عظمى كهذه، أنه قاوم المسيا الذي طالما اشتهي الآباء والأنبياء أن يروه ويتمتعوا بعمله الخلاصي. أدرك أنه جدف على الله، وافترى على كنيسته واضطهدها بكل عنف. بقي هذه الأيام الثلاثة في حالة ارتباك شديد، فما كان يظنه خدمة لله وعمل برٍّ، اكتشف أنه مقاومة للحق الإلهي، وتحطيم لما هو حق.

لست أظن أنه قد امتنع عن الأكل والشرب كصومٍ اختياريٍ، بل كان نتيجة طبيعية لمرارة نفسه مما فعله في جهالة. أدرك أنه باختياره رفض النور وسقط تحت سلطان قوات الظلمة.

❖ لقد أُصيب بالعمى في الجسد وحده، لكي يستنير قلبه[1].

**القديس أغسطينوس**

## ٢. لقاء شاول مع حنانيا

**"وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا،**

**فقال له الرب في رؤيا: يا حنانيا.**

**فقال: هأنذا يا رب". [١٠]**

**حنانيا:** لسنا نعرف عنه الكثير، إنما واضح أنه من سكان دمشق، ولم يكن لاجئًا إليها هاربًا من أورشليم بسبب الاضطهاد [١٣]. فهو ليس من أورشليم، لكنه يهودي من دمشق، ربما آمن في يوم العنصرة حين كان في العيد، وسمع القديس بطرس، فآمن وتاب واعتمد، وانطلق إلى دمشق يبشر. ولعله كان أحد السبعين رسولاً، وقد سمع عما يفعله شاول الطرسوسي، لكنه لم يكن يعرفه شخصيًا.

**"فقال له الرب:**

**قم، واذهب إلى الزقاق الذي يُقال له المستقيم،**

---

[1] *Sermons on N.T. Lessons, 66:7.*

**واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسيًا اسمه شاول،**
**لأنه هوذا يصلّي". [١١]**

لم يتخلَ الله عن شاول المصاب بالعمي والعاجز حتى عن أن يأكل أو يشرب بسبب مرارة نفسه، بل أرسل له حنانيا. سمح الله بأن يُضرب كما بالعمى، بل ويبقى خلال هذه الأيام الثلاثة كمن هو في حالة موت، الآن يهبه الشفاء فتتمتع النفس بقوة القيامة.

طلب الله من حنانيا أن يذهب ويطلب شاول الطرسوسي، ولا ينتظر كي يأتي إليه شاول؛ هكذا كما يبادر الله بالحب فقد أرسل ابنه إلينا يليق بخادم الله أن يبادر بالحب، ويبحث عن النفوس ويطلب شفاءها. إنه كالمرأة التى توقد سراجًا وتبحث عن الدرهم المفقود، وكالراعي الذي يترك التسعة وتسعين خروفًا ويبحث عن الخروف الضال، وكالآب الذي يركض مسرعًا ليرتمي على عنق ابنه ويقبله. طالبه الربَ أن يسرع إلى شاول ليفرح مع الرب كما مع السمائيين، فقد وجد الراعي الصالح خروفه الضال، وها هو يدعو أصحابه ليفرحوا معه!

"**االمستقيم**": هذا الزقاق أو الطريق يمتد حاليًا من الباب الشرقي إلى الغربي، ويبلغ طوله ثلاثة أميال، عابرًا بكل المدينة وأحيائها كطريق مستقيم. جاء في التقليد أن بولس الرسول اعتمد في ينبوع ماء موجود في هذا الطريق، كان المسيحيون يشربون منه.

"**لأنه هوذا يصلي**": تكشف لنا هذه العبارة عن كيفية سلوك شاول الطرسوسي خلال هذه الأيام الثلاثة التي قضاها بلا طعام ولا شراب. إنه كان يصلي لذاك الذي كان يضطهده! إنه لأول مرة يقدم صلاته لا على مستوى الفريسية التي عاشها قبلاً في اعتزاز ببرّه ومعرفته، وإنما بقلب منكسر خاشع أمام المصلوب، واثقًا في غنى نعمة الله التي ينالها في المسيح يسوع السماوي. هذه هي علامة صدقَ اهتدائه للحق، إنه صار رجل صلاة! قبلاً كان في تشامخ يصلي، والآن في انسحاق قلب يطلب المغفرة!

"**هوذا يصلي**" كأن الرب يقول لحنانيا: "إنني أب حنون لا احتمل صرخات طفلي الصغير، أسرع إليه! قدم له اللبن ليرضع، فإنه جائع. ذاك الذي كان ينفث بالسم

كثعبانٍ قاتلٍ، ويرفس ليقاوم حتى المناخس، الآن قد صار في بساطة الطفل الرضيع ووداعته يصلي مترقبًا لبنًا يشبعه!"

**"وقد رأى في رؤيا رجلاً اسمه حنانيا،**
**داخلاً، وواضعًا يده عليه لكي يُبصر". [١٢]**

الآن رأى شاول الطرسوسي حنانيا قادمًا إليه، يضع يده عليه فيبصر وذلك في حلم قبل حضور حنانيا. كما طمأن الرب حنانيا أن شاول المضطهد للمسيحيين قد صار رجل صلاة خاشعًا يترقب نعمة الله المجانية، هكذا طمأن شاول الطرسوسي أنه لن يتركه في عماه، بل يبعث إليه سفيره ليهبه تعزيات إلهية، وينال استنارة القلب خلال المعمودية.

**"فأجاب حنانيا: يا رب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل،**
**كم من الشرور فعل بقديسيك في أورشليم". [١٣]**

لا تحمل إجابة حنانيا معنى عدم الرغبة في الذهاب إلى شاول، ولا الرغبة في عدم الطاعة للصوت الإلهي، ولا الخوف من احتمال الآلام أو الموت؛ إنما كان هذا في حلم ليهبه السيد المسيح ثقة أن ذاك الذي سمع عنه سواء خلال رسائل مرسلة إليه من بعض الأحباء في أورشليم أو من أولئك الذين جاءوا إلى دمشق بسبب الاضطهاد قد دُعي بالحق إناءً مختارًا للكرازة بين الأمم، وأنه قد صار رجل صلاة. هكذا كشف الله عن خطته الإلهية بخصوص شاول الطرسوسي.

**"القديسون"**، هنا يدعو المؤمنين قديسين *hagioi*، فقد تقدسوا للرب وكرس الروح القدس قلوبهم لملكوته.

**"وههنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة،**
**أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك".[١٤]**

**"فقال له الرب:**
**اذهب، لأن هذا لي إناء مختار،**
**ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل". [١٥]**

السيد المسيح الذي اختار رسله أثناء خدمته على الأرض هو نفسه الذي اختار شاول رسولاً له بعد صعوده. كما سبق أن أعلن السيد: "لستم أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم" (يو ١٥: ١٦).

سأله السيد المسيح أن يسرع إلى شاول، ويقدم له كل عونٍ ممكنٍ، لأنه إناء مختار، أداة في يد السيد المسيح، يثق السيد فيه أن يكون رسولاً للأمم، إناءً لكرامة، يحمل في داخله كنز الإنجيل ليقدمه للكثيرين. حقا إنه إناء خزفي (٢ كو ٤: ٧)، لكنه مختار، يستخدمه الله نفسه ويُسر به.

"**يحمل اسمي أمام الأمم**": إنه أداة مقدسة يحركها الروح القدس ليعلن عن معرفة المسيح الفائقة أمام الأمم، يحمل البشارة المفرحة للأمم الوثنية. إنه رسول الأمم (رو ١١: ١٣؛ ١٥: ١٦؛ غل ٢: ٨). يشهد للسيد المسيح أمام ملوك، مثل الملك اغريباس وقيصر نفسه (أع٢٥: ٢٣؛ ٢٦: ٣٢؛ ٢٧: ٢٤). وأيضا أمام بني إسرائيل، فإنه حيثما ذهب يبدأ كرازته في مجامع اليهود حتى يطردوه فيذهب إلى الأمم.

لقد أراد السيد أن يشجع حنانيا، مؤكدًا له أنه سيريه ليس فقط أن يكف عن عداوته للكنيسة واضطهاده لها، بل يجد مسرته في قبوله الاضطهاد من أجلها بفرحٍ. أينما حلّ بولس تلاحقه المتاعب والضيقات من محاكمات ومقاومة، فيجد فيها شركة مع المصلوب.

أدرك شاول الحق الإلهي، فإنه إناء مختار مدعو من الله الذي أفرزه من بطن أمه ودعاه بنعمته (غل ١: ٥). إنه يتقبل تعليمًا إنجيليًا يكمل الناموس، لا يتسلمه من جبل سيناء، بل من السماء عينها. ولا يرى وجه موسى المضيء، بل وجه الرب الأكثر لمعانًا من الشمس في وقت الظهيرة، هذا الذي أمامه يخفت جدًا بهاء وجه موسى النبي.

❖ أكرر ما أقول، لا تزنْ الإيمان بعدد السنوات، ولا تظن إني أفضل منك لمجرد أن اسمي تسجل تحت لواء المسيح قبلك، فإن الرسول بولس، **الإناء المختار**، تشكل من مُضطهد، ومع كونه الآخر في قائمة الرسل إلا أنه **الأول في الاستحقاق**. فمع كونه

الأخير جاهد أكثر من الكل (١ كو ١٥: ١٠)[1].

❖ الإناء المختار الذي له اسم المسيح دومًا على شفتيه... اخضع جسده (لنفسه). ومع هذا كانت تقاومه رغبة جسدية، فكان يفعل ما لا يريده. كإنسان يعاني من العنف صرخ: "ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت؟" (رو ٧: ٢٤)[2].

**القديس جيروم**

❖ ذاك الذي كان الآخر صار عظيمًا، لا بنفسه بل بذاك الذي كان قبلاً يضطهده، إذ أرسله إلى الأمم. تحول من سارقٍ إلى راعٍ، ومن ذئبٍ إلى حملٍ. أرسل آخر التلاميذ إلى الأمم، وتعب كثيرًا بين الأمم، وآمن الأمم عن طريقه، وها هي رسائل شهود لذلك[3].

❖ قبل بولس نير الإيمان، واختير معلمًا للأمم، ونموذجًا للشهداء، ورُعبًا للشياطين، وغافرًا للأخطاء، وجرنًا للفضائل[4].

**القديس أغسطينوس**

❖ جُعل بولس إناءًا مختارًا، لأنه اهتدى فقط بواسطة حب الرب العميق، لهذا لم يعزِ أي شيء لاستحقاقه، بل كان ينسب كل شيءٍ للمسيح، ويقول: "لأني أصغر الرسل، ولست مستحقًا أن أدعى رسولاً، لأنني اضطهدت كنيسة الله، ولكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته فيّ لم تكن باطلة" (١ كو ١٥: ٩-١٠).

سكن بثقة في البيت (تث ٣٣: ١٢) الذي اعتاد أن يفرغه من ساكنيه.

سكن في منازلِ المسيح، بينما اعتاد قبلاً أن يجول في الغابات كذئب!

لقد ستره الله (تث ٣٣: ١٢) عندما ظهر له المسيح، وعلى الرغم من أنه لم يرَ شيئًا حينما كانت عيناه مفتوحتين (أع ٩: ٨) إلا أنه رأى المسيح.

---

[1] *Letter 58 to Paulinus of Nola, 1.*
[2] *Letter 125 to Heliodorus, 8.*
[3] *Sermons on N.T. Lessons, 27:6.*
[4] *Sermons, De Apstolis Petro et Paulo.*

كان لائقًا أن يرى المسيح حاضرًا وسمع أيضًا كلامه[1].

**القديس أمبروسيوس**

❖ بولس **الإناء المختار** [١٥] فسّر كل هذه البركات (النبوات) الواردة في الناموس بطريقة روحية. لقد عرف أنها ليست بركات جسدية. يقول لأهل أفسس: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي **باركنا بكل بركة روحية**" (أف ١: ٣)[2].

**العلامة أوريجينوس**

❖ من هو أفضل من كل البشر؟ من هو إلاّ صانع الخيام (أع ١٨: ٣)، معلّم كل المسكونة، ذاك الذي عبر فوق البرّ والبحر كما لو كانت له أجنحة، الإناء المختار، المرافق للمسيح العريس، الذي غرس الكنيسة (١ كو ٣: ٦)، البنّاء الحكيم (١ كو ٣: ١٠)، الكارز، الذي ركض في الميدان وجاهد الجهاد الحسن (٢ تي ٥: ٧)، الجندي، مدرّب المصارعين، الذي ترك ذكريات لفضائله في كل موضعٍ في العالم[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي". [١٦]**

بينما ظهر الرب لشاول ليحول نظره إلى السماء، إذا به يظهر لحنانيا يدعوه للذهاب إلى بيت يهوذا ليلتقي مع شاول الطرسوسي، فقد اختاره إناءً مختارًا ليحمل اسمه أمام أممٍ وملوكٍ وبني إسرائيل، وأنه سيهبه أن يتألم من أجل اسمه. اختاره الرب إناءً يجد مسرته في التألم من أجل اسمه أكثر من جميع الرسل (٢ كو ١١: ٢٢-٢٣). "الآن أفرح في آلامي لأجلكم، وأكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة" (١ كو ١: ٢٤).

❖ ليس أحد أحب المسيح بغيرة أكثر من بولس، ولا من سرّ الله أكثر من بولس[4].

❖ كان بولس يبلغ إلى كمال أعظم في كل يومٍ، كان يتوق إلى المتاعب العظمى،

---

[1] *The Patriarchs, 12: 58.*
[2] *Homilies on Luke, hom. 39:3.*
[3] *On the Incomprehensible Nature of God, 8:3.*
[4] *On the Priesthood I: 3 PG 48: 645.*

والجهاد الأعظم والمخاطر الأكثر والآلام العظمى من أجل المسيح، بنفس الطريقة كما تنتشر النار في الغابة حتى أتصير كل الغابة لهيبًا[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

"**فمضى حنانيا ودخل البيت،**
**ووضع عليه يديه، وقال:**
**أيها الأخ شاول،**
**قد أرسلني الرب يسوع،**
**الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه،**
**لكي تبصر،**
**وتمتلئ من الروح القدس". [١٧]**

"**وضع عليه يديه**"، كان ذلك طقس كنسي لتقديم البركات الإلهية ونوال موهبة الروح القدس.

دعاه "**الأخ شاول**" كشريكٍ معه في الإيمان المسيحي.

"**الرب يسوع**" جاءت في العبرية "**أرسلني الرب الذي هو يسوع**"، حتى يدرك شاول أن الرب الذي يعبده أو يهوه هو يسوع.

"**الذي ظهر لك في الطريق**": فما حدث مع شاول في الطريق أعلمه به الرب وهو في دمشق، حتى يتأكد شاول أن ما حدث معه في الطريق هو من قبل الرب يسوع. لقد أشار إليه بطريق غير مباشر أن دعوته هي من الرب مباشرة. وكما يقول الرسول نفسه: "بولس رسول، لا من الناس ولا بإنسانٍ، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات" (غل ١: ١). "وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسانٍ، لأني لم أقبله من عند إنسانٍ ولا عُلمته، بل بإعلان يسوع المسيح" (غل ١: ١١-١٢).

❖ بولس مضطهد الكنيسة، الذئب المفترس الخارج من سبط بنيامين (تك ٤٩: ٢٧)

---

1 *De Laud. S. Pauli, hom.1.*

أحنى رأسه أمام حنانيا أحد قطعان المسيح، واستعاد بصره فقط عندما استخدم دواء العماد[1].

❖ ليست فضائل الوالدين ولا رذائلهم تسقط على أبنائهم. الله يحاسبنا فقط منذ نوالنا الميلاد الجديد في المسيح. بولس، مضطهد الكنيسة الذي كان في الصباح ذئب بنيامين المفترس (تك ٤٩: ٢٧) أخضع نفسه للحمل حنانيا (أع ٩: ١٧)[2].

**القديس جيروم**

❖ بينما كان في استطاعته أن يعيد لشاول بصيرته إلا أنه أرسله إلى تلميذه حنانيا لكي ببركته تُصلح عينا شاول، البصيرة التي فقدها[3].

**القديس أمبروسيوس**

**"فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور،**

**فأبصر في الحال،**

**وقام واعتمد". [١٨]**

لم تسقط من عينيه قشور كقشور السمك، وإنما **كما لو كانت قشورًا**. كان لابد أن يسقط من عينيه ما يشبه القشور حتى يستطيع أن يبصر، ففي تمسكه بالحرف أصابه عمى. وإذ وُضعت اليد عليه لكي يحل عليه الروح القدس سقطت قشور الظلمة التي تتبدد بحلول النور.

❖ ليس دائمًا أن الذي يُعمّد أعظم من الذي يعتمد (منه). حنانيا لم يكن أعظم من بولس. فيلبّس عمّد (أع ٨: ١٣، ٣٨)، وبطرس أعطى الروح بوضع الأيدي[4].

**العلامة أوريجينوس**

يقول **العلامة ترتليان**[5] أن شاول الطرسوسي التقى بالرب وآمن أن الناصري هو الرب ابن الله، لكنه كان في حاجة إلى العماد، لهذا أرسله الرب إلى

---

*1 Letter 69 to Oceanus, 6.*
*2 Letter 60 to Heliodorus, 8.*
*3 Concerning Repentance, 1:8 (34).*
*4 Fragment, 52.*
*5 On Baptism, 13.*

حنانيا.

❖ تحول بولس من مضطهدٍ إلي كارزٍ. أصيبت عيناه الجسديتان بالعمى لكي تنفتح عينا نفسه، والذي كان يسوق خدام المسيح في قيود أمام مجمع اليهود (أع ٨: ٣) عاش فيما بعد في مجد قيود المسيح[1].

**القديس جيروم**

❖ كان بولس أناءً وقد أثبت نفسه بالشهادة للحق وليس للغش. لقد رفض كل شيء أرضي من خلال العماد الذي أزال القشور من عينيه (أع ١٨:٩)، وأصبح طفلاً للروح القدس، لأنه تكوّن من طيب رائحته العطرة. بعد ذلك صُنع هذا الإناء من نحاس مُختار، وأصبح أناءً يُصب منها خمر كلمة اللّه، وملآنة بمعرفة الأسرار. فلا تحتاج إلى عملٍ إنسانيٍ، فلم يأخذ بولس تعاليمه من لحمٍ ودمٍ (غل ١٦:١)، لكنه يُنتج المشروب المقدس، ويصبه لمن يريده، بينما تُشبه الفضائل المختلفة العطور برائحة المسيح الذكية. وتُعدل هذه حسب حاجة الأشخاص المختلفة الذين يستقبلون كلمة اللّه – اليهود واليونانيين، النساء والرجال، الأسياد والعبيد، الآباء والأطفال، وكل من كان خاضعًا أو غير خاضع للناموس. وتتحد روّعة هذه التعاليم المتنوعة مع كل فضيلة. ويمزج العطر في الإناء حسب حاجة كل شخص يستقبل كلمة اللّه[2].

**القديس غريغوريوس النيسي**

**"وتناول طعامًا فتقوّى،**

**وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أيامًا". [١٩]**

لم يذكر لوقا البشير زيارة شاول للعربية، لكنه لم ينكرها. لقد بقي شاول بعد عماده عدة أيام مع المؤمنين (التلاميذ) لا نعرف عددها، ثم ذهب من دمشق إلى العربية، ثم عاد إلى دمشق ومنها إلى أورشليم (غل ١: ١٧).

تحول شاول الطرسوسي إلى الإيمان المسيحي يحمل شهادة قوية لصدق

---

[1] *Letter 16 to Pope Damasus, 1.*

[2] *Homilies on Song of Songs, 14.* ترجمة الدكتور جورج نوكر

الإيمان للأسباب التالية:

١. اتسم شاول كيهودي بالمعرفة والعلم، وقد بلغ القمة في الفكر اليهودي بثقافة عالية، فجاء اهتداؤه للإيمان مثيرًا لقادة اليهود الذين كانوا يأملون أن يكون هو الأداة القوية لاقتلاع جذور المسيحية.

٢. لم تكن دعوته للإيمان قائمة على إغراء مادي أو للكرامة، فقد كان المسيحيون فقراء وموضع سخرية اليهود والأمم، بل ومُستهدفين للاضطهاد حتى الموت. فلم يكن أمام شاول أي افتراض انه يُستثنى من التعرض للموت، بل كان بالأكثر مستهدفًا لذلك.

٣. كانت مفاهيم شاول معارضة تمامًا للفكر الإنجيلي، فما كان يمكن إقناعه بهذه السرعة العجيبة ليتحول إلى الفكر الذي كان يحمل له كل عداوة وبغضة، لو لم تتدخل نعمة الله الفائقة.

٤. ما أن قبل الإيمان حتى صار كارزًا وشاهدًا للإنجيل، يتحرك من بلدٍ إلى بلدٍ، معلنًا فرحه بالإيمان، مشتهيًا إن أمكن أن تتمتع كل البشرية بما يتمتع هو به.

٥. لا يمكن تحقيق تحوله من مضطهدٍ إلى كارزٍ، إلا بدعوةٍ من السماء وبإمكانيات إلهية تعمل في قلبه وفكره وتوجه قدراته ومواهبه إلى ما كان يحمل له عداوة.

## ٣. انطلاقه للكرازة

**"وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح،**
**أن هذا هو ابن اللَّه". [٢٠]**

بدأ الكرازة فورًا معلنًا أن يسوع هو المسيح، لا ليؤكد أنه صادق في إيمانه فحسب، وإنما لأن قلبه الناري المقاوم للحق قد تحول إلى ادراكه للحق، فاشتهي أن يتعرف الكل على ما تعرف هو عليه، وأن يتمتعوا بالمسيا مشتهي الآباء والأنبياء. لقد وجد المسيا ابن الله الذي هو عصب كل العهد القديم.

أبصر شاول نور الحب الإلهي الفائق والعهد الجديد بدم رب المجد يسوع، قام واعتمد، فنال الميلاد الجديد وتقوى بطعام الإيمان. الآنَ صار الذئب حملاً، والعدو خادمًا محبًا ومحبوبًا.

انطلق يشهد للنور في وسط المجامع، مشتهيًا أن يتمتع الكل بما ناله. بدأ يكرز أن المسيح ابن الله. فقد اختبر بنوة المسيح الطبيعية للآب بتمتعه هو بالبنوة خلال نعمة المعمودية باسم يسوع. أعطته الرؤيا الإلهية أو اللقاء الشخصي ومحبة المسيح له كشفًا حقيقيًا عن شخص يسوع المسيح. كان قبلاً يردد مع إشعياء النبي: "حقًا أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلص" (إش ٤٥: ١٥)، الآن يدرك قول السيد المسيح: "الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبّر".

**إذ يتحدث القديس يوحنا الذهبي الفم عن قيام القديس بولس بعد تحوله مباشرة يقول:**

- هل رأيت إخلاص قلب بولس؟ هل رأيته يؤكد لنا أن تلك الأحداث التي تصرفها قبلاً قد مارسها عن جهل؟...، على أي الأحوال عندما عرف من معطي الشريعة نفسه أنه كان في الطريق الخاطئ لم يؤجل تركه لخطأه، ولا تأخر، بل ما أن استنار بنور الروح حتى ترك خطأه وصار كارزًا بالحق[1].
- هل رأيته هائجًا كالأسد مندفعًا في كل موضع؟ أنظر إليه مرة أخرى، فقد تغير في الحال إلى حملٍ وديعٍ. الذي كان قبلاً يُقيد من يؤمنون بالمسيح ويسجنهم ويضطهدهم ويتعقبهم، الآن يتدلى من السور في سلةٍ ليهرب من مؤامرات اليهود (أع ٩: ٢٥)[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فبُهت جميع الذين كانوا يسمعون، وقالوا:**
**أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم،**
**وقد جاء إلى هنا لهذا،**
**ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة". [٢١]**

هذا التغير المفاجئ والذي صاحبه تحرك عملي لا لقبول الإيمان فحسب، بل والكرازة به، أدهش الكثيرين، فالذي جاء ليخرب ويدمر الكنيسة في دمشق صار

---

[1] *Baptismal Instructions, 4:7, 9.*
[2] *Baptismal Instructions, 7:10.*

صديقًا لها وعاملاً باذلاً لحسابها.

من يستطيع أن يصف حال المجامع التي كانت تترقب مجيء شاول الطرسوسي لكي يقودهم على حملة اضطهاد وإبادة تامة للمسيحيين، الآن يدخل إليهم بروح القوة ليدعوهم للتمتع بنعمة السيد المسيح وعمله الخلاصي الفائق، والعبادة له بكل خشوع! بلا شك سمع كثيرون منهم عن شخص يسوع وعن الآيات والعجائب التي تُصنع باسمه، وفي نفس الوقت كان قرار السهندرين حازمًا، وتكريس شاول الطرسوسي الفريسي البار لإبادة اسم يسوع قد أربكهم.

❖ يعلن بولس عن المسيح قائلاً: "فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع ربًا، ولكن بأنفسنا عبيدًا" (٢ كو ٤:٥)...

من هو هذا المتكلم؟ المضطهد السابق! يا للقدرة العجيبة! المضطهد السابق يكرز بنفسه بالمسيح!...

لقد ذهب ليضطهد وبعد ثلاثة أيام صار مبشرًا في دمشق، بأية قوة؟

يأتي الآخرون بأصدقائهم كشهودٍ، أما أنا فأقدم لكم عدوًا سابقًا كشاهدٍ.

إن شهادة بطرس رغم قوتها لكن قد تجد بابًا للشك، لأنه صديقه، أما ذاك الذي كان قبلاً عدوًا، فيقبل بعد ذلك أن يموت من أجله، من يقدر أن يشك في الحق بعد ذلك؟!

في هذه النقطة امتلئ دهشة من تدبير الروح القدس الحكيم، كيف قلل عدد رسائل الباقين بينما أعطى لبولس المضطهد السابق الامتياز ليكتب أربعة عشر رسالة... لنصير نحن جميعًا مؤمنين هكذا، إذ الجميع اندهشوا منه قائلين: أليس هذا هو المضطهد السابق؟! (راجع أع ٩:٢١) ألم يأتِ إلى هنا لكي يقودنا مقيدين إلى أورشليم؟!

يقول بولس: لا تندهشوا فإنني أعلم أنه صعب عليّ أن أرفس مناسخ. إنني أعلم إنني لست أهلاً أن أُدعى رسولاً، لأنني اضطهد كنيسة اللّه (١ كو ١٥:٩)، لكنني فعلت هذا في جهل (١ تي ١:١٣). إذ ظننت أن التبشير بالمسيح يحطم الشريعة، والآن أعرف أنه جاء ليكمل الناموس لا لينقضه (مت ٥:١٧)، لكن

"تفاضلت نعمة ربنا جدًا" في (١ تي ١: ١٤)[1].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

**"وأمّا شاول فكان يزداد قوة،**
**ويُحيِّر اليهود الساكنين في دمشق،**
**محققًا أن هذا هو المسيح". [٢٢]**

أن كان الاعلان الإلهي في الطريق قد وهبه يقينًا أن يسوع هو المسيح، فإن عمل الله اليومي معه وهبه قوةً جديدةً يومية، شجعته بالأكثر على العمل الكرازي بكل جسارة. هذه القوة المتزايدة يوميًا خلقت جوًا مثيرًا بين اليهود، فتساءلوا عن شخص يسوع الناصري الذي له هذه الفاعلية حتى بعد صلبه.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**[2] أن اليهود وقد رأوا قوة كرازته لم يجدوا وقتًا للتخطيط لمحاكمته، ولا لاختلاق اتهامات وتدبير شهود زور. كان الأمر بالنسبة لهم يمثل خطورة عظيمة تحتاج إلى تحرك سريع.

لقد رُجم استفانوس الذي كان يحاجج اليهود في المجامع بأورشليم ويفحمهم. هوذا الآن خليفته شاول الطرسوسي الذي كان يقاومه وله يد في رجمه يقوم بذات عمله بقوة خارج أورشليم. صار شاول شاهدًا بقيامة المسيح ليس معتمدًا على شهادة استفانوس وحدها، خاصة في لحظات رجمه، وإنما على شهادته الشخصية، إذ قيل: "لأني لهذا ظهرت لك لانتخبك خادمًا وشاهدًا بما رأيت، وبما سأظهر لك به" (أع ٢٦: ١٢).

**"يزداد قوة"** تتناسب مع قول الرب: "بما سأظهر لك به"، فإن إعلان الله لشاول كما لكل مؤمنٍ حقيقيٍ عمل ديناميكي ينمو بلا توقف. خبرتنا مع الله يومية، تدخل بنا دومًا إلى معرفة أعمق وتمتع أعظم بقوته العاملة فينا. يشتهي الله أن يقدم إعلانات إلهية مستمرة مادامت النفس جادة في شوقها لذلك. وكما يقول الرب: "والذين يبكرون إليّ يجدونني" (أم ٨: ١٧).

---

[1] مقالات لطالبي العماد ١٠: ١٧.

[2] *Cf. Hom. on Acts, hom. 20.*

"**محققًا**" أي في جدية بدأ يدرس الناموس والنبوات والأحداث بمنظارٍ جديدٍ ليتعرف على أسرار ملكوت الله التي حجبتها قشور عينيه عن الرؤية.

## ٤. تهريبه من دمشق

**"ولما تمَّت أيام كثيرة تشاور اليهود ليقتلوه". [٢٣]**

تضم هذه الأيام الكثيرة الفترة التي قضاها الرسول في العربية ما بين عامين وثلاثة أعوام (غل ١: ١٨). لقد وضع اليهود خطة مع ممثل الملك أريتاس العربي لقتل الرسول بسبب غيرته المتقدة ونجاح خدمته.

**"فعلم شاول بمكيدتهم،**

**وكانوا يراقبون الأبواب أيضًا نهارًا وليلاً ليقتلوه". [٢٤]**

لا نعرف كيف تعرف الرسول بولس على هذه الخطة التى أشار إليها في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (٢ كو ١١: ٣٢-٣٣).

إذ شعروا بأن الخبر قد تسرب إلى القديس بولس حرسوا أبواب المدينة لكي لا يهرب. ربما كان الحاكم يهوديًا، وكان يشارك اليهود فكرهم، ويود الخلاص من القديس بولس. ولعله لم يكن يهوديًا، لكن اليهود في دمشق صوروا له الرسول بأنه مقاوم للسلطات، لذلك طلب الحاكم مراقبة تحركاته، دخوله المدينة وخروجه منها.

هكذا انتقل الرسول بولس بسرعة عجيبة من مضطهدٍ إلى مؤمنٍ، وبسرعة من مؤمنٍ إلى كارزٍ، وأخيرًا من كارز إلى رجل آلام يعرف كيف يتألم لأجل اسم المسيح. لقد أنعم عليه الرب ببركات دخوله في آلام كثيرة.

**"فأخذه التلاميذ ليلاً،**

**وأنزلوه من السور،**

**مدلِّين إيّاه في سلَّة". [٢٥]**

انقسمت المجامع إلى ثلاثة فرق، فريق جاد في البحث عن خلاصه، اكتشف الحق خلال عمل الله الفائق في شاول الطرسوسي. فاشتهوا أن يروا ما رآه، ويختبروا ما يعيش فيه من فرح الملكوت. وفريق آخر وقف في حيرة بين ما ورثه من أفكارٍ وما

يحمله من نظرة حرفية مع احترام وطاعة كاملة للسنهدرين وبين ما يرويه شاول الطرسوسي ويلمسوه فيه. وأما الفريق الثالث فأدرك أن الحل الوحيد هو قتل شاول حتى يصمت هذا الصوت الملتهب بالروح. لقد وضعوا خطة لمراقبة أبواب دمشق حتى لا يفلت من أياديهم. أخفاه المؤمنون في النهار وبالليل دلوه بزنبيل (سلة) من نافذة في سور المدينة، وذلك كما فعلت راحاب بالجاسوسين (يش ٢: ١٥) وكما هرب داود من وجه شاول (١ صم ١٩: ١٢).

تصرف هؤلاء المؤمنين وقبول الرسول ذلك فيه تحقيق لوصية السيد المسيح الذي يطالب تلاميذه أن يهربوا من مدينة إلى أخرى متى اضطهدوهم (مت ١٠: ٢٣).

لقد خدم وسط المجامع ثلاث سنوات كما ذكر في غلاطية ١: ١٨، لكن الدعوة الموجهة إليه هي خدمة أهل الغرلة لا الختان، لهذا كان لزامًا أن يُطرد من دمشق لينطلق للخدمة التي دُعي إليها. يروي لنا الرسول هذا الطرد: "في دمشق والي الحارث (أريتاس) الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكني، فتدليت من طاقة في زنبيل من السور، ونجوت من يديه" (٢ كو ١١: ٣٢-٣٣). لم يعرف أحد اسم الوالي الذي عينه الحارث على رعاياه في دمشق.

هذا والي الحارث الملك هو أريتاس الرابع (٤٠-٩ ق.م.) كان يحكم بلاط النبطيين، وعاصمتها بترا التي أمضى فيها بولس عزلته، وهي تُدعى العربية، وتخومها من حول دمشق حتى خليج العقبة. اتفق هذا الوالي مع اليهود الثائرين ضد بولس على حراسة الأبواب للقبض عليه.

تدليه بواسطة سلة من طاقة بالسور نوع من الإذلال لرجل كانت كل أورشليم تهتز لحركاته، وكانت دمشق تترقب دخوله كبطلٍ مدافعٍ عن الحق، في مسرة قبل هذه المذلة من أجل الرب، وقد حسبها الرسول أحد الآلام التي اجتازها (٢ كو ١١: ٣٢).

بدأ شاول الطرسوسي خدمته في الوسط اليهودي، وكان يظن أن معرفتهم له أنه كان يضطهد الكنيسة، وأنه كان أكثر غيرة من غيره على حفظ الناموس وتقليدات

آبائه وفريسيته السابقة هذه كلها تكون سندًا له في إقناع اليهود على صدق الإيمان المسيحي وإعلان المسيح له. لكن الله أصر أنه رسول الأمم، إذ يعلم كيف لم يكن ممكنًا لليهود أن يقبلوه. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** في العظة الأولى على الرسالة إلى العبرانيين أن هذه كلها سببت كراهية أكثر من بني جنسه له، لأنه كان منهم وتركهم فجأة، فتطلعوا إليه كعدوٍ لا يُحتمل. لهذا قاومه ليس فقط اليهود بل حتى اليهودِ المتنصرون، كمن يهدد نظام الناموس والعوائد اليهودية.

❖ يقول البعض أنِ هذا التصرّف لم يكن لائقًا ببولس لأنّه لم يُنقذ بعون اللّه. ولكن ما الحاجة إلى ذلك (تدخل عون اللّه دون العمل البشري) مادام يُمكن إنقاذه بعون البشر. فإن الوقت لتدخل عون اللّه ضروري عندما يفشل العون البشري[1].

**أمبروسياستر**

## ٥. شاول في أورشليم

**"ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ،**

**وكان الجميع يخافونه غير مصدّقين أنه تلميذ". [٢٦]**

كيف لم يسمع التلاميذ عن اهتداء شاول الطرسوسي؟

١. لم تكن وسائل الاتصال بين البلاد قوية وسريعة كما في عصرنا الحالي.

٢. كانت هناك عداوة بين هيرودس وأرتياس ملك العربية، فقد تزوج الأول بابنة الثاني ثم طردها فيما بعد، هذا سبب خلافًا بينهما وقيام حرب، مما جعل الاتصال بين البلدين شبه منقطع.

٣. ربما سمع بعض اليهود، خاصة القيادات اليهودية، عن اهتداء شاول، وقد حاولوا كتمان الخبر خاصة عن المسيحيين، حتى لا يستغلوا هذا الحدث لجذب اليهود للإيمان المسيحي.

٤. عدم مجيء شاول إلى أورشليم بعد اهتدائه مباشرة، وتأخره لمدة ثلاث سنوات، جعل حتى الذين سمعوا عن خبر اهتدائه ليس لديهم شهادة أكيدة عن الحدث.

لم يذهب إلى أورشليم بعد اهتدائه مباشرة، وإنما ذهب أولاً إلى العربية. لقد

[1] *Comm. On Paul's Epistles (2 Cor. 11:33).*

جاهد لكي ينضم إلى جماعة المؤمنين، لكنهم لم يستطيعوا أن يصدقوا أنه قد آمن بالسيد المسيح، إنما تشككوا في أمره، وربما ظنوه أنه يخدعهم لكي يدخل في وسطهم ويتقن ضرباته ضدهم. أما علة تشككهم فإن ماضيه يقدم صورة مرة عن مقاومته للإيمان.

عند عودته إلى أورشليم لأول مرة بعد ثلاث سنوات لم يذهب إلى رئيس الكهنة والفريسيين ولم يلتقِ بمجمع السنهدرين، بل أراد أن ينضم إلى المؤمنين، فقد صاروا في عينيه مجتمعًا أشبه بالمجتمع السماوي.

**"فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل،**
**وحدّثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلّمه،**
**وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع". [٢٧]**

قدمه القديس برنابا للقديسين بطرس ويعقوب (غل ١: ١٨-١٩)؛ ربما لأن بقية التلاميذ والرسل كانوا غائبين عن أورشليم.

**"فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم،**
**ويجاهر باسم الرب يسوع". [٢٨]**

إذ اطمأنوا له قبلوه معهم في الشركة، فكان ملازمًا معهم، وقد مكث في أورشليم ١٥ يومًا فقط (غلا ١: ١٨).

**"وكان يخاطب ويباحث اليونانيين،**
**فحاولوا أن يقتلوه". [٢٩]**

كان يلتقي باليهود المتكلمين باللغة اليونانية، وهي الجماعة التي كان القديس استفانوس يشهد أمامهم للسيد المسيح (أع ٦: ٩). كان يتحدث بكل جرأة عن يسوع أمام اليهود الهيلينيين، شاهدًا أنه هو المسيح، لذا حاولوا قتله، إذ لم يستطيعوا الحوار معه، ومقاومةالروح القدس العامل فيه. دخل شاول في هذه الفترة القصيرة إلى ذات المجامع التي كان استفانوس يحاور فيها، وكان قبلاً شاول واحدًا منهم يقاوم استفانوس. الآن يجتمع بهم ليباحثهم بذات الروح الذي كان به يباحثهم استفانوس. لم يحتملوا ذلك فأرادوا قتله.

"فلما علم الإخوة أحدروه إلى قيصرية،
وأرسلوه إلى طرسوس". [٣٠]

إذ سمع الإخوة المؤمنون بذلك، خشوا أن يُرجم كما سبق أن رجموا القديس استفانوس منذ قرابة ثلاث سنوات أو أكثر، فساعدوا شاول على الهروب إلى قيصرية، ومن هناك ذهب إلى طرسوس بلده، وغالبًا ما انشغل هناك بالكرازة بالإنجيل.

كان اسم شاول الطرسوسي مصدرًا للرعب، فلم تمحُ السنوات الثلاث التي قضاها في دمشق وما حولها "العربية" سمعته في أورشليم بسبب ما عاناه المسيحيون من اضطهاد على يديه. حاول الالتصاق بالكنيسة، فظنوه جاسوسًا جاء ليتمم خطته السابقة وينكل بهم. وإذ قدمه برنابا للرسل وتأكدوا من صدق تحوله صارت بهجة في الكنيسة. حقًا لقد سمعوا عن تحوله خلال هذه السنوات لكن لم يكن من السهل تصديقها، حتى رأوه وتلامسوا مع نعمة الله العاملة فيه، فمجدوا الله على قبول صلواتهم من أجله. "ولكنني كنت غير معروفٍ بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح. غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلاً يبشر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يتلفه، فكانوا يمجدون الله فيّ" (غل ١: ٢٢-٢٤).

لم يبقَ في أورشليم سوى أسبوعين، وكان يود أن يبقى فيها يخدم اليهود واليونانيين (كما سبق أن قلنا أنهم إما يهود عاشوا في بلاد يونانية أو من الأمم دخلوا اليهودية).

ظهر له السيد المسيح في رؤيا وهو في الهيكل يصلي يأمره بالخروج عاجلاً من أورشليم، لكنه حاول أن يقنع الرب بأن خدمته في أورشليم أجدى (أع ٢٢: ١٧-٢١). بحسب منطقه البشري أنه إذ كان مضطهدًا للكنيسة في أورشليم والآن صار كارزًا بالسيد المسيح، فتكون لخدمته أثرها الفعّال في حياة اليهود هناك، لكن الرب نفسه، حكمة الله اختاره، لا لخدمة أهل الختان بل أهل الغرلة.

كرر له السيد أن يخرج، فإنه مدعو للعمل في أممٍ كثيرة، وإذ أخبر الإخوة أحضروه إلى قيصرية، ومن هناك ذهب إلى طرسوس موطنه الأصلي، عاصمة إقليم كيليكية.

**"وأمّا الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة،**
**فكان لها سلام،**
**وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب،**
**وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر". [٣١]**

توقف الاضطهاد على الكنيسة إلى حين، فانتفع القادة بهذا الهدوء للكرازة، فازداد العدد والرعاية، ونمت الكنيسة روحيًا، وتقدمت في المعرفة. هكذا يعمل القادة الروحيون وسط الضيق كما وسط السلام، ويجدون أن كل الأمور تعمل معًا للخير للذين يحبون الله.

يرى البعض أن اليهود في ذلك الحين انشغلوا بأحداث خطيرة تمس وجودهم نفسه في أورشليم مما شغلهم عن مقاومة المسيحيين. يقول د. لاردنر Dr. Lardner أنه بعد أن اعتلى كاليجولا Caligula العرش عاني اليهود من اضطهاد المصرين لهم في الإسكندرية، وقد خربت أماكن عبادتهم هناك بالكامل. وفي السنة الثالثة من تولي كاليجولا العرش (سنة ٣٩ م)، أرسل بترونيوس إلى سوريا ومعه أوامر بوضع تمثال الإمبراطور في الهيكل بأورشليم. جاء هذا الأمر الصادر من كاليجولا كالصاعقة على اليهود. فلم يعد يشغلهم أمر آخر غيره، كما يخبرنا كل من فيلون اليهودي السكندري والمؤرخ يوسابيوس. يقول يوسابيوس أن بترونيوس جاء إلى أورشليم بجيش لإقامةالتمثال في الهيكل، وكانت الأوامر الصادرة إليه هي قتل كل من يقاوم هذا العمل مع أخذ بقية الأمة عبيدًا. لهذا سار برتونيوس من إنطاكية إلى اليهودية بثلاثة فرق لتحقيق ذلك[1].

وصف فيلون[2] الوضع بأن اليهود قد تركوا مدنهم وقراهم وحقولهم عند مجئ بترونيوس إلى فينيقية (لبنان)، خرجوا رجالاً ونساء، الشيوخ والشباب والصغار، وارتموا على الأرض أمام بترونيوس يبكون وينوحون.

كان حتمًا لا يشغلهم موقفهم من المسيحيين، إنما وضع تماثيل الإمبراطور في

---

[1] *See Lardner's Works, vol. 1, p. 101-102, London, 1829.*
[2] *Philo, DeLegat. ad Cai., pp. 1024-1025.*

الهيكل بالقوة، وأن مقاومة ذلك ثمرته الموت والعبودية. أمام هذه الكارثة كفوا عن اضطهاد المسيحيين، وحلّ السلام داخل الكنيسة، وتوقف أول اضطهاد عام ضد الكنيسة. ونمت الكنائس التي في منطقة فلسطين، أي في اليهودية والجليل والسامرة.

أيضًا بتحول شاول الطرسوسي إلى الإيمان وبقائه في العربية ثلاث سنوات بدأت عاصفة الاضطهاد في أورشليم وكل اليهودية والجليل والسامرة تهدأ، وكانت الكنيسة تنمو في هدوء وسلام.

الآن انطلقت الكنيسة حتى بلغت السامرة حسب وعد ربنا يسوع المسيح لتلاميذه وخطته الإلهية. إذ سمع المؤمنون عن الذين قبلوا الإيمان على يدي فيلبس الرسول، ازدادوا فرحًا في الرب.

## ٦. بطرس الرسول في اللد ويافا

**"وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجميع،**

**نزل أيضًا إلى القديسين الساكنين في لدّة". [٣٢]**

إذ رجع القديسان بطرس ويوحنا من السامرة يبدو أن الرسول بطرس استراح للخدمة خارج أورشليم، فانطلق يخدم في البلاد التي حولها حتى بلغ لدة متجهًا نحو الساحل. وكان قد سبق وعبر القديس فيلبس في نفس الخط.

**لدة أو اللد:** مدينة قديمة (١ أي ٨: ١٢؛ عز ٢: ٣٣؛ نح ١١: ٥٣)، تقع في الطريق ما بين أورشليم وقيصرية فيلبي. تبعد ما بين ١٠ و١٢ ميلاً جنوب شرقي يافا، وهي في اختصاصات سبط افرايم. دعاها اليونانيون ديوسبوليس أو مدينة جوبتر، يُحتمل أن هيكل جوبتر كان قد أُقيم في وقت ما في هذه المدينة. الآن صارت مُدمرة تمامًا، صارت قرية بائسة. جاء في التقليد أن الإمبراطور يوستنيان أنشأ كنيسة هناك. فيها صارع الشهيد مار جرجس التنين – حسب التقليد المسيحي – وقد أشيع أن السيد المسيح سيأتي فيها ويقتل التنين "ضد المسيح". اشتهرت اللد بالأرجوان.

قام القديس بطرس بزيارة الكنائس التي نشأت حديثًا بواسطة الكارزين الذين تشتتوا. كرسول لم يحد نفسه بموضعٍ معين، ولا التزم برعاية كنيسة معينة دون

غيرها، بل افتقد كثير من الكنائس، ليثبتها في الإيمان الذي تسلموه خلال الذين تشتتوا بسبب الاضطهاد وانطلقوا من أورشليم. لقد تشبه هو وغيره من الرسل بمعلمهم الذي كان يجول يصنع خيرًا.

**"إلى القديسين"**، إذ اتسم المسيحيون بروح القداسة، يدعوهم الكتاب المقدس قديسين (مز ١٦: ٣).

**"فوجد هناك إنسانًا اسمه اينياس،**
**مضطجعًا على سرير منذ ثماني سنين،**
**وكان مفلوجًا". [٣٣]**

إذ وجد القديس بطرس في اللد إنسانًا مفلوجًا منذ ثماني سنوات شفاه باسم يسوع المسيح. بلا شك فقد اينياس ومن حوله كل رجاء في شفائه، متوقعين بقاءه على السرير في مرضه حتى يدخل القبر، وقد أبرز الله خلال رسوله بطرس أنه إله المستحيلات!

**"فقال له بطرس: يا إينياس يشفيك يسوع المسيح،**
**قم وافرش لنفسك.**
**فقام للوقت". [٣٤]**

قد تطول فترة الفالج إلى ثماني سنين، لكن في الوقت المعيّن يعمل اللّه فينا ليهبنا كمال الصحّة، فنقوم من سرائرنا ونتحرّك للعمل بلا توقف.

قبل أن يشفيه وجه نظره إلي الطبيب الحقيقي، واهب الشفاء، يسوع المسيح. في المسيح يسوع حملت كلمات القديس بطرس قوة الشفاء العاجل والتام، لأنها قدمت اسم يسوع المسيح مصدر كل قوةٍ. وأمره أن يفرش لنفسه، أي يتحول الشلل إلى صحةٍ مع قوةٍ وحركةٍ.

مسيحنا إله المستحيلات، يهتم بالمرضى الميؤس من شفائهم، لكي يعلن قوّة اسمه كمصدر شفاء، ويهب المرضى قوّة للقيامة، فيحمل المريض سريره ويشهد بقوّة فترجع النفوس إلى الربّ.

**"ورآه جميع الساكنين في لدة وسارون،**

**الذين رجعوا إلى الرب". [٣٥]**

إذ رأوا قوة اسم يسوع المسيح رجعوا إلى الحق، وقبلوا الرب يسوع في حياتهم.

**سارون** أو شارونة يتاخمها سهل شارون، وهي أرض خصبة ممتدة حتى جبل الكرمل.

**"وكان في يافا تلميذة اسمها طابيثا،**

**الذي ترجمته غزالة،**

**هذه كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها". [٣٦]**

يقدم لنا القديس لوقا معجزة أخرى، صنعها القديس بطرس لتثبيت الإنجيل، تفوق المعجزة السابقة، إذ أقام طابيثا بعد موتها.

**يافا**: على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تبعد عشرة أميال شمال غربي اللد. كانت تابعة لسبط دان، تبعد حوالي ٣٠ ميلاً جنوب قيصرية، و٤٥ ميلاً شمال غربي أورشليم. كانت ميناءً رئيسيًا لفلسطين، مع أن الميناء نفسه كان فقيرًا. استخدمه سليمان في استقبال الخشب الذي استورده من صور لبناء الهيكل (٢ أي ٢: ١٦).. أُستخدم لذات الغرض في وقت عزرا (عز ٣ :٧). وهي مدينة قديمة جدًا ذُكر اسمها في نقوش تحتمس الثالث (١٤٩٠ – ١٤٣٦ ق.م). وردت في يش ١٩: ٣٦ أثناء دخول الشعب أرض الموعد، لكنها ظلت تابعة للفلسطينيين. استطاع يوناثان المكابي أن يغزوها ويستولي عليها من ملوك سوريا عام ١٤٨ ق.م. لكن بومبي الروماني استعادها للسوريين سنة ٤٧ ق.م أُعطيت لهركانوس الثاني المكابي، الملك والكاهن اليهودي. كان أكثر مواطنيها من اليونان، وقد حطمها فسبسيان عام ٦٨م. تُعرف يافا حاليًا بحدائقها وفواكهها الممتازة عن فواكه أغلب المناطق الأخرى.

**"طابيثا"** اسم عبري، باليونانية دوركاس، ومعناها غزالة، وهو حيوان مبهج. كانت **"تلميذة"**، أي قبلت الإيمان بالسيد المسيح، ونالت العماد، وتتلمذت على السيد المسيح خلال أحد المعلمين. اتسمت بالجهاد في الأعمال الصالحة كثمرٍ متكاثرٍ لإيمانها

الحي. ترجمت إيمانها إلى عملٍ مستمرٍ، كانت شهادتها لمسيحها، لا بالكلمات، بل بالأعمال المملوءة حنوًا وحبًا.

**"وحدث في تلك الأيام أنها مرضت وماتت،**
**فغسّلوها ووضعوها في عُليّة". [٣٧]**

غسل الجثمان كعادة كثير من الشعوب، وُضع في العلية استعدادًا للجنازة، وربما كانوا يتوقعون مجيء القديس بطرس الرسول كطلب التلاميذ، ولعلهم كانوا يترجون إقامتها من الأموات.

**"وإذ كانت لدّة قريبة من يافا،**
**وسمع التلاميذ أن بطرس فيها،**
**أرسلوا رجلين يطلبان إليه أن لا يتوانى عن أن يجتاز إليهم". [٣٨]**

لعل التلاميذ استدعوا القديس بطرس من أجل تعزية النفوس الحزينة، إذ كانت سندًا لكثير من الأرامل والفقراء. أما توقعهم أن يقيمها من الموت، فغالبًا لم يكن واردًا، لأننا لا نسمع عن اقامة موتى بواسطة الرسل منذ صعود السيد المسيح أو حلول الروح القدس على الكنيسة وإلى تلك اللحظات.

**"فقام بطرس وجاء معهما،**
**فلما وصل صعدوا به إلى العُليّة،**
**فوقفت لديه جميع الأرامل يبكين،**
**ويرين أقمصة وثيابًا مما كانت تعمل غزالة وهي معهن". [٣٩]**

كانت طابيثا إحدى التلميذات، أي المؤمنات، كرست حياتها لخدمة الأرامل. لم يقدم أحد مراثٍ وقصائدٍ شعرية في مديح القديسة طابيثا، لكن قدمت الأرامل أعمال حبها وحنوها شهادة حية لتقواها. لم تخجل الأرامل الفقيرات من الإعلان علانية أنهن مدينات لها بأعمال الرحمة والصدقة. اتسمت هؤلاء الأرامل بروح الشكر والعرفان بالجميل، وأعلنت الأرامل حاجتهن الماسة إلى هذه التلميذة التقية.

كانت الأقمصة في العادات اليونانية والعبرية تُرتدى فوق الملابس، لهذا عندما دخل السيد المسيح أورشليم فرشوا القمصان أمامه، أي الأقمصة الخارجية.

يرى البعض أن أهل يافا بعثوا يستدعون بطرس الرسول ليسير عشرة أميال ويأتي ليقيم طابيثا بعد موتها. إنه الإيمان العجيب للأرامل اللواتي رأين وتلامسن مع إيمان طابيثا الرائع التي عبَّرت عنه بحبها العملي لهن. كان لديهن اليقين في إمكانية الإيمان وإدراك لضعف الموت وهزيمته أمام قوة قيامة السيد المسيح.

❖ عندما يقترب إنسان من الموت ليت صديق ذلك الشخص الذي يموت يُعد له الأكفان، ويحث الراحل أن يترك شيئًا للمحتاجين. ليرسله بهذه الثياب إلى القبر، تاركًا المسيح وارثًا له[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فأخرج بطرس الجميع خارجًا،**
**وجثا على ركبتيه وصلى،**
**ثم التفت إلى الجسدِ وقال:**
**يا طابيثا قومي.**
**ففتحت عينيها،**
**ولمّا أبصرت بطرس جلست". [٤٠]**

طلب القديس بطرس خروج الجميع، فإنه لم يطلب مديحًا من إنسانٍ ولا مجدًا باطلاً من العالم. جاء، لا لكي يستعرض إمكانياته وقدراته، بل ليمارس حنوه الداخلي في الرب. أراد أن يتحدث مع الله مخلصه في هدوءٍ، بعيدًا عن الضجيج. قدم صلاة بروح تقوي وفي خشوعٍ، يطلب عون الله، يعلن خضوعه كخادمٍ للرب، وليس كما أقام السيد المسيح لعازر بسلطانه الإلهي.

يطالبنا **القديس يوحنا الذهبي الفم**[2] أنه يكون لساننا كلسان المسيح ينطق بذات كلماته. فقد نطق الرسول بطرس (أع ٩: ٤٠) بذات كلمات الرب (مت ٥: ٥). [ليتنا نتكلم بنفس الطريقة التي بها يتضح بجلاء مما نقوله إننا ننطق بكلمات المسيح... فإنه ليس فقط إن قلت: "قم وامشِ" (مت ٥: ٩) أو "طابيثا قومي" (أع ٩: ٤٠) أكون قد

---

[1] *Homilies on Hebrews, hom. 27:9.*
[2] *In Matt., 79. PG. 58:715 A-B.*

نطقت بكلمات المسيح، بل ما هو أكثر عندما أُشتم فأبارك، عندما يُساء إليَّ فأصلي من أجل المسيئين إليّ. أقول إن لساننا هو اليد التي تلمس قدمي المسيح (نتوسل إليه)... لساني هو لسان متمثل بالمسيح، إن أظهر الغيرة اللائقة، وإن نطق بالأمور التي يريدنا أن ننطق بها. ما هي هذه الأمور؟ كلمات مملوءة تواضعًا ووداعة، كما نطق هو عندما تحدث مع من أساءوا التعامل معه.

**"فناولها يده وأقامها،**

**ثم نادى القديسين والأرامل وأحضرها حيّة". [٤١]**

❖ هذه التي منحت الأرامل المتألمات معونة ليعشن بها، تأهلت أن تسترد الحياة بطلبات الأرامل[1].

**الشهيد كبريانوس**

**"فصار ذلك معلومًا في يافا كلها،**

**فآمن كثيرون بالرب". [٤٢]**

هذه كانت أول معجزة من نوعها تمت على يدي رسول، فأدرك كثيرون أن الإنجيل رسالة سماوية، وآمنوا به.

إقامة طابيثا لم تمجّد القدّيس بطرس بل ربّنا يسوع إذ **"آمن كثيرون بالرب"**، إذ ذاقوا قوّة إنجيل الخلاص.

**"ومكث أيامًا كثيرة في يافا عند سمعان رجل دبّاغ". [٤٣]**

إقامة طابيثا فتحت الباب للقدّيس بطرس للعمل في يافا فمكث فيها أيّامًا كثيرة. انفتح باب الكرازة وقَبِلَ كثيرون في يافا الإيمان، فمكث القديس بطرس أيامًا كثيرة في هذه المدينة. لم يمكث في بيت طابيثا التي أقامها، مع أنها كانت غنية، حتى لا يظن أحد أن الرسول صنع هذه الآية لمنفعةٍ خاصةٍ به.

ليس جزافًا أن يذكر لوقا البشير صناعة سمعان الذي مكث عنده الرسول بطرس أيامًا كثيرة. فإن الدباغة مهنة غير طاهرة بالنسبة لليهود، وكل ما في البيت

---

[1] *Treatise On Works and Alms, 6.*

يُحسب دنسًا، لأن بها جلود حيوانات ميتة، وأحيانًا تكون عفنة. هنا بدأ الرسول بطرس يتحرر تدريجيًا من حرف الناموس.

**من وحي أع ٩**

**لتتجلَى في داخلي، فأشهد لحبك!**

❖ ظن شاول أنّه الرجل الأول بعد غمالائيل،
فمن جهة الناموس، من هو أبرّ منه؟
ومن جهة تقليدات آبائه، من هو أكثر منه غيره؟
من جهة أسرته، عبراني أصيل، روماني الجنسيّة، ويوناني الثقافة!
اليد اليّمنى لرئيس الكهنة المقاوم ليسوع وأتباعه.
الإرادة القويّة في يد مجمع السنهدرين لإبادة المسيحيّين.
في نظر نفسه، من يخدم اللَّه وشعبه مثله؟

❖ انطلق هذا الشاب الثائر ليحقّق شهوة قلبه.
انطلق في الطريق إلى دمشق، يبحث عن أصحاب الطريق.
انطلق في طريق قلبه المملوء بغضة، يطلب من هم في طريق الحب الإلهي!

❖ اقترب جدًا من دمشق،
لا يفكّر في شيء، إلا ألاّ يفلت أحد من أهل الطريق من يده.
فجأة، سقط هو في يد محب البشر.
أشرق بنور مجده عليه!
لم يره في سحابة، ولا خلال عمود دخّان، أو نار.
لم يره في الهيكل بأورشليم، بل في الطريق، قرب دمشق الأمميّة!
رآه في نور سماوي إلهي.
لم يكن ممكنًا لعينيه أن تبصر ذاك الذي لا يُرى!
سقط كميّت ليقوم محمولاً على ذراعي القائم من الأموات.
فقد بصره الجسدي إلى حين،

ليتمتّع مع بصر الجسد البصيرة الأبديّة.
سمع اتهامًا موجّهًا إليه من رب السماء!
لا لكي يدخل به إلى السجن الأبدي،
بل ليرفعه إلى مستوى ملائكي فائق.

❖ الآن أدرك من هو يسوع!
إنّه الحب عينه، يسكب محبّته حتى على مقاوميه.
لا يحطّم الطاقات المضادة له، بل يحولّها إلى طاقات لبناء الكثيرينّ.
إنّه خالقُ السماء والأرض، لا تحدّه مدينة أورشليم، ولا هيكل سليمان!

❖ سمع شاول رأس الكنيسة يصرخ:
شاول، شاول لماذا تضطهدني؟
أتّطأ بقدميك على قدميّ (الكنيسة) ولا تحسب ذلك إهانة لي؟
من يمس أحد أصابع قدمّي، يهين الرأس ذاته!
عدْ إلى نفسك،
لتدرك من هو ذاك الذي تقاومه؟
صعب عليك أن ترفس مناخس!

❖ ما كان يحسبه خداعًا،
حين كان المسيحيّون يعلنون عن رؤية أبواب السماء المفتوحة،
قد رآه هو بعينيه،
وسمع السماوي يتحدّث معه شخصيًا.
لم يصدّق نفسه،
إن ذاك الذي قال: "انقضوا الهيكل"، قائم في مجده السماوي، في الأقداس الإلهيّة.
سمع السماوي يدعو نفسه "الناصري"!
اللقب الذي كان يسخر به يعتزّ به خالق السماء!

❖ تحدّث معه رب الكنيسة،
لكنّه لم يعلّمه إلاّ أن يرجع إلى كنيسته،

هناك يتلقن الحق، ويتمتّع بالحياة الجديدة!
لم يعلمه الرب المتواضع الكبرياء والاعتداد بالذات،
بل في تواضع ينحني تحت يدي حنانيا،
ليقبل من الكنيسة عطايا الروح!

❖ بقي ثلاثة ايّام صائمًا مصليًا.
أدرك أنّه في حاجة إلى توجيه إلهي.
عاش ثلاثة ايّام كمن هو في قبرٍ.
وأرسل له اللّه حنانيا ليختبر قوّة القيامة من الأموات.
أدرك أن قيامة يسوع المسيح ليست من وحي خيال أحدٍ،
بل حقيقة يعيشها ويختبرها بنفسه كل يوم!
صار المقاوم شاهدًا، لقد رأى يسوع القائم من الأموات، والصاعد إلى السماوات!

❖ لم يبعث بشاول إلى حنانيا،
بل انطلق حنانيا إلى شاول يسأل عنه.
إنّه يحمل روح الكنيسة التي تطلب من قد هلكَ!
وتبحث عن الدرهم المفقود،
والابن الضال التارك بيت أبيه!

❖ سقط من عينيه ما يشبه القشور،
لكي يرى بالروح أسرار اللّه،
ويتفهّم الناموس روحيًا،
ويُدرك تحقيق النبوّات في شخص يسوع المسيح.
سقطت قشور الحرف التي تطمس البصيرة،
وصار له نور الروح الذي لا يُعبر عنه.

❖ صار شاول إناءً مختارًا،
يحمل أطياب الروح القدس، الحاملة رائحة المسيح الزكيّة.
أطيابه ليست من عمل يديه،

لكنّها كلمة اللّه، المقدّمة لليهود كما للأمم،
للسادة كما العبيد،
الكبار مع الصغار.
يقدّم من إنائه لبنًا للصغار، وطعامًا قويًا للناضجين.
يا لغنى نعمة اللّه الفائقة!

❖ بعد ثلاثة أيّام في خلوته الفريدة،
نال شاول الطرسوسي سرّ العماد.
انطلق بالروح القدس من العماد إلى الكرازة.
الذي جاء ليقتل ويهلك، صار يشتهي أن يموت معهم!
المضطهِد صار في لحظات كارزًا بالحق!

❖ انطلق للكرازة، يشهد لما يختبره بنفسه كل يوم.
ويتجلّى قدّامه معلمه استفانوس في لحظات رجمه.
وفي جديّة عاد يدرس العهد القديم بمنظارٍ جديدٍ.
صار يتحقّق أسرار اللّه ويكتشفها بالروح اللّه الساكن فيه.

❖ كان لابد من الثورة ضدّه،
فينزل في مذلّة في زنبيل، متدليًا من سور دمشق.
نزل لكي تنفتح أمامه أبواب الخدمة بين الأمم.

❖ في أورشليم خشاه المؤمنون لئلا يكون مخادعًا لهم.
وإذ تلامسوا مع عمل اللّه فيه مجّدوا الرب.
اشتهى أن يخدم شاول إخوته في أورشليم.
وفي داخل الهيكل ظهر له الرب في رؤيا ليخرج للأمم.
في طاعة كاملة تحرك، فإنّه أداة مطيعة للّه!

❖ الذي حوّل شاول المضطهد إلى كارز،
كان يعمل في بقيّة التلاميذ.

باسم يسوع المسيح شَفي بطرس إينياس.
وباسمه أقام طابيثا من الموت!

- أعدّت طابيثا لنفسها أكفانًا لا يمسّها عث!
كفنت جسدها بأعمال الحب والرحمة.
لم يستطع الموت أن يلحق بنفسها.
حتى جسدها تمتّع بالإقامة إلى حين،
لكي يقوم فيما بعد أبديًا!

# الباب الرابع

# إلى أقصى الأرض

## ص ١٠- ص ٢٨

## الأصحاح العاشر

# انفتاح عينيّ بطرس الرسول على خدمة الأمم

الآن إذ انتهى الأصحاح السابق بإقامة طابيثا من الموت باسم يسوع المسيح، هذه التي قدّمت أعمال محبّة في سخاء للأرامل والمحتاجين، فما الموقف بالنسبة للأمم، خاصة المشتاقين لخلاص نفوسهم؟ هل يُتركون في قبورهم موتى لمجرّد أنّهم من الأمم؟

لقد أعلن السيد بكل وضوح عن الكرازة بين الأمم (مت٢٨: ١٩)، وفي عيد العنصرة تحدث القدّيس بطرس عن تحقيق نبوّة يوئيل وأن "كل من يدعو باسم الرب يخلص" (أع ٢: ٢١). لكن حتى بعد سنوات من العنصرة كان الرسل أنفسهم يظنّون أنّه لا دخول للأمم إلى الإيمان بيسوع المسيح إن لم يتهوّدوا أولاً.

يقدم لنا هذا الأصحاح بدء حقبة جديدة في تاريخ خدمة الرسل، إذ لم تعد رسالة الإنجيل قاصرة على اليهود، بل تمتد نحو الأمم لتُعلن لكل البشرية.

يقدم لنا القديس لوقا خلال الأصحاحات السابقة الكرازة في أورشليم ثم اليهودية فالسامرة، وفي نفس الوقت كان روح الرب يهيء الجو لانفتاح باب الإيمان للأمم. كانت الخدمة محصورة في دائرة أهل الختان، الآن يصدر الأمر واضحًا لرسول أهل الختان، بطرس، مؤكدًا بدء انفتاح الباب، وقد اختار القديس بطرس حتى لا يحدث شق في كنيسة المسيح، فتصير كنيستين منفصلتين ومتعارضتين، واحدة تضم الذين من أصل يهودي أو من المتهودين والأخرى تضم أهل الغرلة. كان يلزم أن يُعلن لرسول أهل الختان رفع نير حرف الناموس حتى لا يُتهم الكارزون بين أهل الغرلة

أنهم مقاومون للناموس، ومستهينون ببركات العهد القديم.

انفتاح الباب للأمم كان سرًا حتى بالنسبة للرسل، وموضوع دهشتهم بالرغم من تهيئة الرب لأذهانهم لقبوله (مر١٦: ١٥)؛ وبالرغم من وجود نبوات متعددة في العهد القديم عن ذلك. فلا نعجب إن كان الله قد دفع القديس بطرس دفعًا للكرازة لبكر الأمم وتعميده. الآن قد رُفع الحجاب الذي يفصل أهل الختان عن أهل الغرلة، حتى يجلس الاثنان معًا على مائدة الرب الواحدة بلا تمييز، ويشتركان معًا في العبادة والتمتع بمواهب الروح الواحد، ويصير الكل أعضاء في جسد المسيح الواحد، وينتسبون للآب الواحد.

| | |
|---|---|
| ١. رؤيا كرنيليوس | ١-٨. |
| ٢. رؤيا بطرس الرسول | ٩-١٦. |
| ٣. لقاء مع رجال كرنيليوس | ١٧-٢٣. |
| ٤. لقاء مع كرنيليوس | ٢٤-٣٣. |
| ٥. حديث للقدّيس بطرس | ٣٤-٤٣. |
| ٦. عماد كرنيليوس ومن معه | ٤٤-٤٨. |

## ١. رؤيا كرنيليوس

**"وكان في قيصرية رجل اسمه كرنيليوس،**

**قائد مائة من الكتيبة التي تدعى الإيطالية". [١]**

في الأصحاح السابق يقدم لنا القديس لوقا صورة ممتعة لرجلٍ دخل تحت الناموس مع عظمة مركزه يتمتع بعظمة تقواه وشوقه العجيب لدراسة الكتاب المقدس، وغيرته المتقدة نحو خلاص نفسه (خصي كنداكة). وفي هذا الأصحاح يقدم لنا إنسانًا عظيمًا في رتبته، ومع كونه لم يكن يهوديًا، ولا تحت الناموس، لكنه كان عظيمًا في تقواه. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إنه يظهر عظمة تقواهما، فإنه من المدهش أن نجد شخصًا ما هكذا وهو في غنى وسلطان مثل هذين الشخصين[1]].

[1] *Cf. Hom. on Acts, hom. 22.*

❖ ما يسبب مدحًا للأول أنه قام برحلة طويلة بينما لم يكن في وقت عيد يستلزم هذا، وقراءته في الطريق، وهو في المركبة، وتوسله لفيلبس، وأمور أخرى عديدة. وأما عظمة مديح الأخير (كرنيليوس) أنه يقدم صدقات وصلوات، وكان تقيًا ويتمسك بوصية كهذه[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

اختار السيد المسيح بكور مؤمنيه من اليهود من صيادي السمك البسطاء ليخزي بهم الحكماء؛ أما بالنسبة للأمم فاختار قائدًا رومانيًا. لم يختر فيلسوفًا يونانيًا ولا كاهن أوثان، بل قائدًا، كل ما يشغله حفظ الأمن وتنفيذ القوانين وتمتع البشر بالحرية، خاصة أصحاب الجنسية الرومانية. إنه صاحب فكر حر، ليس من يضغط عليه، ولا من يقدر أن يخدعه.

كان كرنيليوس قائدًا في الجيش الروماني تحت قيادته مئة جندي. سبق فسمعنا عن قائد المئة الذي سبق بإيمانه كل من في إسرائيل ليتكئ في ملكوت السماوات مع إبراهيم وإسحق ويعقوب (مت ٨: ١١ – ١٢). أما القائد الثاني فهو الذي شهد للسيد المسيح ومن معه أثناء الزلزلة، قائلين: "حقًا كان هذا ابن الله" (مت ٢٧: ٥٤). والآن نحن أمام قائد مئة ثالث الذي اشتاق إلى الحق الإلهي، فاستخدمه الله درسًا للقديس بطرس لفتح باب الإيمان للأمم. انضم إليّ هذه الفئة قائد مئة رابع كان مكلفًا بحراسة الرسول بولس في الأسر ليذهب به إلى روما، هذا رفض قتل الأسرى حين انكسرت السفينة حتى يخلص بولس (أع ٢٧: ٤٢-٤٣).

يقول المؤرخ بوليبيبوس Poliybius أن قواد المائة في الجيش الروماني كانوا معتبرين ملح الجيش الروماني، ممتدحًا أخلاقهم، إذ يُشترط أن يكونوا متعقلين، مستقيمين، ذوي حكمة ورزانة، قادرين على ضبط نفوسهم[2].

**"من الكتيبة الإيطالية"**: كان قوامها ما بين ٦٠٠ و ١٠٠٠ جندي، لكن لم

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 22.*
[2] *Hist. 6: 24.*

تكن مثل هذه القوات الكبيرة موجودة في فلسطين حتى سنة ٤١م، ولكن في أيام أغريباس الأول (أع ١٢: ١) وُجدت عدة قوات مثل هذه.

دُعيت الكتيبة الإيطالية، ربما لأن كل جنودها كانوا رومانيين قادمين من الجيش الروماني في إيطاليا، وهم متميزون عن بقية الجنود في الجيش المختارين من ولايات أخرى. هؤلاء كانوا موضع ثقة الإمبراطور، حتمًا يعملون لحساب السلطة الرومانية، لن يقوم من بينهم خائن للإمبراطورية.

**"وهو تقي وخائف الله مع جميع بيته،**
**يصنع حسنات كثيرة للشعب،**
**ويصلّي إلى الله في كل حين". [٢]**

بلا شك أن بعض اليونانيين والرومانيين، حتى الذين كانوا يعملون في الجيش تأثروا ببعض اليهود الأتقياء، فصاروا يعبدون الله الواحد (المجهول) بروح التقوى ومخافة الرب، فكانوا لا يميلون إلى عبادة التماثيل، ولا ينغمسون في الملذات والشهوات الجسدية، مثل هؤلاء فتح الروح القدس قلوبهم ليقبلوا الإيمان المسيحي.

❖ يقول: **"وهو تقي خائف الله، مع جميع بيته"**، فلا تظن أن ما حدث كان بسبب رتبته العظمى.

عندما أُجتذب شاول لم يظهر ملاك بل الرب نفسه، لم يرسله إلى شخصٍ عظيمٍ، بل إلى رجل عادي جدًا.

هنا على العكس جلب رسولاً عظيمًا لهؤلاء الأمم ولم يرسلهم إليه، لقد نزل إلى ضعفهم، فهو يعرف كيف يتعامل معهم.

في حالات كثيرة نجد المسيح نفسه مسرعًا إليهم بسبب أنهم أكثر ضعفًا. أو لأن كرنيليوس لم يكن قادرًا أن يترك بيته. هنا أيضًا نجد المديح العلوي للصدقات كما قُدم في حالة طابيثا[1].

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 22.*

- ❖ "خائف الله مع جميع بيته". ليسمع هذا من كان منا مهملاً لأهل بيته، بينما كان هذا الرجل يعتني بجنوده أيضًا[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

كان كرنيليوس رجلاً متدينًا، لا يعبد الأصنام، ولا آلهة باطلة، ولا يسمح لنفسه أن ينغمس في الرجاسات التي اتسم بها العالم الوثني. كل ما يعرفه ويؤمن به هو وجود إله خالق السماء والأرض، إله واحد حقيقي حي، لكنه مجهول بالنسبة له.

مع كونه صاحب سلطان كقائد مئة، لكنه يحمل مخافة وخشية لله المجهول اتسم بثلاث سمات هامة:

- ❖ قاد بيته إلى الحياة التقوية التعبدية، لم يضم تحت سقفه أي عابد للأوثان، ولا من يسلك بالشر، بل كان جميع أهل بيته وكل العاملين في البيت يخشون الله.
- ❖ اتسم بالحنو العملي وتقديم الصدقات؛ غالبًا وهو روماني يعمل في الكتيبة الإيطالية في قيصرية كعاصمة الولاية مدنيًا، يقدم صدقاته للفقراء والمحتاجين من اليهود. مع كونه أمميًا كان يعطي بسخاء للمحتاجين من اليهود.
- ❖ كان رجل عبادة وصلاة، يمارس الصلاة الدائمة في كل حين، يمزج العمل الصالح بحياة الصلاة.

ظن البعض أن كلمات القديس بطرس وأيضًا غيره من التلاميذ أنه كان أمميًا غريب الجنس، لم يختتن ولم يقبل الناموس (أع ١١: ١-٣؛ ١٠: ٢٨). ربما أعجب بالديانة اليهودية من جهة الإيمان بالله الواحد، كما أُعجب بالمبادئ الأخلاقية والسلوكية وبالإلتجاء إلى الله والصلاة إليه، لكنه لم ينضم إليهم كعضوٍ في الأمة اليهودية أو كأحد أفراد الشعب، ولا حُسب دخيلاً. يدعوه البعض شبه دخيل.

**"فرأى ظاهرًا في رؤيا نحو الساعة التاسعة من النهار، ملاكًا من اللَّه، داخلاً إليه، وقائلاً له:**

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 22.*

يا كرنيليوس". [٣]

إذ كان اليهود يعتزون أنهم تسلموا الناموس بخدمة ملائكة، فهوذا رجل أممي تقي محب للصلاة يتمتع بخدمة الملائكة.

في الساعة التاسعة، أي الثالثة بعد الظهر، حيث كان ذلك موعد الصلاة عند اليهود ظهر ملاك مرسل من الله، لا في الهيكل وسط المتعبدين، بل لرجلٍ أممي يتعبد مع أسرته في بيته، ظهر له لا في حلم بل علانية.

لعله تعلم من اليهود ممارسة الصلاة في ساعات معينة، إذ كانوا يصلون ثلاث مرات: الصباح الباكر، والتاسعة من النهار، والغروب.

قدم كرنيليوس صلاته فصعدت كبخورٍ طيبٍ، كتقدمةٍ أو تذكارٍ أمام الله، مع أنه كان أمميًا. لقد قبل الله صلواته وصدقاته ذبائح سرور أمام الله، وإن كان محتاجًا إلى التمتع بالدم الثمين الذي بدونه لا تحصل مغفرة.

وضعت الكنيسة تدبيرًا للمؤمن أن يصلّي في ساعات معيّنة، حتى لا يهمل الصلوات، وإن كان هذا التدبير لا يمنع رفع الصلوات في كل حين، وانشغال الفكر بالله. في هذه الصلوات تتذكّر أعمال الله الخلاصيّة، حتى لا يفارق الصليب فكرنا، ولا تُنزع صورة المخلّص عن قلوبنا.

❖ لتقم صلواتك **في الساعة الثالثة** (مر١٥: ٢٥)، ففي ذلك الوقت أصدر بيلاطس الحكم على ربّنا ومخلّصنا بصلبه... ولتقم صلواتك أيضًا **في الساعة السادسة**، لأنّه وقت الصلب... أنّنا نلاحظ أيضًا **الساعة التاسعة**، ففي ذلك الوقت اظلمّت الشمس وارتعدت الأرض، إذ لم تكن قادرة أن تتطلّع إلى مرارة القسوة[1].

**القوانين الرسوليّة**

❖ إذا كنت بالحقيقة في بيتك، فصلِّ **في الساعة الثالثة** وسبّح الله، وإن كنت في موضع آخر وجاء ذلك الوقت فصلِّ في قلبك إلى الله. لأنه في تلك الساعة نُظر

---

[1] *Apostolic Constitutions, 8: 34.*

المسيح وهو يُسمرّ على الخشبة. ولأجل هذا ففي (العهد) القديم يأمر الناموس أن يُقدّم خبز التقدمة دائمًا في الساعة الثالثة (مثالاً لجسد المسيح ودمّه). وذُبح الحمل الصامت الذي هو مثال الحمل الكامل، لأن المسيح هو الراعي وهو أيضًا الخبز الذي نزل من السماء.

صلِّ أيضًا **في الساعة السادسة**، لأنّه في تلك الساعة عُلِّق المسيح على خشبة الصليب، وانشق ذلك اليوم، وحدثت ظلمة عظيمة. فليُصلِّ إذن في تلك الساعة صلاة قويّة، متشبّهين فيها بصوت من صلّى وصيَّر كل الخليقة مظلمة لليهود غير المؤمنين.

ليقيموا أيضًا صلاة عظيمة وتسبحة عظيمة **في الساعة التاسعة**، لتعرف أن نفوس الأبرار تبارك الرب الإله الحق، هذا الذي ذكر قدّيسيه، وأُرسل لهم ابنه الذي هو كلمته لينير عليهم. لأنّه في تلك الساعة طُعن المسيح في جنبه بالحربة، فخرج دم وماء، وأنار بقيّة ذلك اليوم إلى المساء. لذلك عندما بدأ ينام ابتدأ يوم آخر، فأعطى بذلك مثال القيامة[1].

**التقليد الرسولي لهيبوليتس**

❖ لماذا رأى ملاكًا؟ هذا أيضًا كان من أجل التأكيد الكامل لبطرس، أو بالأحرى ليس (لكرنيليوس) بل للآخرين الضعفاء (الذين كانوا معه)[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ إذ انتهى من اهتماماته وصار في سكون انشغل بالصلوات والندامة[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ مع أن كرنيليوس لم يتعلّم وصايا الإنجيل صلّى سرّيًا وبإخلاصٍ في حجرته، فوُجد أهلاً أن يسمع صوت الملاك يتحدّث. وماذا نقول عن يونان، الذي لم يكن

---

[1] *Gregory Dix: The Apostolic Tradition of St. Hippolytus of Rome, 36:2-71992, p. 62-64.*
راهب من الكنيسة القبطية: مصادر طقوس الكنيسة ٢/١، مايو ٢٠٠٠.

[2] *Hom. on Acts, hom. 22.*

[3] *Hom. on Acts, hom. 22.*

حتى في حجرته، بل في فخ مِعْدَة الحوت، تأهل جدًا أن تُسمع صلواته التي من أعماق البحر، ولم يلحقه أذى من معدة وحشٍ عظيمٍ هكذا، وبقي حيًا؟[1].

**خروماتيوس أسقف أكويلا**

تمت هذه الرؤيا في وقت الساعة التاسعة، أي في وضح النهار، فلا مجال أن يسقط كرنيليوس فريسة لأوهام أو تخيلات، فقد كان يقظًا متنبهًا.

هذا وقت تمت هذه الرؤيا وقت الصلاة في الهيكل، حيث كان الكهنة يشتهون أن يسمع الله صلواتهم ويقبل ذبائحهم وتقدماتهم عن الشعب، ولم يدركوا أن الله مهتم بأممي في قيصرية في بيته. وأن الله قد أرسل إليه ملاكه، يعلن له عن قبول صلواته وصدقاته ليرتل مع النبي: "**لتستقم صلاتي كالبخور قدامك. ليكن رفع يدي كذبيحة مسائية**" (مز ١٤١: ٢).

**"فلما شخص إليه ودخله الخوف قال:**

**ماذا يا سيد؟**

**فقال له:**

**صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارًا أمام الله". [٤]**

إذ رأى كرنيليوس بهاء الملاك وطريقة ظهوره، أدرك أنه كائن أعظم من الإنسان وليس بأقل من ملاك، فدخله الخوف بسبب الظهور المفاجئ، ودعوته له بالاسم. أدرك أنه رسول سماوي، قادم خصيصًا لأجله، يحمل رسالة شخصية، لكن ما هي هذه الرسالة؟ لذا تساءل: "**ماذا يا سيد؟**"

حمل شوقًا صادقًا للتعرف على فكر الله، وكان مستعدًا أن يسمع ويستجيب لأي أمرٍ سماويٍ يصدر إليه، وذلك كما سبق فقال يشوع بن نون: "ماذا يقول سيدي لخادمه؟" وكما قال صموئيل النبي: "تكلم يا رب فإن عبدك سامع".

---

[1] *Chromatius of Aquileia: Tractate on Matthew, 27:1: 4-5.*

كان خروماتيوس صديقًا لروفينوس والأسقف جيروم.

كشف له الملاك أن صلواته وصدقاته قد صعدت معا إلى حضرة الله. هكذا لا قيمة للصلاة بلا حب ورحمة، ولا قيمة لعمل الرحمة للبشر بلا حب لله مترجم خلال الصلاة. لقد انطلقت صلواته وأصوامه، لا إلى الشوارع لكي ينال مجدًا من الناس كما كان يشتهي الفريسيون، وإنما صعدت معًا خفية إلي عرش الله، لتُسجل في سفر التذكار الذي يُكتب في حضرة الله، ليضم فيه أسماء خائفي الرب.

**"شخص إليه"**: إذ تمتع كرنيليوس بقلبٍ محبٍ لله والناس، أمكن حتى لعينيه أن تتركزا في رؤية كل ما هو سماوي، دون أن تسحبهما الأمور الأرضية الزمنية.

بينما كان اليهود يقدمون الذبيحة المسائية في تلك الساعة، ويأملون أن تكون صعيدة مقبولة إذا بالملاك المرسل من الله يعلن صدقات وصلوات هذا الأممي أنها صعيدة أمكنها أن ترتفع وتصعد حتى أمام العرش الإلهي. فإن الله يطلب صعائد لذبائح الحب والطاعة والتسبيح (إش ١: ١١-١٥؛ عا ٥: ٢١-٢٢؛ ١ صم ١٥: ٢٢؛ هو ٦: ٤؛ جا ٥: ١).

قد يتساءل البعض: كيف صعدت صلوات وصدقات هذا الأممي؟ ألم يكن في حاجة إلى دم ابن الله الوحيد للمصالحة مع الآب؟ ليس من شهادةَ أن هذا الأممي قد اعتمد على أعماله البارة الذاتية، لكنه كان يقدم صلوات وصدقاته خلال مخافته لله. كان يشتهي أن يتعرف على إرادة الله ويود أن يتممها، لهذا إذ ظهر له الملاك لم يجادل في شيء بل في خضوعٍ كاملٍ تمم ما صدر إليه من أمر إلهي. كان مشتاقا إلى مخلص، لذا أصغى إلى الرسالة السماوية وقبل كرازة القديس بطرس له بخصوص الخلاص بسرور في غير جدالٍ.

- ❖ لنتعلم عن السيد المحب المتحنن كيف لا يتجاهل أحدًا. وإنما إذ يرى نفسًا سامية يسكب نعمته عليها بسخاء[1].

- ❖ الصلاة فوق الكل يمكنها أن تحفظ باستمرار بهاء هذا الثوب الروحي. مع الصلاة

---

[1] *Baptismal Instructions, 7:29.*

يكون السخاء في العطاء الذي هو تاجنا في العمل الصالح ووسيلة خلاص نفوسنا. الصلاة مع العطاء يمكنهما أن يمدانا بخيرات علوية بلا عدد، وأن يطفئا نار الخطية في نفوسنا، ويهبانا حرية عظيمة[١].

❖ ليسمع ذلك المقيدون في الجيش، وليتعلموا أن الخدمة العسكرية لا تقف عائقًا ضد االفضيلة لمن يرغب أن يكون ساميًا. ليتعلموا أنه يمكن للإنسان أن يعطي اهتمامًا عظيمًا لفضيلته حتى وإن ارتدى حلة الجندية والمنطقة، وإن كان له زوجة ومهتمًا بأطفال، ومديرًا لبيت، حتى وإن كان ملتزمًا بعملٍ عام[٢].

❖ لا تسمح لحب الغنى أن يلتهب فيكم أو يمتلككم، بل لتهلك هذه الشهوة المفرطة، وتتبدد بنار الروح. لتتمزق بسيف الروح. إنها ذبيحة رائعة لا تحتاج إلى كاهن، بل يقدمها من يمارسها. إنها ذبيحة رائعة تتم أسفل (على الأرض) لكنها للتو ترتفع إلى العلي... هكذا كانت تقدمات كرنيليوس، فقد قيل: "**صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارًا أمام الله**". انظروا إنه أروع اتحاد[٣].

❖ لاحظوا كيف لم يتحدث الملاك فورًا بل رفع أولاً عقله وسما به. عند رؤية الملاك صار خوف، لكنه خوف معتدل، قدرما يخدم تركيز ذهنه. الخوف رفعه، والمديح خفف ما في الخوف مما هو غير مبهج[٤].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ علمنا الرب نفسه أن الشياطين العنيفة جدًا لا يمكن أن تُغلب إلا بالصلاة والصوم. وُجد كرنيليوس أهلاً لنوال عطية الروح القدس خلال الصدقات والأصوام المستمرة قبل العماد[٥].

**القديس جيروم**

---

[1] *Baptismal Instructions, 7:27.*
[2] *Baptismal Instructions, 7:28.*
[3] *Homilies on Rom., hom. 19.*
[4] *Hom. on Acts, hom. 22.*
[5] *Against Jovinianus, Book 2,17.*

**"والآن أرسل إلى يافا رجالاً،**

**واستدع سمعان الملقّب بطرس". [٥]**

لقد أرسل الله ملاكًا لكرنيليوس ليقوده إلى الكنيسة ممثلة في أحد رسلها، لكنه لم يقدم له إنجيل الخلاص، ولا أعلن له عن الإيمان بيسوع المسيح، إنما طالبه باستدعاء الرسول بطرس الذي يقدم رسالة الإنجيل ويقوده إلى طريق الخلاص. فالكرازة بالإنجيل هو عمل خدام الكلمة وليس الملائكة. إنها نعمة فائقة مقدمة لرجال الله تكشف عن غنى المسيح الفائق (أف ٣: ٨). حقا أن الملائكة هم خدام للعتيدين أن يرثوا الخلاص (عب ٢: ٥)، يبعثون من الله إلى المعلمين أو الآباء كما إلى المحتاجين إلي التمتع بكلمة الخلاص.. غايتهم أن يلتقي الكل بالمسيح يسوع في كنيسته المقدسة.

**"أنه نازل عند سمعان رجل دباغ،**

**بيته عند البحر،**

**هو يقول لك ماذا ينبغي أن تفعل". [٦]**

**"بيته عند البحر"** أي عند الشاطىء حيث كان سمعان دباغًا، والدباغة تحتاج إلى ماء كثير، خاصة وأن ماء البحر مفضل في عمليات الدباغة. ولعل ما كان يهم الإنجيلي لوقا هو أن هذا البيت لا تجاوره بيوت أخرى، إذ كان اليهود يحسبون عمل الدباغة دنسًا.

❖ ألا تلاحظون كيف أحب الرسل الخلوة والسكون فاختاروا الأماكن البعيدة للمدن؟[1]

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فلما انطلق الملاك الذي كان يكلم كرنيليوس،**

**نادى اثنين من خدامه وعسكريًا تقيًّا من الذين كانوا يلازمونه". [٧]**

في طاعة وبسرعة في غير تردد أرسل كرنيليوس اثنين من خدامه وجنديًا ليستدعى القديس بطرس. لو أن كرنيليوس وحده كان مشتاقا أن يحقق إرادة الله ويتمتع بالخلاص لذهب بنفسه إلى القديس بطرس، لكن كان كل أهل بيته وربما بعض جنوده

[1] *Hom. on Acts, hom. 22.*

وأصدقائه أيضا مهتمين بخلاصهم، لذا أرسل يستدعي القديس.

**"وأخبرهم بكل شيء،**

**وأرسلهم إلى يافا". [٨]**

عاشت الكنيسة في مجدٍ عجيبٍ يقدمه لها الروح القدس قائد الكنيسة والمعزي لها. لذا نرى في حركة الكنيسة ظهور ملائكة، وأحلام مقدسة، ورؤى إلهية، بل وأحيانًا يحمل الروح الخدام وينطلق بهم إلى مواضع للكرازة.

حقًا إنه لأمر عجيب أن يرى قائد أممي ملاكًا يصدر له أمرًا باستدعاء رجل يهودي لم يتعرف عليه قبلاً، وربما لم يسمع عنه، فيرسل بعثة، ويحدد لها موقع البيت واسم الشخص، وكأن الأمر قد صدر إليه من أعلى درجات القيادة لجيش السماء. تحرك القائد في طاعة كاملة بغير أدنى تشكك، ليصير بحق بكر كنيسة الغرلة، يتقبل الروح القدس بطريقة فريدة، ليفتح أمام إخوته أهل الغرلة مخازن الروح القدس ونعمه الفائقة.

❖ لاحظوا شخصية هذا الرجل المتواضعة، فإنه لم يقل لهم: استمعوا إليّ، بل أخبرهم بكل الأمر - ما أفعله إنما أُمرت به من قبل العناية الإلهية. فإنه لم يرد أن يستخدم سلطانه لإحضار بطرس إليه، لهذا "**أخبرهم بكل شيء**"[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

نقف بكل تقديرٍ واعتزازٍ أمام هذا القائد الذي يرى في السلطة حبا واتساع قلب، فإنه لم يصدر أوامره ويلتزم خدامه وجنوده بالطاعة العمياء، وإنما اخبرهم بكل شيء كأب محب يعلن أسراره لأولاده المحبوبين لديه، حتى يشاركونه البركات الإلهية. صورة رائعة لمفهوم القيادة والسلطة كثيرًا ما لا نجدها حتى في حياة الوالدين أو المرشدين أو الكهنة!

أرسلهم إلى يافا، حيث ينطلق القديس بطرس من هناك إلى قيصرية يجتذب

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 22.*

بكر المؤمنين من بين الأمم. وهي نفس البقعة التي منها انطلق يونان النبي ليكرز لأهل نينوى، الشعب الأممي، ليقدموا توبة ويتمتعوا بالمراحم الإلهية.

## ٢. رؤيا بطرس الرسول

**"ثم في الغد فيما هم يسافرون،**
**ويقتربون إلى المدينة،**
**صعد بطرس على السطح ليصلّي نحو الساعة السادسة". [٩]**

إذ انطلقت البعثة إلى مدينة يافا التي تبعد حوالي ٣٠ ميلاً عن قيصرية، تحركت السماء لتعلن للقديس بطرس قبيل وصول البعثة التي انطلقت في الصباح المبكر لتصل في وقت الظهيرة (تقطع الخيول المسافة في ٦ ساعات). ظهرت الرؤيا لبطرس الرسول، والبعثة على أبواب البيت. كانوا يسألون عن القديس بطرس، وكأن الأمر يصدر أن يقوم فورًا من الغيبة ليعمد الأمم ويقبلهم في شركة مائدة الرب.

كان تحقيق هذا الأمر فيه صعوبة، فقد حرم الناموس الاختلاط بالأممين مهما كان سلوكهم. كان لابد من أمرٍ إلهي يصدر للرسل عند تحركهم العملي للبدء في خدمة الأممين. لهذا كانت هناك حاجة ملحة إلي رؤيا سماوية للقديس بطرس كي ينطلق إلى بيت كرنيليوس، كما كانت الحاجة أيضا إلى رؤيا سماوية لحنانيا، كي يذهب إلى شاول الطرسوسي، ويكرز له ويعمده. فبالرغم من النبوات الصريحة والواضحة في العهد القديم برجوع الأمم إلي الله، ومن دعوة السيد المسيح لتلاميذه أن يكرزوا في الخليقة كلها لم يكن ممكناً التحرك العملي لتحقيق ذلك دون رؤى سماوية في لحظات البدء بالعمل.

لقد صعد بطرس على السطح ليصلي، ووهبه الرب هذه الرؤيا، لكنه لم يكشف له ما حدث في بيت كرنيليوس، ولا عن الرسل القادمين إليه يستدعونه، ولا عما سيحدث في اللقاء مع كرنيليوس؛ إنما جاءت الرؤيا تدفعه للتحرك مع هؤلاء الرسل. فالله يكشف لخدامه قدر ما يناسب الزمن. كان على القديس بطرس أن يتحرك في طاعة للرؤيا، ليرى بعينيه أعمال الله العجيبة التي لم يكن يتوقعها عليه ألا يسأل

عما سيحدث، وإنما أن يثق في عمل الله الفائق، وأن يدرك أن لكل أمرٍ زمن معين لدى الله.

"**على السطح**": كان الناموس يلزم المؤمنين أن يقيموا سورا يحوط بالسطح حتى لا يسقط أحد. وكان السطح المكشوف أو الحجرة المقامة عليه تعتبر من أفضل الأماكن للخلوة مع الله والصلاة. ولم يكن أحد من الساكنين في المنازل المجاورة أو الذين في الشارع يرى من يجلس أو يركع أو يقف أثناء خلوته على السطح. يرى البعض أن الصلاة على السطح تعطي فرصة أعظم للصلاة، فمن جانب يرى السماء مكشوفة أمامه، فلا ينشغل فكره بالأرضيات، بل يترقب انطلاقه إلى بيته السماوي، متحررًا من كل ما هو أرضي. ومن على السطح يرى نصيبًا كبيرًا من المدينة، فيتحدث مع الله باسم الشعب كله، ويطلب عن إخوته. وعلى السطح لا يسمع أحدًا ولا يسمعه أحد، بل يتحدث في خلوة مع إلهه.

"**نحو الساعة السادسة**": كان غالبية اليهود يحرصون على الصلاة الصباحية والمسائية، أما الأتقياء فيحرصون على الصلاة في وقت الظهيرة، أي يصلون ثلاث مرات، كما كان دانيال النبي يفعل في السبي (دا ٦: ١٠-١٣)، وأيضا داود النبي (مز ٥٥: ١٧). وكان المسيحيون الأوائل يحرصون على هذه الصلوات الثلاث كما يقول **القديس إكليمنضس السكندري**.

**"فجاع كثيرًا،**

**واشتهى أن يأكل،**

**وبينما هم يهيئون له وقعت عليه غيبة". [١٠]**

"**غيبة**": تشير إلى حالة للعقل فيها يمتص بالكامل في فكرٍ معينٍ أو أمرٍ ما حيث تبدو الحواس الخارجية كأنها متوقفة جزئيًا أو بالكامل. هي حالة انسحاب للفكر والقلب عما هو منظور أو مسموع لينسحب كيان الإنسان إلى أعماقه. وكأن لا شيء حوله، أو كأن النفس قد انطلقت من الجسد، لتعبر إلى جوٍ روحيٍ لا يخضع للحواس البدنية. قيل عن بلعام أنه رأى القدير في رؤيا بينما كان ساقطًا في غيبة (عد ٢٤: ٤،

١٦). والقديس بولس سقط في غيبة وهو في الهيكل (أع ٢٢: ١٧)، وتكرر الأمر معه (٢ كو ١٢: ٢).

جاع القديس بطرس كثيرًا واشتهي أن يأكل، فقدم له السيد المسيح طعامًا يشبع قلوب السمائيين، وهو دخول الأمم إلى الإيمان. لقد جاع السيد المسيح نفسه بعد أن صام أربعين يومًا، وقد طلب الشيطان منه أن يحول الحجارة خبزًا، وقد رفض السيد ذلك، لأنه ترقب هذا اليوم الذي فيه يحول الحجارة البشرية التي صارت صلدة بلا أحاسيس بسبب عبادة الأصنام الحجرية لتصير بالحق طعامًا سماويًا يبهج قلب الله. لقد تحولت الحجارة إلى خبزٍ مشبع، كما تحولت الحجارة إلى أولاد لإبراهيم، كما وعد السيد المسيح بذلك، حين قال أن الله قادر أن يقيم من الحجارة أبناء لإبراهيم.

❖ ماذا يعني تعبير غيبة ϵκϭτaϭic؟ منظر روحي (ثيؤريا)، فلنقل أن النفس صارت كأنها خارج الجسد. "فرأى السماء مفتوحة..."[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ طلب والد يعقوب طعام الكلمة، لأن الإنسان لا يحيا بالخبز وحده، بل بكل كلمة من الله (مت ٤:٤؛ لو ٤: ٤). مثل هذا الطعام طلبه اسحق (تك ٢٧: ٤). مثل هذا الطعام جاع إليه بطرس عندما رأى العلامات السرية لمستقبل إيمان الأمم[2].

**القديس أمبروسيوس**

**" فرأى السماء مفتوحة،**
**وإناء نازلاً عليه مثل ملاءة عظيمة،**
**مربوطة بأربعة أطراف،**
**ومدلاة على الأرض". [١١]**

اعتاد العهد القديم أن يتحدث عن السماء، وقد انفتحت أبوابها لنزول شيء ما منها، وكأنها قد صارت مغلقة أمام البشرية تنفتح أبوابها لتحقيق رسالة معينة لتبقى

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 22.*
[2] *Flight from the world, 8: 49, translated by Guirguis K. Youssef.*

مغلقة أمام وجه الإنسان الذي أعطى ظهره لله. وقد جاء كلمة الله المتجسد ليفتح أبواب السماء، بل ويقيم ملكوته داخل الإنسان.

ما أن ارتفع قلب القديس بطرس الرسول إلى السماء حتى انفتحت أبوابها ليتكشف غنى نعمة الله وإحساناته.

❖ إنك ارتفعت إلى السطح مثل الرسول بطرس؛ هذا الذي إذ كان جائعًا بين اليهود أشبع إيمان كرنيليوس جوعه. وكبح الرغبة الجامحة التي سببها عدم إيمانهم خلال تحول قائد المئة والأمميين الآخرين إلى الإيمان. تعلم من الإناء النازل من السماء إلى الأرض بجوانبه الأربعة كرمز للأناجيل الأربعة أن كل البشر يمكن أن يخلصوا. أضف إلى ذلك هذه الملاءة البيضاء الجميلة التي في الرؤيا التي ارتفعت مرة أخرى، كانت رمزًا للكنيسة التي تحمل المؤمنين من الأرض إلى السماء، تأكيدًا أن وعد الرب حتمًا يتحقق: "طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله" (مت ٥: ٨)[1].

**القديس جيروم**

❖ قد يسأل أحد: لماذا ظهرت ملاءة (إناء عظيم على شكل ملاءة) حوت هذه الحيوانات؟ بالتأكيد لم يكن هذا بدون سبب. نحن نعلم أن العث الذي يفسد الثياب الأخرى لا يصيب الملاءة لهذا كل من يرغب أن يبلغ سرّ الكنيسة الجامعة يلزمه أن يستبعد من قلبه فساد الشهوات الشريرة. يلزمه أن يثبت في الإيمان بطريقة لا يمكن إفساده، حتى أنه لا يفسد بالأفكار الشريرة كأنها عث، إن أراد أن يبلغ سرّ تلك الملاءة التي ترمز للكنيسة.

لماذا نزلت من السماء ثلاث مرات إلا لأن كل الأمم الذين ينتمون إلى أربع جهات الأرض حيث تنتشر الكنيسة، يُعمدون باسم الثالوث؟ أُشير إلى الكنيسة في الأركان الأربعة التي تنتمي للإناء، إذ يجدون الذين يؤمن باسم الآب والابن والروح القدس حتى يبلغوا مرافقة القديسين وشركتهم. لهذا فإن أربعة أركان أو

---

[1] *Letter 125 to Rustius, 2.*

اتجاهات العالم والثلاثة ظهورات التي تشير إلى سرّ الثالوث، هذه الحقيقة تشير إلى رقم ١٢ الذي للرسل، حيث يُبعث ثلاثة إلى الأربعة، فأربعة ثلاث مرات تعادل ١٢. ولما كان الاثنا عشر رسولاً قد عُينوا للكرازة بسرّ الثالوث في أركان العالم الأربعة، لهذا فإن الأربعة أركان نزلت من السماء ثلاث مرات[1].

**الأب قيصريوس أسقف آرل**

❖ شاركَ القديس بطرس في هذا النوع من الغيبة عندما كان جوعانًا ومخمورًا في نفس الوقت. كان بطرس جوعانًا قبل أن يُقدم له غذاء المادي، وأراد أن يتذوقه، وبينما كان أعضاء عائلته يجهزون الطعام (أع ١٠:١٠) جرب بطرس هذه الغيبة المقدسة الصاحية. وخرج من نفسه بواسطتها ورأى الرؤيا الآتية: "فرأي السماء مفتوحة، وإناءً نازلاً عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض. وكان فيها دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء. وصار إليه صوت: قم يا بطرس واذبح وكلْ. فقال بطرس: كلا يا رب لم آكل قط شيئًا دنسًا أو نجسًا. فصار إليه أيضًا صوت ثانية ما طهره اللّه لا تدنسه أنت. وكان هذا على ثلاث مرات" (أع ١٠:١١-١٥). نتعلم من الصوت الذي ناداه في المرة الأولى أن اللّه الآب هو الذي يُطهر، وفي المرة الثانية أن الابنَ الوحيد هو الذي يُطهر، وفي المرة الثالثة أن الروح القدس هو الذي يطهر كل شيء. تحدث هذه الغيبة من الخمر الذي يقدمه اللّه لكل من يجلس على مائدته. فالله يُشجع بحق كل من يعيش حياة الفضيلة ويقترب منه، وليس للبعيدين عنه: "كلوا أيها الأصحاب اشربوا، واسكروا أيها الأحياء". "لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميزٍ جسد الرب" (١ كو ١١:٢٩) فهو يطلق كلمة "إخوة" على المستحقين لهذا الطعام. "لأن من يصنع مشيئة اللّه هو أخي وأختي وأمي"(مر ٣:٣٥)[2].

**القديس غريغوريوس النيسي**

---

*1 Sermon 176:4.*

[2] *Homilies on Song of Songs, 10.* ترجمة الدكتور جورج نوّار

**"وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء". [١٢]**

كانت هذه الملاءة النازلة من السماء تشير إلى الكنيسة المقدسة، فإن كانت الملاءة لا تضم حيوانات أليفة فحسب بل ووحوش أيضًا؛ لا تضم فقط حيوانات ودواب الأرض بل وطيور السماء، هكذا فإن الكنيسة كجسد المسيح محب كل البشرية يفتح أبواب الإيمان أمام كل الناس، أصحاب الطبائع الهادئة أو الضعيفة، الذين عاشوا وسط وحل الأرض، والذين كانت قلوبهم تشتهي ان تحلق في السماوات... إنه يقيم منهم جميعًا شعبًا مقدسًا متشبهًا بالملائكة. تضم الكنيسة اليهود والأمم، السادة والعبيد، الكبار والصغار، ليس بربري ولا سكيثي (كو ٣: ١١). تضم شبكة الكنيسة من كل صنف، تقدس الكل، وتقيم من الكل أعضاء متنوعة للجسد الواحد المتناغم معًا.

**"وصار إليه صوت:**

**قم يا بطرس، اذبح وكل". [١٣]**

طلب من القديس بطرس أن يذبح ويأكل دون تمييز بين طاهر ونجس في نظر الناموس، إذ يصير الكل شركاء المسيح في الصليب، يشتهون أن يُذبحوا معه بروح الحب والبذل، فيصير الكل مقدسين فيه، لأنه هو قدوس. كان الأكل يميز بين اليهودي والأممي، فاليهودي لا يأكل ما نجس حسب الناموس، ولا يشارك أيضا الأممي في أطعمته المقدمة للأوثان.

لم يظهر للقديس بطرس ملاك من السماء، بل سمع الصوت الإلهي نفسه يدعوه أن يذبح ويأكل. فالأمر جد خطير، ويصعب تصديقه، لذلك تحدث الرب نفسه مع بطرس، كما هو واضح من إجابة القديس بطرس نفسه.

❖ واضح أن الناموس نفسه خلال العالم كله له أربعة أركان: الشرق والغرب والجنوب والشمال، كما يقول الكتاب. ولهذا فإن الإناء الذي حوى كل الحيوانات الرمزيّة الذي أُعلن لبطرس عندما قيل له: "**اذبح وكل**" [١٣] لكي يظهر أنه يلزم أن يؤمن الأمم، ويدخلوا في جسد الكنيسة، كما يدخل في جسمنا ما نأكله، وأن هذا

الإناء كان نازلاً من السماء بأربعة أركان، مظهرًا أن العالم كله حتمًا سيؤمن[1].

**القديس أغسطينوس**

❖ عندما قيل لبطرس: "اذبح وكُل"، يشير هذا إلى الكنيسة الجامعة أن تذبح أولاً ثم تأكل كل من يؤمنوا بالمسيح. بمعنى آخر، يُذبح عدم الإيمان حتى يُغرس الإيمان. إذ لا يستطيع أحد أن يؤمن بالمسيح ما لم يمت أولاً. وكما يقول الرسول: "قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله" (كو ٣: ٣)[2].

**الأب فيصريوس أسقف آرل**

**"فقال بطرس:**

**كلاّ يا رب،**

**لأني لم آكل قط شيئًا دنسًا أو نجسًا". [١٤]**

في البداية رفض بطرس أن يأكل، لأنه حسب أن المواعيد الإلهية والبركات السماوية الطاهرة لا تُقدم للأمم الأنجاس، إذ كانوا في عينيه بلا إلهن ،وليسوا من رعوية إسرائيل!

**ما هو الفرق بين الدنس والنجس؟**

الدنس هو الشيء الذي لا يُكرس لله، فمن يعبد آلهة غريبة غير الله فبحسب ناموس موسى يُحسب دنسًا. في الأصل اليوناني معناه "عمومي" أو "عام"، أي ليس مخصصًا لله. لذلك يتطلع اليهود إلى كل الأمم أنهم دنسون. أما النجس فهو ما لم يتطهر. فاليهودي متى لمس ميتًا يُحسب نجسًا حتى المساء، حيث يستحم ويتطهر. والأوزة التي يذبحها آخر غير الحاخام نجسة لا تؤكل، أما إذا ذبحها حاخام وصفى دمها، فتُحسب حلالاً وطاهرة.

فالرسول بطرس كسائر اليهود يتطلع إلى الأمم ليس كأنجاس يحتاجون إلى تطهير، كما يتنجس أي يهودي فيتطهر، وإنما كأدناس غرباء عن الله لا يمكن

---

[1] *Sermons on N.T. Lessons, 75:9.*

2 *Sermon 176:5.*

تطهيرهم.

يميز العهد القديم بين الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة (لا ١١: ٢- ٢٧؛ تث ١٤: ٣-٢٠). لم يكسر القديس بطرس قط هذا المبدأ. الآن قد حان الوقت لتحقيق الناموس، لا في حرفيته القاتلة، بل بالروح المحيي، فإن لهذه الشرائع مفاهيمها الروحية، وقد سبق لنا توضيحها أثناء تفسير سفري العدد والتثنية.

**"فصار إليه أيضًا صوت ثانية:**

**ما طهره الله، لا تُدنسه أنت". [١٥]**

ماذا يقصد بالقول: ما طهره الله؟ ما أعلن الله عنه أنه طاهر، أو ما يأمرك به الله أن تفعله، فإنه حتمًا لا يكون دنسًا ولا خطأ. ما كان لديك في فكرك من تمييز بين ما هو طاهر وما هو غير طاهر يقوم على التفسير الحرفي كبعض الشرائع في الناموس. الآن لتحمل فكرًا روحيًا، لترى ما هو طاهر وما هو دنس، ليس بمنظار ناموسي حرفي، فترى الأمم دنسين. الآن يدعون لنوال ذات الإحسانات والبركات التي يقدمها الله لليهود. لقد انشق الحجاب الحاجز بين الفريقين، ودُعي العالم كله للشركة معًا والتمتع بإنجيلٍ واحدٍ وإيمانٍ واحدٍ (أف ٢: ١٤؛ غل ٣: ٢٨). الآن يلزم إعادة النظر في فهم الشرائع الناموسية بعد انهيار الحجاب الحاجز.

لقد كان بين اليهود والأمم حائط، فيظن اليهود أنهم وحدهم لهم نصيب في هيكل الرب، وأن الآخرين مرذولون. لقد جاء حجر الزاوية الذي يضم بالحق الحائطين معًا في الهيكل الجديد.

في حديث **القديس إكليمنضس السكندري** عن "الطعام" يعلق على هذه العبارة، قائلاً: [ليس هناك اعتبار لما نستخدمه من هذه الأشياء (الأطعمة)، إذ تتساوى كلها، "لأنه ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان..." أكلة من البقول حيث تكون المحبة خير من ثور معلوف ومعه بغضة" (أم ١٥: ١٧)... البقول والأعشاب ليست هي المحبة، بل ما يجب علينا هو أن نتناول وجباتنا بالمحبة، وذلك ما نقصده بالأغابي أو وليمة المحبة. في هذا من الأفضل إتباع الاعتدال في الأمور... فإن الإفراط (في

الأكل) فيه خطورة، والمغالاة (في الصوم) مكروه، وأما اختيار الوسط في الأمور فجيد[1].]

"وكان هذا على ثلاث مرات،
ثم ارتفع الإناء أيضًا إلى السماء". [١٦]

لعل الملاءة التي نزلت من السماء كانت ترتفع وتنزل مع الصوت الذي تكرر ثلاث مرات، وكأن كنيسة المسيح تتمتع بالبنوة لله القدوس، لكي يصير كل مؤمن حقيقي مقدسًا وطاهرًا في الرب خلال مياه المعمودية وعمل الروح القدس، وذلك بالعماد بالتغطيس باسم الثالوث القدوس. يصر الله على إعلان إيداع حبه للأمم، فإنهم إذ يؤمنون يتطهرون بالمعمودية ويصيرون أبناء الله.

ارتفعت الملاءة (الإناء) إلى السماء. فما لم يقبله بطرس ويخشى أن يتنجس ويتدنس إذا بالسماء تقبله. صارت التي ليست بمحبوبة محبوبة لدى الله، والتي ليست شعبه شعبه (رو ٩: ٢٥).

❖ إذن تشير الملاءة إلى الأرض، والوحوش التي فيها هم من الأمم، والأمر "اذبح وكُلْ" يشير إلى الالتزام بالذهاب إليهم أيضًا، وقد تكرر ثلاث مرات إشارة إلى المعمودية[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

## ٣. لقاء مع رجال كرنيليوس

"وإذ كان بطرس يرتاب في نفسه،
ماذا عسى أن تكون الرؤيا التي رآها؟
إذا الرجال الذين أُرسلوا من قبل كرنيليوس،
وكانوا قد سألوا عن بيت سمعان،

[1] *Paedagogus 2:1.* راجع ترجمة فليوباترون

[2] *Hom. on Acts, hom. 22.*

وقد وقفوا على الباب". [١٧]

كان شاول بعد خدمته قرابة ثلاث سنوات في العربية وخدمته في دمشق التقى بعد ذلك بالقديسين بطرس ويعقوب ويوحنا في أورشليم، ولعلهم قد أدركوا دعوة شاول للخدمة بين الأمم. لم يكن في مخيلة القديس بطرس أن يخدم الأمم، إذ هو مدعو لخدمة الختان، لكن الله أراد له أن يبدأ بإذابة هذا الثلج الذي يسود على العلاقة بين الأمم والختان، فيقوم هو بحصاد بكر خدمة الأمم، حتى لا يظن أهل الختان وجود تضاد بين الخدمتين.

"ونادوا يستخبرون،
هل سمعان الملقّب بطرس نازل هناك". [١٨]

"وبينما بطرس متفكر في الرؤيا،
قال له الروح:
هوذا ثلاثة رجال يطلبونك". [١٩]

يدعوه الروح القدس نفسه قائد الكنيسة أن يكف عن التأمل فيما قد رآه وما سمعه وينزل للعمل، فإن الروح الإلهي الذي قدم له الإعلان الإلهي يقدم له التفسير في حينه.

لعل القديس بطرس كان يترقب من الروح القدس تفسيرًا واضحًا للرؤيا، لكن الروح أصدر أمره بالعمل، ليقدم له التفسير أثناء العمل. ونحن أيضًا كثيرًا ما نجلس في هدوء للتأمل في كلمة الله، ويكشف لنا الروح القدس مفاهيم حية للكتاب المقدس، لكننا نكتشف أعماق جديدة لكلمة الله كلما تحولت الكلمة إلى عمل تحت قيادة الروح القدس. فالعمل ليس نقيضًا للتأمل، بل هو واحد معه، لا ينقسمان!

"لكن قم وانزل،
واذهب معهم غير مرتاب في شيء،
لأني أنا قد أرسلتهم". [٢٠]

صدر له الأمر بالعمل السريع بلا توانٍ وبغير ريبةٍ. لينطلق إلى الرجل الأممي متهللاً، وإن كان لا يعرف ماذا سيفعل، ولا لماذا اختير هذا دون غيره. كان الرسول بطرس متحيرًا، وفيما هو يفكر ما عسى أن تكون الرؤيا، إذا بالروح يفسرها له عمليًا، معلنًا له أن البعثة القادمة إليه هي من قبله، إذ هو الذي أرسلهم. كان بطرس الرسول مرتبكًا كيف تأمره السماء أن يأكل مما هو دنس أو نجس، وإذا بالروح يحركه كما بغير إرادته لينزل إلى قيصرية، حيث يذهب إلى من يستدعوه. وكأن الروح القدس قد منطق بطرس الرسول، منطق عقله وقلبه وكل كيانه الداخلي ليسير به حيث لا يشاء (يو ٢١: ٢٨).

جاءت الرسالة لكرنيليوس عن طريق ملاك، وأما القديس بطرس فتكلم بالروح، فبقدر ما يمتلئ الإنسان بالروح القدس يتمتع بقيادة الروح وحديثه معه.

❖ يقول (الروح) "**أنا قد أرسلتهم**". عظيم هو سلطان الروح، ما يفعله الله يقول الروح أنه يفعله. أما الملاك فبخلاف ذلك بل قال أولاً: "صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارًا أمام الله"، مظهرًا أنه قد جاء من هناك، وبعد هذا قال: "الآن أرسل..." لم يفعل الروح هكذا، بل قال: "أنا قد أرسلتهم"[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فنزل بطرس إلى الرجال الذين أُرسلوا إليه من قبل كرنيليوس،**
**وقال: ها أنا الذي تطلبونه،**
**ما هو السبب الذي حضرتم لأجله؟" [٢١]**

لم يسمع أحد طرقات الرجال، ولعلهم لم يطرقوا الباب نهائيًا فقد نزل إليهم القديس بطرس بناء علي أمر الروح القدس. ربما نزل من السلم الخارجي من السطح إلى الباب، وإذ أخبروه بقصدهم انكشف له لغز الرؤيا، وأدرك أن الله يدعوه لرسالة يتممها خارج دائرة اليهود، أسمى من البحث في طعام طاهر أو غير طاهر.

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 22.*

استقبلهم القديس بطرس هم ورسالتهم، واستفسر منهم عن سبب مجيئهم الذي أخفاه عنه الروح القدس لسمعه منهم.

❖ لم يقل الروح: "لهذا السبب أظهرت لك الرؤيا" بل قال: "**أنا قد أرسلتهم، فنزل بطرس**". هذه هي الطريقة التي بها يجب أن يُطاع الروح دون طلب المسببات. يكفي أن يتأكد تمامًا بأن الأمر صادر من الروح، وعليه أن يؤمن بهذا، ليس إلاَّ[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فقالوا أن كرنيليوس قائد مئة،**
**رجلاً بارًا وخائف الله،**
**ومشهودًا له من كل أمة اليهود،**
**أوحى إليه بملاك مقدس أن يستدعيك إلى بيته،**
**ويسمع منك كلامًا". [٢٢]**

قدموا له شخصية قائد المئة كرجلٍ بارٍ يخاف الله، ومع كونه ليس يهوديًا تشهد له كل أمة اليهود عن تقواه، بل وتشهد له السماء حيث بعثت إليه ملاكًا مقدسًا لكي يستدعي القديس بطرس، وأنه الآن مستعد أن يسمع للقديس ويتعلم منه.

**"فدعاهم إلى داخل وأضافهم،**
**ثم في الغد خرج بطرس معهم،**
**وأناس من الإخوة الذين من يافا رافقوه". [٢٣]**

استضافهم القديس بطرس كمن هو صاحب البيت، وقضوا معه اليوم بعد سفر دام حوالي ٦ ساعات، لكي ما يذهب معهم في اليوم التالي. استضافهم مع أنهم أمميون ولم يستنكف من أن يأكل معهم، وكان من بينهم خادمان وكان الثالث جنديًا. لقد بدأ يدرك ما وراء الرؤيا التي شاهدها.

لم نسمع عن معارضة أبداها رب البيت، ولا الجماعة التي كانت تجتمع معًا

[1] *Hom. on Acts, hom. 22.*

هناك بكونها كنيسة يافا. لكن بلا شك وقف الكل في دهشةٍ يسمعون ما يقوله الرجال عن كرنيليوس ورؤياه ولا يفهمون ماذا يحدث. كان الله يعد الأذهان مع القلوب لقبول انفتاح باب الإيمان للأمم تدريجيًا.

انطلق في اليوم التالي، بعد أن قضى معهم ليلة، إلى قيصرية وكان في رفقتهم ٦ مسيحيين من يافا (أع ١١: ١٢)، فقد كان من عادة الرسل أن يكون معهم رفقاء في رحلاتهم. وإذ كان لهذه الرحلة أهميتها الخاصة أمام التاريخ كان لا بد من أن يشهد هذا الحدث بعض المؤمنين ليعلنوا الأحداث كشهود عيانٍ.

### ٤. لقاء مع كرنيليوس

**"وفي الغد دخلوا قيصرية،**
**وأمّا كرنيليوس فكان ينتظرهم،**
**وقد دعا أنسباءه وأصدقاءه الأقربين". [٢٤]**

إذ قطع هذه الرحلة غالبًا على قدميه دخل بيت كرنيليوس ليجده هو وأسرته وأقرباءه يترقبون مجيئه. فقد دعاهم كرنيليوس ليتمتعوا معه بالبركات الإلهية التي كان يتوقعها بناء على حديث الملاك معه.

❖ هذا هو دور الصديق، دور التقي، فإنه حيث توجد البركات، يهتم بأصدقائه المقربين ليكونوا شركاء معه فيها[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"ولما دخل بطرس استقبله كرنيليوس،**
**وسجد واقعًا على قدميه". [٢٥]**

تطلع إليه كرنيليوس كسفير لله، لذلك سجد عند قدميه، فقد اعتادوا في الشرق قديمًا السجود عند أقدام الملوك وأصحاب الكرامة العظيمة. ولعله ظن في بطرس أن اللاهوت قد تجسد أو أنه المسيا الذي يترقبه اليهود.

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 23.*

❖ فعل هذا ليعلم الآخرين، ويعبر عن شكره لله، ويظهر تواضعه[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فأقامه بطرس قائلاً:**

**قم أنا أيضًا إنسان". [٢٦]**

أقصى ما يقدمه قائد الجيش هو انحناء رأسه وإلا يُحسب كمن أهان إمبراطوره الحامل لواء كرامته. لكن كرنيليوس انحنى حتى السجود إلى الأرض، وإن كان قد اختلط في ذهنه، فلم يميز بين الراسل والمرسل. فأسرع القديس، وأقامه ليسجد الكل بالروح والحق لمن له حق السجود والعبادة. رفض القديس بطرس مثل هذه التكريم، لذلك احتضنه بيديه، ورفعه كصديقٍ له. لا يحتمل الإنسان المقدس ولا الملاك أن يتقبل سجودًا للعبادة (رؤ ١٩: ١٠؛ ٢٢: ٩). لقد أوضح لقائد المئة أنه أيضًا إنسان. إنه إناء خزفي يحمل في داخله الكنز السماوي. كأنه يقول له: أنا في ذاتي لست بشيء، إني مثلك إنسان مجرد، لا يليق بي قبول تكريمٍ كهذا.

❖ ألا ترون أنه قبل كل شيء يعلمنا الرسل هذا الدرس ألاّ نظن فيهم أنهم شيء عظيم[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ لا يعبد المخلوق مخلوقًا آخر، بل يعبد العبد الرب، والمخلوق اللَّه.

لذا عندما أراد كرنيليوس أن يسجد لبطرس منعه الرسول بطرس قائلاً: **"أنا أيضًا إنسان"** [٢٦].

وعندما أراد يوحنا أن يسجد للملك في الرؤيا منعه الملاك، قائلاً: **"أنظر لا تفعل فإني عبد معك، ومع إخوتك الأنبياء، ومع الذين يحفظون أقوال هذا الكتاب. اسجد للَّه"** (رؤ ٢٢: ٩).

لذلك فالسجود يكون للَّه وحده. وقد عرف الملائكة أنفسهم هذا بالرغم من أنهم

[1] *Hom. on Acts, hom. 23.*
[2] *Hom. on Acts, hom. 23.*

يفوقون غيرهم في المجد. فهم جميعًا مخلوقات، وليسوا من الذين يُسجدون لهم، بل هم من بين الذين يسجدون للرب[1].

**البابا أثناسيوس الرسولي**

**"ثم دخل وهو يتكلم معه،**
**ووجد كثيرين مجتمعين". [٢٧]**

لعله التقى به عند الباب، فقد خرج إليه يعبر عن فرحه الشديد بحضوره، واستعداده للاستماع إليه. وإذ رآه القديس بطرس وقفا لحظات يتحدثان، ثم انطلقا معًا إلى الداخل. فوجئ القديس بكثرة عدد الحاضرين، الأمر الذي لم يكن يتوقعه، فقد عمل الروح القدس في قلب كرنيليوس حتى قبل قبوله الإيمان لكي يجتذب الكثيرين، ليسمعوا معه، ويتمتعوا بما دعته السماء إليه.

**"فقال لهم:**
**أنتم تعلمون كيف هو محرَّم على رجل يهودي،**
**أن يلتصق بأحد أجنبي، أو يأتي إليه،**
**وأمّا أنا فقد أراني اللَّه أن لا أقول عن إنسانٍ ما أنه دنس أو نجس". [٢٨]**

لقد منعت الشريعة اليهودية من الدخول في علاقات زوجية أو معاهدات مع الأمم المحيطة بهم (لا ١٨: ٢٤- ٣٠؛ تث ٧: ٣-١٢؛ عز ٩: ١١-١٢)، وقد فسرها اليهود بالامتناع حتى عن علاقات الصداقة معهم أو العلاقات التجارية.

حدثهم الرسول عن الرؤيا التي شاهدها كيف أراد الله أن يزيل الحجاب الحاجز بين اليهود والأمميين بالكرازة بإنجيل الخلاص للعالم كله. حسب القديس بطرس أنه يلزم ان يكشف لهم أن تغيير نظرته لهذا الأمر لم يكن من فكره الخاص بل بدعوة إلهية.

بدأ حديثه بالكشف عن مراحم الله الغنية لكل البشرية، وأن ما حدث من غنى

---

[1] *Adv. Arian. 2:16:23.* ترجمة مركز دراسات الآباء بالقاهرة

نعمة الله، لا فضل لبطرس فيه. هكذا تحدث بروح التواضع، ما يفعله إنما بكونه أداة في يد الله.

تعلم القديس بطرس مبدأ إلهي كان يصعب جدًا عليه قبوله، وهو **"أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس"**. هكذا يعترف القديس بطرس أنه قد جاء بناء على إعلان إلهي، حاسبًا تلك اللحظات هي بدء افتتاح طريق الإيمان للأمم، كي يتمتعوا على قدم المساواة مع اليهود بالوعود الإلهية.

❖ كان الذين مع القديس بطرس يشكون إن كان يمكنه أن يعمد الغرل[1].

**القديس أغسطينوس**

**"فلذلك جئت من دون مناقضة إذ استدعيتموني،**

**فاستخبركم لأي سبب استدعيتموني". [٢٩]**

جاء إليهم دون مقاومة أو تردد، وأنه مستعد لتقديم كل مساعدة. حتمًا كان قلب القديس بطرس كغيره من الرسل يشتهي خلاص العالم كله، لكن كان يصعب عليه الالتصاق بالأمم، حتى قدمت له السماء تصريحًا بالعمل بلا تخوف ولا تردد. ولعل الرسل في البداية ظنوا أن تحقيق ما أمرهم به السيد المسيح أن يكرزوا للخليقة كلها يتحقق بعدما يدخل الأمم إلى اليهودية، ويرتبطوا بحرف الناموس، لكن الآن أدرك القديس أن الباب مفتوح دون حاجة إلى ذلك. الآن فمن جانب الرسول صار من حقه أن يعلن الحق، فماذا من جانبهم هم، لماذا استدعوه؟

حقًا لقد ضيقت الشريعة على اليهودي في تعامله مع الأممي، لأن عبادة الأمم للأوثان وممارستهم للرجاسات والأمور المخلة بالأخلاقيات، كانت تمثل خطرًا على المؤمنين. أما الآن وقد حلّ الروح القدس على الكنيسة، فصار واجبها الشهادة للسيد المسيح أمام الأمم حتى ينضم الكل إلى الرأس، كأعضاء في جسده الواحد، لم تعد الكنيسة تخشى النجاسات والرجاسات، لأن دم المسيح قادر أن يطهر من كل خطية، وذراعاه مبسوطتان لتضم كل الأمم معًا بروح الحب والوحدة في حياة مقدسة طاهرة.

---

[1] *Sermons on N.T. Lessons, 49:2.*

**"فقال كرنيليوس:**
**منذ أربعة أيام إلى هذه الساعة كنت صائمًا،**
**وفي الساعة التاسعة كنت أصلّي في بيتي،**
**وإذا رجل قد وقف أمامي بلباس لامع". [٣٠]**

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم**[1] أن النص هو "منذ اليوم الرابع" من الأسبوع، وليس منذ أربعة أيام.

**"وقال: يا كرنيليوس،**
**سُمعت صلاتك،**
**وذُكرت صدقاتك أمام اللَّه". [٣١]**

❖ انظروا عظمة فضيلة العطاء في المقال السابق (أصحاح ٩) وهنا. هناك أنقذ العطاء من الموت المؤقت، وهنا من الموت الأبدي، وفتح أبواب السماء[2].

❖ هكذا هو العطاء، بجانب هذا الينبوع لا تجد شجر السنديان والصنوبر والسرو، بل نباتات أخرى تختلف عن هذه، أفضل منها بكثير لها مكانتها الفاضلة، وهي: الصداقة مع الله، مديح الناس، مجد لله، مسرة للجميع، محو للخطايا، دالة عظيمة واستخفاف بالثروة. هذا هو الينبوع الذي يروي نبات الحب. فإنه ليس شيء اعتاد أن يرتوي به الحب مثل أن يكون الشخص رحيمًا، يجعل فروع شجرة الحب ترتفع إلى العلا. هذا الينبوع أفضل من ذاك الذي كان في الفردوس (تك ٢: ١٠)، فإنه ليس بالينبوع الذي ينقسم إلى أربعة رؤوس، بل يصعد إلى السماء عينها. إنه يلد ذلك النهر الذي ينبع إلى حياة أبدية (يو ٤: ١٤)[3].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ كرنيليوس الأممي الذي لم يتهوّد قبل عطيّة اللَّه، وواضح من الكتاب المقدّس أنّه

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 23.*
[2] *Hom. on Acts, hom. 22.*
[3] *Hom. on Acts, hom. 22.*

قد تبرّر [1].

**أمبروسياستر**

**"فأرسل إلى يافا، واستدعي سمعان الملقّب بطرس،**
**إنه نازل في بيت سمعان رجل دبّاغ عند البحر،**
**فهو متى جاء يكلمك". [٣٢]**

**"فأرسلت إليك حالاً،**
**وأنت فعلت حسنًا إذ جئت،**
**والآن نحن جميعًا حاضرون أمام الله**
**لنسمع جميع ما أمرك به الله". [٣٣]**

بدأ أول اجتماع لكنيسة الأمم في قيصرية بقيادة قائد مئة روماني مع كل بيته وأصدقائه ليسمع الكل ما أمر به الرب على لسان القديس بطرس، ويتمتعوا بالإيمان ونوال المعمودية.

والعجيب لم يقتحم الرسل الأمم ليكرزوا لهم، بل اقتحم الأمم الرسل، وطلبوا أحدهم ليأتي إليهم ويبشرهم.

لقد سبق فطلب السيد المسيح أن يشهدوا له بين الأمم، إذ تأخر الرسل عاتبهم الأمم على تأخيرهم، وحثوهم على إتمام رسالتهم، إذ يقول قائد المئة باسم جميع الأمم: "**الآن نحن جميعًا حاضرون أمام الله لنسمع جميع ما أمرك به الله**"، وكأنه يعاتب الرسل بطريقة مهذبة عن تأخيرهم في الكرازة لهم، وإغفالهم حقهم في التمتع بالوعود الإلهية.

## ٥. حديث للقدّيس بطرس

**"ففتح بطرس فاه، وقال،**
**بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه". [٣٤]**

---

[1] *Comm. On Paul's Epistles (Rom. 3:29).*

يقدم لنا القديس لوقا مختصرًا لحديث بطرس أو لعظته التبشرية لكرنيليوس وأسرته وأصدقائه.

بقوله: "**فتح بطرس فاه**"، يعبر القديس لوقا عن أفواه الرسل التي كانت مغلقة بالنسبة للأمم الغرل، لم يكن لديهم ما ينطقون به إليهم، لكن الروح القدس فتح أفواههم للحديث ووهبهم تصريحًا بالكرازة لهم، بل وتكلم هو بنفسه خلال أفواههم. ما بدأ ينطق به القدّيس بطرس هو حديث جديد من نوعه، لم يكن يخطر على فكره، ولا استعد له بحكمة بشريّة، لكنّه حديث الروح القدس على فمه.

"**لا يقبل الوجوه**"، أي لا يقدم إحسانًا لشخصٍ ما من أجل رتبته أو أسرته أو غناه أو لسببٍ شخصيٍ خاص به. فقد ظن اليهود أنهم دون سواهم لهم حق التمتع بإحسانات الله، لا لشيء إلا لأنهم نسل إبراهيم حسب الجسد، ولأنهم يهود. ظنوا أن الخلاص خاص بهم دون سواهم.

نجد ذات التعليم في رو ٢: ١١؛ أف ٦: ٩؛ كو ٣: ٢٥. إنه يؤكد أن الله لا يخلص الإنسان لمجرد أنه يهودي ولا لأنه متعلم أو غني أو صاحب كرامة، إنما حسب شوقه الداخلي الجاد للخلاص. إنه لن يسمح بهلاك إنسانٍ لمجرد أنه أممي، بل من أجل إصراره على مقاومة الحق، ورفض نعمة الله المجانية.

❖ إن كان الله لم يغفل المجوس ولا الإثيوبي (الخصي) ولا اللص ولا الزانية فبالأكثر لا يتغاضى عن الذين يعملون البر[1].

❖ لاحظوا تدبير عناية الله. فإنه لم يسمح بأن ينتهي الحديث، ولا أن المعمودية تُمارس بأمرٍ من بطرس، بل أوضح الله كيف أن أذهانهم عجيبة، وقد بدأ عمل التعليم، وقد آمنوا بالتأكيد أن المعمودية لغفران للخطايا. لهذا حلّ الروح القدس عليهم فورًا. لقد تم ذلك بتدبير الله لكي يسند بطرس، ويجد أساسًا لتدبير موقفه. لم يحلّ الروح القدس عليم فحسب، بل وجعلهم يتكلمون بألسنة، الأمر الذي أدهش

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 23.*

الحاضرين. هذا الأمر لم يكن يحبه الكل، أن الكل لله، ويمكن القول بالنسبة لبطرس أنه كان حاضرًا لكي يتعلم معهم الدرس، وأنهم هم الأشخاص الذين يتحقق معهم هذا. لأنه بعد كل هذه الأحداث العظيمة بقي البعض في قيصرية وأورشليم يتساءلون عما حدث[1].

❖ لا يُظهر اللَّه محاباة للأشخاص، إنّه يحكم بالأعمال. يقول بولس أن اليهود يختلفون عن الأمم، لا في أعمالهم بل في أشخاصهم فقط. وأنّه ليس بسبب هذا واحد يُكرّم والآخر يُهان. إنّما من الأعمال تحلّ الكرامة أو الإهانة[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ فاض أيضًا بطرس العظيم بالسوّسن المنير لكلمة اللّه عندما كان في منزل كرنيليوس، وملأ مستمعيه بالمرّ. وعندما استقبلوا كلمة اللّه دُفنوا مع المسيح، وأماتوا أنفسهم بالنسبة لهذه الدنيا (أع ١٠: ٣٤-٤٨). وتوجد أمثلة كثيرة في حياة القديسين. لأنهم أصبحوا فم الكنيسة العام، وملأوا مُستمعيهم بالمرّ الذي أمات أهواءهم وحملوا ثمارًا بسوّسن الكلمة[3].

**القديس غريغوريوس النيسي**

**"بل في كل أمة الذي يتقيه،**
**ويصنع البرّ مقبول عنده". [٣٥]**

هنا يؤكد أن إحسانات الله ليست محدودة باليهود، بل ممتدة إلى كل الأمم يتمتع بها من يُكرم الله ويحفظ وصاياه، ذاك الذي يتعبد لله مشتهيًا الشركة معه كصديق له. لم يقل: **"في كل دين"**، بل **"في كل أمّة"**، فالباب مفتوح لكل الشعوب، لكن الخلاص يلتزم الإيمان الحقيقي الصادق. ففي يوم الرب العظيم لا يُسأل الإنسان عن جنسه، من أي أمّة هو قادم.

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 24.*
[2] *Hom. On Romans, hom.5.*
[3] *Homilies on Song of Songs, 14.* ترجمة الدكتور جورج نوّار

"يصنع البرّ"، أي يلتزم بالسلوك مع إخوته حسب برّ الله بغير ممارسة للظلم.

تعلم القديس بطرس من الرؤيا أنه لا يدعو إنسانًا ما نجسًا أو دنسًا، ولا يميز بين يهودي ويوناني، فالله لا يحابي اليهودي على حساب الأممي. هذا التعليم وإن بدا جديدًا على ذهن الرجل اليهودي، لكن الله سبق فأعد لهذا المبدأ في العهد القديم، إذ يقول: "ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل، يقول الرب؟ ألم أُصعد إسرائيل من أرض مصر، والفلسطينيين من كفتور، والآراميين من قير؟" (عا ٩: ٧)

يرى **القديس إكليمنضس السكندري**[1] أن أبواب الرب مفتوحة، يدخل فيها الأبرار من كل الأمم (مز ١١٨: ١٩-٢٠)، وأن الرب على المياه الكثيرة (مز ٣٩: ٣)، لأن التعاليم المتباينة تقدم لليونانيين والبرابرة تقودهم إلى البرّ.

❖ بحق يقول الكتاب المقدس: "الثور والدب يرعيان معًا" (إش ١١: ٧)، لأن اليهودي يُشار إليه بالثور، إذ هو تحت النير ويُحسب طاهرًا حسب الشريعة، والثور له ظلف مشقوق ويجتر. ويُرمز للأممي بالدب الذي هو نجس ومفترس... فمن يهتدي من الأمم، يتشكل من الافتراس إلى الوداعة بواسطة الكلمة، وإذ يُروض يصير طاهرًا كالثور[2].

**القديس إكليمنضس السكندري**

❖ "طوبى لكل من يتقي الرب" (مز ١٢٨: ١). تعلن الكلمة المُوحى بها الطوبى ليس لذاك الذي من صُلب إبراهيم، ولا من ذرية إسرائيل، بل للشخص الذي يتزين بالمخافة (التقوى) الربانية[3].

❖ "هكذا يُبَارك الرجل المتقي الرب" (مز ١٢٨: ٤). الله هو ديان السلوك لا الجنس. هكذا هو الطريق الذي به كافأ الله أيوب بالإكليل، الذي هو من نسل عيسو. هذا هو الطريق الذي به قاد أبيمالك إلى الحق (تك ٢١: ٢٢، ٢٦). هذا هو طريق

---

[1] *Stromata, 6:8.*
[2] *Stromata, 6:6*
[3] *Comment. on Ps. 128.*

الخصي، طريق كرنيليوس، وطريق كل الأمم[1].

**الأب ثيؤدورت أسقف قورش**

❖ حيثما تصنع يد البار رحمة، تراقبها عين الله. وحيثما يصلّي لسانه يجتذب الأذن الإلهية للاستماع، وكمثال لذلك صلاة كرنيليوس قد نالت مكافأة[2].

**أندرياس**

كتب **القديس جيروم** رسالة تعزية إلى سالفينا Salvina إحدى نساء القصر الإمبراطوري لوفاة زوجها Nebridius مقارنًا إياه بقائد المئة كرنيليوس.

❖ كعسكري، نيبريديوس لم يصبه أي ضرر من ثوبه العسكري ولا من حزام السيف وفرق المنظمة، بينما كان يلبس الزي الخاص بالقصر الإمبراطوري كان اسمه مسجلاً في قائمة خدمة الله[3].

**القديس جيروم**

❖ تُدعى الكنيسة الفندق الذي يُقبل الكل ويتّسع للكل، بعكس المفهوم الضيق للناموس اليهودي والعبادة الشكليّة. فبدلاً من أن تسمع القول: "**ولا يدخل عموني ولا موآبي** في جماعة الرب" (تث ٢٣: ٣)، تسمع: "**اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم**" (مت ٢٨: ١٩). وأيضًا: "**في كل أمة الذي يتّقيه ويصنع البرّ مقبول عنده**" [٣٥]... المسيح الذي يحب الفضيلة يقبل كل الذين يجتهدون في المساعي الصالحة[4].

**القديس كيرلس الكبير**

❖ يظهر بولس أن الله لا يرفض اليهود ولا الأمم إن آمنوا بالمسيح، بل الكل

---

[1] *Comment. on Ps. 128.*

[2] *Andreas: Catena.*

راهب غالبًا من القرن السابع اهتمّ بجمع كثير من كتابات الآباء الأوّلين الخاصة بتفاسير بعض أسفار الكتاب المقدّس.

[3] *Letter 79:2.*

[4] *Comm. on Luke, Sermon 68.*

يتبرّرون بالإيمان[1].

**إمبروسياستر**

❖ يُقال عن الله أنّه بعيد عن الأشرار كقول الأمثال (١٥: ١٩)... وكما أن الأشرار بعيدون عنه، هكذا هو قريب من القدّيسين[2].

**القديس جيروم**

**"الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل،**
**يبشر بالسلام بيسوع المسيح،**
**هذا هو رب الكل". [٣٦]**

إذ كان السامعون من الأمم أظهر أنهم وإن كانوا مهتمين بإنجيل المسيح الذي هو غاية الكلمة التي أرسلها لبني إسرائيل، فإن هذا الموعود به في العهد القديم إنما هو رب الكل، وليس خاصًا بإسرائيل وحده. حقًا لقد جاءت الكلمة لإسرائيل من أجل التمتع بالسلام الداخلي في الإنسان كما مع أخيه في المسيح يسوع، وبالتالي بين اليهود وإخوتهم الأمم.

يعلن القديس بطرس أن العطية المقدمة لبني إسرائيل هي ظهور الكلمة المتجسد يسوع المسيح، حيث بشرت الملائكة بالسلام، لأمة اليهود وحدها، بل للعالم كله، لأن المتجسد "**هو رب الكل**". لقد بشرت الملائكة كل البشرية: "المجد الله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة" (لو ٢: ١٣-١٤). تشهد السماء نفسها أن السيد المسيح قد جاء للناس ككل وليس لليهود وحدهم. وقد عبّر عن ذلك القدّيس بولس في صورة مبدعة للغاية: "ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح، لأنّه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدًا، ونقض حائط السياج المتوسّط، أي العداوة، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا، صانعًا سلامًا، ويصالح الاثنين في جسدٍ واحدٍ مع الله بالصليب، قاتلاً العداوة به، فجاء وبشّركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين

---

[1] *Comm. On Rom. 2 :11.*
[2] *Ep. to the Eplessians. 1:2:13-14.*

الخ." (أف٢: ١٣-١٧).

❖ لكن عندما يقول "الكل"، هل تستثني ربوبيته على أحد، لأنه سواء ملائكة أو رؤساء ملائكة أو رئاسات أو سلاطين أو أي مخلوق آخر دعاه الرسول، يخضع الكل لربوبية الابن[١]...

**القديس كيرلس الأورشليمي**

❖ كانوا في وقتٍ ما بعيدين عن المسيح الخالق، وعن طريق الإسرائيليّين، والعهود، والرجاء في الوعد، والله نفسه. كانوا يومًا ما بعيدين، الآن صار الأمم ملتصقين بالمسيح في الأمور التي كانوا بعيدين عنها[٢].

❖ وُلد بطريقة فريدة من عذراء بالروح القدس. وُلد لكي يصالح كلاً من الأمم واليهود مع الله، فكلاهما أخطأ في حق الله. صالحهما في جسدٍ واحدٍ بالصليب. قتلت العداوة بهذا الأسلوب. تمّت المصالحة في جسده إذ تألّم على الصليب[٣].

**العلامة ترتليان**

❖ صار أولئك الذين يعرفون الناموس الروحي ويعيشون به في رعويّة إسرائيل أكثر من الإسرائيليين حسب الجسد فقط[٤].

**العلامة أوريجينوس**

❖ إنّه يصالح الاثنين، أي الذين من أصل أممي والذين من أصل يهودي، صالحهما في جسدٍ واحدٍ قُدّم عن الكل، لكي يصيروا في النهاية جسدًا واحدًا. إنّه يدعو كل المؤمنين إنسانًا واحدًا، لأن المسيح ربّنا هو الرأس الواحد، والذين يتمتّعون بالخلاص يقومون بدور الأعضاء[٥].

**الأب ثيؤدورت أسقف كورش**

---

[١] مقالات لطالبي العماد ١٠: ١٠.

[2] *Against Marcion 5:17:12-13.*
[3] *Against Marcion, 5:17:15.*
[4] *Ep. to the Eplessians 2:13.*
[5] *Epistle to the Ephessians, 2:16.*

**"أنتم تعلمون الأمر الذي صار في كل اليهودية،**

**مبتدئًا من الجليل بعد المعمودية التي كرز بها يوحنا". [٣٧]**

بعد أن شهدت السماء للعطية الفائقة: "مسيح الجميع" بدأ القديس بطرس يروي قصة السيد حيث ظهر في اليهودية واعتمد، ثم انتقل إلى الجليل ليختار تلاميذه، ويبدأ الخدمة.

إذ لم تكن قيصرية بعيدة عن الجليل، فحتمًا قد بلغت أخبار أعمال السيد المسيح ومعجزاته الفائقة في الجليل إلى سكان قيصرية، لهذا يقول: **"أنتم تعلمون"**.

**"يسوع الذي من الناصرة،**

**كيف مَسحَه الله بالروح القدس والقوّة،**

**الذي جال يصنع خيرًا،**

**ويشفي جميع المتسلط عليهم، إبليس،**

**لأن الله كان معه". [٣٨]**

أعلن الآب أنه قد مسح يسوع الناصري بالروح القدس والقوة، إنه المسيا، جال يصنع خيرًا ويحرر من تسلط عليهم إبليس. فإن كان في ميلاده قد بشرت السماء الأرض كلها، والبشرية بأجمعها، فالسيد في خدمته جاء ليخلص العالم من رئيس هذا العالم الشرير، إبليس. فإن كانت الأمم قد سقطت أسرى لهذا العدو، فالسيد قد جاء ليحررهم منه كما حرر الذين تسلط عليهم من اليهود.

هنا يتحدث عن قصة السيد المسيح وأعماله وأهدافه في اختصارٍ شديدٍ دون سرد لقصصٍ أو معجزاتٍ معينة، مما يشير إلى أن السامعين، خاصة قائد المئة، كانت لهم دراية وافية عما فعله السيد المسيح، وأن عمل القديس بطرس هو الكشف عن خطة السيد في كل هذه الأعمال.

❖ نزول الروح عليه في الأردن إنّما كان نزولاً علينا نحن، بسبب لبسه جسدنا.

وهذا لم يصر من أجل ترقي اللوغوس، بل من أجل تقديسنا من جديد، ولكي نشترك في محبته، ولكي يُقال لنا: "ألستم تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن

فيكم؟" (١ كو ٣: ١٦)

فحينما اغتسل الرب في الأردن كإنسان، كنّا نحن الذين نغتسل فيه وبواسطته. وحينما اقتبل الروح، كنّا نحن الذين صرنا مقتبلين للروح بواسطته. ولهذا السبب، فهو ليس كهرون أو داود أو الباقين، قد مُسح بالزيت هكذا، بل بطريقة مغايرة لجميع الذين هم شركاؤه، أي بزيت الابتهاج (مز ٤٥: ٧-٨)، التي فُسّر أنه يعني الروح قائلاً: "كيف مسحه الله بالروح القدس" [٣٨].

متى قيلت عنه هذه الأشياء، إلا عندما صار في الجسد، واعتمد في الأردن، ونزل عليه الروح (مت ٣: ١٦)؟ وحقًا يقول الرب لتلاميذه إن "الروح يأخذ مما لي" (يو ١٦: ١٤)، و"أنا أرسله" (يو ١٦:٧)، و"اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠: ٢٢). إلا أنه في الواقع هذا الذي يُعطي للآخرين ككلمة الآب وبهاءه، يُقال الآن أنه يتقدّس يسوع، وهذا من حيث أنه قد صار إنسانًا، والذي يتقدّس هو جسده ذاته[1].

## البابا أثناسيوس الرسولي

الذي قام بمسحه ملكًا ليس إنسانًا بل الله الآب نفسه، وقد جال لا ليسيطر ويتسلط بل ليحرر من الأمراض ومن قوة إبليس.

"ونحن شهود بكل ما فعل في كورة اليهودية وفي أورشليم،
الذي أيضًا قتلوه،
معلّقين إيّاه على خشبة". [٣٩]

إن كان الله قد أرسل الكلمة لليهود أولاً، فإن الرسل يشهدون أنهم قد صلبوه على أرض يهودية خارج أورشليم.

"هذا أقامه اللّه في اليوم الثالث،
وأعطى أن يصير ظاهرًا". [٤٠]

---

[1] *Adv. Arian., 1:12:47.* ترجمة مركز دراسات الآباء بالقاهرة

بعد أن تحدث عن غاية ميلاده، ثم عماده، واختياره للرسل، وخدمته لصالح البشرية وتقديم النصرة لهم على عدو الخير، تحدث عن عمله الخلاصي بالصليب والقيامة في اليوم الثالث. وهنا يركز القديس على تأكيد القيامة، وأنها تكشف عن أمور تمس مستقبل كل البشرية، فهي تؤكد أنه ديان الأحياء والأموات، وأن فيه تحققت النبوات لينال كل من يؤمن به غفران الخطايا. إنه ذبيحة الفصح الحقيقي، الذي وُضع إثم كل البشرية عليه.

لقد ظهر السيد المسيح القائم من الأموات لكثيرين علانية، فقيامته حقيقة لا يمكن أن يُشك فيها، ليس فيها خداع.

**"ليس لجميع الشعب،**
**بل لشهودٍ سبق اللَّه فانتخبهم لنا،**
**نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات". [٤١]**

لقد تم الصلب علانية أمام الجماهير، لعلهم يدركون أنه المسيا الذي فيه تحققت النبوات، فيقبلونه ويؤمنون بخلاصه العجيب. أما قيامته، فأعلنها لكثيرين من أهل الثقة والمشتاقين إلى اللقاء معه، لطالبي الحق.

أكد قيامته ليس بظهوراته فحسب، وإنما أكل التلاميذ معه وشربوا بعد قيامته.

**"وأوصانا أن نكرز للشعب،**
**ونشهد بأن هذا هو المعين من اللَّه**
**ديانًا للأحياء والأموات". [٤٢]**

إن كان كرنيليوس ومن معه لم يتمتعوا بمجيء السيد المسيح للخلاص، فهو قادم سيلتقي بمن يكونوا أحياء يوم مجيئه وأيضًا يلتقي بالراقدين (١ تس٤: ١٦، ١٧؛ ١ كو ١٥: ٥٢)، يأتي ديانًا ليهب مؤمنيه شركة المجد، وأما رافضوه فيسقطون تحت الدينونة.

❖ سيأتي في مجيئه الأخير على السحاب ليدين الأحياء والأموات، وذلك كما بشّر من

السحاب في صوته الأول الذي أعلنه في الأناجيل: "يبصرون ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء بقوةٍ ومجدٍ كثيرٍ" (مت ٢٤: ٣٠)... لقد جاء أولاً في الكرازة، وملأ كل العالم المتّسع. **ليتنا لا نقاوم مجيئه الأول حتى لا نرتعب عند مجيئه الثاني**[1].

**القديس أغسطينوس**

❖ السلام لك يا ملك كل الأحياء!

السلام لك يا ديّان كل الأموات!

تجلس على العرش عن يمين أبيك، في القوّة العلويّة.

من هناك تدين الخطاة،

فستأتي يومًا ما[2].

**برودنتيوس**

❖ دعا بولس اللَّه "الآب" لأنّه لا يدين أحدًا، لكنّه دعا الابن "الرب" لأنّه الديّان. إنّه يدعو اللَّه "الآب" ليُشير إلى حمايته لنا. ويدعو الابن "الرب" لكي نُدرك أنّنا دُعينا أبناء خلال صلاح اللَّه وأن يسوع هو اللَّه الحقيقي بالطبيعة وهو ربّنا[3].

**سفيريان أسقف جبالة**

**"له يشهد جميع الأنبياء،**

**أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا". [٤٣]**

بقيامته أُعلن أن الذبيحة المقدمة باسم كل البشرية الأحياء والأموات قد قُبلت، لينال كل مؤمنٍ غفران خطاياه. وبقوله: "**كل من يؤمن به**" يرفع الامتياز الذي خص اليهود وحدهم، ليصير امتيازًا عامًا لكل البشرية. فالإيمان ليس حبيس أمة معينة، والوعود الإلهية ليست قاصرة على شعب خاص.

## ٦. عماد كرنيليوس ومن معه

[1] *On the Psalms, 96:14.*

[2] *Prudentius (c. 348-425): Hymn 9, Hymn for Every Hour.*

[3] *Pauline Comm. From the Greek Church (Rom. 1:7).*

**"فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور،**
**حلّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة". [٤٤]**

في يوم الخمسين، في أورشليم، حث القديس بطرس سامعيه على التوبة ونوال المعمودية لغفران الخطايا وقبول الروح القدس (أع ٢: ٣٨). أما هنا في قيصرية فقد جاء الترتيب مختلفًا، إذ حل الروح القدس على كرنيليوس ومن معه قبل العماد. هنا ليس يوم بنطقستي جديد، إنما هو امتداد للبنطقستي الذي تحقق مع اليهود قبلاً، يتحقق بعينه مع الأمم بما يناسب بدء فتح باب الإيمان لهم.

ما كان يمكن للقديس بطرس أن يعلم بهذا لو لم يتمتع بالرؤيا، لكن كان محتاجًا إلى شهادة السماء لصدق هذا التعليم وتأكيده، لذلك لم ينتظر الروح القدس أن يكمل خطابه، ولا انتظر حتى ينال الحاضرون العماد، بل "**حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة**". وكأن البيت قد صار علية صهيون الثانية، أو كأن يوم الخمسين قد تكرر. أراد الروح القدس أن يعلن عدم محاباة الله لشعبٍ معينٍ، فبادر بالحلول على هؤلاء الأمم حتى قبل عمادهم، وقبل أن يمد القديس بطرس يده ليضعها على رؤوسهم. لقد أعلن الروح القدس راحته في الأمم الراجعين إليه بإخلاص. وأنه ليس من فضلٍ لشخصٍ ما في هذه العطية، بهذا استطاع الرسول أن يعلن بكل قوة: "فلما ابتدأت أن أتكلم حلّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضًا من البداية... فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضًا بالسوية، مؤمنين بالرب يسوع، فمن أنا؟ أقادر أن أمنع الله؟" (أع ١١: ١٥-١٧). كما قيل: "الله العارف القلوب شهد لهم معطيًا لهم الروح القدس كما لنا أيضًا" (أع ١٥: ٨).

تحقّق حلول الروح القدس قبل إنهاء الرسول حديثه ليطمئن الرسول ومن معه أن حلول الروح على الأمم صدر بأمر إلهي، وليس بفضل إنسانٍ ما فيتجاسر ويعمّدهم بلا تشكّك ولا خوف من أهل الختان. ومن الجانب الآخر حلول الروح القدس في هذا التوقيت يُحسب أشبه بختم سماوي مقدّم للأمم لكي يصدّقوا ما تحدّث عنه الرسول بطرس معهم. وكأن اللّه يشهد على صدق كرازته لهم ويصادق عليها بقوّته الإلهيّة، بل

وبحلول روحه نفسه عليهم.

حلول الروح القدس على كرنيليوس كان بدء إشارة لتحقيق الوحدة أو المصالحة بين اليهود والأمم في المسيح يسوع، إذ يقول الرسول بولس: "لأن به لنا كلينا قدومًا في روح واحد إلى الآب" (أف٢: ١٨). ويعلّق على هذه العبارة الأب **ماريوس فيكتورينوس**، قائلاً: [صار لكلٍ من اليهوديّة والأمم قدوم إلى الآب بالمسيح نفسه. لكن كيف؟ "في روحٍ واحدٍ". لأن الروح الذي هو واحد مع المسيح يدخل فينا عندما نؤمن بالمسيح. عندئذ نشعر بحضور الله، نعرف الله ونعبده، هكذا نأتي إلى الآب بذات الروح الواحد بالمسيح. لا يأتي أحد سواء كان يهوديًا أو أمميًا إلى الآب إلا بالمسيح[1].]

**"فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان،**

**كل من جاء مع بطرس،**

**لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضًا". [٤٥]**

لم يكن بعد يدرك المسيحيون الذين رافقوا القديس بطرس أن الإنجيل يمتد إلى الأمم، فإن تعصبهم اليهودي أغمض أعينهم عن إدراك هذه الحقيقة. ولعلّ سرّ دهشتهم أن مجد الله صار ظاهرًا، وحلوله علنًا، بينما تدرّبوا حسب التقليد اليهوديّ أن الحضرة الإلهيَّة المعلنة أحيانًا خلال الكاروبين اللذين على غطاء الهيكل داخل قدس الأقداس! الآن انشق الحجاب، وانفتحت أبواب السماء، وصار روح الله حالاً علانيّة على الأمم خارج الهيكل في أورشليم!

**"لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلّمون بألسنة،**

**ويعظمون الله،**

**حينئذ أجاب بطرس". [٤٦]**

وهبهم الله التكلّم بألسنة، لأنّه أمر ملموس يكشف عن نوالهم قلوب جديدة مع الألسنة الجديدة.

---

[1] *Marius Victorinus: Ep. to the Ephes. 1:2:18.*

لما كان دخول الأمم إلى الإيمان أمر يكاد يستحيل على اليهودي أن يقبله قدم الروح القدس علامات ظاهرة تؤكد هذه الحقيقة أنها صادرة من الله. لذلك صار المؤمنون الذين من أهل الختان يسمعون الأمم يتكلمون بألسنة، ويعظمون الله. التكلم بالألسنة تأكيد استمرار يوم الخمسين حتى يدخل الأمم الإيمان، وتعظيم اسم الله، هو أهم خاصية خاصة بشعب الله تميزه عن بقية الشعوب. صار الذين كانوا من أهل الختان شهودًا لعمل الله مع الأمم وقبولهم كشعب الله.

❖ كان الروح القدس يُعطى بهذا النوع في ذلك الحين، حتى أنه كان يُظهر نفسه منظورًا. فإن الذين قبلوه تكلّموا بألسنة كل الأمم، ليعني أن الكنيسة التي بين الأمم يلزمها أن تتحدّث بألسنة الكل. لهذا فإنهم قبلوا الروح القدس، وظهر هو بوضوح فيهم[1].

**القديس أغسطينوس**

**"أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء،**
**حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس،**
**كما نحن أيضًا". [٤٧]**

لقد رأى الرسول ومن معه، وسمع بأذنيه، وتأكد الجميع أن الروح القدس قد حلّ عليهم، لهذا وجد الرسول نفسه مُلزمًا أن يعمدّهم. ما نطق به الرسول هنا كان يحدث به نفسه كما يحدث الذين حوله من أهل الختان... لقد تأكد: **"ما طهره الله لا تدنسه أنت"**. لم يعد بعد قادرًا أن يقول عن الأمم أنهم دنسون.

لو لم يحل الروح القدس بطريقة علنية وبتأكيدات وبراهين ظاهرة ما كان يمكن لبطرس الرسول أن يقبل عمادهم، اللهم إلاَّ إذا تهودوا أولاً. الآن يقول: **"لم يميز بيننا وبينهم، إذ طهر بالإيمان قلوبهم"** (أع ١٥: ٩).

❖ من جانبي، لا أستريح للذين يؤجلون تكريسهم الكامل لله. عندما نقرأ عن قائد

---

[1] *Sermons on N.T. Lessons, 49:10.*

المئة كرنيليوس أنه بار للحال نسمع عن عماده[1].

**القديس جيروم**

❖ في مناسبة إذ حلّ الروح قبل استخدام الماء لم يقف الرسول عند هذا الحد، فإذ كان الماء ضروريًا وليس أمرًا ثانويًا لاحظ ماذا يقول: "**أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضًا؟**[2]"

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

"**وأمر أن يعتمدوا باسم الرب،**

**حينئذ سألوه أن يمكث أيامًا". [٤٨]**

ألزمه الروح القدس بتعميدهم، فقد بادر وأعلن قبول السماء لهم. لكن لماذا لم يقم الرسول نفسه بتعميدهم، بل طلب من المرافقين له أن يقوموا بهذا العمل؟ ربما لكي تصير الشهادة أقوى حين يقف هؤلاء الخدام (الكهنة) بإعلان أن الروح القدس بحلوله على الأمميين ألزمهم بهذا العمل، وأنهم قاموا بهذا العمل بأنفسهم. ولعل القديس بطرس أراد تأكيد ذات فكر القديس بولس الرسول أن الله لم يرسله ليعمد بل ليكرز، فيترك العماد، إن أمكن، للخدام المساعدين له (١ كو ١: ١٤-١٧).

في مجمع الرسل لمعالجة قضية قبول للإيمان لم يأخذ القديس بطرس كرسول الختان موقفًا متشددًا من جهة الأمم، بل حسب ما تم على يديه خلال عمل الروح القدس موضوع اعتزاز: "أيها الرجال أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون" (أع ١٥: ٦-٧).

"**يعتمدوا باسم الرب**"، فمن يعتمد باسم الربّ يسوع، إنما يعتمد بناء على إيمانه بالسيد المسيح أنه هو الرب، فيقبل الآب أبًا، والروح القدس روح المسيح الرب.

❖ ما أقوله هذا ليس من عندي، إنما هو كلام الرب يسوع صاحب السلطان في هذا الأمر. أنه يقول: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت

[1] *Letter 60 to Heliodorus, 9.*
[2] *Homilies on St. John, hom. 15:2.*

اللّه" (راجع يو ٣:٣) فمن يعتمد بالماء ولا يكون متأهلاً للروح (بسبب سوء نيته) لا يتقبل نعمة الكمال، كذلك إن كان فاضلاً في أعماله ولم يتقبل الختم بالماء لا يدخل ملكوت السماوات.

هذا القول فيه جسارة، لكنه ليس مني بل أعلنه يسوع.

وفيما يلي برهان على ذلك بشهادات من الكتاب المقدس. يقول الكتاب أن بطرس أمرهم أن يعتمدوا باسم يسوع المسيح [٤٨] حتى تُولد النفس مرة أخرى بالإيمان، ويكون للجسد شركة في النعمة بواسطة الماء.

كان كرنيليوس إنسانًا بارًا، تكرّم برؤية ملائكة، وصعدت صلواته وصدقاته تذكارًا صالحًا أمام اللّه في السماء. جاءه بطرس وانسكب الروح القدس على المؤمنين، وتكلموا بألسنة، وتنبأوا، وبعد نعمة الروح يقول الكتاب أن بطرس أمرهم أن يعتمدوا باسم يسوع المسيح حتى تُولد النفس مرة أخرى بالإيمان، ويكون للجسد شركة في النعمة بواسطة الماء[1].

**القديس كيرلس الأورشليمي**

نالوا عطيّة الروح فاشتهوا بالأكثر أن يتمتّعوا بالتعاليم الرسوليّة لنموّهم الروحي المستمرّ، لذلك سألوا القدّيس بطرس أن يمكث أيّامًا، حسبوها أيّامًا ذهبيّة لن تنسى!

**من وحي أع ١٠**

**لك أيّها الرب الأرض وملؤها!**

❖ لك في كل أمّة شهود أمناء!

لك في قلوب الكثيرين موضع خاص!

بحث عنك قائد المئة الأممي.

[1] مقالات لطالبي العماد ٣: ٤.

لم يكف عن الصلاة، طالبًا أن يتعرّف عليك!
قدّم صدقات للمساكين من أجلك.
بينما أغلق بعض الكهنة قلوبهم أمام وجهك.
سكنوا أورشليم وخدموا في الهيكل،
لكنّهم كانوا بعيدين عنك!

❖ أعلنت لرسولك بطرس خطة حبّك.
تفتح أبواب الإيمان للجميع بلا محاباة!
ليس أمامك يهودي وأممي،
ولا رجل وامرأة،
فأنت خالق الكل، ومخلّص الجميع.

❖ أرسلت ملاكك يخدم الأممي،
وتحدّثت صراحة مع تلميذك بطرس!
إنّك لن تحابي الوجوه!
أنت تطلب خلاص الجميع!

❖ أرسلت روحك على كرنيليوس ومن معه.
روحك القدّوس هو روح الوحدة.
يحلّ على اليهودي والأممي،
يقيم من الكل أعضاء لجسدك الواحد.
بروحك يصير الكل واحدًا فيك،
فأنت الرأس الواحد للجسد الواحد!

# الاصحاح الحادي عشر

# خصومة بسبب خدمة الأمم!

ما كان يمكن أن يختم الإنجيلي لوقا لقاء القديس بطرس ومن معه بكرنيليوس عند نهاية الأصحاح السابق. كان لزامًا أن يصور لنا موقف القادة والشعب في أورشليم من قبول هذه المجموعة في الإيمان دون إشارة إلي اختتانهم والتزامهم بحفظ الشرائع الموسويّة. خاصة وأن القديس بطرس قد بقى في قيصرية مع تلك الجماعة أيامًا كثيرة. لقد نما إلي علمهم أنه كان يأكل معهم وهم غلف.

انفتح الباب على مصراعيه أمام الأمم ليتمتّعوا بالإيمان وينالوا البركات السماويّة على نفس المستوى مع إخوتهم اليهود المتنصّرين. لم يقف عدو الخير صامتًا بل أثار الرسل والإخوة الذين من أهل الختان ضد القدّيس بطرس، لأنّه أكل مع رجالٍ ذوي غلفة. اتّهموه بأنّه تهاون في حفظ الشريعة وتدنس!

١. خصومة مع الرسول بطرس ١-٣.
٢. القدّيس بطرس يشرح الموقّف ٤-١٧.
٣. الخصومة تتحوّل إلى تسبيح مفرح ١٨.
٤. الكنيسة في أنطاكيّة ١٩-٢١.
٥. القدّيس برنابا في إنطاكيّة ٢٢-٢٤.
٦. القدّيس برنابا يطلب شاول ٢٥-٢٦.
٧. إنطاكيّة تسند أورشليم ٢٧-٣٠.

## ١. خصومة مع الرسول بولس

ذهاب القديس بطرس إلى قيصرية ودخوله بيت كرنيليوس وما تبع ذلك من أحداث أثار دهشة بعض المسيحيين الذين كانوا من أصل يهودي، كما أثار اليهود غير المؤمنين. لقد سمعوا بالخبر قبل وصول بطرس الرسول إلى أورشليم، وذلك لقرب

المسافة بين قيصرية وأورشليم.

**"فسمع الرسل والإخوة الذين كانوا في اليهودية،**

**أن الأمم أيضًا قبلوا كلمة اللَّه". [١]**

يبدو أن الرسول مكث مدة طويلة في قيصرية يتمتع بعمل الروح القدس في حياة الأمم، وإذ سمع المسيحيون في أورشليم الذين كانوا من أهل الختان، دخلوا في نزاعٍ فكريٍ مع القديس بطرس.

كان لهذا الحدث ضجة عظمى في اليهودية، سواء داخل الكنيسة أو بين اليهود غير المؤمنين. إذ حسبوا تصرفات القديس بطرس تتعارض مع كل أفكار اليهود ومبادئهم، فلا عجب أن سبب هذا مخاصمتهم له.

**"ولما صعد بطرس إلى أورشليم،**

**خاصمه الذين من أهل الختان". [٢]**

دخلوا معه في نزاع بكونه قد ارتكب جريمة عظمى.

لا يمكن تجاهل الصراع الخفي بين أورشليم وقيصريّة، إذ كانت أورشليم في نظر اليهود العاصمة، مدينة اللَّه العظمى، تضم أقدس موضوع في العالم، هيكل سليمان. بينما اختار الرومان قيصريّة لتكون العاصمة، وهي مدينة لها ثقافة يونانيَّة، سكّانها الرئيسيّون وثنيّون ويونانيّون وسريان. فكان اليهود في أورشليم يحملون نوعًا من الضيق إن لم تكن الكراهيّة نحو قيصريّة والوالي الروماني المقيم فيها.

ما قد حدث مع القديس بطرس يجب أن يتوقعه كل من تمتد يده للعمل في الخدمة، فإنه يتعرض للمقاومة، لا من الذين هم خارج الكنيسة فحسب، بل والذين من داخلها، ليس فقط من القيادات التي على نفس المستوى أو في مركز الرئاسة، بل وحتى من الشعب. يجد مقاومة، لا على أخطاءٍ ارتكبها فحسب، وإنما حتى على الأعمال الصالحة، ولو كانت قد تمت بناء على أمرٍ إلهي.

**"قائلين: أنك دخلت إلى رجال ذوي غُلْفة،**

**وأكلت معهم". [٣]**

مع ظهور الرؤيا للقديس بطرس، وظهور ملاك لكرنيليوس، وحلول الروح

القدس على الأمم، وتكلمهم بالألسنة وعظائم الله قبل عمادهم، انزعجت نفوس الذين كانوا من أهل الختان، وحسبوا القديس بطرس متهاونًا في الناموس. ولعل دخول بعض كهنة اليهود والفريسيين إلى الإيمان المسيحي كان مشروطًا من جانبهم أن تبقى غيرتهم على الهيكل وحفظهم للختان والناموس حرفيًا باقية. هؤلاء لن يقبلوا دخول الأمم للإيمان ما لم يختتنوا ويتعلموا الناموس والطقوس والعادات اليهودية.

❖ انظروا بماذا يحتجون فإنهم لا يقولون: لماذا بشرتهم؟ بل لماذا أكلت معهم؟ لم يتوقف بطرس عن إدراكه لهذا الاعتراض الذي يحمل فتورًا في المشاعر، فإنه بالحقيقة هو عدم مبالاة من جانبهم. لقد وقف صامدًا أمامهم على هذا الأساس: إن كان الروح نفسه قد أُعطي لهم، فمن يقدر أن يمنع نوالهم العماد؟ هذا لم يحدث بخصوص السامريين، بل على العكس، فإنه لم يوجد اعتراض على ذلك لا قبل العماد ولا بعده ولا امتعضوا لهذا، فإنهم ما أن سمعوا عن قبول السامريين الإيمان حتى أرسلوا رسولين لهذا الهدف (أع ٨: ١٤). حقًا حتى في هذه الحالة الحاضرة أدركوا أنها نعمة إلهية، أما ما قالوه فهو: لماذا أكلت معهم؟... وقد سمحت خطة الله بهذا الاتهام بهذه الصورة حتى يتعلموا، فإنه بدون هذا ما كان قد أعلن بطرس عن الرؤيا. لكن لاحظوا، إنه أعلنها وهو متحرر من كل تشامخٍ أو مجدٍ باطلٍ[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

## ٢. القدّيس بطرس يشرح الموقّف

**"فابتدأ بطرس يشرح لهم بالتتابع قائلاً". [٤]**

لا نرى هنا في حوار القديس بطرس الرسول الرقيق من يتكلم من مركز الرئاسة العليا والسلطة، ولا كمن يأمر وينهي، بل بالحب يشرح ويحاور. واضح من موقف الشعب نفسه أنه لم يكن في حسبانه رئاسة عليا للقديس بطرس وأن له الكلمة الأخيرة القاطعة، إنما قاوموا القديس وخاصموه، وإذ شرح لهم الأمر بروح الحب والتواضع قبلوا التصرف ومجدوا الله.

"بالتتابع"، أي بدأ يروي لهم الأحداث بالترتيب.

[1] *Hom. on Acts, hom. 24.*

يصر القديس لوقا على سرد ما قاله القديس بطرس مكررًا قصة قبول الأمم بتفاصيلها. هذه هي المرة الثالثة التي يعرض فيها ذات القصة. المرة الأولى لما حدثت وقائعها، والثانية يرويها كرنيليوس، والثالثة يرويها بطرس الرسول أمام كنيسة أورشليم. وبنفس الطريقة عرض القديس لوقا قصة دخول شاول الطرسوسي إلى الإيمان ثلاث مرات.

يحمل هذا التكرار التأكيد بكل قوة على انفتاح الكنيسة على الأمم دون التزامهم بالتهود، واختيار الله شاول الطرسوسي لخدمة الأمم. فإن التخلص من عبودية الحرف للناموس كان أمرًا ليس بالسهل قبوله، وقد سبب انقسامات خطيرة، ليس فقط في أورشليم، بل وفي كثير من المدن مثل غلاطية وروما، فلم يكن ممكنًا لليهودي أن يقبل الأممي شريكًا له في الإيمان على قدم المساواة دون أن يختتن ويتمسك بحفظ الناموس.

**"أنا كنت في مدينة يافا أصلّي،**
**فرأيت في غيبة رؤيا،**
**إناء نازلاً مثل ملاءة عظيمة مدلاّة بأربعة أطراف من السماء،**
**فأتى إليّ. [٥]**

بدأ الرسول يروي لهم كل ما جرى، ليس دفاعًا عن نفسه، إنما ليفتح قلوبهم بالحب والفكر الروحي لقبول الأمم وللكرازة بينهم.

روى قصة رؤيته كما سبق فوردت في الإصحاح السابق (أع ١٠: ٩). بقوله **"فأتى إليّ"** يوضح حاجته إلى التعرف على خطة الله نحو الأمم، فجاءت الرؤيا إليه شخصيًا، لأنه كان من الصعب عليه أن يدرك هذه الخطة الإلهية ويقبلها، كما هم عليه. فما يعانون هم منه الآن كان هو يعاني منه، واحتاج إلى تفسيرٍ إلهي لكي يقبل خطة الله، ويقدمها لهم كما لغيرهم. هنا يخفف الرسول من حدة مخاصمتهم له، لأنه هو نفسه كان حاله كحالهم، وفكره كفكرهم، لولا تدخل الله نفسه ليشرح له سرّ حبه للأمم كما لليهود.

**"فتفرست فيه متأملاً،**

**فرأيت دواب الأرض والوحوش والزحّافات وطيور السماء". [٦]**

اهتم الرسول بأن يروي لهم اختباره مع الله، والرؤيا التي تمتع بها أكثر من حديثه عن رؤيا كرنيليوس حتى لا يثيرهم، فإنهم حتمًا يثقون في صدق الرسول، لكنهم كيف يتأكدون من صدق كرنيليوس، اللهم إلاً إذا جاءت الرؤيتان متطابقتان تكملان الواحدة الأخرى.

**"وسمعت صوتًا قائلاً لي:**
**قم يا بطرس،**
**اذبح وكل". [٧]**

**"فقلت: كلا يا رب،**
**لأنه لم يدخل فمي قط دنس أو نجس". [٨]**

في تفسيره لرسالة القدّيس بولس الرسول إلى أهل أفسس يلمح **القديس يوحنا الذهبي الفم** إلى هذه العبارة ليؤكّد أن بعض الأمور كانت مخفيّة حتى عن الرسل، وكانوا في حاجة إلى إعلانات إلهيّة للتعرّف عليها لنفع المخدومين[1].

❖ ألا تلاحظوا إنه يقول إني قمت بما هو من جانبي: "**فقلت كلا يا رب، لأنه لم يدخل فمي قط دنس أو نجس**". هنا يشير إلى قولهم: "**دخلت وأكلت معهم**". لم يقل هذا لكرنيليوس إذ لم تكن توجد حاجة إلى الإشارة إلى ذلك... لاحظوا كيف يبرر نفسه، ويسمح لنفسه أن يستخدم سلطانه كمعلمٍ. فبقدر ما كان لطيفًا للغاية ووضَّح موقفه، جعلهم بالأكثر يقبلون التعليم بسهولة[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فأجابني صوت ثانية من السماء:**
**ما طهره اللّه لا تنجسه أنت". [٩]**

بقبول الأمم لا يوجد كسر للناموس، لأنه إن كان الناموس قد منع أكل ما هو نجس، فإن العهد الجديد لم يطالبنا بغير ذلك، لكن الوضع قد تغير، لأن الله طهّر ما

---

[1] *Hom. on Eph. 6:3:1-2.*
[2] *Hom. on Acts, hom. 24.*

كان دنسًا أو نجسًا. فما كنا نظنهم دنسين الآن خلال عمل السيد المسيح الخلاصي صاروا طاهرين، فلا يليق بنا بعد دعوة الأمم دنسين. إذن، ليس من حقهم لوم الرسول بطرس، لأن الله طهر الأمم.

**"وكان هذا على ثلاث مرات،**
**ثم انتشل الجميع إلى السماء أيضًا". [١٠]**

تكرر الأمر ثلاث مرات لتأكيد أن ما يراه وما يسمعه ليس وهمًا ولا تخيلاً، بل هو أمر إلهي. لذلك لم تنتهِ الرؤيا بزوالها، بل برفع الملاءة إلى السماء من حيث نزلت، للتأكد أن الأمر بالحق هو سماوي.

**"وإذا ثلاثة رجال قد وقفوا للوقت عند البيت الذي كنت فيه،**
**مُرسلين إليّ من قيصرية". [١١]**

لقد أكد له الرب أن ما رآه ليس من قبيل المصادفة، بل هو بتدبيرٍ إلهيٍ في اللحظات اللائقة والمناسبة. لذلك ما أن انتهت الرؤيا حتى كان المرسلون من كرنيليوس عند الباب يسألون عنه.

**"فقال لي الروح أن أذهب معهم غير مرتاب في شيء،**
**وذهب معي أيضًا هؤلاء الاخوة الستّة،**
**فدخلنا بيت الرجل". [١٢]**

مع كل هذه التأكيدات السماوية تحدث الروح القدس نفسه مع القديس بطرس ليطمئنه، وينزع عنه كل ارتياب في الأمر. وكأن الرسول يؤكد لهم أنهم إن كانوا في ارتياب في أمر تصرفه هذا، فهو نفسه كان مرتابًا مثلهم ولم يكن محتاجًا إلى تفسير من إنسانٍ بل من الروح القدس نفسه الذي أمره بالذهاب معهم دون ارتياب. فمع كون الدعوة قد جاءت إليه خلال أممين للذهاب إلى بيت أممي، لكنه لم يذهب بدون دعوة الروح؛ ولم يذهب وحده بل وأخذ معه ستة أخوة هم شهود للأحداث الفائقة. لقد كان معهم السابع من أهل الختان حتى يتأكد الجميع فيما بعد أن كل المرتبطين بالأحداث من أهل الختان التزموا بقبول الأمم برأي جماعي، لأن العمل كان صادرًا من الله نفسه.

❖ ألا تلاحظوا أن الروح هو الذي يسن القوانين[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

لم يشر القدّيس بطرس إلى اسم الرجل "كرنيليوس" ولا إلى مركزه كقائد مئة، ولا تحدّث عن تقواه أو صلواته وصدقاته، لئلاّ يظنّوا أنّه تأثّر بهذه الأمور، إنّما ما يشغله أنّه ذهب بناء على دعوة إلهيّة بغض النظر عن الظروف المحيطة.

**"فأخبرنا كيف رأى الملاك في بيته قائمًا، وقائلاً له:**
**أرسل إلى يافا رجالاً،**
**واستدعِ سمعان الملقّب بطرس". [١٣]**

إذ بلغ بيت كرنيليوس وحده هو أيضًا سبق فتمتع برؤيا سماوية، فقد أرسل له الرب ملاكًا لكي يستدعيه من يافا. لم يرَ الملاك في الهيكل، ولا في بيت رجل يهودي، وإنما في بيته. وكأنه يقول: قد تبادلنا خبرتنا المشتركة في الرؤيا السماوية، فرأينا تطابقًا عجيبًا. ما أخفاه الله عني كشفه للأممي، وما أخفاه الله عنه كشفه لي، فجاءت الرؤيتان له ولي أشبه برؤيا واحدة متكاملة، غايتها إعلان حب الله الفائق لكل البشرية.

**"وهو يكلمك كلامًا به تخلص أنت وكل بيتك". [١٤]**

ركز القديس بطرس على أمرٍ واحدٍ، وهو أن كل ما حدث كان بقيادة الروح القدس، وأن هذه خطة الله، لهذا لم يشر إلى كلمات الملاك لكرنيليوس عن قبول الله لصلواته وصدقاته، ولا عن تقوى الرجل ومخافته للرب، حتى لا يثير مشاعرهم كيف يقبل الله عبادة رجلٍ أممي، وكيف تُنسب له التقوى ومخافة الرب.

كما طمأن الروح القدس بطرس للانطلاق للعمل، هكذا طمأن كرنيليوس أن ما سيسمعه من القديس بطرس هو دعوة صادقة إلهية للتمتع بالخلاص، يناله هو وأهل بيته.

ربنا يسوع المسيح الذي قال للعشار: "اليوم حصل خلاص لأهل هذا البيت" (لو١٩: ٩)، هو بعينه أرسل ملاكًا يؤكد لكرنيليوس أنه يحدث خلاصًا لبيته خلال

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 24.*

الإيمان بإنجيل المسيح. الذي قدم خلاصًا للعشار، هو بعينه يقدم الخلاص للأمم.

**"فلما ابتدأت أتكلم،**

**حلّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضًا في البداءة". [١٥]**

السيد المسيح الذي دخل بيت العشار ليحل الخلاص فيه، أرسل الآن روحه القدوس ليحل خلاص المسيح في بيت قائد المئة الأممي. لقد حسم الرب نفسه الخلاف، فقد حلّ الروح القدس على الأمميين كما حل على أهل الختان في يوم الخمسين؛ فما ناله اليهود في البداءة، صار حقًا للأمم أيضًا. لم ينتظر الروح حتى يُنهي القديس بطرس حديثه معهم حتى لا يظنّ أحد أن الروح القدس هو هبة من الرسول، إنما هو عطية مجانية مقدمة من الله نفسه.

**"فتذكرت كلام الرب،**

**كيف قال أن يوحنا عمَّد بماء،**

**وأمّا أنتم فستعمدون بالروح القدس". [١٦]**

هذه هي المرة الثالثة لهذه العطية الفائقة، عطية الروح القدس نفسه واهب العطايا:

- عطية الروح القدس لأهل الختان في يوم البنطقستي (أع ٢).
- عطيته للمؤمنين السامريين (أع ٨: ١٧).
- عطيته لباكورة الأمم هنا (أع١١: ١٥). ولعل العطية التي نالها المؤمنون السامريون هيأت ذهن القديس بطرس جزئيًا لقبول الأمم ذات العطية.

هنا تذكر القديس بطرس وعد السيد المسيح لهم قبل صعوده: يوحنا عمد بالماء، وأنتم ستعمدون بالروح القدس (أع ١: ٥).

**"فإن كان اللَّه قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضًا بالسوية،**

**مؤمنين بالرب يسوع المسيح،**

**فمن أنا؟**

**أقادر أن أمنع اللَّه؟" [١٧]**

أما ختام الأمر فهو أن القرار خطير: إما قبول عمل الله وحبه للبشرية، أو

رفضه ومقاومة إرادته وخطته. وكأنه يقول هم: يلزمكم ألا تتطلعوا إلى تصرفي هذا لا كتقييم للموقف، وإنما أخذ قرار خطير يخص خطة الله نفسها، لكم أن تقبلوها أو ترفضوها، أما من جهتي فماذا، هل أقاوم الله وأضاد إرادته الإلهية؟ أي سلطان في يدي لأقبل الأمم في الإيمان أو أرفضهم؟ إن كان الله يفتح أبواب كنيسته أمام الأمم، فهل أستطيع أنا أن أغلقها أمام وجوههم؟

## ٣. الخصومة تتحوّل إلى تسبيحٍ مفرحٍ

**"فلما سمعوا ذلك سكتوا،**

**وكانوا يمجدون اللّه قائلين:**

**إذًا أعطى اللّه الأمم أيضًا التوبة للحياة". [١٨]**

جاء خطاب الرسول بطرس يؤكد عضوية الأمم الكاملة في كنيسة المسيح، وإن الختان وحفظ الشريعة الموسويّة حرفيًا ليسا ضروريّين للخلاص. وأنه ليس من تميز بين طعام وطعام، ولا بين شعب وشعب. مع هذا قدّم الحاضرون تسبحة شكر، ممجدين الله على غنى حبه لكل البشريّة، مع أن هذا الخطاب تحمل تدميرًا للنظرة اليهوديّة الحرفيّة.

جاءت إجابة القديس بطرس شافية للمؤمنين من أهل الختان، ولكن إلى حين، فقد بقي التساؤل عن وضع الأمم القابلين للإيمان في الكنيسة يثور ليسبب مشكلة خطيرة.

لم يقل أنه قد طلب عمادهم، لكن كانت كل الأمور تسير بأوامر إلهية فائقة، ولم يكن الرسل إلا أداة طيّعة للروح القدس القائد لهذا العمل.

لم يقل الرسول: "أعطاهم الله الموهبة كما لكم" بل كما لنا، وكأنه يقول إني واحد منكم، وإني مندهش لخطة الله الذي لم يميز بينهم وبيننا، لذا فإني معكم أتقبل هذا الحب الإلهي لكل البشرية بفرحٍ.

## ٤. الكنيسة في أنطاكيّة

**"أمّا الذين تشتّتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس،**

**فاجتازوا إلى فينيقية وقبرس وإنطاكية،**

**وهم لا يكلمون أحدًا بالكلمة إلا اليهود فقط". [١٩]**

يبدأ هذا القسم بالحديث عن مرحلة جديدة خاصة بامتداد الكنيسة من المجتمع اليهودي في أورشليم إلى المجتمع الخارجي خاصة إنطاكية. روى القديس لوقا سابقًا دخول السامريين إلى الكنيسة، ثم تحول أسرة أممية في قيصرية. الآن يروي لنا عن بدء ظهور المسيحية في إنطاكية، المدينة الرئيسية في سوريا تصير الكنيسة الأم للكرازة بين الأمم في آسيا وأوربا.

اهتم القديس لوقا بنجاح الخدمة في إنطاكية لأنها سرعان ما تصير مركز خدمة القديس بولس رسول الأمم، يبدأ رحلاته بها، ويرجع إليها ليبدأ رحلات جديدة.

أول الكارزين فيها بالإنجيل هم الذين تشتتوا بسبب الضيق بعد استشهاد القديس استفانوس، هذا الضيق الذي قام منذ حوالي خمس أو ست سنوات كما يقدر البعض. هكذا حول الله غضب الإنسان وعنفه بركة لكثيرين ومجدًا له في بلاد كثيرة. لقد نفذ المؤمنون وصية السيد المسيح أنهم متى اضطهدوهم يهربون من مدينة إلى أخرى، لكنهم وهم هاربون حملوا معهم الشركة الحية مع الله والشهادة لإنجيل المسيح أينما حلوا. لم يسيطر عليه الخوف من الضيق أو حتى الموت، بل شهوة الحب نحو البشرية لخدمتهم في المسيح يسوع. إذ نجحت الخدمة في اليهودية والسامرة والجليل خرجوا إلى ما وراء حدود كنعان ليكرزوا في فينيقية وجزيرة قبرص وسوريا. لكنهم كانوا يخدمون خلال مجامع اليهود فقط لاخوتهم اليهود، ويتركون الأمم، إما أن يتهودوا ثم يصيروا فيما بعد مسيحيين أو يبقوا كما هم.

**"ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرسيّون وقيروانيّون،**

**الذين لمّا دخلوا إنطاكية**

**كانوا يخاطبون اليونانيين،**

**مبشّرين بالرب يسوع". [٢٠]**

سبق فتحدث الإنجيلي لوقا عما سببه حوار استفانوس قبل استشهاده من ضيق شديد، فتشتت المؤمنون وصاروا يكرزون (أع ٨: ٤). هنا إذ يتحدث عن تأسيس

كنيسة أنطاكية يبدأ بالحديث عن دور الذين تشتتوا، إذ انطلقوا نحو البحر وساروا شمالاً مارين بمدن الساحل الكبرى مثل بيروت Berytue وأرادوس ولاودكية Leodicea وهي غير لاودكية آسيا الصغرى، حتى بلغوا أنطاكية في سوريا، ثم أبحروا غربًا حتى بلغوا قبرص.

كانت أنطاكية بلد سورية يونانية تحمل الثقافة السريانية ومعها الهيلينية، تقع على نهر الأورنتس، تعتبر المدينة الرومانية الثالثة بعد روما في الغرب والإسكندرية في الشرق. بدأت بذار المسيحية تُغرس فيها بسبب يوم الخمسين.

أخذ بعض المؤمنين الذين جاءوا من جزيرة قبرص ومن قيروان (ليبيا) إلى إنطاكية اتجاها آخر في الكرازة، هؤلاء كرزوا لليونانيين في إنطاكية. فمع وجود جماعة ضخمة لليهود في إنطاكية، إلا أن إنطاكية كانت أولاً أممية ولها ثقافة يونانية.

كان من أهم القبروسيين القديس برنابا الذي باع حقلاً كان يملكه وأعطى ثمنه للرسل (أع ٤: ٣٦-٣٧).

ومن بين القيروانيين سمعان القيرواني الذي حمل صليب ربنا يسوع، وابناه اللذان انتشرت بواسطتهم المسيحية في أنطاكية: اسكندر وروفس (مر ٥: ٢١؛ رو ١٦: ٣١).

هؤلاء كانوا يهودًا يتكلمون اليونانية لذلك دُعوا باليونانيين تجاوزًا.

يرى البعض أن كلمة "**اليونانيين**" هنا لا تعني اليهود الذين لهم ثقافة يونانية، بل اليونانيين من الأمم. وكأنه في إنطاكية ظهر فريقين فريق قادم من أورشليم واليهودية يكرزون في المجامع لليهود وللدخلاء من الأمم، وفريق قادم من قبرص وقيروان يكرزون بين اليونانيين الأمميين.

**"وكانت يد الرب معهم،**
**فآمن عدد كثير،**
**ورجعوا إلى الرب". [٢١]**

رافقتهم القوة الإلهية في كرازتهم، "**وكانت يد الرب معهم**"، وكما يفسر البعض

أن هذا التعبير يشير إلى عمل آيات وعجائب تسند كرازتهم (مر ١٦: ٢٠)، إذ كان الرب يعمل معهم وبهم. غير أن ما هو أعظم أن روح الله القدوس كان يعمل في قلوب السامعين فيتقبلوا كلمة الإنجيل ويتجاوبوا معها. كان روح الله ينقش الكلمة في قلوبهم، ويفتح بصيرتهم الداخلية لإدراك أسرارها.

كانت الكنيسة في أنطاكية تقف في الوسط بين كنيسة أورشليم التي ركزت بالأكثر على العبرانيين، وكنيسة الأمم التي كرز بها الرسول بولس وقد ركزت على الأمم، أما كنيسة أنطاكية فركزت على اليونانيين الأتقياء خائفي الرب، وهم يهود يتكلمون اليونانية. كان لها طابعها التقوي التقليدي، لذلك بذلت محاولات كثيرة لتهويد المسيحيين. ودخلت في صراع شديد مع القديسين بولس وبرنابا اللذين كانا يكرزان بين الأمم. حتى أدى الأمر إلى عقد مجمع في أورشليم لحسم الخلاف.

يعتبر القديس بطرس هو أول أسقف لأنطاكية، وكان منحازًا لليهود المسيحيين ظاهريًا، لكنه بقلبه كان يميل إلى المسيحيين الأمميين مما ألزم القديس بولس إلى مقاومته في هذا الأمر.

## ٥. القدّيس برنابا في إنطاكيّة

**"فسمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم،**
**فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى إنطاكية". [٢٢]**

أرسلت الكنيسة الأم في أورشليم برنابا لكي يثبت الكنيسة الناشئة هناك، كما سبق فأرسلت بطرس ويوحنا لتثبيت العمل الجديد في السامرة (أع ٨: ١٤-١٧)

اختيار برنابا دون أي رسول آخر يكشف عن حكمة الرسل، فإنه قبرصي يوناني، كان صالحًا وممتلئًا من الروح القدس والإيمان وسبق له الخدمة بين الأمم، لن يدخل في منازعات الختان والناموس، لذلك فهو أقدر على الخدمة هناك بين اليونانيين. ولعل كنيسة أورشليم وقد أدركت نمو الخدمة بين الأمم خشت أن تفقد صلتها بكنيسة الأمم.

**"الذي لمّا أتى ورأى نعمة اللّه،**

**فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب". [٢٣]**

أرسلت برنابا لتشجيع الكارزين والمؤمنين، ولكي تكشف عن فرحتها بعمل الله وسطهم. تتهلل الكنيسة بنجاحٍ عمل الرب خاصة في الأماكن التي لم تكن تتوقعها، فإنه ليس ما يفرح قلب الكنيسة مثل رؤيتها للنفوس وقد تركت الخطية والتصقت بالرب.

"**يثبتوا في الرب**"، فإذ ينضم الإنسان إلى الكنيسة تلاحقه التجارب، ويصب عدو الخير الضيقات عليه، لكي ينتزعه من الإيمان، يأسره في عدم الإيمان. لهذا فإن عمل الكنيسة هو تثبيت المؤمن في الرب، لتكون له معه شركة لا تقدر قوات الظلمة أن تفسدها.

"**بعزم القلب**": أي يكون للمؤمن الذهن الثابت والقلب الملتهب. فلا ينحرف عن خطة الله من نحوه (رو ٨: ٨؛ أف ١: ١١؛٣: ١١؛ ٢تي ١: ٩؛٣: ١٠). يشير عزم القلب إلى وضوح الهدف والثبات فيه دون انحراف أو تردد، فيبقى الإنسان مخلصًا في إيمانه.

**"لأنه كان رجلاً صالحًا،**
**وممتلئًا من الروح القدس والإيمان،**
**فانضم إلى الرب جمع غفير". [٢٤]**

إذ رأى عمل النعمة الإلهية في حياة الناس تهللت نفسه جدًا، والتهب قلبه فصار يعظهم ويثبتهم في الرب بشدة وقوة.

كلمة "برنابا" معناها "ابن الوعظ"، كان قلبه الممتلىء بالفرح والحامل روح القوة يشدده لمسانده الكثيرين بكلمات النعمة.

❖ إن وُجد أي شيء يُدعى صالحًا في الكتاب المقدّس مثل ملاك (طو ٥: ٢١) أو إنسان (مز ٣٧: ٢٣؛ ١١٢: ٥)، أو عبد (سيراخ ٧: ٢١)، أو كنز (طو ٤: ٩؛ لو٦: ٤٥)؛ أو قلب صالح (يهوديت ٨: ٢٨)، أو شجرة صالحة (٢ مل ٣: ١٩؛ مت ٧: ١٧-١٩)، هذه كلّها تُدعى هكذا باستخدام غير دقيق للكلمة، لأن الصلاح

الذي فيهم عرضي وليس جوهريًا[1].

**العلامة أوريجينوس**

## ٦. القدّيس برنابا يطلب شاول

**"ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول،**
**ولمّا وجده جاء به إلى إنطاكية". [٢٥]**

استخدمه الرب للعمل لتثبيت الذين في الداخل، ولجذب الذين في الخارج. كان يعمل لبنيان المؤمنين ولجذب غير المؤمنين. أما سرّ نجاحه فهو:

١. كان رجلاً صالحًا، فالله القدوس يُسر بأن يعمل خلال القديسين الذين تجاوبوا مع روحه القدوس بروح الحب والوداعة والتواضع والعذوبة.

٢. كان ممتلئًا من الروح القدس. لم يكن فقط محبًا ومتواضعًا، لكنه كان خاضعًا لقيادة روح الله الذي يملأ إنسانه الداخلي ويهبه ثماره.

٣. كان ممتلئًا من الإيمان المستقيم: له ملء الثقة في الحق الإلهي ووعود الله الصادقة. فلا يعتمد على قدراته ومواهبه، ولا على بره الذاتي وقداسته، بل على قوة الله ووعوده.

❖ جاء إلى المصارع القوي، القائد (اللائق بقيادة جيوش)، المقاتل في معركة منفردة، الأسد؛ تنقصني الكلمات التي أريدها: كلب الصيد، قاتل الأسود، الشبيه بالثور في القوة، سراج البهاء، الفم القادر على الحديث مع العالم[2].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

لعل نجاح القديس برنابا في خدمته بين الأمم ألهب قلبه للبحث عن شاول الذي دُعي لخدمة الأمم، حتى يعملا معًا. فالخادم الناجح يبحث دومًا عمن يعمل معه، طالبًا لا مجد ذاته، بل بنيان ملكوت الله على الأرض.

**"فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة،**
**وعلّما جمعًا غفيرًا،**

---

[1] *De Principiis, 1: 2: 13.*
[2] *Hom. on Acts, hom. 25.*

**ودُعي التلاميذ مسيحيين في إنطاكية أولاً". [٢٦]**

إذ وجده أخذه معه إلي إنطاكية، فقضيا معًا سنة كاملة، وهي تعتبر مدة طويلة بالنسبة لخدمة القديس برنابا أو القديس بولس، فقد شعرا بأهمية العمل هناك لتكون مركز إشعاع روحي قوي لخدمة الأمم في آسيا وأوروبا.

فرح برنابا، إذ عبر أبواب كيليكية التي تفصل بين الأقليم شمالاً وسوريا جنوبًا، حيث التقى بشاول الطرسوسي ليرجع به إلى أنطاكية، وكانا يعملان معًا في أنطاكية لمدة سنة كاملة. ارتبط الاثنان بصداقة حميمة في الرب، فالاثنان يحملان ذات الفكر من جهة غيرتهما وشوقهما للكرازة بين الأمم، وعدم الاستعباد لحرف الناموس القاتل. عمل معًا حيث التهبت الخدمة هناك، وشعر الرسولان ضرورة بدء اشعال العالم كله بنار الروح القدس ونور المسيح.

مع اهتمام القديس بولس بإنشاء كنائس جديدة في مناطق كثيرة، وكثيرًا ما كان هذا يكلفه خدمة يوم أو يومين أو أسابيع قليلة، كان يهتم أيضًا بإنشاء مراكز عمل يقضي فيها بعض سنوات. فقد قضى في أفسس ثلاث سنوات (أع ٢٠: ٣١)، وسنة ونصف في كورنثوس (أع ١٨: ١١).

رأى القديس لوقا أن يسجل حدثًا هامًا وهو دعوة المؤمنين لأول مرة "مسيحيين" في إنطاكية، لأنهم اتباع السيد المسيح. من الذي دعاهم هكذا؟ هل دعاهم أعداؤهم هكذا لتمييزهم كجماعة تُنسب ليسوع المسيح في نوعٍ من الاستخفاف، أم دعا التلاميذ أنفسهم هكذا كاعتزاز بشخص ربنا يسوع، ولكي يحمل اللقب مفهومًا لاهوتيًا وهو أن الإيمان المسيحي هو شركة مع السيد المسيح؟ غالبًا ما أراد اليونانيون المتنصرون أن يحملوا اسم المسيح كنوع من الاستقلال حيث كان كثيرون يتطلعون إلى التلاميذ كجماعة يهودية وليست دينًا مستقلاً. لقد أراد الأنطاكيون في صراعهم مع الذين هم من أهل الختان أن يتخلصوا من العادات اليهودية. في كل الأحوال لقد حمل اللقب تمييزًا خاصًا بهم، أنهم أتباع السيد المسيح، لهم سماتهم الخاصة ومشاعرهم وتعاليمهم ورجاؤهم الخاص، حتى وإن اختلفوا فيما بينهم من جهة الجنسية أو اللغة أو الثقافة.

كلمة "دعوا" في الأصل اليوناني معناها ليس مجرد لقب أو اسم، وإنما الالتزام بقيام بعملٍ لائقٍ، فمن يخدم القضاء يدعى قاضيًا. ومن يتبع المسيح ويتمتع بالشركة معه يُدعى مسيحيًا.

كثيرًا ما تُدعى جماعات معيّنة على اسم المعلم الذي يقودهم، فالأفلاطونيّون مدينون لأفلاطون بتعاليمه، وأيضًا الأبيقوريّون لأبيقور الخ. أمّا بالنسبة للسيّد المسيح، فالمسيحيّون يدينون له، ليس فقط بتعاليمه، وإنّما بحلوله فيهم، حيث يثبتون فيه وهو فيهم. يتمتّع المسيحيّون بالشركة مع مسيحهم، بالاتّحاد معه كرأسٍ للجسد الواحد.

حقًا، لقد دعوا قبلاً **تلاميذ** بكونهم يتتلمذون على يديه ويسلكون حسب منهجه، كما دُعوا **قدّيسين** لأنّهم يعتزّون ببرّه وقداسته حيث يسلكون كأيقونة له. ودُعوا أيضًا **مؤمنين**، لإيمانهم به، ويُدعون **كنيسته** لأنّهم شعبه الحال في وسطهم. وكان المقاومون لهم يدعونهم **الناصريّين** نسبة إلى يسوع الناصري للاستهانة به وبهم، وأيضًا **الجليليّين** لأن التلاميذ كانوا من الجليل غير متعلّمين. ودُعوا أيضًا **أصحاب الطريق**، وربّما دعوهم **مسيحيّين**. على أي الأحوال إنّنا نعتزّ بهذا اللقب، فهو في أعيننا لقب مجيد نفخر به، وهبة أنعم بها علينا إلهنا. وقد ورد في العهد الجديد ثلاث مرّات: هنا وفي أع٢٦: ٢٨؛ ١بط٤: ١٦.

إدراكنا أن اسم يسوع المسيح يحمل قوّته ويمثّل حضوره الإلهي يجعلنا بالأكثر نعتزّ بهذا اللقب.

- إنك تدعوني مسيحيًا، كما لو كان هذا الاسم لعنة لمن يحمله، أما من جهتي فإنني أجاهر بأني مسيحي، وأحمل هذا الاسم المحبوب لدى الله، راجيًا أن يكون في ذلك خدمة الله[1].

- أما عن سخريتك بي بدعوتي مسيحيًا، فأنت لا تعرف ما تقول: أولاً لأن ما يُمسح فهو حلو وخادم وبعيد عن ما هو مزدري به... أية سفينة يمكن أن تستخدم وتتأهل للإبحار ما لم تُدهن (بالقار) أولاً؟ وأية قلعة أو منزل يكون جميلاً أو نافعًا ما لم

[1] *Theophilus to Autolycus, 1:1.*

يُدهن؟... ونحن نُدعي مسيحيين لأننا نُمسح بدهن الله[1].

**القديس ثيؤفيلس الأنطاكي**

## ٧. إنطاكيّة تسند أورشليم

**"وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى إنطاكية". [٢٧]**

بينما كان القديسان برنابا وبولس في إنطاكية جاء أنبياء من أورشليم. غالبًا ما يقصد بالأنبياء المعلمين الذين يكرزون بالأمور السماوية المستقبلية، وليس بالضرورة يتنبأون عن أحداث زمنية مقبلة، إنما بالأكثر قادرون على تفسير الأسرار السماوية. كان الروح القدس يكشف لهم أحيانًا عن أحداث مقبلة تمس كيان الكنيسة والكرازة، لا لاستعراض معرفتهم، وإنما لأجل بنيان النفوس، ولمعالجة بعض المتاعب كما سنرى هنا عن تنبوء أغابوس عن المجاعة التي تسود المسكونة. هؤلاء غالبًا ما سمعوا عن نجاح الخدمة في إنطاكية فشعروا بالالتزام للعمل في مساندة القديسين برنابا وبولس.

هنا يبدأ القديس لوقا موضوع اتصال كنيسة أنطاكية بكنيسة أورشليم على أثر المجاعة.

**"انحدر أنبياء من أورشليم"**: تحدث سفر الأعمال عن وجود أنبياء في كنيسة العهد الجديد (أع ١٣: ١؛ ١٥: ٣٢؛ ٢١: ١٠) بينما كانت النبوة منقطعة عن إسرائيل بعد العودة من السبي البابلي. جاء في سفر المكابيين الأول: "فوضعوا الحجارة (الخاصة بمذبح المحرقة المهدم) في وضعٍ لائقٍ به إلى أن يأتي نبي ويجيب عنها" (١ مك ١: ٤٦)، فحل بإسرائيل ضيق عظيم لم يحدث مثله منذ لم يظهر فيهم نبي" (١ مك ٩: ٢٧). "وأن كهنتهم قد حسن لديهم أن يكون سمعان رئيسًا وكاهنًا أعظم مدى الدهر إلى أن يقوم نبي أمين" (١ مك ١٤: ٤١). ظهرت النبوة في العهد الجديد تتمثل أولاً في الشهادة للسيد المسيح بالروح القدس الساكن فيهم، وأن يعلنوا عن الحق الإلهي، ويخبروا بأمور مستقبلية لبناء ملكوت الله.

---

[1] *Theophilus to Autolycus, 1:12.*

يعلق أمبروسياستر على قول الرسول بولس: "فوضع الله أناسًا في الكنيسة أولاً رسلاً، ثانيًا أنبياء، ثالثًا معلّمين..." (١كو١٢: ٢٨)، قائلاً: [وضع بولس الرسول الرسل على رأس الكنيسة... يوجد نوعان من الأنبياء، أولئك الذين يتنبأون عن المستقبل، والذين يفسّرون الأسفار المقدّسة. الرسل أيضًا هم أنبياء، لأن الرتبة العُليا تضم فيها كل ما هو تحتها. حتى الأشرار مثل قيافا نطق بنبوات خلال قوّة (سلطان) الرتبة، وليس لفضيلةٍ ما فيه (يو١١: ٤٩-٥١)[1].]

**"وقام واحد منهم اسمه أغابوس،**
**وأشار بالروح أن جوعًا عظيمًا**
**كان عتيدًا أن يصير على جميع المسكونة،**
**الذي صار أيضًا في أيام كلوديوس قيصر". [٢٨]**

أشار كثير من المؤرخين الرومانيين إلى هذه المجاعة التي حلت في السنة الثانية لمُلك كلوديوس قيصر، واستمرت حتى السنة الرابعة ما لم يكن إلى أكثر من هذا.

لقد بعث الله للعالم خبز الحياة، بل جاء كلمة الله نفسه متجسدًا كي يشبع النفوس، وإذ رفضوه حلت المجاعة، إذ صارت الأرض قحطًا. في القديم، تنبأ يوسف عن المجاعة وكانت الحاجةِ ملحة لإنشاء مخازن قمح لأجل إشباع الكثيرين أثناء السبع سنوات التي للجفاف. أما الآن فإذ يعلن أغابوس عن المجاعة، فالحاجة مُلحة، لا إلى بناء مخازن، بل إلهاب القلوب بالحب والحنو على الآخرين، هذا الذي يهب شبعًا لمن يعطي ولمن يأخذ، يفرح الأغنياء مع المحتاجين من أجل كنوز الحب العملي، فتتبارك الأرض (مز ٤١: ١-٢).

ذكر أغابوس أيضًا في أع ٢١: ١٠-١١ إذ تنبأ لبولس الرسول عما سيحل به من الأمم.

**"جميع المسكونة"**، غالبًا ما تشير إلى العالم المسكون، أي الجزء من الأرض

---

[1] *Comm. On Paul' Epistles 1Cor 12:28.*

الذي يسكنه بشر ويستخدمونه، أحيانا يُستخدم بمعنى كل منطقة اليهودية أو جميع منطقة دولة ما.

**كلوديوس قيصر:** بدأ حكمه عام ٤١م، ملك لمدة ١٣ عامًا، وأخيرًا مات مسمومًا بواسطة إحدى زوجاته أغريبينا لكي يستلم ابنها نيرون العرش. كانت أيام حكمه مليئة بالقلاقل والمحن التي رافقتها أيام قحط وجوع، ربما بسبب اضطهاده التي أخلّت بالنظام والأمن مع فساد الحكم وانهيار اقتصاديات البلاد. أثناء حكمه حدث على الأقل أربع مجاعات أشار إليها الكتّاب لقدامى إحداها كانت مجاعة قاسية للغاية حلت في اليهودية ؛ غالبًا هذه هي ما يشير إليها الكتاب المقدس هنا.

١. المجاعة الأولى في روما، حدثت في السنة الأولى أو الثانية من ملك كلوديوس، سببها صعوبة استيراد المئونة من الخارج.
٢. المجاعة الثانية حدثت على وجه الخصوص بطريقة عنيفة في اليونان، يقول يوسابيوس إنها حدثت في السنة التاسعة من حكم كلوديوس.
٣. المجاعة الثالثة في الفترة الأخيرة من حكمه عام ٥١م، حدثت في روما، أشار إليها سوتينوس وتاكيتوس الذي اعتبرها تأديبًا إلهيًا.
٤. المجاعة الرابعة: حدثت على وجه الخصوص في اليهودية. قال يوسابيوس إنها كانت عنيفة، وهي في أيام كلوديوس، وقد مات كثيرون بسبب قلة الطعام. أرسلت الملكة هيلينا بعض خدمها إلى الإسكندرية ليشتروا قمحًا، وآخرين إلى قبرص لشحن تين مجفف.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن رجال أنطاكية لم ينتظروا حتى تحل المجاعة، بل تحركوا قبل أن تحدث، أرسل كل واحد حسبما تيسر.

كثيرًا ما يتحدث الآباء عن الجمع للفقراء أنه نافع للفريقين للذي يعطي، إذ العطاء غذاء للنفس، يهبها النمو والنضوج الروحي، ونافع للمحتاجين حيث ينالوا احتياجاتهم المادية.

❖ هذا الجمع له نفع مزدوج، فإنه يعين القديسين المذكورين بعالية (١ كو ١٦: ١)،

ويعين الشعب الفقير الذي في الكنيسة[1]

**أمبروسياستر**

يئن **القديس يوحنا الذهبي الفم** لأن الكنيسة في عصره لم تفعل ما فعله رجال أنطاكية، فمع وجود مجاعة أكثر خطرًا إلا أنه ليس من يبالي بها. ما هي هذه المجاعة؟ يقول: [توجد مجاعة لها جانبان، كما يوجد فيض له جانبان. إنها مجاعة قاسية، مجاعة ليس في الاستماع لكلمة الرب، بل مجاعة للانتعاش بالصدقة. فقد انتفع كل من الفقراء في اليهودية والمتيسرين في إنطاكية الذين قدموا مالاً. نعم، لقد انتفع هؤلاء أكثر من أولئك، أما الآن، فإننا نحن فقراء، في جوعٍ. الفقراء في عوزٍ إلى الضروريات، ونحن في (مجاعةٍ حيث) نمارس الحياة المترفة التي تنقصها رحمة الله. وهذا (العطاء) هو طعام ضروري ليس أكثر من أي شيء آخر. إنه طعام به تُزال تخمة الشرور... ليس شيء أكثر جمالاً ولا أكثر صحة من النفس التي تنتعش بهذا الطعام. فإنها ترتفع فوق كل مرضٍ وكل وباءٍ وكل سوء هضمٍ وكل فسادٍ. ليس من يقدر أن يغلبها. هكذا كما أنه إذا كان جسد شخص ما مصنوعًا من الماس فإنه لا يستطيع الحديد أو أي شيء آخر أن يحمل قوة لأذيته، هكذا النفس التي تندمج تمامًا مع الصدقة ليس شيء قط يقدر أن يقهرها[2].]

❖ أي شيء أكثر عريًا من ذاك الغني الذي كان يلتحف بالأرجوان؟ ومن كان أكثر فقرًا من لعازر؟ ومع هذا فمن الذي كان ينطق بكلمات الشحاذين؟ من منهما كان في فيض؟ قولوا لي: إن زين أحد بيته بفيض من الستائر الفاخرة، بينما هو في الداخل يجلس عريانًا، فما المنفعة؟ هذا هو حال هؤلاء النسوة (اللواتي يلبسن الثياب الفاخرة ويتجاهلن الفقراء). حقًا إن الجسد هو بيت النفس، يزينونه بالثياب الفاخرة، وأما سيدة البيت فجالسة في الداخل عارية. أقرضني عينيِ النفس، وأنا أريك عري النفس. فما هو ثوب النفس؟ حتمًا الفضيلة. وما العري؟ الرذيلة... لنرتدي مجد المسيح، ولنلتحف بذاك الجمال، فنُمدح هنا، وننالِ البركات الأبدية بنعمة ورحمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والسلطان والكرامة مع الآب والابن إلى أبد الأبد

[1] *Comm. on Paul's Epistles.*
[2] *Hom. on Acts, hom. 25.*

وإلى انقضاء الدهر[١].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

يبدو أن لوقا البشير كان في أنطاكية في ذلك الحين، إذ جاء في النسخة المسماة بيزا Beza Text "نطق بنبوته هذه ونحن مجتمعون". جاء في التقليد الكنسي أن لوقا البشير كان مواطنًا أنطاكيًا. جاء في مقدمة تفسير إنجيل لوقا (سنة ١٧٠) في الوثيقة المضادة للهرطوقي مارقيون: "إن لوقا كان مواطنًا أنطاكيًا من سوريا"، ويشير كل من يوسابيوس القيصري[٢] والقديس چيروم[٣] إلى هذه الحقيقة.

**"فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم،**
**أن يرسل كل واحد شيئًا،**
**خدمة إلى الإخوة الساكنين في اليهودية". [٢٩]**

أخذ الكل النبوة كأمرٍ صادرٍ من الله، وفي جدية جمعوا من الكل، حسب إمكانيات كل واحدٍ منهم. لم يذكر أن الأغنياء هم الذين ساهموا في العطاء للمحتاجين، إنما ساهم كل واحدٍ قدر إمكانياته، ليمارس الكل حياة الشركة القائمة على الحب والوحدة.

**"ففعلوا ذلك،**
**مرسلين إلى المشايخ بيد برنابا وشاول". [٣٠]**

يرى كثير من الدارسين إن هذه الرحلة التي قام بها الرسولان لخدمة فقراء اليهودية هي التي أشير إليها في غل ٢: ١.

جاءت كلمة "الشيوخ؟ في اليونانية تعني كهنة كبار في السن. هذه هي المرة الأولى التي يشار فيها إلى الكهنة في سفر الأعمال.

واضح أن برنابا وشاول بعثا بهذه الارسالية بيد رؤساء الشعب (الأراخنة من الشعب) قبل بدء المجاعة، أما الرسولان فاحتفظا بخدمة الكلمة (أع ٦: ٢).

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 25.*
[2] *H.E. 3: 4.*
[3] *Illust. Men, 7, Preface in Comm. on Matthew.*

لقد عانت الكنيسة من متاعبٍ ماديةٍ حتى في غير وقت المجاعة، وقد اهتمت الكنائس في الأمم بفقراء أورشليم، فكانت تسند الكنيسة الأمم ماديًا (غل ٢: ١٠)، وهذا ما اعتنى به الرسول بولس (١كو ١٦: ١)، وقد أشار القديس بولس إلى ذلك في خطابه أمام فيلكس الوالي: "وبعد سنين كثيرة جئت أصنع صدقات لأمتي وقرابين..." (أع ٢٤: ١٧).

**من وحي أعمال الرسل ١١**

**لأفرح بعطيّتك لكلك نفس!**

❖ هب لي بروحك القدّوس أن أشاركك حبّك لكل البشر.
مشتهيًا بالحق أن يتمتّع العالم كلّه بشركة مجدك.

❖ انزع عنّي الفكر الضيّق،
حتى لا يقتلني الحرف الجامد.
بل أبقى متهلّلاً مع كل الكنيسة بامتداد ملكوتك.

❖ روحك القدوس عجيب في عطاياه.
يعمل في حياة الكثيرين بلا انقطاع.
أعطيت الرسول بطرس حكمة، فكسب ناقديه.
رفعهم بالحكمة والنعمة فوق الحرف.
وكشف لهم عن عملك العجيب وسط الأمم.
حوّل نقدهم وخصومتهم إلى تسبحة مجد لك.
لم يسعَ أن يبرّر نفسه،
لكنّه سعى أن يمجّدك في حبّك للكل!
عِوض مرارة الخصومة، صار لهم روح الفرح والتهليل!
لم يتحدّث معهم من مركز صاحب سلطان،
ولا حاور معهم كمتّهمٍ،
لكنّه بالحب الصادق والتواضع أعلن لهم أسرار حبّك.

- أعطيت الرسول برنابا غيرة متّقدة.

لم يطلب ما لنفسه، بل ما هو لك.

سعى بجدّيّة، فاجتذب شاول ليعمل معه.

خدما معًا سنة كاملة في أنطاكية.

بحبّهما المشترك لك وللنفوس صارت أنطاكية مدينة الله العظيمة.

تحوّلت إلى مركز يشع بنورك على أمم كثيرة.

- في تهليل نسبّ المؤمنون أنفسهم لك.

حسبوا أنفسهم غير أهلٍ أن يُدعوا مسيحيّين.

وفي سخريّة دعاهم المقاومون بذات الاسم كمَن هم في عارٍ.

تهلّل المؤمنون كمن هم في مجدٍ لا يُعبّر عنه.

وفي جهالة عاش المقاومون يفسدون حياتهم.

- أنطاكية الأممية فتحت قلبها لأورشليم.

قدّمت مع مالها حبّها للفقراء القدّيسين.

قدّمت مالاً للغير، وتسلّمت شبعًا من واهب العطاء.

وهي تعطي أخذت من خالق السماء،

وهي تحب ذاقت الحب الإلهي الفائق.

# الأصحاح الثاني عشر

# هيرودس أم بطرس الرسول؟

انتهت الخصومة في داخل كنيسة أورشليم إلى تقديم ذبائح شكر وتسبيح لله الذي فتح أبواب الإيمان للأمم. وازدهرت الخدمة في إنطاكية على يديّ القدّيسين برنابا وشاول، وصارت أنطاكية سندًا لأورشليم في احتياجاتها الماديّة. الآن جاءت الحرب من الخارج حيث مدّ هيرودس الملك يده فقتل يعقوب الرسول. ظنّ أنّه قادر أن يقتل بقيّة الرسل، فسجن بطرس أثناء عيد الفصح ليقتله، لكن الرب أنقذ بطرس بصلوات الكنيسة المجتمعة معًا تصلّي بلجاجة، وضرب ملاك الرب هيرودس المتعجرف.

| | |
|---|---|
| ١. هيرودس يقتل الرسول يعقوب | ١-٢. |
| ٢. سجن بطرس الرسول | ٣-٥. |
| ٣. خلاص بطرس من السجن | ٦-١١. |
| ٤. القدّيس بطرس في العلّية | ١٢-١٧. |
| ٥. اضطراب العسكر | ١٨-١٩. |
| ٦. ملاك الرب يضرب هيرودس | ٢٠-٢٥. |

## ١. هيرودس يقتل الرسول يعقوب

تحركت السماء لفتح باب الإيمان أمام الأمم لكي يتمتع العالم كله بالخلاص. فتمتع بطرس الرسول برؤيا سماوية ليخرج من دائرة الحرفية اليهودية ويذهب يبشر كرنيليوس، وهو ضابط أممي، هو وأهل بيته. كما تمتع شاول الطرسوسي برؤية السيد المسيح نفسه ليعده إناءً مختارًا للكرازة بين الأمم. لم يحتمل عدو الخير ذلك، فأثار هيرودس الملك، فمد يده وقتل يعقوب الرسول أسقف أورشليم، وأراد أن يمد يده على بقية الرسل.

منذ اهتداء شاول الطرسوسي إلى الإيمان، لم نسمع عن موجات اضطهاد

عنيفة في أورشليم ضد القديسين. الآن ظهرت موجة من جانب آخر، أي من السلطات المدنية.

**"وفي ذلك الوقت مد هيرودس الملك يديه،**

**ليسيء إلى أناس من الكنيسة". [١]**

**هيرودس أغريباس:** وهو ابن أرستوبولس Aristobulus الحفيد الأكبر لهيرودس الكبير من المدعوة مريمن Mariammne، أحدى الأميرات الحشمونيات[1]. وُلد سنة ١١ ق.م.، وذهب إلى روما مع أمه ليتعلم هناك بعد إعدام أبيه أرستوليوس سنة ٧ ق.م. كوَّن صداقة مع أفراد عائلة الإمبراطور، وخاصة مع غايس كاليجولا Caligula ابن أخت الإمبراطور طيباريوس. وإذ صار غايس إمبراطورًا عام ٤٧م منحه المناطق التي كانت تحت حكم فيلبس وليسانيوس في شمال سورية (لو ٣: ١)، كما منحه لقب "ملك". بعد سنتين أضاف إليه أعمال مناطق الجليل وبيريه.

بعد اغتيال غايس صار كلوديوس قيصر إمبراطورًا في سنة ٤١م، فأضاف إلى الملك أغريباس منطقة اليهودية وأراضي باتانيا Batania وتراخونيتس Trachonitis والجليل والسامرة.

تقول المشناة إنه اجتذب مشاعر اليهود لما قام في أحد الأعياد اليهودية ومسك التوراة وقرأ قانون تدبير المملكة (تث ١٧: ١٤-٢٠)، وكان عيد المظال، وكانت السنة سبتية حيث يتم فيها إراحة الأرض (لا ٢٥: ١-٧). ولما جاء نص الآية التي تقول: "لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبيًا ليس هو أخوك" (تث ١٧: ١٥) بكى بصوتٍ مسموعٍ لأنه ينتسب إلى عائلة أدومية، هي عائلة الهيرودسيين. تأثر الشعب إذ تذكروا أنه أيضًا من عائلة حشمونية يهودية مكابية فصرخوا: "لا تجزع، أنت أخونا أيضًا". اتسع مُلكه ليشمل جميع الأراضي التي كان يحكمها هيرودس الكبير جده.

كان من أعمامه أرخيلاوس (مت ٢: ٢٢) وهيرودس أنتيباس Herod Antipas الذي قطع رأس يوحنا المعمدان (مت ١٤: ١-١٢)، وكانت أخته هيروديا

---

[1] الحشمونيون هو الاسم العائلي لجماعة المكابيين نسبة لأحد شخصياتهم البارزة.

الراقصة.

مّد هيرودس يده على بعض المؤمنين، غالبًا من عامة الشعب، مع أثار مضيقات لهم كنوعٍ من جس النبض. وإذ رأى رضا اليهود وسرورهم بسلوكه هذا تطاول وارتكب جريمة قتل الرسول يعقوب بالسيف.

❖ هذا نوع جديد من المحن. لاحظوا ما قلته منذ البداية كيف امتزجت الأمور معًا، كيف اختلطت الراحة مع المتاعب معًا في نسيج التاريخ كله. الآن ليس اليهود ولا السنهدرين وإنما الملك يقاوم. قوة أعظم، وحرب أشد، وقد تم هذا لإرضاء اليهود... يا له من شر متزايد! لحساب من يرضيهم بارتكاب جرائمٍ كهذه بدون تدبيرٍ أو تعقلٍ؟[1]

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

**"فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف". [٢]**

القديس يعقوب الرسول هو أول شهيد بين الرسل، أثرت حياته التقوية على السجان، فآمن بالسيد المسيح ونال الاستشهاد معه[2]. وهو غير يعقوب بن حلفى، ويُدعى يعقوب الصغير الذي استشهد في عصر نيرون بواسطة حنان. لقد تحقق قول السيد المسيح له ولأخيه: "أما الكأس التي أشربها أنا فتشربانها، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان" (مر ١٠: ٣٩). إنه أحد أعمدة الكنيسة المعتبرين "بطرس ويعقوب ويوحنا".

لعل غيرته المتقدة للشهادة للسيد المسيح القائم من الأموات والكرازة بإنجيل الخلاص وعمله الرعوي الذي لا يخمد، هذا كله أثار هيرودس ليبدأ بقتله بالسيف. لم يروِ لنا الإنجيلي لوقا شيئًا عن أحداث استشهاده كما فعل بالنسبة للاستشهاد استفانوس.

كان اليهود يوقعون عقوبة الموت بإحدى أربعة طرق، وهى الرجم أو الحرق أو القتل بالسيف أو الشنق. وكان قطع الرقبة بالسيف عقوبة يستخدمها اليهود كما

[1] *Hom. on Acts, hom. 26.*
[2] *Eusabius: H.E. 2: 9.*

الرومان، يشير إليها التلمود[1].

❖ فعل هذا بالرغم من التحذيرات غير المحصاة في حالتي جده ووالده هيرودس، كيف عانى الأول من مصائب كثيرة إذ قتل الأطفال، والأخير صار في حرب خطيرة إذ قتل يوحنا (المعمدان)[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

## ٢. سجن بطرس الرسول

**"وإذ رأى أن ذلك يُرضي اليهود،**
**عاد فقبض على بطرس أيضًا،**
**وكانت أيام الفطير". [٣]**

استشهد القديس يعقوب أخي يوحنا سنة ٤٤م، وهي نفس السنة التي مات فيها هيرودس. استحسن اليهود قتل يعقوب الرسول، وإذ شعر هيرودس بذلك أراد أن يثبِّت دعائم ملكه على اليهود، فقبض على بطرس الرسول في أيام الفطير، كأنه يود أن يطهِّر الأمة اليهودية من خمير الشر، حتى يعيدوا الفصح بفرح. لكن الله لم يمهله حتى يقتل أيضًا بطرس الرسول. سمح الله باستشهاد يعقوب، ولم يحن وقت استشهاد بطرس، إذ بقيت له رسالة حتى ينال إكليل الشهادة على يد نيرون.

سفك دم القديس يعقوب لم يُشبع شوق هيرودس المحب لسفك الدماء بل زاده عطشًا لذلك. لذا بدأ يضع خطة لسلسلة من سفك دماء بقية قادة الكنيسة، فابتدأ بالقديس بطرس. هذا من سمات كل الخطايا، ليس من خطية يمكنها أن تحقق شبعًا للنفس، لكن مع بداية ممارسة الخطية، ولو في صورة بدائية، يصير للخطية الحق أن تسحب القلب والفكر وكل طاقات الإنسان لسلسلة من الممارسات لا تنقطع. ومع كل ممارسة تؤكد الخطية حقها في السيادة على قلب الإنسان وسلطانها على توجيه إرادته حسبما تشاء! بل وكل خطية تحدر الإنسان إلى أسفل لتسلمه إلى خطية أخرى، ويبقى في تدحرج مستمر ما لم تسنده نعمة الله بالتوبة الصادقة.

---

[1] *Sanhedr., Fol.!!!*
[2] *Hom. on Acts, hom. 26.*

**"ولما أمسكه وضعه في السجن،**
**مسلمًا إيّاه إلى أربعة أرابع من العسكر ليحرسوه،**
**ناويًا أن يقدمه بعد الفصح إلى الشعب". [٤]**

لم يكن ممكنًا أن يقتل بطرس في الحال إذ كانت أيام الفطير، وكانت المدينة مزدحمة من القادمين ليس فقط من اليهودية بل ومن دول كثيرة. خشي أن يتعاطف معه اليهود الغرباء الذين يحملون نوعًا من التحرر من جهة حرف الناموس، خاصة وأنه وضع في خطته أن يحاكمه علانية، مقدمًا إياه للشعب.

إذ خشي أن يهرب بعد قتل يعقوب أمسكه، ووضعه في السجن تحت حراسة مشددة "أربعة أرابع من العسكر". وقدر ما كانت الأوامر مشددة بالحراسة صار الخلاص عجيبًا! وُضعت هذه الحيطة خشية أن يتعاطف معه أحد أعوان المسيحيين من العاملين في السجن فيخطط لهروبه.

❖ لم يهرب خادم الله، بل وقف بثبات دون مرور أي فكر للخوف. صلّت الكنيسة من أجله، أما الرسول فنام في السجن علامة أنه لم يكن في خوف. أُرسل ملاك ليوقظه إذ نام، واقتاد بطرس خارج السجن، وهرب من الموت إلى حين[1].

**القديس أمبروسيوس**

**"فكان بطرس محروسًا في السجن،**
**وأمّا الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة إلى الله من أجله". [٥]**

ماذا فعل السجن؟ وماذا أمكن للحراسة المشددة أن تعمل؟ لقد تزكى بطرس الرسول كإنسانٍ شجاعٍ يقبل الضيق بفرحٍ من أجل الرب، وتمتعت الكنيسة بحياة الصلاة بلجاجة، وتحركت السماء للعمل، وآمن حارس السجن وأهل بيته. كان النفع عجيبًا لحساب ملكوت الله!

شعرت الكنيسة بجدية عزم هيرودس على قتله، فالتهب قلب الكنيسة ليس خوفًا على موت بطرس، وإنما لكي يكمل رسالته، شعرت الكنيسة أن المعركة ليست

[1] *Sermon against Auxentius, 12.*

بين الملك والقديس بطرس، بل بين مملكة المسيح وقوات الظلمة، لذا صارت تصلي بلجاجة إلى الله.

جاءت الكلمة اليونانية تعني **بغيرة متقدة**، وأيضًا **مثابرة**. هذا هو سلاح الكنيسة القوي، الصلاة الجماعية الحارة بلا انقطاع، خاصة وهي تحمل مع الإيمان بعمل الله وقدرته علي الخلاص رائحة الحب والتسليم، حب لله ولبعضهم البعض.

❖ إنها صلاة تصدر عن حب (بنوي) مُقدم من أبٍ، ومن أجل أبٍ لطيفٍ[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الجميع قدموا الصلاة بلجاجة دون دخول في مناقشات أو انقسامات، كما لم يستخف أحد بنفسه كيف يصلي من أجل الرسول، فإن الحب لن يسمح لمثل هذه الأفكار أن تتسلل إليهم.

❖ صلى دانيال، وصلاته سدت أفواه الأسود (دا ٦)، أُغلق الفم المفترس أمام جسد البار وعظامه... صلواته أيضًا ردت السبي بعد إتمام السبعين سنة.(دا ٩: ٢٣). هكذا تسلح كل واحدٍ من آبائنا السابقين بسلاح الصلاة عندما قابلتهم شدائد، وبالصلاة خلصوا من الضيق[2].

**الأب أفراهات**

❖ يليق بنا ألا نقصر خدمتنا (صلواتنا) على أوقات معينة ثابتة للسواعي، بل أمرنا الرسول أن نصلي في كل حين (أف ٦: ١٨) بالروح، وأن نبقى ساهرين في الصلاة في كل لحظة، مصلين على الدوام بلا انقطاع. مرة أخرى يقول: "لتُعلم طلباتكم لدى الله" (في ٤: ٦) بكل أنواع الطلبة. "مواظبين على الصلاة" (رو ١٢: ١٢). "امتلئوا بالروح، مكلمين بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب" (أف ٥: ١٨-١٩). يحدثنا في كل موضع في رسائله بقوة أن نثابر على الصلاة، لأنه يعرف أن **الصلاة هي سلاح القدير للمسيحيين، وحصن منيع، يصير قويًا بالله. الصلاة تفعل ما تشاء، حسب قدرة**

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 26.*

[2] *Aphrahat: Demonstration4, on prayer, 9.*

**(إرادة) الله. أنها تصدر أوامر على الأرض وترتد إلي السماء**[1].

**الأب مارتيروس**

يليق بنا الإشارة إلى الخط الواضح في إنجيل لوقا وأعمال الرسل ألا وهو الصلاة. فيقدم لنا لوقا الإنجيلي يسوع المسيح صديقًا لكل البشرية. هذه الصداقة التي قدم ثمنها مسيحنا، دمه على الصليب، تستلزم منا الحديث المستمر معه. نذكر على سبيل المثال:

* أثناء عماد السيد المسيح: "إذ كان **يصلي** انفتحت السماء" (لو ٣: ٢١)
* وقبل اختياره للتلاميذ الإثني عشر "خرج إلي الجبل **ليصلي**، وقضى **الليل في الصلاة** لله" (لو ٦: ١٢).
* وفي تجليه: "صعد إلى الجبل **يصلي**، وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة" (لو ٩: ٢٨-٢٩).
* قدم السيد المسيح ثلاثة أمثال عن الصلاة: صديق نصف الليل (لو ١١: ٥-١٣)؛ القاضي الظالم والأرملة "ينبغي أن **يُصلي كل حين ولا** يُمل" (لو ١٨: ١-٨)؛ مثل الفريسي والعشار اللذين صعدا إلى الهيكل ليصليا (لو ١٨: ٩-١٣).
* عند حديثه عن نهاية الأزمنة ختم خطبته بالقول: "اسهروا إذًا **وتضرعوا في كل حين** لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة من الجميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا أمام ابن الإنسان" (لو ٢١: ٣٦).

أما سفر الأعمال فهو سفر **الكنيسة المثابرة على الصلاة.**

* هؤلاء كانوا يواظبون **بنفسٍ واحدة على الصلاة والطلبة**" (أع ١: ١٤).
* "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز **والصلوات**" (أع ٢: ٤٢).
* "كانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة... **مسبحين الله**" (أع ٢: ٤٦-٤٧).
* **صلواتك وصدقاتك صعدت تذكرًا أمام الله**" (أع ١٠: ٤).
* "وأما الكنيسة فكانت تصير منها **صلاة بلجاجة** إلى الله من أجله" (أع ١٢: ٥).
* "**كان كثيرون مجتمعين وهم يصلون**" (أع ١٢: ١٢).

---

[1] *Martyrius: Book of Perfection, 39-40.*

## ٣. خلاص بطرس من السجن

**"ولما كان هيرودس مزمعًا أن يقدمه،**
**كان بطرس في تلك الليلة نائمًا بين عسكرين، مربوطًا بسلسلتين،**
**وكان قدام الباب حراس يحرسون السجن". [٦]**

كان السجين في النظام الروماني يُربط بسلسلة في خسر يده اليمنى ونهايتها في يد الجندي اليسرى، وتُترك يده اليمنى حرة لإبطال أية محاولة لهروب السجين. وفي الحالات الخطيرة يُربط السجين بيديه اليمنى واليسرى مع جنديين، واحد من كل جانب، ويحرس جنديان باب الزنزانة. لعل هذا الأجراء التحفظي تم بالنسبة للقديس بطرس كسجينٍ خطيرٍ بناءً على توصية من رئيس الكهنة، كما سبق فأوصى بختم القبر لئلا يأتي التلاميذ ويسرقون الجسد.

هكذا كانت قوات الظلمة تشعر بضعفها، وتبذل كل جهودها لتحبس عمل الله وتحّجمه، أما بطرس الرسول فكان نائمًا، لا يشغله ما سيحل به من مخاطر. كان بينه وبين الموت خطوة، أما هو فكان يحمل في داخله واهب القيامة، ومعطي السلام الفائق.

**"وإذ ملاك الرب أقبل،**
**ونور أضاء في البيت،**
**فضرب جنب بطرس وأيقظه، قائلاً: قم عاجلاً،**
**فسقطت السلسلتان من يديه". [٧]**

كانت الكنيسة تصلي بلجاجة ولم تدر أن الله قد سمع صلاتها، وتحركت السماء ليضيء ملاك الرب بالنور السماوي في الزنزانة المظلمة. تعجل ملاك الرب القديس بطرس، فضربه في جنبه في حنوٍ ورقةٍ بالقدر الذي به يوقظه. وسأله أن يقوم عاجلاً، ويتمتع بعمل الله العجيب! ويفّرح قلوب المجتمعين بالصلاة، فيدركوا تحقيق الوعد الإلهي: "أفلا ينصف الله مختاريه، الصارخين إليه نهارًا وليلاً، وهو متمهل عليهم؟ أقول لكم إنه أنصفهم سريعاً" (لو ١٨: ٧-٨).

ألقى الرب على الجنديين ثباتًا فناما نومًا عميقًا، ولم يشعرا بالنور الملائكي ولا بسقوط السلسلتين من يدي القديس بطرس. سقطت السلسلتان المحكمتان الإغلاق،

إذ لم يكن ممكنًا للقيود الحديدية أن تقف أمام أمر الله بإطلاق الأسير. ذاك الذي يطلق الأسرى في القبور، ويهب الموتى الحياة، والذي يحلّ رباطات الخطية المرة، لا يصعب عليه أن يحل القيود من يدي رسوله، فلا تبقى مطبقة إلاَّ على أيدي الحراس.

تمتع الرسول في تلك اللحظات بعمل الله واهب الحرية للنفس، الذي لا تستطيع المتاريس الحديدية ولا الحراس المسلحين، ولا القيود الصلبة أن تحده بالزنزانة، بل خرج حرًا تحت قيادة ملاك الرب!

**"وقال له الملاك: تمنطق والبس نعليك،**

**ففعل هكذا،**

**فقال له: البس رداءك واتبعني". [٨]**

سأله الملاك أن يتمنطق ويلبس نعليه ورداءه بينما يرقد حارس عن يمينه، والآخر عن يساره والسلسلتان في أيديهما.

كانت هذه هي الليلة الأولى والوحيدة له في السجن، ومع هذا لم ينشغل بشيء، بل في سلامٍ كاملٍ خلع المنطقة والرداء والنعلين، لينام بين الجنديين في راحةٍ وسلامٍ.

طلب منه أن يتبعه لكي يرفع عنه كثافة الحيطان والأبواب الحديدية والمتاريس، فيعبر من السجن، وكأنه روح بلا جسد، أو ملاك لا إنسان. حقًا "يكونون كملائكة الله" (مت ٢٢: ٣٠). لقد اختبر القديس بطرس عربون القيامة في صورة رائعة.

يرى **القديس يوحنا كاسيان**[1] في كتابه عن أنظمة الشركة أن الرهبان المصريين كانوا يرتدون منطقة لتأكيد ارتداء منطقة روحية، حيث يكون الذهن مستعدًا لكل عمل للدير دون عائق لثيابه. وأنهم بهذا يتشبهون بالقديس بطرس إذ طلب منه الملاك أن يتمنطق، والقديس بولس الرسول حيث قال له أغابوس أن من له هذه المنطقة سيجتاز شدائد في أورشليم (أع ٢١: ١١).

---

[1] *De institutis caeoborum, 1:1:8.*

**"فخرج يتبعه،**
**وكان لا يعلم أن الذي جرى بواسطة الملاك هو حقيقي،**
**بل يظن أنه ينظر رؤيا". [٩]**

لم يصدق القديس بطرس ما قد حدث، وظن أنه في رؤيا. أما الذين في السجن، فغطتهم الظلمة الكثيفة، ولم يروا شيئًا، ولا شعروا بحركة وسط هدوء الليل.

**"فجازا المحرس الأول والثاني،**
**وأتيا إلى باب الحديد الذي يؤدي إلى المدينة،**
**فانفتح لهما من ذاته،**
**فخرجا وتقدما زقاقًا واحدًا،**
**وللوقت فارقه الملاك". [١٠]**

عبر به الملاك من السجن الداخلي ثم الخارجي، ليجد نفسه معه في ردهة مؤدية إلى باب السجن العام المؤدي إلى المدينة. هذا الوصف يطابق قلعة أنطونيا. تُرى هل كان الحرس ساهرين ولم يروا الملاك والقديس بطرس، أم ألقى الرب عليهم سُباتًا، فنام الجميع، ولم يشعروا حتى بانفتاح الباب الحديدي الضخم؟

انفتح الباب الحديد من ذاته، أي بقوة إلهية، عندئذ تنسم بطرس الرسول نفحات الحرية بعد أن سار معه الملاك زقاقًا واحدًا، فصار بعيدًا عن دائرة السجن. لم يعد هناك حاجة لظهور ملائكة لبطرس بعد أن خرج من محيط الخطر. لم يرافق الملاك القديس بطرس حتى يدخل به إلى العلية، فإن الله يقدم معونة ملائكية علنية للمؤمنين قدر احتياجهم، أما إذا لم تكن هناك حاجة، فيلزم على المؤمنين أن يسيروا مجاهدين تسندهم نعمة الله وترافقهم الملائكة خفية.

**"فقال بطرس وهو قد رجع إلى نفسه،**
**الآن علمت يقينًا أن الرب أرسل ملاكه،**
**وأنقذني من يد هيرودس،**
**ومن كل انتظار شعب اليهود. [١١]**

رجع بطرس الرسول إلى نفسه أو في نفسه، كما لو كان قد دخل في حالة

دهشٍ إلهي، خرج من نفسه ليتمتع برؤيا فائقة، وعمل سماوي عجيب. ترنم الرسول بتسبحة للرب نطق بها بقلبه لا بلسانه، يمجد فيها الله مخلصه الذي أنقذه من يد هيرودس، وكأنه يردد ما قاله نبوخذنَصَّر: "تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو الذي أرسل ملاكه، وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه" ( دا ٣: ٢٨). وما سبح به يثرون حمى هرون: "مبارك الرب الذي أنقذكم من أيدي المصريين، ومن يد فرعون" (خر ١٨: ١٠). وما أنشد به زكريا الكاهن: "مبارك الرب إله إسرائيل، لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه... خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا" ( لو ١: ٦٨، ٧١).

ما تمتع به هؤلاء جميعًا يقدم لنا صورة حيَّة لتدخلات الله في تاريخ الكنيسة، كما في حياة كل مؤمن، علانية أو خِفية.

**"من كل انتظار شعب اليهود"**: كان اليهود المجتمعون للاحتفال بعيد الفصح منتظرين هدية هيرودس لهم، وهي قتل القديس بطرس، لكن يد الله تدخلت لتنقذ حياته.

يرى بعض الدارسين أن خلاص بطرس من السجن كان في آخر الليالي الخاصة بالاحتفال بالفصح، فجاء سجن بطرس وخلاصه وتسبحته الداخليّة واجتماع الكنيسة، كل هذا كان مرتبطًا بالفصح! جاء في المدراش عن ليلة خروج الشعب من مصر (خر ١٢: ٤٢) إنها ليلة سهر، يصنع الله فيها العظائم مع قديسيه، كما فعل مع شعبه أيام موسى. ففي تلك الليلة أنقذ الرب حزقيا الملك، والثلاثة فتية من آتون النار، ودانيال من جب الأسود، وفي هذه الليلة يُظهر المسيح قوته وأيضًا إيليا (عند مجيء المسيح الأخير). هكذا ارتبط الفصح في ذهن اليهود بخلاص الله العجيب في حياة الكنيسة عبر العصور، وفي حياة كل مؤمن مقدس للرب.

ويرون أيضًا أنها ليلة تسبيح وتهليل حيث ينشد الشعب ورجال الله تسابيح الحمد لله المخلص، فيرى الرابانيون أن يشوع سبح الله في مثل هذه الليلة عندما غلب ملوك الكنعانيين الخمسة، ودبورة وباراق حين انتصرا على سيسرا، وحزقيا حين أنقذه الله من حصار سنحاريب، والثلاثة فتية عندما خلصوا من أتون النار، واستير ومردخاي حين أنقذ الله شعبه من خطة هامان لإبادتهم، وكأن أعمال الله الخلاصيّة عبر العصور ترتبط بذبيحة الفصح، أي خلاص الله العظيم بالصليب وتتويجه بالقيامة.

## ٤. القدّيس بطرس في العُلّية

**"ثم جاء وهو منتبه إلى بيت مريم أم يوحنا الملقّب مرقس،**
**حيث كان كثيرون مجتمعين،**
**وهم يصلّون". [١٢]**

توجه القديس بطرس إلى العلية ليخبرهم بعمل الله الفائق معه، ورعاية الله لكنيسته.

لقد انفتحت له الأبواب من ذاتها، لكنه وقف على باب الكنيسة يقرع، وللأسف شكت الكنيسة في الأمر، وقالت: **"إنه ملاكه"**. إذ كان المؤمنون يعتقدون بوجود ملاك حارس لكل مؤمنٍ.

وسط هذا الجو الروحي البديع للصلاة وقف بطرس يخبرهم كيف اختبر عربون القيامة، يرسل الله ملائكته، يفك الراقدين من السجن، يشرق بنورٍ سماويٍ عليهم فيضيء لهم، يترك قوات الظلمة داخل السجن، وقد قيدوا أنفسهم بالسلاسل، تنفتح الأبواب أمام المؤمنين...

❖ لم يوجد الليل لكي نقضيه كله في النوم والخمول، بل نشهد أمام أن كنيسة المسيح تقوم في منتصف الليل. قوموا أنتم أيضًا وتطلعوا إلى أفلاكِ النجوم في صمتٍ عميقٍ وتجاوبٍ سليمٍ، متأملين في نظام سيد الأسرة (المسكونة) المهوب. فإن كانت نفسك أنقى (من النجوم)، أخف منها، وأكثر لطفًا، فإنها تسبح في حرية، فالظلمة ذاتها والسكون عينه يكفيان أن يقوداك إلى الندامة... النوم هو صورة للموت، صورة لنهاية كل الأشياء. إن تطلعتَ من نافذة نحو الشارع لن تسمع صوتًا، وإن نظرت في البيت تجد الكل راقدين كما في مقبرة، هذا كله يوقظ النفس، ويقودها إلى التفكير في نهاية كل الأشياء...

يتحرك الله بالصلوات التي تُقام في الليل، عندما تجعل وقت الراحة وقت الحزن (التوبة). تذكر ما نطق به الملك: "تعبت في تنهدي، أعوم كل ليلة سريري، وبدموعي أذوب فراشي" (مز ٦: ٦)[1].

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 26.*

❖ ليكن البيت كنيسة تضم رجالاً ونساء، فلا تظن أنك أنت الرجل الوحيد الموجود في البيت، ولا هي المرأة الوحيدة الموجودة فيه، فإن هذا يمثل عائقًا. يقول: "لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم (مت ١٨: ٢٠). وحيث يوجد المسيح في الوسط تكون جموع عظيمة. حيث يوجد المسيح يوجد الملائكة. وبالضرورة رؤساء الملائكة أيضا وقوات أخرى. فأنت لست وحدك، إذ لديك ذاك الذي هو رب الكل. اسمع أيضًا ما يقوله النبي: "واحد يفعل إرادة الرب أفضل من ربوة من العصاة" (راجع ابن سيراخ ١٦: ٣). **ليس شيء أضعف من جمهور الأشرار، ولا من هو أقوى من إنسان بار يسلك بناموس الله**[1].

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ الكلمات "أقوم في نصف الليل" ليست بلا قيمة. فإنّهم يعرفون أنّه في تلك الساعة قُتل أبكار المصريّين، وفي ذلك الوقت انحلّت قيود بطرس وبولس وسيلا الذين ألقوا في السجن، وأيضًا يأتي العريس في نصف الليل (مت ٢٥: ٦)[2].

**الأب كاسيودوروس**

**"فلما قرع بطرس باب الدهليز،**

**جاءت جارية اسمها رُودا لتسمع". [١٣]**

غالبًا ما كان الباب الخارجي، وهو يبعد عن مبنى البيت، إذ كانت المنازل الكبيرة تُحاط بفناء حوله سور، ويوجد دهليز يربط بين الباب الخارجي وباب البيت.

**"فلما عرفت صوت بطرس لم تفتح الباب من الفرح،**

**بل ركضت إلى داخل،**

**وأخبرت أن بطرس واقف قدام الباب". [١٤]**

يرى البعض في هذا الحدث صورة أو ظلاً لفصح المسيح، أي آلامه وقيامته، حيث يود أن تتمتع الكنيسة بشركة آلامه وتختبر بهجة فصحه أو قيامته. فقد كان

---

[1] *Hom. on Acts, hom. 26.*

[2] *Cassiodorus: Expostions of the Psalms, 118:20.*

أحد مؤسسي الرهبنة في الغرب (حوالي ٤٨٥- حوالي ٥٤٠م).

الرسول راقدًا في السجن، وكأنه قد دُفن مع السيد المسيح في القبر. وكان محاطًا بالعسكر والأبواب مغلقة، صورة للسيد المسيح في القبر تحت الحراسة، والحجر على باب القبر وعليه الختوم. ظهر لبطرس ملاك الرب، ووُجدت ملائكة في القبر.

لم يهلك بطرس، بل عاد إلى الشعب يعلن مجد الله. والسيد المسيح لم يرَ جسده فسادًا، بل قام حيًا يعلن حضوره وسط شعبه.

جاءت رودا (معناها وردة) الجارية تسمع صوت بطرس وتبشر الكنيسة بالخبر، وجاءت المريمات إلى القبر والتقين بالمسيح القائم من الأموات، وسمعن صوته. وعادت المريمات يبشرن بالقيامة.

قال المجتمعون: "أنت تهذين"، ولم يصدق حتى الرسل والتلاميذ ما أخبرت به المريمات عن القيامة (مت ٢٨: ٧-٨).

**"فقالوا لها أنت تهذين،**
**وأمّا هي فكانت تؤكد أن هكذا هو،**
**فقالوا أنه ملاكه". [١٥]**

يعتقد اليهود أن الملائكة تحمي الأبرار وتعينهم. وأن ملاكين، واحد صالح والآخر شرير، يصاحبان الإنسان عند عودته من المجمع إلى بيته في عشية السبت[1].

يظهر هذا التعليم الخاص بالملاك الحارس في الكتابات المسيحية المبكرة، ذُكر في برنابا[2] وكتاب الراعي لهرماس[3] وفي أعمال القديس إكليمنضس السكندري[4]، وأوريجينوس[5]. ووجد له أساس في الكتاب المقدس (تك ٤٨:١٦؛ طو ٢٥:٣؛ مت ١٨:١٠؛ أع ١٢:١٥).

- يظهر من قول السيد المسيح نفسه أن ملائكة هؤلاء الأصاغر يرون وجه الآب السماوي.

---

[1] *The Jewish Encyclopedia, Angelology.*
[2] *Pseudo-Barn., 18, 1.*
[3] *Vis., 5, 1-4.*
[4] *Ecl., 41, 48.*
[5] *Hom. in Num., 11, 4; see also 20, 3.*

- جاء في سفر الأعمال قول المجتمعين للجارية عن الذي يقرع الباب إنه ملاكه.
- أوصى الرسول بولس المرأة أن يكون لها غطاء للرأس لأجل الملائكة.
- قول المرتل: "ملاك الرب حال حول خائفيه".
- قول يعقوب بن اسحق أن الملاك كان يقوته، وأنه قاده في حداثته.

❖ يجب أن نؤمن أن الملائكة، وهم خدام الله والحراس المعينين من قِبَله، متواجدون مع الإنسان الذي يصلي، حتى ينضمون إليه فيما يلتمسه. والحقيقة أن الملاك المخصص لكل منا، حتى للصغار في الكنيسة، والذي يعاين دائمًا وجه الآب، ويشاهد ألوهية الخالق، يصلي معنا ويدعمنا على قدر الإمكان فيما نطلب.

❖ كل واحد من المؤمنين حتى وإن كان الأصغر في الكنيسة، يعاونه ملاك، قال عنه المخلص أنه يعاين وجه الله الآب[1].

❖ لابد أن نقول إن النفس البشرية هي تحت إشراف ملاك بالنسبة لها بمثابة الوالد[2].

❖ إذ يقبل إنسان الإيمان، يعهد به المسيح الذي فداه بدمه من الشرير إلى ملاك مقدس الذي بسبب نقاوته يعاين وجه الله الآب[3].

❖ حتى لا يحدث أن تجد الأرواح الشريرة فيما بعد مكانًا فيها (النفس البشرية)، رأت حكمة الله وعنايته أن تُزوّد الأطفال الصغار، وأولئك الذين هم ليسوا إلا أطفالاً رُضّع في المسيح، وغير القادرين على الدفاع عن أنفسهم ضد غواية الشيطان وهجمات الأرواح الشريرة، بملائكة وحراس أبطال، معينين من قِبَله، كمرشدين ومُربّين لصغار السن أو غير القادرين على الدفاع عن أنفسهم (١ كو ٣: ١؛ أف ٦: ١١؛ غل ٤: ٢)[4].

❖ حيث أن الله عالم بالإرادة الحرة لكل إنسان، إذ سبق فرأى ما يفعله الإنسان لذلك رتب بعنايته لكل واحدٍ ملاكًا يليق به حسب استحقاقه، معطيًا إياه لكي ما يصلي

---

[1] *De Principiis 2:20:7.*
[2] *Comm. in Matt., 13,5.*
[3] *Comm. in Matt., 13, 28.*
[4] *Comm. on the Songs of Songs, book 2:3 (ACW).*

عن أجله...

يقول الله لمن يتصف بهذه الصفات، أو تلك أرسل إليه ملاكًا حارسًا يعمل معه لخلاصه، وذلك ابتداء من الوقت المعين ويبقى معه إلى وقت آخر. ويقول عن آخر: سأبعث بملاك آخر ربما يكون برتبة أعلى بما يتناسب مع أفضليته عمن سبقه. ولآخر ممن كرّسوا أنفسهم للتعليم السامي، ثم أدركه الضعف فعاد به إلى الأمور المادية، سأجرده من معاونة القوي، الذي برحيله عنه – بحسب استحقاقه – سوف تقتنصه قوة شريرة معينة، وتجد لها فرصة للانتفاع بضعفه هذا، فتستدرجه – إذ أظهر استعدادًا للخطية – لاقتراف هذه الرذيلة أو تلك[1].

❖ كل الناس يحركهم ملاكان: أحدهما شرير يحرضه على الشر، والآخر صالح يحثّه على الصلاح"... فإن كان يوجد فكر صالح في رأسنا، فما من شك في أن ملاك الرب هو الذي يتحدث معنا. أما إن جاءت أمور شريرة إلى قلوبنا، فالذي يخاطبنا هو ملاك الشر[2].

**العلامة أوريجينوس**

يعتقد آباء القرن الرابع نفس هذه العقيدة. فبالنسبة **للقديس باسيليوس**، يُخصص ملاك لكل مؤمن؛ هذا إذا لم نستبعده عنا بالخطية، يحرس النفس مثل جيش[3].

❖ **يشهد الكتاب المقدس عن وجود ملاكين، أحدهما صالح والآخر شرير، يكونان ملاصقين لكل واحدٍ منا. يقول المخلص عن الملاك الصالح:** "لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار، لأني أقول لكم إن ملائكتهم في السماوات كل حين ينظرون وجه أبي الذي السماوات" (مت ١٨: ١٠). وأيضًا: "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" (مز ٣٤: ٧). وأيضًا ما قيل في أعمال الرسل عن بطرس: "إنه ملاكه" (أع ١٢: ١٥)[4].

**الأب سيرينوس**

---

[1] *On Prayer 6:4 (ACW).*

[2] *De Principiis 3:2:4; Boniface Ramsey: Beginning to Read the Fathers, Paulist Press, 1985, p. 12.*

[3] *Hom. in Ps. 33:6.*

[4] *St. John Cassian: Conferences, 8:17.*

**"وأمّا بطرس فلبث يقرع،**

**فلما فتحوا ورأوه اندهشوا". [١٦]**

انفتح الباب الحديدي للسجن من ذاته، حيث كان الموقف خطيرًا. أما وقد أُنقذ بطرس فالتزم أن يقرع، ويلبث يقرع حتى يفتحون له. في وسط الضيق تتدخل عناية الله لتنقذ في اللحظات الحاسمة، أما في وقت الفرج، فيُسمح للشخص أن يقف وينتظر لعل أحد أحبائه يفتح له.

**"فأشار إليهم بيده ليسكتوا،**

**وحدثهم كيف أخرجه الرب من السجن،**

**وقال: اخبروا يعقوب والإخوة بهذا،**

**ثم خرج وذهب إلى موضع آخر". [١٧]**

إذ رأوه حدث ارتباك شديد وضوضاء مع فرحٍ وتهليلٍ، فكان كل منهم يُحدِّث الآخر: ماذا حدث؟ لذلك أشار إليهم بيده ليسكتوا. ثم بدأ يحدثهم عن عمل الله معه، طالبًا أن يخبروا يعقوب (غالبًا الصغير) والإخوة، ربما يقصد بهم الرسل زملاءه.

## ٥. اضطراب العسكر

**"فلما صار النهار حصل اضطراب ليس بقليلٍ بين العسكر،**

**ترى ماذا جرى لبطرس؟" [١٨]**

**"وأمّا هيرودس فلما طلبه ولم يجده فحص الحراس،**

**وأمر أن ينقادوا إلى القتل،**

**ثم نزل من اليهودية إلى قيصرية،**

**وأقام هناك". [١٩]**

**"فحص الحراس"**: أراد هيرودس أن يعرف حقيقة الموقف، هل تراخى الحراس عن عملهم أم حدثت خيانة وأخذوا رشوة. يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن هيرودس تضايق جدًا ظانًا أن حراس السجن سخروا به كما سخر المجوس بجده عند ميلاد السيد المسيح ولم يرجعوا إليه بعد سجودهم للملك الطفل.

يبدو أن هيرودس ظن بأن ما حدث فيه إهمال من جانب الحراس لذلك أمر

باقتيادهم للقتل، لكن إذ ترك اليهوديَّة وذهب إلى قيصريّة، حيث ضربه ملاك الرب ومات [٣٣]، لا نعرف إن كان قد نُفذ حكم الإعدام عليهم أم لا.

### ٦. ملاك الرب يضرب هيرودس

**"وكان هيرودس ساخطًا على الصوريين والصيداويين،**
**فحضروا إليه بنفسٍ واحدة،**
**واستعطفوا بلاستس الناظر على مضجع الملك،**
**ثم صاروا يلتمسون المصالحة،**
**لأن كورتهم تقتات من كورة الملك". [٢٠]**

هدد هيرودس أغريباس الأول بقطع إمدادات الطعام عن صور وصيدا، لأن شعب المدينتين أغضبوا الملك لأسباب لم يذكرها معلمنا لوقا البشير. جاءوا يطلبون الصلح والصفح مستعينين ببلاستس القائم على مخدع الملك، وهو من أقرب الناس إلى قلبه. وقد روى يوسيفوس ذات القصة بالتفصيل، وقد جاءت مطابقة لما ورد في السفر.

**"ففي يوم معين لبس هيرودس الحُلّة الملوكية،**
**وجلس على كرسي الملك وجعل يخاطبهم. [٢١]**

**"فصرخ الشعب: هذا صوت إله لا صوت إنسان". [٢٢]**

**"ففي الحال ضربه ملاك الرب،**
**لأنه لم يعطِ المجد لله،**
**فصار يأكله الدود ومات". [٢٣]**

مات في الحال في صورة مخجلة، ليس من أجل اضطهاده لبطرس فحسب، وإنما لأجل قبوله للمجد الباطل، حيث ظن أنه مستحق أن يُعبد كإله. هذا، وقد قدم الله درسًا سريعًا للذين في مداهنة له وتملق ادعوا أنه إله. لعلهم يرجعوا إلى الله بالتوبة.

سمح الله بذلك ليكشف عن شخصية يسوع المسيح. فإن كان الملك الذي لم ينطق بكلمة إنما في غروره صرخت الجماهير إن صوته صوت إله لا إنسان ضُرب في الحال، فإن يسوع المسيح أعلن مرارًا وتكرارًا عن مساواته للآب، وقد وأقامه الآب

من الأموات... يستحيل أن يكون مجدفًا حين يعلن عن ربوبيته!

"**فصار يأكله الدود ومات**": كثيرًا ما يقدم الكتاب المقدس هذا الوصف عن الذين باغتهم الموت بنوعٍ من النقمة، مثل أنطيخوس الرابع (٢ مك ٩: ٩)، وهيرودس الكبير[1] ويهوذا الاسخريوطي (بابياس وأخذ عنه أوليناريوس)، جالريوس[2]، يوليانوس الكافر[3].

"**وأمّا كلمة الله فكانت تنمو وتزيد". [٢٤]**

بينما كان أغريباس يسهر ليخطط صد الكنيسة، كان الله ساهرًا على كلمته. كلما اشتدت الضيقة وسفكت دماء الشهداء تُستعلن ذراع الرب وينمو ملكوته على الأرض.

لقد أغلق الهيكل بابه في وجه المؤمنين، لكي تفتح الأمم أبوابها وتصير هي هيكل الرب المقدس الذي يسكنه روح الرب.

لم يروِ لنا الإنجيلي لوقا شيئًا ما بين موت أغريباس وبدء أول رحلة تبشيرية للرسول بولس ومعه برنابا ومرقس، تُقدر هذه الفترة بحوالي سنتين. فقد مات أغريباس عام ٤٤م وبدأت الرحلة عام ٤٦م.

**"ورجع برنابا وشاول من أورشليم،**
**بعدما كملا الخدمة،**
**وأخذا معهما يوحنا الملقّب مرقس". [٢٥]**

"**يوحنا الملقب مرقس**": القديس مرقس الرسول هو ابن أخت القديس برنابا (١ كو ٤: ١٠). يبدو أن الصديقين الحميمين بولس وبرنابا كانا قد أقاما في أورشليم في بيت يوحنا مرقس، حيث كان التلاميذ يجتمعون.

---

[1] *Josephus: Antiq.. 7: 6: 5.*
[2] *Eusebius: H.E. 8: 16.*
[3] *Theodoret: H.E. 3: 9*

## من وحي أعمال الرسل ١٢

### يا لبؤس هيرودس كل عصر!

❖ يا لغباوتك يا هيرودس الكبير،
ظننت أنك تلحق بيسوع بقتلك أطفال لحم.
حطمت ذاتك، وخسرت كل شيء.
يا لبؤس ابنك قاتل القديس يوحنا المعمدان،
ظن أنه يحقق السعادة بالخلاص منه.
فصارت حياته جحيمًا ورعبًا.
ويا لغباوة حفيدك، فقد ظن أنه يقتل كل الرسل.
أراد إرضاء صالبي يسوع بالخلاص من رسله.
ها هو هيرودس كل عصر يقاوم مملكة النور،
ظانًا أنه قادر أن يحبسها،
فيحل به الفساد ويفقد مملكته!

❖ ماذا فعل هيرودس؟
ظن أنه قتل يعقوب، هذا الذي تهللت نفسه بانطلاقها.
ظن أنه يرعب بطرس، فتزكى بطرس أمام الله والناس.
السجن بكل حصونه يشهد لانهياره أمام الله.
فلت بطرس من أيدي الحراس بكل جبروتهم!
السماء تحركت، فجاء ملاك الرب نائبًا عنها يخدم بطرس!
الكنيسة في ضيقتها تحولت إلى جماعة صلاة بلجاجة وقوة!

❖ صدَّق هيرودس تملق الجمهور.
ظن في نفسه أنه إله، فصار وليمة للدود.
مات هيرودس، وانطلقت الكنيسة تكمل رسالتها!

## صدر عن هذه السلسلة

### العهد القديم

١ التكوين
٢ الخروج
٣ اللاويين
٤ العدد
٥ التثنية
٦ يشوع
٧ القضاة
٨ راعوث
٩ صموئيل الأول
١٠ صموئيل الثاني
١١ ملوك أول
١٢ ملوك الثاني
١٣ عزرا
١٤ نحميا
١٥ يهوديت
١٦ أستير
١٧ أيوب (٤ أجزاء)
١٨ المزامير
١٩ الأمثال "٣ أجزاء"
٢٠ الجامعة
٢١ نشيد الأناشيد
٢٢ حكمة سليمان
٢٣ أشعياء
٢٤ إرميا (جزءان)
٢٥ مراثي إرميا
٢٦ حزقيال
٢٧ دانيال
٢٨ هوشع
٢٩ يوئيل
٣٠ عاموس
٣١ عوبديا
٣٢ يونان
٣٣ ميخا
٣٤ ناحوم
٣٥ حبقوق
٣٦ صفنيا
٣٧ حجي
٣٨ زكريا
٣٩ ملاخي

### العهد الجديد

١ أنجيل متى
٢ " مرقس
٣ " لوقا
٤ " يوحنا (جزءان)
٥ أعمال الرسل (جزءان)
٦ رسالة رومية
٧ كورنثوس الأولى
٨ " الثانية
٩ غلاطية
١٠ أفسس
١١ رسالة بولس إلى أهل فيلبي
١٢ " " إلى كولوسي
١٣ تسالونيكي الأولى
١٤ " الثانية
١٥ تيموثاوس الأولى
١٦ " الثانية
١٧ الرسالة إلى تيطس
١٨ " فليمون
١٩ " العبرانيين
٢٠ رسالة يعقوب
٢١ رسالة بطرس الأولى
٢٢ " " الثانية
٢٣ رسائل يوحنا الثلاث
٢٤ رسالة يهوذا
٢٥ رؤيا يوحنا اللاهوتي
٢٦

## يُطلب مِن

- مكتبة مار مرقس بالأنبا رويس / العباسية / القاهرة ـ ت: .
- كنيسة مار جرجس سبورتنج / الإبراهيمية / الإسكندرية ت: ٨٨



الثمن ١٠,٥ جنيه